الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة–

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: .....

كلّية أصول الدّين

قسم العقيدة ومقارنة الأديان

# المساءلة الإيتيقية ضمن جدلية المسيحية والإسلام

## –مقاربة بين أوغسطين وأبي حامد الغزالي–

## (دراسة تحليلية مقارنة)

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه ل–م–د

تخصص: مقارنة الأديان


إعداد الطالبة:

سليمة براهمي

إشراف الأستاذ الدكتور:

محمد بودبان


لجنة المناقشة:

| الاسم واللقب | الرتبة العلميّة | الجامعة الأصلية | الصّفة |
|---|---|---|---|
| أ.د آسيا شكيرب | أستاذة التعليم العالي | جامعة الأمير عبد القادر–قسنطينة– | رئيسا |
| أ.د. محمّد بودبان | أستاذ التعليم العالي | جامعة الأمير عبد القادر–قسنطينة– | مشرفا ومقررا |
| أ.د سمية بن الموفق | أستاذ التعليم العالي | جامعة الأمير عبد القادر–قسنطينة– | عضوا مناقشا |
| أ.د نعيمة دريس | أستاذ التعليم العالي | المدرسة العليا للأساتذة–قسنطينة– | عضوا مناقشا |
| د. بشير بوساحة | دكتور | جامعة الشهيد حمة لخضر–الوادي– | عضوا مناقشا |

الموسم الجامعي: 2021-2022م/1442-1443ه

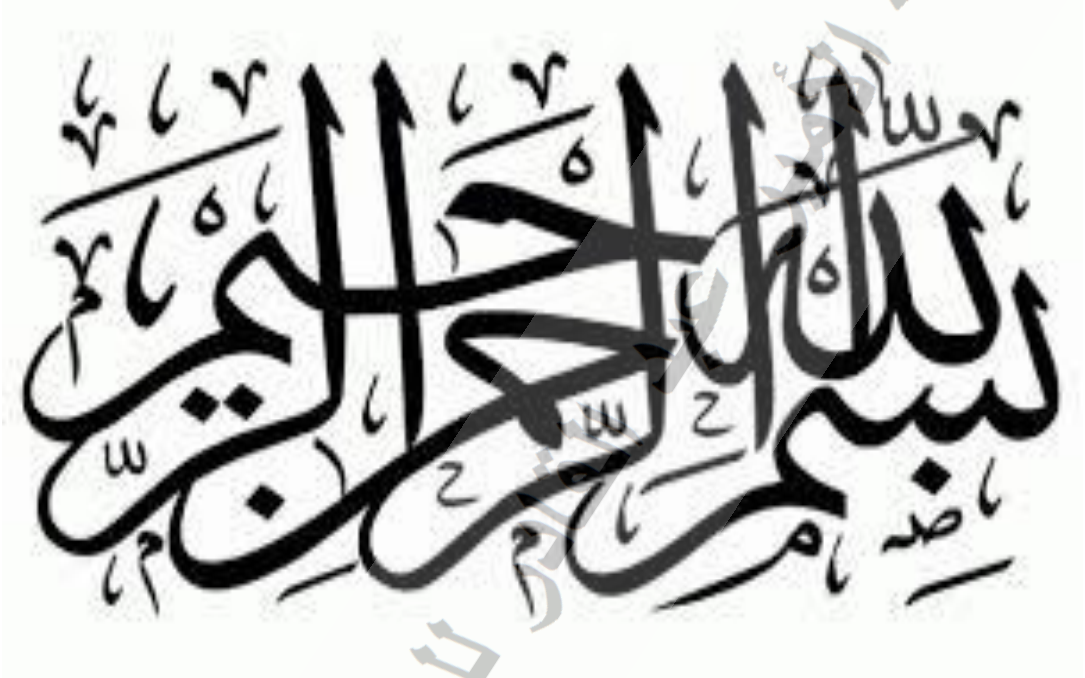


جامعة إقرأ للعلوم الإسلامية

# كلمة شكر وتقدير

اللهم لك الحمد والشكر كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك وعلو مكانك، واللهم صل على سيدنا

محمد وعلى آله وصحبه وسلم عدد خلقك ورضاء نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك.

أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي الفاضل الدكتور محمد بودبان، على توجيهاته السديدة ونصائحه القيمة، وله الفضل في إتمام هذا العمل وإخراجه إلى حيز الوجود، أسأل الله رب العرش العظيم أن يجزيه عني خير الجزاء ويرفعه مقام العليين والعلماء.

كما أتقدم بالشكر أيضا إلى كل أساتذة قسم العقيدة ومقارنة الأديان دون استثناء خاصة الأستاذة شهناز سمية بن الموفق والأستاذة آسيا شكيرب، الذين لم يبخلوا عليا بالنصح والتوجيه فكانوا نعم الأساتذة ونعم الرفقاء، كما أزف شكري للأستاذ براهمي خالد وإلى كل العاملين في المكتبات التي زرتها وما قدموه لي من عون وحسن استقبال.

وأيضا أشكر السادة أعضاء لجنة المناقشة والذين شرفوني بقبول مناقشة البحث وتقييمه، وسأعمل جاهدة على الاستفادة من نصائحهم وتوجيهاتهم.

# الإهداء

اهدي هذا العمل المتواضع إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله احتراما وإجلالا، وإلى كل:

أفراد أسرتي؛

أهلي وأقربائي،

أصدقائي وزملائي؛

أساتذتي، وأسرة جامعة الأمير عبد القادر؛

وإلى كل من ساندني وعلمني.

الطابة: سليمة براهمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**مقدمة:**

سارعت الجماعات البشرية الأولى منذ بزوغ وعيها ونضوج فكرها، لإرساء قواعد وقوانين تنظيمية تعمل على وحدتها وتطورها بشكل ديناميكي متوازن وذلك اعتمادا على ملكة الإنسان الفطرية والعقلية ومكتسباته التجريبية والميتافيزيقية.

و باعتبار أن الإنسان ذو طبيعة اجتماعية فقد سعى للعيش وفق كوكبات من نفس جنسه تجمع بينهم روابط وقيم ومبادئ تعمل على استقرارهم وفق منظومة اجتماعية موحدة، وهذه المبادئ تكوّن في مجملها قواعد وقوانين لسلوك الفرد؛ وهي ما يصطلح عليها اليوم بفلسفة الأخلاق أو علم الأخلاق؛ وهو أحد العلوم الإنسانية التي تهتم فقط بالإنسان وأفعاله وفق ثنائتي (الصح والخطأ)، وهو أقرب العلوم المعبرة عنه كما يعد أيضا من العلوم المعيارية التي تبحث عن صحة المعيار الباعث عن الخلق من خلال موضعها في إطار كلي عام.

وإن الباحث في علم الأخلاق باعتباره من أهم العلوم التي اعتنت بسلوك الإنسان كان لابد عليه أن يتتبع المسار التاريخي الذي بدأ لحظة استيعابه لمفهوم تواجده الكوني وتفاعله المحيطي، أي لحظة وعيه بمسؤولية ماله وما عليه، وإن تتبعنا لتاريخ الفكر الديني نجد أن الديانات القديمة التي ولدت في كنف الشرق الأوسط والتي اقصد بها ديانات بلاد الرافدين ومصر؛ قد احتوت على الكثير من المنظومات الأخلاقية والقانونية الشاملة والدقيقة التي عملت على تقويم السلوك مشكلة بذلك ما يسمى بالمنظومة الأخلاقية .

وليس ببعيد عنها تلك الديانات التي ظهرت في الشرق الأقصى ذو الطابع الفلسفي التي تقدس السلام وتجعل من اللاعنف مبدأ أساسي لقيام النظام والقانون، كما فعلت ذلك البوذية التي جاءت لكسر النظام الطبقي الهندوسي ودعت لتحرير النفس من سجن المادة.

أما بالنسبة للأديان السماوية فقد كان للسلوك الأخلاقي الحظ الأوفر منها، وهذا ما نجده في الديانة المسيحية التي أقرت بالكثير من التعاليم الخلقية التي تضمنتها اليهودية قبلها وارثة عنها

تقديس ما يصطلح بالوصايا العشر، بالإضافة إلى خلق المحبة الذي هو رأس الوصايا وأصل الناموس. أما الإسلام باعتباره آخر الديانات السماوية فلم يهمل هو الآخر المبدأ الأخلاقي واعتبره من أهم المبادئ الإسلامية حيث خصت الكثير من النصوص الدينية للحديث عن الفعل الأخلاقي وربط بينه وبين الإيمان والسعادة، وبالتالي فالربط بين الأخلاق والعقيدة موجود في كل الأديان لارتباط ذلك برسالة الإنسان في تواجده الكوني.

وإن الحديث عن المسألة الأخلاق بصفة عامة كان بسبب الواقع المعاصر، واقع يشهد انحطاط لمعنى الإنسانية، فطغت عليه لغة العنف والحرب وانتشار الجريمة وما يزيد من تفاقم المشكلة هو أن معظم تلك الآفات المتعدية على الإنسانية كانت باسم الدين، جراء سلوكيات أتباع الدين مبتعدين تماما عن تلك المبادئ النبيلة التي تكلمت عليها معظم الفلسفات القديمة والأديان السماوية مما ولّد موجة من الحقد على العقيدة و الدين، وهذا ما دق ناموس الخطر لإدراك هذا الواقع المتشائم فظهرت العديد من الدراسات و الأبحاث حول الأخلاق وفلسفتها ومكانتها في المجتمع ودورها في حل تلك المعضلات، وهو ما دعاني أيضا للخوض في مجال الأخلاق، فارتأيت أن اختار من بين تلك الشخصيات الدينية التي اهتمت بفلسفة الأخلاق كل من؛ أوغسطين وأبو حامد الغزالي.

فأوغسطين من أهم شخصيات اللاهوت المسيحي ومعلمي الكنيسة ومن آبائها الأوائل، فقد كان لاهوتيا منقطع النظير، ومدافعا عنيدا عن العقيدة المسيحية وفيلسوفا و أخلاقيا مثاليا، أما أبو حامد الغزالي فهو لا يقل شأنا من مناظره فهو من أهم شخصيات الفكر الإسلامي التي اهتمت بالأخلاق والفضيلة.

**إشكالية البحث:**

تعد المشكلة الأخلاقية من أهم قضايا الفكر الإنساني باعتبار أن الأخلاق من أصعب التكوينات داخل بنية الإنسان المعقدة وهي مزيج مكون من طبائع وغرائز وإرادة ومجموعة التعاليم

الموجهة سواء الاجتماعية أو الدينية وهي بذلك أعقد منتج إنساني، هذا على المستوى الفردي أما على المستوى الاجتماعي؛ فهي عنصر اساسي للتمدن ووجود المجتمع وبقائه ومقوما جوهريا من مقومات كيانه وشخصيته، ويعد النقص في هذا الجانب مسؤولا إلى حد كبير عما يعانيه عالمنا اليوم من مشكلات، لذا لابد من البحث عن طرق لحل لهذه المعضلات.

ومن بين هذه الطرق والمناهج الغوص في منابع الفكر الإنساني ذات الطابع الأخلاقي، خاصة تلك التي لها بعد ديني تأثيري على بنية المجتمع العالمي ولعل أهم هذه المنابع هي شخصية كل من أوغسطين الممثلة عن العالم المسيحي وشخصية الغزالي الممثلة عن العالم الإسلامي، ونحن هنا لا ندعو إلى أخلاق لا تتلاءم مع عصرنا بل أخلاق تجمع ما بين الأخلاق المسيحية والأخلاق الإسلامية بحكم شموليتهما وعالميتهما بشكل متقارب، لذا سنبحث عن مواطن الاتفاق دون الاختلاف في تصورهما البنيوي للأخلاق والسلوك.

من خلال ما سبق يمكننا طرح التساؤل الرئيسي التالي:

**ما مدى فاعلية الفلسفة الأخلاقية عند كل من أوغسطين والغزالي في التقارب الفكري ما بين العالم المسيحي والاسلامي ؟ وما هي البنية الداخلية المكونة للفعل الخلقي وما المنظومة الأخلاقية التي قدماها؟**

**الأسئلة الفرعية:**

- ماذا نعني بعلم الأخلاق وما أهم الأسس الذي يقوم عليه وما مدى حاجتنا إليه؟
- هل كان للأخلاق حظ وافر في فلسفة الفكر الديني والحضارات القديمة؟
- ما هي مقومات ومصادر المبدأ الأخلاقي في تصورات كل من أوغسطين والغزالي؟
- السلوك فعل يصدر من الإنسان فما هي مكونات الإنسان، وما علاقة النفس والقلب بالأخلاق؟

- هل هناك روابط بين السعادة و الفضيلة والعقل ؟
- ما هي آلية الحكم على الفعل( صحيح، خاطئ) عند كل منهما؟ وهل للفضيلة دور في ذلك؟
- هل الأخلاق تحقق الخلاص وما علاقتها بالسعادة عند أوغسطين والغزالي؟

**أهمّية الموضوع:**

إن هذه التساؤلات وما تطرحه من معضلات ومفارقات بالنسبة لفكر كائن يتحدد باعتباره قيمة تجعل من الفلسفة الأخلاقية اليوم وأكثر من أي وقت مضى ضرورة حياتية إذا ما رام الإنسان الحفاظ على إنسانيته وتحقيق أخلاق عالمية أصيلة تصالح بين ثنائيتي الإنسان والإنسان، وبين الإنسان والطبيعة، كما تكمن أهمية الموضوع أيضا في:

- تعد المشكلة الأخلاقية من العلوم الصعبة من حيث تطبيقها رغم المعرفة بما يجب وما لا يجب لذا لابد من منهج تربوي أخلاقي يلاءم تنوع طبيعة النفس الانسانية، لأن فهم الطبيعة الإنسانية وفهم القيم والمعايير الأخلاقية تعتمد كل منهما على الآخر.
- تداخل هذا العلم مع كل من علم الاجتماع الذي يدرس ما هو كائن من أخلاق المجتمع والشعوب وسلوك وأخلاقيات الطبقات المختلفة من كل مجتمع " علم العادات"، كما له علاقة وطيدة مع علم النفس التربوي كذلك مع علم التاريخ الذي يدرس تطور أخلاق كل حضارة عبر أزمنة مختلفة.
- إن القواعد الأخلاقية كان من شأنها أن توجه ضمير الإنسان نحو الحياة الروحية الصالحة.
- إن أفكار كل من أوغسطين والغزالي باتت معاصرة لكل الأجيال وحية في كل العصور التي تلته، إذ أن أثرهما لم يقتصر على القرون الوسطى بل جاوزها إلى التاريخ المعاصر.
- تبيان دور الفضيلة في بلوغ الغايات الإنسانية الدينية والدنيوية من خلال نموذجين مسيحي و مسلم.

- وتكمن أهمية الموضوع أيضا في العصر الذي نعيشه وهو عصر العولمة وما تفرعت عنه من عولمة اقتصادية وسياسية والثقافات والعلاقات الاجتماعية، ولكن هناك أيضا عولمة الإرهاب وعولمة الجريمة المنظمة والشبكات المنظمة للرذيلة، ويمكن لهذه الظاهرة أي العولمة أن توجه لخدمة الإنسان والبشرية كالتعاون لتجاوز الأزمات مثل المجاعة والفقر والحروب.

**أسباب اختيار الموضوع :**

إن الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع كثيرة و يمكن تقسيمها إلى أسباب ذاتية و أخرى موضوعية:

**أ– أسباب ذاتية:**

- الميول الشخصي للدراسات التي تعني بالأخلاق وفلسفتها والدور الفعال الذي تؤديه في السلام العالمي.
- كون الموضوع يمس كل من الديانتين الإسلام والمسيحية .
- محاولة الخوض في المباحث الفلسفية وربطها بالفكر الديني.
- محاولة لمس الضمير الإنساني من خلال أعلام الفكر الديني المسيحي والإسلامي لما لهما من مكانة مرموقة لدى أتباع الديانتين.

**ب–أسباب موضوعية:**

- في وسع الباحث القارئ أن يتبين أن بحثا كهذا كان مطلوبا في عصر يعاني انعدام الاستقرار واليقين في الحياة، بسبب انتشار التوجهات الفكرية السلبية المتمخضة من تكوين ديني سياسي مما أدى لظهور الطبقية الاجتماعية.

- إن الوقوف على الأخلاق في منظوره الديني المسيحي الإسلامي بشكل متحالف إنما كان لضرورة ملحة تفرضها الحاجة المستنكرة.
- معرفة المنهج التربوي الأخلاقي لأعلام فلسفة الفكر الديني (أوغسطين والغزالي) ومحاولة تقديمها كنموذج إصلاحي للفرد والمجتمع .

**أهداف البحث:**

- محاولة اخراج الأخلاق من النظري إلى حيز التطبيق من خلال تطبيق آلية أو المنظومة الأخلاقية التي وضعها كل من الغزالي وأوغسطين.
- محو تلك الحدود التي تفصل بين القرون الوسطى والعصور الحديثة، وتبيان أن حلقات سلسلة الفكر الإنساني متواصلة.
- التعرف على جذور الفكر الأخلاقي لكل من الغزالي و أوغسطين.
- فهم آلية السلوك والفعل الخلقي من بدايته كفكرة داخلية حتى صدوره للوجود.
- وما نهدف إليه أيضا هو تحرير وعينا من التقسيمات القائمة على تفسيرات ضيقة لا يوجد لها أصلا قويا في النصوص الدينية.
- من أجل أن تكون مثل هذه الدراسات الأساس والقاعدة لتفاهم أخلاقي بين الأديان (المصدر الإلهي) والفلسفة(الإنتاج البشري).

**منهج البحث:**

إن البحث الأفقي يقتضي البحث عن موضوع الأخلاق عبر القراءة الداخلية، لكن إشكاليات هذا الموضوع تفرض البحث العمودي، وأن العنصر المحرك هنا هو سلم الفلسفة الأخلاقية بمعناها السلوكي والنظري من خلال كل من أوغسطين والغزالي، لذا كان من الضروري انتهاج عدة مناهج من بينها:

**أ- المنهج التحليلي:** ويتضح هذا المنهج في أغلبية الفصول ذلك من خلال قراءة واستخراج الأفكار الأخلاقية من خلال مؤلفات كل من الغزالي وأوغسطين وما كتب عنهما ثم شرحها وتفسيرها والربط فيما بينها للوصول إلى حلول للإشكاليات والتساؤلات الخاصة بهذا البحث.

**ب-المنهج الاستقرائي:** وهذا المنهج يخدم المنهج السابق وذلك من خلال تحديدنا للظاهرة الأخلاقية عند كل من القديس أوغسطين وأبي حامد الغزالي وجمع كل العناصر والمعلومات الجزئية والعامة الخاصة بالأخلاق بعد تحليلها وذاك باستخدام آلية الملاحظة والقراءة الجزئية للوصول لحقائق موضوعية تخص كل من الفيلسوفين.

**ج-المنهج الاستنباطي:** من أجل استنباط أوجه التقارب الأخلاقي بين كل من أوغسطين والغزالي خاصة أن كل منهما من عصرين وإيديولوجيتين مختلفتين، إذ أننا اعتمدنا على هذا المنهج في عناصر ومكونات المنظومة الأخلاقية لكل منهما خاصة في الفصل الأول والثاني، وذلك من خلال المحاذاة والموازنة في هذه العناصر بعد تحليلها، كما أن الاستنباط يسمح لنا بفهم الظاهرة الأخلاقية ضمن وعاء فكري بشري يدمج ما بين الدين والفلسفة كما يسمح لنا باستنتاجات أخرى كعملية التأثر والتأثير.

**الدراسات السابقة:**

لقد زادت تلك البحوث والدراسات التي اهتمت بالأخلاق سواء من الجانب الديني أو الفلسفي أو النفسي في العصر الحديث وكذلك القضايا الأخلاقية لكل من الغزالي و أوغسطين، وكانت في مجملها عبارة عن كتب وأطروحات ورسائل جامعية ومقالات محكمة في مجلات عالمية، حيث كان لتلك الدراسات علاقة بموضوعنا ومن بينها:

**-الأخلاق عند الغزالي؛** لمحمد زكي عبد السلام مبارك و هذا البحث عبارة عن أطروحة دكتوراه بالجامعة المصرية عام1924م، ثم نشر هذا العمل بكتاب له نفس التسمية، وقد قسم الباحث عمله في أربعة عشر باب.

حيث خص كل من الباب الأول إلى غاية الباب الرابع للحديث عن حياة الغزالي ونشأته العلمية وتأثير عصره في تكوين شخصيته وعقليته ،كما تكلم فيهم عن مؤلفاته و عن المنابع التي استقى منها الغزالي أفكاره الأخلاقية والفلسفية، وهذا ما يوافق ما قدمناه في بحثنا من خلال كل من المبحث الأول والثاني والثالث من الفصل الثاني ( الفلسفة الأخلاقية عند الغزالي).

اما بالنسبة للباب الخامس من بحث زكي مبارك فيمثل بداية ولوجه إلى علم الاخلاق عند الغزالي بتطرقه لكل من مبحثي الخير والشر والضمير والإرادة حيث تكلمنا فيها أيضا في الفصل الثالث، وقد تكلم ايضا عن الفضائل والرذائل وغاية الأخلاق في من الباب السادس لغاية الباب الثامن، أما باقي الابواب فقد خصها للحديث عن العلوم والحقوق والواجبات ومدى تأثير الغزالي في العصور التي تلته وهذا ما لم نتطرق له، كما أنه لم يتكلم عن النفس ومكوناتها وقواها وعلاقتها بالسلوك، وآلية الفعل الخلقي من بدايته في النفس عن طريق الإرادة والقدرة حتى يكون فعل ظاهري، كما فصلنا فيه في المبحث الخامس من الفصل الثاني (الفلسفة الاخلاقية عند الغزالي).

- **التفكير الأخلاقي وعلاقته بالمسؤولية الاجتماعية وبعض المتغيرات لدى طلبة الجامعة الإسلامية بغزة؛** قدمتها الباحثة ميسون محمد عبد القادر ضمن متطلبات الحصول على درجة الماجستير، قسم علم النفس، كلية التربية، الجامعة الإسلامية غزة، سنة2009م؛ حيث قاربت الباحثة بين مفهوم الخلق عند الغزالي و مفهوم السمة عند "جوردن ألبورت" Gorden Albort" في العصر الحديث؛ باعتبارهما تحملان نفس المعنى والخصائص، كما تناولت أمهات الفضائل الأربع والأخلاق السيئة، والعادة وأثرها في تكوين الأخلاق والخلق يكون بالتخلق، وعرجت أيضا عن طبيعة الطفل القابلة للفضيلة أو الرذيلة على حسب نوع التربية.

**-التربية الإسلامية عند الإمام الغزالي؛** قدمها الباحث أيوب دخل الله، ضمن متطلبات الحصول على درجة الماجستير، نشرت هذه الدراسة في لبنان عام 1996م وقد اعتمدت على الطبعة الأولى، يسعى هذا البحث لوضع الماضي في ذمة الحاضر والمستقبل والعودة لأصول الفكر

الديني والتمسك بالتربية الإسلامية التي لم يكن لها باع في الكتب التربوية الحديثة، فقد عمد الباحث لتقديم الفكر التربوي الإسلامي عند الغزالي بصياغة ومنهجية تتلاءم وحاجات العصر التربوي، والسعي لإيجاد نظام تربوي اسلامي.

ولقد قسم بحثه إلى عشرة فصول؛ تكلم في الفصول الأولى (من ف1 إلى ف3) عصر الغزالي وحياته وبيئته الإيديولوجيا، كما فعلنا نحن في المبحث الأول والثاني والثالث في الفصل الثاني، أما الفصل الرابع فخصه للحديث عن نظرة الغزالي للعقيدة والله والكون والإنسان وهذا ما يتوافق مع بحثنا من خلال المبحث الرابع من الفصل الثاني غير اننا لم نتطرق للعقيدة والكون والله بل تكلمنا عن الإنسان ومكوناته وقواه، اما الفصل الخامس والسادس فتكلم فيه عن التَّربية وأنواعها عند الغزالي والفصل السابع لغاية العاشر تطرق فيها لطرق التربية الإسلامية معتمدا على الكتاب والسنة.

**– تحليل النفس التشخيصي والعلاج عند الغزالي (دراسة تحليلية مقارنة)؛ للباحث ميلود ميدان،** وهي مقالة علمية نشرت بمجلة العلوم الاجتماعية، العدد 2، المجلد8، بجامعة عمار ثليجي بالأغواط.

تناولت هذه الدراسة التحليل النفسي عند الغزالي ونظرته للنفس وما اقتبسه من فلاسفة اليونان ومن تبعهم من فلاسفة الإسلام، وذلك من خلال حديث الباحث عن أقسام النفس عند الغزالي والتي اخذ بها فرويد من بعده ولكن هذه مغالطة فأقسام النفس أول من تناولها وقسمها بهذا التقسيم( عاقلة، غضبية، شهوانية) أفلاطون وليس الغزالي، وقد تطرق الباحث أيضا للقوة الشهوانية وقد بين أثرها السلبي من خلال غريزتين أساسيتين عند الغزالي وهما؛ شهوة البطن والشهوة الجنسية، فشهوة البطن هي الأصل في بروز الغرائز بداية من الجنس ثم تتبعها غرائز اخرى (مال، جاه...)، كما تكلم عن العلاج بالتحكم في غريزة حب الطعام بشكل متوازن ومعتدل وعن فوائد الجوع، ولابد من الاعتدال في كل شيء منذ البداية، وبالزواج لحفظ الفرج والنسل أو

الصيام ولكن هذا الحل هو حل نبوي اسلامي وهذا ما يوافق ما تناولناه بالتفصيل في الفصل الثاني الفلسفة الأخلاقية عند الغزالي في المبحث الرابع (الانسان مكوناته وقواه).

أما النقطة الثاني التي تكلم فيها الباحث هي الأحلام والحدس حيث قرب ما بين النشاطات النفسية الباطنية والأحلام وأن اللاشعور منبع حقائق النفس، كما ان الحقائق تستمد بالحدس من باطن النفس بعد رياضتها وصفائها وقد تطرقنا ذلك (صفاء النفس وولوجها لعالم الحقائق) في الفصل الثاني في المبحث الرابع المطلب الأول ( مكونات الإنسان)، كما تكلمت الدراسة أيضا عن أساليب علاج أمراض النفس.

**-الحدس الصوفي ونظرية الأخلاق عند القديس أوغسطين؛** وهي دراسة للباحث كحول سعودي نشرت كمقال بمجلة مفاهيم للدراسات الفلسفية والإنسانية المعمقة بجامعة زيان عاشور الجلفة، بعدد08، 2020م.

اهتمت هذه الدراسة بتقديم الأخلاق المسيحية من خلال القديس أوغسطين والتي دافع عنها في أعماله الفلسفية واللاهوتية، واضعا الأسس الطبيعية للأخلاق كما بين العلاقة ما بين الإيمان والأخلاق والسعادة؛ حيث تكلم الباحث فيها عن الفضائل الأربعة فقط دون الحديث عن الفضائل اللاهوتية (الحب والإيمان والخلاص )، كما بين أن كل فضيلة من الفضائل هي نوع آخر من الحب وقد تكلمنا أيضا عن هذا الموضوع بالتفصيل في الفصل الأول في المبحث الخامس (الخلق والفضيلة عند أوغسطين)، كما تكلمت الدراسة عن رأي أوغسطين في الإرادة وأنها إرادة حرة خيرة، وأن الشر نابع من الخطيئة الإرادية للنفس التي منحها الله القدرة على اتخاذ القرار الحر وهذا ما يوافق ما تكلمنا عنه في الفصل الثالث المبحث الأول (الخير والشر عند أوغسطين).

**-مفهوم تفاهة الشر عند القديس أوغسطين؛** مقالة للباحثة نسيبة مزواد بمجلة المعيار لجامعة الأمير عبد القادر والتي نشرت بعدد 48 مجلد23، 2019م.

اهتمت هذه الدراسة أيضا بقضية الشر والبحث عن مصدره من خلال عرض آراء الفلاسفة في ذلك ووقوعهم في تناقضات من خلال ثنائتي؛ الله مصدر كل موجود والشر موجود يعني الله مصدر الشر(التفسير الأفلاطوني)، أو نفي الشر عن الله بمعنى الله خير كلي والله مصدر كل موجود وهذا يعني الشر غير موجود او أن الشر من مصدر ثاني(التفسير المانوي)، ولكن أوغسطين رفض التفسيرن وأعطى تفسير فلسفي ديني وهو أن الشر يعود إلى عمق الإنسان الذي يكمن فيه الشر وفسره بانه نقص في الخير وهذا ما تطرقنا إليه بشكل مفصل في الفصل الثالث من خلال أيضا المبحث الاول(الخير والشر عند أوغسطين).

**-المدينة والأخلاق عند القديس أوغسطين؛** مقال للباحث عفيان محمد نشرت بمجلة الراصد العلمي بوهران 1-أحمد بن بلة ، العدد 10 المجلد 6، ماي2019، تكلم فيها الباحث عن ماهية كل من المدينة الفاضلة والتي سماها المدينة الأخلاقية والمدينة الأرضية التي شبهها بالتجمع الجرثومي وهو العالم المادي وقد تناولنا ذلك بشكل مختصر في المبحث الثالث الخاص بمؤلفات أوغسطين، كما تكلم الباحث عن الشر الذي دخل للأرض جراء معصية آدم بسبب زيغ إرادته الحرة وقد تناولنا ذلك بالتفصيل في الفصل الثالث المبحث الأول (الخير والشر عند أوغسطين).

كما تطرق فيه عن بلوغ الفضيلة التي تكون بالترفع عن كل الماديات والابتعاد عن الشهوات، وقد بين أهمية كل من إيطيقا الحب خاصة المؤسسة على حب الله وبين اهميتها في قيام المدينة الفاضلة، كما تطرق إلى فضيلة العدالة ودورها في تأسيس المدينة السياسية والأخلاقية، وقد فصلنا ذلك في الفصل الأول في المبحث الخامس (الخلق والفضيلة عند أوغسطين).

كما تكلم عن مفهوم لم نتطرق له وهو مفهوم الغيرية والانقسام وربط ذلك بانقسام مدينة الله ومدينة الشيطان، حيث أسقط هذا المفهوم على عدة نماذج تاريخية لها بعد لاهوتي وهي شخصيتي؛ هابيل (الخير) وقابيل (الشر)، واسحاق اسماعيل (الجسد والموعد)، ورملوس ورمسيس (تأسيس مدينة روما بين الأخوية)، وقد فسر الباحث هذا الانقسام بغياب الفضائل الأخلاقية.

**أهم المصادر والمراجع لهذا البحث:**

- مدينة الله للقديس أوغسطين بمجلداته الثلاث وهو من أهم كتبه اللاهوتية؛ ففيه قسّم العالم إلى قسمين عالم ارضي وهو عالم الشر وعالم سماوي وهو الخير، كما بين فيه تلك الفضائل والمبادئ الخيرة لقيام ذلك العام.
- الاعترافات للقديس أوغسطين ويرصد فيه نوع من سيرته الذاتية وكيفية اهتدائه للمسيحية وفيه انعكاس لأدبه الخاص مع ربه .
- تعليم أصول الدين في الحياة السعيدة للقديس أوغسطين.
- كتاب الإحياء لأبي حامد الغزالي اعتمد فيه على ربع المهلكات وربع المنجيات.
- كذلك كتاب ميزان العمل لأبي حامد الغزالي.
- الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى لإتين جلسون وغيرها.

**تقسيمات البحث:**

يتمثل هيكل الدراسة لهذا البحث في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، وكانت الفصول كالتالي:

**الأول:** فصل تمهيدي ضبطنا فيه مفهوم المصطلحات الخاصة بالبحث كما تعرفنا فيه على ماهية فلسفة الأخلاق وأهم أسسه وأهميته، كما تتبعنا فيه الإرهاصات الأولى لظهور الفكر الأخلاقي وذلك من خلال الوقوف على المحطات التاريخية الخاصة بأهم الحضارات البشرية.

**الثاني:** وهو الفصل الأول الخاص بفلسفة الأخلاق الأوغسطينية حيث قسمناه إلى خمسة مباحث؛ كان الأول والثاني ترجمة لحياة القديس وعصره لتوضيح صورة شاملة عن بيئته التي شكلت خلفيته الفكرية، أما المبحث الثالث فتناولنا فيه أهم المنابع التي تشرب منها أوغسطين ومقومات فكره الأخلاقي، والمبحث الرابع خصصناه للحديث عن الإنسان وقواه وعلاقتها بالأخلاق لفهم آلية السلوك الخلقي، أما الخامس فكان لمعرفة ماهية الخلق والفضيلة ومنهجية أوغسطين في تقديمه للأخلاق حيث فيه منظومة الأخلاق الأوغسطينية الكاملة.

**الثالث:** وهو الفصل الثاني الخاص بفلسفة الغزالي الأخلاقية و قد قسمناه أيضا إلى خمسة مباحث، والتي من خلالها سنتعرف على بيئة الغزالي وعصره ومقوماته ومصادره الأخلاقية ومعرفة قوى الإنسان وعلاقتها بالأخلاق كما تكلمنا أيضا عن الخلق والفضيلة وقدمنا المنظومة التربوية للغزالي.

**الرابع:** وهو الفصل الثالث حيث قدمنا فيه منهجية معرفة ما يصح من الفعل وما لا يصح تحت مفهومي الخير والشر لأوغسطين والحسن والقبيح عند أوغسطين، كما تناولنا علاقة ممارسة الفضيلة بالسعادة الأخروية والدنيوية، وفي الأخير عرضنا مناقشة كل من الغزالي وأوغسطين لبعض القضايا الاجتماعية.

أما الخاتمة فقد احتوت على اهم نتائج هذا البحث كما احتوت على جملة من التوصيات و آفاق بحثية مستقبلية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الفصل التمهيدي:

# لمحة عامة عن علم الاخلاق

# وتطوره

جامعة الأمير للقانون للعلوم الإسلامية

**تمهيد:**

يهدف هذا الفصل إلى إنشاء قاعدة معلوماتية هامة من خلال مباحثه الثلاثة؛ حيث انصب اهتمام المبحث الأول على تقديم مفهوم متغيرات البحث الأساسية والمتمثلة في كل من مصطلح؛ الإيتيقيا والأخلاق والمساءلة والمجادلة، أما المبحث الثاني فخصصناه للحديث عن علم الأخلاق من حيث أهميته وحاجتنا المستدامة له سواء على الصعيد الفردي أو الاجتماعي كما سنتعرف على أهم أسس هذا العلم المتمثلة في الضمير والإرادة والمسؤولية، فيما سلط المبحث الثالث الضوء على تطور علم الأخلاق استنادا على قراءة تاريخية للشعوب القديمة.

**هيكلة الفصل:**

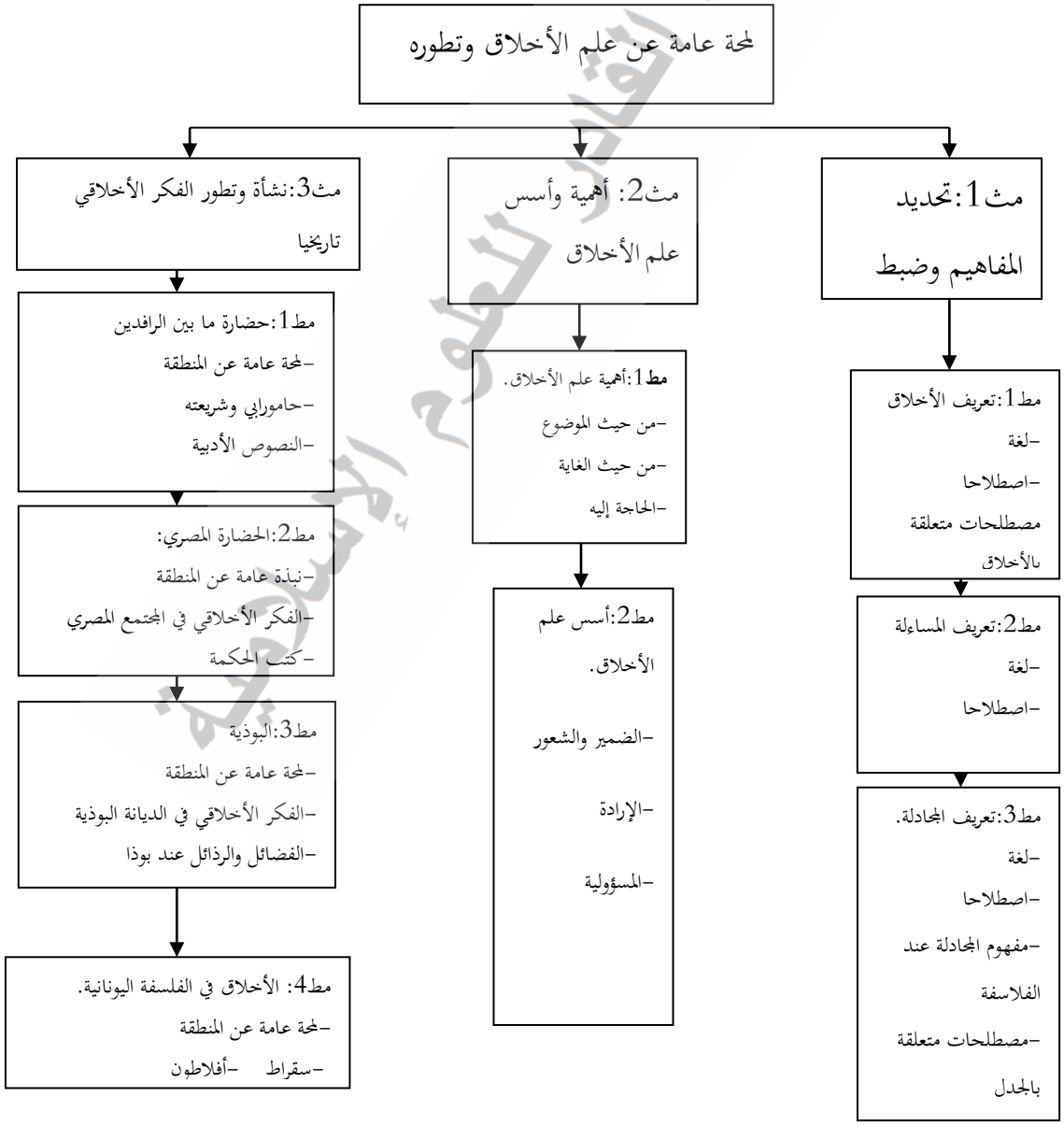

## المبحث الأول: تحديد المفاهيم وضبط متغيرات الدراسة.

يعتبر التعريف بالمصطلحات الواردة في عنوان البحث من المقدمات اللازمة لأي دراسة أكاديمية، لذا سنحاول تحديد المفاهيم الأساسية المتمثلة في مفهوم كل من الأخلاق (الإيتيقا)، والمساءلة والجدل.

### المطلب الأول: تعريف الأخلاق.

#### الفرع الأول–لغة:

الأخلاق جمع خلق، وهو السجية والطبع والطبيعة والمروءة والدين؛ وحقيقته أنه وصف لصورة الإنسان الباطنية وهي نفسه و أوصافها ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة و أوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنية أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة.[1] و نقول تخلّق بفتح اللام وشدها بمعنى تكلف أن يظهر من خلقه خلاف ما ينطوي عليه أي تطبع به.[2]

فالمعاني اللغوية العربية لكلمة الأخلاق تدل على أن للأخلاق جانبين أحدهما نفسي باطني والآخر سلوكي ظاهري، أي أن الأخلاق نفسية معنوية، ومظهرها الخارجي هو ما نسميه المعاملة أو السلوك، فالأخلاق مصدر والسلوك مظهر، كما أن الأخلاق تدل على الصفات التي اكتسبت وأصبحت كأنها خلقت مع طبيعة الإنسان.[3]

أما إذا رجعنا إلى الجذر اليوناني للكلمة التي تدل على معنى الأخلاق وجدناه يشير إلى معنى العرف أو الاستعمال الذائع، أي أنه يدل بصيغة الجمع على العادات الأخلاقية ، و قد أمست هذه الكلمة

---

[1] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مادة خلق، ط3(دار صادر، بيروت،2004 م)مج 5، ص140.

[2] مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، إشراف: شوقي ضيف، ط4(مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004م)ص252.

[3] محفوظ علي عزام: الأخلاق في الإسلام بين النظري والتطبيق، ط1 (دار الهداية، مصر، 1986م) ص12.

moral تدل على الأعراف و العادات الأخلاقية، و إذا رجعنا إلى الجذر اللاتيني فكلمة" éthique" تدل على طراز من السلوك الأخلاقي و قد جعل الاستعمال لهذه الكلمة تدل خاصة على ما يعرف الآن باسم الإتيقيا أي الأخلاق الفلسفية.

فنعت أخلاقي يرادف في الاستعمال اللغوي للثقافات الغربية الدلالة المعنوية أو الأدبية مقابل الدلالة المادية فهو نعت ينطبق على الأفعال والأحوال التي تعزى للفكر لا للجسد.[1]

**الفرع الثاني– اصطلاحا:**

لقد تضاربت الكثير من معاني الأخلاق الاصطلاحية لذا أردت أن أعرج على بعضها محاولة بذلك إعطاء لمحة توضيحية شبه شاملة للفظة الأخلاق ثم سنتكلم على فلسفة الأخلاق او علم الأخلاق.

**أولا–الأخلاق في الموسوعات العربية:**

-خُلق:Caractère

يطلق لفظ الأخلاق على جميع الأفعال الصادرة عن النفس محمودة أو مذمومة، فإذا أطلق على الأفعال المحمودة فقط فهي تدل على الأدب لأن الأدب لا يطلق إلا على المحمود من الخصال.[2] وهذا يعني أن للأخلاق جانبين جانب سلبي وجانب إيجابي.

وهي تعني بالجانب الداخلي من السلوك أي بالمقاصد والنوايا وبالتَّطلع القيمي أكثر من عنايتها بالظواهر السلوكية الفردية والاجتماعية، أي أن منطلق المعرفة الأخلاقية هو ما يتألق من بوتقة الوجدان،[3] وهنا يتبين لنا أنها ذو مصدر باطني داخلي.

---

[1] معن زيادة زياد : الموسوعة الفلسفية العربية، ط1(معهد الإنماء العربي، بيروت، 1986م)ج 1 ص 37.

[2] جميل صليبا :المعجم الفلسفي،ج1، دط، (دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982م)ص49.

[3] معن زيادة زياد : الموسوعة الفلسفية العربية، (مرجع سابق)، ج1، ص38.

فإذا أُطلقت لفظة الأخلاق على مبادئ السلوك دل على القيم المطابقة للمثل الأعلى الأخلاقي، وإذا أطلقت على السلوك العملي دل على مطابقة هذا السلوك لمبادئ الأخلاق،[1] يعني أنه في الدّلالتين يقصد بلفظة الأخلاق المبادئ حتى وأن أطلقت على السلوك.

**ثانيا–الأخلاق في موسوعة لالاند:**

اخترت موسوعة "لالاند" الفلسفية لأنها أعطت عدة مفاهيم لمصطلح الأخلاق من بينها:

أ–"الأخلاق هي مجمل التعاليم المسلم بها في عصر وفي مجتمع محددين ، والمجهود المبذول في سبيل الامتثال لهذه التعاليم والحض على الاقتداء بها".

نستنتج من هذا التعريف أن الأخلاق ذو مصدر محلي أي أنها تتغير بتغير الزمان و المكان.

ب– و يقصد بالأخلاق أيضا "العلم العملي، وموضوعه السلوك سواء سلوك الإنسان أو سلوك الحيوان، بصرف النظر على الأحكام التقويمية التي يطلقها الناس على هذا السلوك، ويمكن تسمية هذا العلم Ethologie أو Ethographie ".

نجد في هذا المقصود أن الأخلاق لا تعني بالجانب الباطني فقط بل الجانب السلوكي أيضا.

ج– ويقصد بها أيضا "العلم الذي يتخذ موضوعا له مباشرة، وهو الأحكام التقويمية على الأعمال الموسومة بأنها حسنة أو قبيحة، وهذا ما يمكن أن يسمى الإيطيقيا أي "علم الأخلاق Ethique"[2].

---

[1] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، (مرجع سابق)، ج1 ص52

[2] أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليل،ع مج :3، ط2، (دار عويدات للنشر، لبنان، 2001م)، مج: 1، ص372.

**ثالثا–الأخلاق عند بعض العلماء:**

**أ–الأخلاق عند الرواقيين:** عرّفوا الأخلاق على أنّها علم الخير أو العلم بالخير والشّر،[1]ولقد سعى بعض الباحثين المعاصرين إلى تطوير هذه الدلالة المزدوجة بالتركيز على الجانب القيمي و تجاوز النظرة المدرسية التي تقول عن الأخلاق أنها علم الخير، لبلوغ نظرة جديدة ترى أن الأخلاق علم القيم axiologie أو أنها على الأقل جزء أساسي من هذا العلم، بل من فلسفة القيم بالمعنى الدقيق. [2]

**ب– الأخلاق عند مسكويه:**" الأخلاق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين، منها ما يكون طبيعيا من أصل المزاج (كالذي يغضب بسرعة)، ومنها ما يكون مستفادا بالعادة والتدرّب، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر ثم يستمر عليه أولا فأولا حتى يصير ملكة وخلقا".[3]

أي أن الأخلاق عند مسكويه هي حالة داخلية تكون في النفس تترجم إلى سلوك حيث تكون مكتسبة أو فطرية.

**ج– الأخلاق عند الجرجاني:** "الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلا وشرعا بسهولة سميت الهيئة خلقا حسنا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي المصدر خلقا سيئا.[4]

أضاف الجرجاني في هذا التعريف أن مصدر الأخلاق العقل و الشَّرع ولا شك فيه أن هذا المفهوم قد أخذ به تلميذه الغزالي فيما بعد.

---

[1] معن زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، (مرجع سابق)، ج1، ص38

[2] المرجع نفسه، ج1، ص37.

[3] ابن مسكويه ، أحمد بن محمد: تهذيب الأخلاق، تحرير: عبد العليم صالح، دط( مطبعة الترقي، مصر، 1900م)، ص25.

[4] علي بن محمد الشريف الجرجاني: التعريفات، دط ( مكتبة لبنان بيروت، 2000م)ص109.

**د– الأخلاق عند السّالكين(المتصوفة)**: هو الإقبال على الله تعالى وقيل أيضا هو ألا يخاصم المرء ولا يخاصَم، وأن يكون متجلدا في الشدائد والمحن.[1]

أي أن الأخلاق لا تقتصر فقط على الجانب الأفقي؛ والذي أقصد به الأخلاق التي تكون بين بني الإنسان فقط بل تشتمل الجانب العمودي الذي يكون بين الإنسان والله.

هـ–ويطلق لفظ الأخلاق اليوم على المعاني التالية(أقسام الأخلاق ):

***الأخلاق النسبية**: وهي مجموعة قواعد السلوك المقررة في زمان معين لمجتمع معين(كقولنا أخلاق العرب وأخلاق الصينيين...).

***الأخلاق المطلقة**: وهي مجموعة قواعد السلوك الثابتة التي تصل لكل زمان ومكان، ويسمى العلم الذي يبحث في هذه الأخلاق بفلسفة الأخلاق وهي الحكمة العملية التي تفسر معنى الخير والشر.[2]

**الفرع الثالث– علم الأخلاق "الإيتيقا" Ethique. Moral philosophy**:

يعني بهذا العلم دراسة الأخلاق من الناحية الفلسفية أي دراسة النوايا الحسنة والسيئة والصواب والخطأ من السلوك، وفلسفة الأخلاق هي قبل كل شيء انضباط عملي هدفها الأساسي هو تحديد كيف يجب على المرء أن يعيش وما العمل الذي يجب على المرء أن يفعله في سلوكه.[3]

لذا يسمى "علم الأخلاق" بعلم السلوك أو تهذيب الأخلاق أو فلسفة الأخلاق (الإيتيقا)Ethique أو الحكمة العملية أو الحكمة الخلقية، ولمعرفة ما يجب على الإنسان فعله لبلوغ السعادة. ولقد تكلم فيه الفلاسفة عن طبيعة الوجدان والضمير وطبيعة الخير والعدل والواجب والمحبة و

---

[1] جميل صليبا: المعجم الفلسفي،(مرجع سابق)، ج1، ص540

[2] المرجع نفسه ، ص51

[3] Jonn Deigh: An introduction to ethics, Cambridge introduction to philosophy, first published, (published in the United states of America by Cambridge University Press,N.Y. 2010).P9

بنوا جميع المفاهيم الخلقية التي تصوروها على الأسس المستمدة من مبادئهم الفلسفية العامة،[1] وهو علم مستقل عن علم ما بعد الطبيعة(الميتافيزيقيا)، على حين أن علم ما بعد الطبيعة تابع لعلم الأخلاق وإن بحث المرء خيره الذاتي متقدم على بحثه عن الخير الموضوعي.[2] أي من الأسباب التي أدت الفلاسفة للبحث في الأخلاق هو السعادة الذاتية.

وهو علم موضوعه الحكم التقويمي،[3] أي أنه يبحث في الأحكام القيميّة التّي تنصب على الأفعال الإنسانية من ناحية أنها خير أو شر، وهو أحد العلوم المعيارية وهو نوعان:

أ-عملي (علم السلوك).

ب-نظري يبحث في حقيقة الخير والشر والقيم الأخلاقيّة من حيث هي.[4]

فالأخلاق الفلسفية ليست جملة أوامر أو نصائح وحسب بل إنها منظومة منهجية، أي بناء منطقي يشتمل أولا على تصور نظري عن الإنسان والعالم، وثانيا على مبدأ أساسي يحكم بموجبه على مختلف طرز سلوكه في شتى ظروف الحياة[5].وهناك من يصفها بأنها منطق السلوك لأنه يدرس شروط تناسق السلوك مع المثل العليا ، كما يدرس المنطق تناسق الفكر مع مستوياته.[6]

لاحظنا أن هناك الكثير من التعريفات المتضاربة فيما بينها حول تعريف الأخلاق إذ لا يوجد تعريف واحد شامل وكافي، وربما هذا يعود إلى الإيديولوجيات المختلفة سواء أكانت دينية أو فلسفية أو إلى اختلاف الثقافات وتنوعها من مكان إلى آخر، أو يعود إلى تطور الأذهان و اختلاف الأزمان، إلا أن جميعها يتفق على أن الأخلاق هي مجموعة من السلوكيات والأفعال التي تصدر من الإنسان بحيث تكون مضبوطة تحت مفهومي الخير والشر الحسن والقبيح.

---

[1] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، (مرجع سابق)، ج1، ص51.

[2] المرجع نفسه، ص52.

[3] لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، (مرجع سابق)، مج 1، ص371.

[4] إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، دط،( الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، مصر، 1983م)، ص124

[5] معن زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، (مرجع سابق)، ج1، ص38.

[6] محمد عبده: فلسفة الأخلاق، ط2، ( مكتبة مدبولي، مصر، 1999م)، ص 17

**الفرع الثالث–مصطلحات متعلقة بلفظة الأخلاق:**

**ثانيا–المذهبيّة الأخلاقية:Moralisme:**

هي النظرية التي تقرر أن للأخلاق قيمة مطلقة (أي المبدأ الأعلى ) وهي الأصل التي ترجع إليه جميع القيم الإنسانية،[1] وتستعمل هذه اللفظ أحيانا بمعنى عامي للدّلالة على التمسك بالأخلاقية المنفصلة عن كل اعتقاد غيبي أو ديني أو حتى التمسك بتصحيح السلوك المفصول عن الشعور الأخلاقي الذي يفترض به تحريكه.[2]

**ثالثا– أخلاقي Moral:**

كل ماله صلة بالأخلاق كالضمير أو العمل أو الحكم الأخلاقي ويقابل اللاأخلاقي.[3]

**رابعا– أخلاقية Morality:**

يطلقها كانط على التوافق التام مع القانون الأخلاقي وتلاقي الإرادة والقصد مع فكرة الواجب.[4]

**خامسا–اللاأخلاقية و اللاخلقي:**

**أ– اللاخلقي:** مصطلح مولد ربما يعود توليده في فرنسا إلى غيو GUYAU،[5] و يقصد به كل ما هو مضاد لقواعد السّلوك المقبولة في زمان معين ومكان معين أو المسلم بها عند متكلم معين، و الإنسان اللاأخلاقي هو الذي يعترف بالقيم الأخلاقية السائدة ويعمل في نفس الوقت على مخالفتها.[6]

---

[1] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، (مرجع سابق)، ج1، ص52

[2] لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، (مرجع سابق)، مج 1، 840.

[3] ابراهيم مذكور: المعجم الفلسفي ، (مرجع سابق)، ص5

[4] المرجع نفسه، ص5

[5] لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، (مرجع سابق)، مج1، ص54.

مخالفتها.[1] وهناك فرق بين الغير أخلاقي واللاأخلاقي، فالأول هو المعاكس للأخلاق ولكنه يعي نسبيا الشيء الذي يقوم به أما الثاني( اللاأخلاقي) فهو يعي حتى وجود أحكام أخلاقية.[2]

أما عند آندريه جيد "Indrea Gued" ( الأديب الفرنسي) فاللاأخلاقي؛ هو الذي فقد إحساسه بما هو في نظر الناس خير أو شر، وهذا ما يتضح جليا في رواية اللاأخلاقي ل"جيد" التي تعكس فكره؛ وهي رواية مقتبسة من سيرته الذاتية ، بطلاها زوجان "ميشل ومرسلين" واللذان يمثلان نمطان متناقضان (الأخلاقي واللاأخلاقي) والقارئ لهذه الرواية سوف يتطلع على نظرة "آندريه جيد" للأخلاق فمثلا في الرواية نرى البطل ميشل و صمته عن سرقة طفل للمقص، دون يبلغ عنه أو حتى يظهر له او ينصحه، وعفا عن عامل المزرعة السكير المزعج وبحث عنه حين طرد، واستغناءه أيضا عن زوجته المثالية. وقد حصل جيد على جائزة نوبل للأدب عن هذه الرواية*[3]

وهناك رأي آخر يرى اللاأخلاقي هو كل ما ليس علاقة له بالأخلاق ولا يدخل في نطاقها،كأفعال الطبيعة وأفعال الحيوان فإنها بمعزل عن الاخلاق لخلوها من الوعي والعلم وهي ذو أفعال حيادية.[4]

**ب–اللاأخلاقية** : مذهب ينفي وجود أية أخلاق ولا يسلم إلا بأحكام واقعية ولا يقبل أحكاما قيمية.[5]

ولقد ذهب نيتشه إلى نظرية تدعو إلى سلوك جديد ينادي بنبذ الأخلاق التقليدية وسماها Immoralis[6] وقد سماها بأخلاق الشفقة أو أخلاق الأثرة حيث يقول:" ...كنت أرى في ذلك بداية النهاية، توقف المسيرة و الانهاك الذي ينظر إلى الخلف، الداء الأخير الذي ينم عن وجوده عبر عوارض العطف والكآبة، فهمت أن أخلاق الشفقة هذه الأخلاق التي كانت تصيب حتى الفلاسفة

---

[1] جميل صليبا: المعجم الفلسفي (ط–ي)(دار الكتاب اللبناني ،لبنان،1982 م)ج2 ص، 257.

[2] لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، (مرجع سابق)، مج1، ص54.

[3]* أندريه جيد: اللاأخلاقي ، ترجمة: محمود قاسم، ط2، (الدار المصرية اللبنانية، مصر، 2004م).

[4]– جميل صليبا: المعجم الفلسفي،(مرجع سابق)، ج2، ص257.

[5] لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، (مرجع سابق)، مج1، ص55.

[6] ابراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، (مرجع سابق)، ص158.

وتجعلهم مرضى، كانت عارضا من أشد عوارض ثقافتنا الأوروبية ازعاجا هذه الثقافة تعد مؤشرا على اتجاهها نحو ضرب البوذية الجديدة نحو العدمية...نحن بحاجة لنقد القيم الأخلاقية"،[1] وهذه الأخلاق الجديدة تقوم على القوة وعبادة الأنا الأعلى" surhomme"، لأنّه يرى في الأخلاق التقليدية ما هي إلا أخلاق الضعفاء،[2]وليس في هذا المذهب إبطال مطلق للأخلاق، والى جانب هذه اللاأخلاقية هناك فلسفة لا أخلاقية مطلقة لا تأمر بشيء ولا تنهي عن شيء بل تنكر الأخلاق وأحكام القيم إنكارا تاما.[3]

إذن فاللاأخلاقي ينسب للفعل والفاعل وهو إما أن يكون مقرا بوجود الأخلاق ولا يعمل ولا يعترف بها ويعمل على مخالفتها، أو هو مالا علاقة له بالقصد والضمير وهي أفعال حيادية كأخلاق الحيوان مع بنيه فهي لا توصف بالأخلاقية، أما اللاأخلاقية فهي نظرية تعود لنيتشه الذي يدعو إلى نبذ الأخلاق المتعارف عليها ويدعو إلى أخلاق جديدة.

**سادسا–إلزام أخلاقي:Obligation morale.**

وهو ما ينبغي عمله دون إرغام، فيأخذ الإنسان نفسه بما يمليه القانون الأخلاقي،[4] وهو عند "كانط" وثيق الصلة بفكرة الواجب وأهم مبادئه في رأي كانط الحرية واستقلال الإرادة، والواجب عنده ضرورة القيام بفعل عن احترام للقانون[5]

---

[11] فريدريك نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، ترجمة:حسن قبيسي، دط، ( المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان، دت)، ص13-14.

[2] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، (مرجع سابق)، ج1، ص5052.

[3] جميل صليبا المعجم الفلسفي، (مرجع سابق)، ج2، ص257.

[4] إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، (مرجع سابق)، ص20.

[5] إمانويل كانت: تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق، ترجمة:عبد الغافور مكاوي، دط،( الثقافة والإرشاد القومي، سوريا، 1965)، ص28.

**سابعا– مسؤولية أخلاقية:Responsabilité morale.**

ويقصد بها أهلية العاقل للجزاء على أفعاله الاختيارية فهي تفترض القدرة على الاختيار، وعلى ذلك لا تستوجب الأفعال الضرورية أو القهرية أي مسؤولية، وتفترض المسؤولية الأخلاقية العقل والروية فمن فقدهما فلا مسؤولية عليه.[1] وتنقسم إلى داخلية وخارجية:

**أ–الداخلية:** أخلاقية ومعنوية تجعل صاحبها مسئولا عن أفعاله ونواياه في محكمة الوجدان، وقوامها اعتبار المرء أن لذاته (الأنا) "مزدوجة" يعزوها للقيمة المثلى تارة ويعزوها تارة أخرى لذاته الفاعلة ، ويلتزم بتحمل مسؤولية ما يختار .

**ب–الخارجية:** هي المسؤولية الاجتماعية والقانونية أي المسؤولية المدنية[2].

أي أنها إلزام يوجب على الفاعل أن يتحمل نتائج عمله، وأن يكون واعيا وعاقلا وحرا، والمسؤولية الأخلاقية لا تكتفي بترك القبيح بل تطلب صنع الحسن بل الأحسن.

**ثامنا–العادات الأخلاقية:Mœurs:**

مجموعة سلوك وعادات سائدة في مجتمع معين، ويقابل "ليفي بروهل"Levy Bruhl بينها وبين الأخلاق النّظرية التي يضع قيمتها المثاليون.[3]

وتكون هذه العادات إما أخلاقية بالفعل أو تكون بعيدة كل البعد عن الأخلاق وهي نسبية ليست مطلقة.

---

[1] إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، (مرجع سابق)، ص182.

[2] معن زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، (مرجع سابق)، ج1،ص36.

[3] إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، (مرجع سابق)، ص115.

**تاسعا–ما بعد الأخلاقMétamorale**:

مصطلح ابتكره ليفي بروهل"Levy_Bruhl"[1] للدلالة على جزء من علم الأخلاق يتضمن البحث في كل متعال عن الحقيقة الأخلاقية الواقعية وفي كل ما هو ضروري لاتصاف هذه الحقيقة بالمعقولية.[2]ولفظ Métamorale صفة لأسس الأخلاق ومبادئها التي تسمو على الأفعال الأخلاقية الوضعية تشبيها له بالميتافيزيقيا،[3] وهي مقابلة لقواعد الأخلاق العملية المطبقة في الأفعال المحمودة والمشروعة.[4]فليفي دعى إلى أخلاق عملية واقعية وفق المجتمع المدروس في زمن ومكان معينان وأنها قابلة للتطور كالعلوم الأخرى، ولابد من انتهاج منهج آخر يقره المنطق الحديث وهو المنهج الاستقرائي الذي كان سببا في تقدم العلوم على عكس المنهج القياسي الذي حدده الإغريق قديما.[5]

بالإضافة إلى هذه المشتقات لمصطلح الأخلاق هناك مرادفات لها أيضا علاقة بالأخلاق من بينها:

**أ–الطبعCaractère**:

سيكولوجيا مجموعة مظاهر السلوك والشعور المكتسبة والموروثة التي تميز فردا عن آخر وهي عند الجرجاني الجبلة التي خلق عليها الإنسان،[6]وقد أجمل لالاند جملة تعريفات للطبع منها:

–هو علامة مميزة تفيد في التعرف إلى شيء ما بشكل خاص، أي أنه يميز الكائن سواء في بنيته أو في وظائفه.

---

[1] لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، (مرجع سابق)، مج1، ص789.

[2] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، (مرجع سابق)، ج2، ص299.

[3] إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، (مرجع سابق)، ص163.

[4] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، (مرجع سابق)، ج2ص299.

[5] ليفي برويل: الأخلاق وعلم العادات الأخلاقية، ترجمة: محمود قاسم، دط، (مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، دت)، ص14–15.

[6] إبراهيم المعجم الفلسفي، (مرجع سابق)، ص111.

-في المنطق هو كل عنصر مفهومي يمكن إقراره مع حقيقة كائن أو تصور وهناك فرق بين الطبائع الجوهرية والطارئة والمشتركة والخاصة.

-في علم النّفس جملة كيفيّات مألوفة في الشعور والاستجابة تميز فردا من آخر. [1]

### ب-العادةHabitude:

أدرجتها من أجل فهم مصطلح العادات الأخلاقية، فالعادة هي قدرة مكتسبة على أداء عمل بطريقة آلية مع السرعة والدقة والاقتصاد في المجهود، فتقلل العادة من الجهد الجسمي والعمل الذهني، فتخالف الغريزة في أنها مكتسبة في حين أن الغريزة وراثية وتخالف العرف الاجتماعي من حيث أنها تكون فردية وبينما يكون العرف عادة جماعة بشرية،[2]ولها معنيان معنى واسع عام ومعنى ضيق خاص:

1-فبالمعنى الأوسع العادة هي أدب الوجود العام والمستديم، وهي حالة وجود معين، سواء في مجمل عناصره أم تعاقب مراحله.

2- بالمعنى الخاص المقصود بالعادة ليس فقط العادة المكتسبة بل أيضا العادة التوافقية المتواضع عليها بعد تغير تجاه هذا التغير بالذات الذي أدى إلى نشوئها.[3]

### ج-القيمةValeur:

تدل لفظة القيمة إجمالا على معان تختلف بحسب المجالات التي يرد فيها اختلافا يزيد أو ينقص عن هذا الاستعمال العادي، فتطلق القيمة على كل ما هو جدير باهتمام المرء وعنايته، لاعتبارات

---

[1] لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، (مرجع سابق)، مج1، ص147-148.

[2] ابراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، (مرجع سابق) ،ص115.

[3] لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، (مرجع سابق)، مج1، ص533.

اقتصادية، أو سيكولوجية، أو اجتماعية أو أخلاقية أو جمالية،[1] والقيمة الأخلاقية شانها شأن سائر القيم و هي دائما في الأفق و هي مطلب قريب و بعيد نحبه و نسعى إليه و نحقق منه ما نحقق و لكننا لا نبلغه بأسره أبدا،[2] و يطلق لفظ القيمة في علم الأخلاق على ما يدل عليه الخير ، بحيث تكون قيمة الفعل تابعة لما يتضمنه من خيرية، فكلما كانت المطابقة بين الفعل والصور الغائية المرتسمة على صفحات الذهن بالقيم المثالية valeurs ideales وهي الأصل الذي تبنى عليه أحكام القيم Jugements devaleurs؛ أي الأحكام الإنشائية التي تأمر بالفعل أو الترك.[3]

و القيمة من حق وخير وجمال تكون:

1-إما صفة عينية كامنة في طبيعة الأقوال (في المعرفة)، والأفعال(الأخلاق)، والأشياء(الفنون)، ومادامت كامنة في طبيعتها فهي ثابتة لا تتغير بتغير الظروف والملابسات، وبهذا قال المثاليون العقليّون وهي بهذا المعنى تطلب لذاتها.

2- أو صفة يخلعها(يحكمها) العقل على الأقوال والأفعال والأشياء طبقا للظروف والملابسات وبالتالي تختلف باختلاف من يصدر الحكم، وبهذا قال الطبيعيون من الحسّيين والوضعيين المنطقيين، وهي بهذا المعنى تعني الاهتمام بالشيء أو استحسانه أو الميل إليه والرغبة فيه، ونحو هذا مما يوحي بأن القيمة ذات طابع شخصي ذاتي خالي من الموضوعية بمعنى أنها ظرفية، وتكون وسيلة إلى تحقيق غاية، وللقيمة قسمان:

-ذاتية: تخص الشيء لذاته وتكون صفات كامنة فيه،[4] وقيمة الشّيء من الناحية الذاتية هي الصفة التي تجعل ذلك الشيء مطلوبا ومرغوبا فيه.[5]

---

[1] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، (مرجع سابق)، ج2، ص212.

[2] معن زيادة: الموسوعة الفلسفية العربية، (مرجع سابق)، ج1، ص 40

[3] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، (مرجع سابق)، ج2ص213

[4] إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، (مرجع سابق)، ص151.

[5] جميل صليبا: المعجم الفلسفي،(مرجع سابق)، ج2،ص212.

-غير ذاتية: خارجة عن طبيعة الشّيء ولا تدخل في ماهيته. [1]

ونفهم من القول الأول القيمة بكونها كامنة تطلب لذاتها أي أنها لا تتعلق بالظرف وتغيراته ولا تخضع للزمن والمكان بل تطلب في حد ذاتها ويمكننا القول أنها مطلقة، أما بكون القيمة تتعلق بحكم العقل أي أنها عكس القول الأول وتخضع للظرف والزمن والمكان وهي هنا نسبية.

**المطلب الثاني: تعريف المساءلة.**

لقد تكلمت عن المساءلة في هذا المطلب في معناها التساؤلي(أي المسألة) وليس بمعنى المساءلة "Accountability"التي تتعلق بالمسؤولية والتي تعني المحاسبة وهي من المصطلحات الحديثة.

**الفرع الأول–لغة:**

مصدر ساءل، والمساءلة(اسم) هو الاستخبار ونقول ساءله عن أمره استخبره عنه والمسألة هي القضية التي يبرهن عليها،[2] أما فعل سأل فيأتي بمعنى طلب ومنه نقول السائل هو الطالب.[3]

**الفرع الثاني– اصطلاحا:**

من السؤال وهو ما يُسأل وهو استدعاء المعرفة، أو ما يؤدي إلى المعرفة، فإن كان السؤال للمعرفة فهو يؤدي إلى الاستفهام والاستعلام أو يؤدي للتعريف والتبيين، وإن كان للجدل كان من حقه أن يطابق موضوعه بلا زيادة ولا نقصان.

وفي كتاب "التعريفات" المسائل هي المطالب التي يبرهن عليها في العلم ويكون الغرض من ذلك العلم معرفتها،[4] يكون للطلب ( من الأدنى إلى الأعلى) ،[5] أما في كتاب الكليات فالمسألة هي قضية نظرية في

---

[1] إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، (مرجع سابق)، ص151.
[2] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (مرجع سابق)، ص411.
[3] ابن منظور، لسان العرب، (مرجع سابق)،مج7،ص97.
[4] الجرجاني :التعريفات، (مرجع سابق)، ص225.
[5] المرجع نفسه، ص128.

في الأغلب تتألف منها حجتها وهي مبانيها التّصديقيّة وقد تكون ضرورية محتاجة إلى تنبيه، وأما ما لا خفاء فيه فليس من المسألة في شيء.[1]

ومن شرط السؤال أن يكون واضحا ومعقولا، لأنه إذا لم يكن كذلك أدى إلى المغالطة، أما المسألة فهي الدعوى من حيث ورود السؤال عليها، أو على دليلها، وتطلق أيضا على القضية المطلوب بيانها في العلم.[2]

ولقد كان السؤال و ما يزال الطريق إلى الحكمة و الفهم و المعرفة منذ أقدم العصور و حتى يومنا هذا؛ حيث اتخذه سقراط كمنهجية في التعليم وإعطاء المعرفة بدل التلقين، أما أرسطو فقد كان أول من جعل من السؤال قضية فلسفية في كتاباته المنطقية ،و الذي اعتبر أن المسألة الجديرة بالانتباه هي المسألة الجدلية، و التي يعرفها بكونها موضوع بحث من شأنه المساهمة في الخيار و الترك أو في الصدق و المعرفة و ذلك إما بمفردها أو بصفتها مساندة في حل بعض المسائل الأخرى المماثلة و إما أن تتناول المساءلة موضوعا لا رأي فيه للناس عامة بأي اتجاه أو أن لهم رأيا فيه يخالف رأي الفلاسفة أو أن يبني الفلاسفة خلافا عليه، و القضية الجدلية تكمن في السؤال عن شيء يأخذ به كل الناس أو أكثرهم أو الفلاسفة على أن لا يكون هذا الشيء متعارضا مع الرأي العام. [3]

ورغم اعتماد الكثير من العلماء على السؤال الذي بقي المدخل الرئيسي إلى الحكمة و الفلسفة على مر العصور فلم يحظى بالقسط الوافر من التساؤل و التفلسف على ماهيته الخاصة لذا لا نجد الكثير من الحديث عنه بصفة موسعة.

---

[1] أبي البقاء أيوب الكفوي: الكليات، ط2، (مؤسسة الرسالة، لبنان، 1998م )، ص857.

[2] جميل صليبا :المعجم الفلسفي،(مرجع سابق)، ج1،ص675.

[3] معن زيادة : المعجم الفلسفي العربي، (مرجع سابق)، ج 1، ص 49

## المطلب الثالث: تعريف المجادلة:Eristique.

### الفرع الأول–لغة :

الجدل (بسكون الدال) هو شدة الفتل وجدل الشيء إحكام فتله، والجدل(بفتح الدال ) هو الصرع والخصم ونقول جادله أي خاصمه وجادله مجادلة وجدالا ناقشه وخاصمه، والمجادلة هي المناظرة والمخاصمة.[1]

### الفرع الثاني– اصطلاحا:

الجدال هو المراء المتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها،[2] والجدل في الأصل فن الحوار والمناقشة،[3] وهو في اصطلاح المنطقيين قياس مؤلف من مقدمات مشهورة أو مسلمة والغرض منه إلزام الخصم، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان، فإن كان الجدلي سائلا معترضا كان الغرض من الجدل إلزام الخصم وإسكاته، وإن كان مجيبا حافظا للرأي، كان الغرض منه ألا يصير ملزما من الخصم.[4]

فالجدل يعني فن الكلام وفن المناقشة وهو أسلوب للاستدلال والتعليم وهو أيضا منهج للحوار.

### الفرع الثالث–مفهوم المجادلة عند الفلاسفة:

يرجع أرسطو فن اختراع الجدل ل" زينون الإيلي" تلميذ بارمانيدس، وهذا يعني أن الجدل قد نشأ في القرن الخامس قبل الميلاد، ثم جاء بعده أرسطو ليضع قوانين والقواعد التي تحكم هذا الفن.[5]

وسنقتصر فقط على معناه عند كل من أفلاطون وأرسطو من القدامى، وكانط وهيجل والماركسيين والعصر الحديث .

**أولا– عند القدامى من فلاسفة اليونان:** كان للكلمة معنيان:

**أ– معنى تقريضي منطقي:** أي قوة الاستدلال وتكون مجادلة دقيقة (إيجابي).

---

[1] ابن منظور: لسان العرب،(مرجع سابق)،مج3،ص98-99.

[2] جميل صليبا: المعجم الفلسفي،(مرجع سابق)، ج1،ص390.

[3] المرجع نفسه، ص391.

[4] الجرجاني: التعريفات،(مرجع سابق)،ص78.

[5] محمد فتحي عبد الله: الجدل بين أرسطو وكنط، ط1،( المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1995م)، ص13

**ب–معنى ازدرائي:** تعتمد على المهارة والشطارة الحاذقة والغير مفيدة(سلبية)[1]

**ج–عند أفلاطون:** الجدلي هو الذي يحسن السؤال والجواب ( وهذا ما ينصب في مفهومنا للبحث)، والغرض منه الارتقاء من تصور إلى تصور، ومن قول إلى قول للوصول إلى أعم التصورات وأعلى المبادئ المبنية على العقل،[2] حيث ينطلق العقل عن طريق المفاهيم الرياضية بمنهج فرضي حتى يصل إلى أعلى الفروض ولا يكون ذلك إلا عن طريق الديالكتيك( الجدل)،[3] يقول أفلاطون:" كذلك يصل المرء إلى قمة العالم المعقول بالديالكتيك عندما يكف عن الإلتجاء إلى أي حاسة من حواسه، ويبلغ بالعقل وحده ماهية كل شيء"[4] وهو قسمان: "جدل صاعد" و"جدل هابط" ويمكننا تلخيص ذلك في المخطط التالي:[5]

**الجدول رقم 1: الجدل الصاعد والجدل الهابط.**

| الجدل الصاعد | الجدل الهابط |
|---|---|
| يرفع الفكر من الاحساس إلى الظن، ومن الظن إلى العلم الاستدلالي ومن العلم الاستدلالي إلى العقل المحض. | هو النزول من أعلى المبادئ إلى أدناها ووسيلته القسمة |

**المصدر:** من إعداد الطالب اعتمادا على جميل صليبا : المعجم الفلسفي، (مرجع سابق)، ج1،ص391

[1] لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، (مرجع سابق)، مج 1، ص273.

[2] لالاند: (المرجع نفسه)، ص273.

[3] نور الدين هالي: المعرفة والمنهج الجدلي في فلسفة أفلاطون، (مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، مجلد3، عدد3 جوان 2014) ص181.

[4] أفلاطون: الجمهورية، ترجمة فؤاد زكرياء، دط، (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، مصر، 1998)، ص272

[5] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، (مرجع سابق)، ج1، ص391.

بمعنى أن أفلاطون استخدم الجدل بمعنيين؛ المعنى الأول هو العلم الذي يوصلنا إلى المبادئ الأولى والثاني كطريقة ومنهج يرتفع به القعل من المحسوس إلى المعقول بدون الالتجاء إلى المحسوس.

**د- عند أرسطو**: الجدل عند أرسطو هو استدلال، يقوم على مقدمات محتملة مستمدة من آراء الجمهور أو العلماء،[1] كما أنه فن وسط بين البيان والتحليل، وقد فرق بين الجدل والتحليل المنطقي؛ لأن موضوع التحليل المنطقي عنده هو البرهان أي الاستنتاج المبني على الآراء الراجحة أو المحتملة، أما الجدل فيكون ما بين الأقاويل البرهانية والأقاويل الخطابية.[2]

وقد كان كتاب الطوبيقا الأرسطي كما يبدو يقصد به أن يكون معينا في المناقشة الجدلية وهو كتاب مختصر لمعرفة كيفية إقامة الحجج أو تقويضها عن طريق المواضع المعطاة، وغرض أرسطو من هذا الكتاب استنباط طرائق يمكن بها عمل قياس من مقدمات ذائعة في كل مسألة تقصد وأن تكون إذا أجبنا جوابا لم نأت فيه بشيء مضاد أي لم تقل فيه قولا متناقضا، ويرى أرسطو ان كتابه مفيد في ثلاثة أغراض هي التعليم والمناقشات والعلوم الفلسفية، فكتابه مفيد كرياضة عقلية ومفيد للمناقشة مع الآخرين بالاستناد إلى مقدماتهم الخاصة.

ويرى أرسطو أنه لكي تكون هناك ممارسة جدلية فلابد من وجود شخصين متجادلين، ويترتب على ذلك أن المجادل يستخدم تصورات معينة، وكان يجب على أرسطو أن يعير الاهتمام إلى العنصر الذاتي في هذه التصورات، وأن النجاح يتحقق عندما يتوصل شخص ما لاتفاق معارضه معه.[3]

وبالتالي فالجدل عند أرسطو موضوعه الاستدلالات التي تكون مقدماتها محتملة، كما فرق بين الجدل (الآراء) وعلم التحليلات أي البراهين وهو وسيلة للتدريب على التفكير.

---

[1] محمد فتحي عبد الله: الجدل بين أرسطو وكنط، ط1،( مرجع سابق)، ص17

[2] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، (مرجع سابق)، ج1، ص394

[3] محمد فتحي عبد الله: الجدل بين أرسطو وكنط، ط1،( مرجع سابق)، ص17

**ثانيا–أما المتأخرون من الفلاسفة فقد أطلقوا لفظ الجدل على معنيين:**

أ–هو القدرة على الاستدلال الصحيح.

ب–هو المراء المتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها والتفنن في إيراد مالا نفع فيه من البيانات الدقيقة.

أي أن مفهوم المجادلة هو فن المحاورة والمساجلة، ومن ثم فن التحاور بمقايسات بأسئلة وأجوبة، كما أنه فن تقسيم الأشياء إلى أنواع وأصناف (أو هو فن تصنيف المفاهيم) للتمكن من فحصها ومناقشتها.[1]

**ج– أما عند هيجل**:(1770) فكلمة جدل تأتي بمعنى استحساني وحدّها بأنها التطبيق العلمي للتقيد بالقوانين الملازمة لطبيعة الفكر،[2] ويصفه هيجل بأنه المنهج الحقيقي الوحيد للعرض الفكري والعلمي والطريقة للكشف عن شكل الفكر الخالص،[3] وهو عنده المنطق الذي يبحث في طبيعة العقل أو دراسة للفكر الخالص فهو لا يعني بالأشكال والصور وحدها، وإنما يدرس هذه الأشكال مع مضمونها ومضمونها هو الفكر وهو يسير على إيقاع ثلاثي من إيجاب إلى سلب إلى التأليف بينهما.[4]

وهو التطور المنطقي الذي يوجب ائتلاف القضيتين المتناقضتين واجتماعهما في قضية ثالثة، ولهذا التّطور الذي هو تطور الفكر والوجود معا ثلاثة أركان:

1– الدعوى أو الإيجاب.

2–نقيض الدعوى أو السلب.

3–التركيب وهو التأليف بين الرأيين المتناقضين والجمع بينهما في رأي واحد أعلى منهما، وعلى ذلك فالمنطق عند هيجل مبني على عدم تساوي النقيضين في الإمكان، أما الجدل فمبني على تقابل الضّدين لاستخراج نتيجة جامعة بينهما.

---

[1] لالاند:موسوعة لالاند الفلسفية، (مرجع سابق)، مج1، ص273.

[2] المرجع نفسه، ص 274.

[3] بيتر سينجر: هيجل، ترجمة: محمد إبلاهيم السيد، دط، ( مؤسسة هنداوي، مصر، 2017م)، ص99.

[4] إمام عبد الفتاح إمام: المنهج الجدلي عند هيجل، ط3، (دار التنوير، لبنان، 2007م)، ص20.

وجدل السيد والعبد عند هيجل هو التّطور الذي يجعل السيد عبدا والعبد سيدا، لأن فراغ السيد وسعيه في سبيل اللذات يجعلانه لحاجاته وشهواته ويهبطان به إلى مستوى الحيوان، على حين أن عمل العبد يكسبه سيطرة على نفسه وعلى الطبيعة ويجعله في النهاية سيدا.[1]

**د– أما عند كانط(1724)**: فمصطلح جدليات يطلق على كل الاستدلالات الوهمية ويحدد الجدل عموما بأنه منطق المظهر ( وهو بمفهوم سلبي)، ثم استعمل كانط هذه الكلمة للدلّ على درس هذا الوهم ونقده[2].

**هـ–والجدل عند الماركسيين**: هو التوفيق بين مثالية هيجل ومادية زعيمهم كارل ماركس، لأن التّطور الجدلي عند هيجل هو تطور الفكرة، أما عند ماركس فهو تطور المادة[3].

يعني أن الجدل عند هيجل هو المنطق القائم على الفكرة الروحي والماركسي قائم على المادية (جدل مادي)، أما كانط فالجدل عنده قائم على التوهم.

**ثالثا– ويطلق الجدل في أيامنا على المعاني التالية:**

أ–الجدل هو طريقة الفكر الذي يعرف ذاته، ويعبر عن موقفه بتأليف حكم مركب جامع بين الأحكام المتناقضة.

ب– الجدل هو طريقة الفكر الذي يوجه حركته إلى جهات متعارضة تؤثر فيه تأثيرا متقابلا يفضي في النهاية إلى تقمه كجدل العبد والسيد السابق ذكره.

ج–الجدل هو اتصاف الفكر بالحركة وميله إلى مجاوزة ذاته على أن تكون طريقته في تفهم كل شيء إرجاعه إلى المحل الذي يشغله في تيار الوجود المتحرك.

---

[1] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، (مرجع سابق)، ج1،ص394.

[2] لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، (مرجع سابق)، مج 1، ص273.

[3] لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، (مرجع سابق)، مج1، ص274

د-الجدل هو موقف الفكر الذي يقرر أن حكمه على الأشياء لا يمكن أن يكون نهائيا، وإن هناك بابا مفتوحا لإعادة النظر فيها دائما [1].

**الفرع الرابع-مصطلحات متعلقة بالجدل:**

**أولا- اللحظة الجدلية:**

هي الانتقال من حد إلى آخر مناقض له، أو هي انطلاق الفكر بتأثير حاجته إلى مجاوزة التناقض، والجدلي هو الحركي أو التقدمي أو التطوري.[2]

**ثانيا-جدالي، سجالي polémique:**

ما يتعلق بالنقاش أو ما يشكل نقاشا عاما، كقولنا كتاب جدالي أو حجة جدالية.

**ثالثا- المنهج الجدالي .سجاليMéthode polémique.**

مجموعة أساليب النقاش (الشفهي أو المكتوب) من حيث إمكان التفريق ما بين الحجج أو المواقف المشروعة لهؤلاء الذين تتسم أساليبهم بسمة الخطأ أو المغالطة. [3]

**رابعا- المسألة المنطقية الجدلية:**

هي طلب معنى ينتفع به في اختيار الشيء أو رفضه، أو في الحق والمعرفة إما هي بنفسه وإما من قبل أنه يعين على شيء، آخر كقول هل اللذة مؤثرة أم لا؟ وهذا ما سنتطرق إليه في بحثنا، وقد حدد أرسطو المسائل التي يمكن بحثها جدليا وهي مرتبطة عنده إما بالأخلاق أو المنطق أو بالطبيعة.[4]

---

[1] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، (مرجع سابق)، ج1، ص394.

[2] المرجع نفسه، ص394.

[3] لالاند موسوعة لالاند الفلسفية، (مرجع سابق)، مج1، ص 993.

[4] محمد فتحي عبد الله: الجدل بين أرسطو وكنط،( مرجع سابق)، ص109

فالجدل هو أسلوب للمناقشة والتعليم وهو بمثابة منهج للحوار وهو من أهم المناهج العقلية التي يسلكها المرء للوصول إلى الحقيقة والمعرفة.

**المطلب الرابع– التعريف الاجرائي" المساءلة الإتيقية ضمن جدلية المسيحية والاسلام":**

بعد تحديدنا لمفهوم متغيرات البحث يمكننا أن نوضح مفهوم البحث" المساءلة الإيتيقية ضمن جدلية المسيحية و الاسلام :

المسائل هي المطالب والقضايا التي يبرهن عليها في العلم ويكون الغرض من ذلك العلم معرفتها، وقد حدد أرسطو المسائل التي يمكن بحثها جدليا وهي مرتبطة عنده إما بالأخلاق أو المنطق أو بالطبيعة، والمساءلة الاخلاقية هي استدعاء للمعرفة الأخلاقية، أو المنهج الذي يؤدي إلى هذه المعرفة، فإن كان السؤال للمعرفة فهو يؤدي إلى الاستفهام والاستعلام أو يؤدي للتعريف والتبيين؛ بمعنى هنا معرفة كينونة الأخلاق والاستفهام عن مصدره وبيان حدوثه من تصور باطني للإنسان إلى سلوك ظاهري، عبر مجموعة من آليات داخلية ثم خارجية من إرادة حرة وقدرة على ذلك وفق لنموذج أو مثل أعلى كمعيار لصحة الفعل، أما بالنسبة للمجادلة فقد تبنّينا رأي أرسطو الذي يرى أنه لابد من وجود طرفين للجدال وهما هنا الفكر الديني الاسلامي والفكر الديني المسيحي، ويترتب على هذا أن المجادل يستخدم تصورات معينة، أي تصورات نابعة من كل الديانتين، بالإضافة للتصورات الذاتية لكل من أوغسطين والغزالي، كما أن النجاح في الجدل باعتباره فن الحوار والمناقشة يتحقق عندما يتوصل المجادل للاتفاق مع مجادله، وهنا محاولة التوفيق بين الفلسفة الأخلاقية لأوغسطين الممثل عن الطرف المسيحي والفلسفة الأخلاقية للغزالي الممثل عن الطرف الاسلامي وهذا ما يتوافق مع أهداف البحث.

## المبحث الثاني: أهمية وأسس علم الأخلاق.

علم الأخلاق علم معياري يضع المبادئ التي ينبغي أن يكون عليها السلوك الإنساني، كما يهتم بوضع المناهج التربوية الصحيحة لتقويم هذا السلوك، وهو من العلوم التي لا يمكن الاستغناء عنه باعتباره همزة وصل بين الإنسان ونفسه وبين الفرد والمجتمع وهذا ما سنبينه في هذا المبحث الذي خصصناه للحديث عن أهمية علم الأخلاق وأهم الأسس التي يقوم عليها.

### المطلب الأول: أهمية علم الأخلاق.

تكمن أهمية علم الأخلاق في عدة جوانب أجملناها في ثلاث فروع؛ من حيث الموضوع ومن حيث الغاية وما مدى حاجتنا له:

#### الفرع الأول– من حيث الموضوع:

**أولا–اهتمامه بسلوك الإنسان (الفعل الظاهري):**

يقول "مالبرانش*[1] ": لا يوجد علم له كثير الاتصال بنا أكثر من الأخلاق، ذلك بأنه هو الذي يعلمنا واجباتنا نحو الله، والملك والأهل، وجميع ما يحيط بنا، كما يعلمنا الطريق الذي يجب سلوكه لنكون سعداء سعادة خالدة، ولهذا فكل الناس في حاجة ماسة لتعلّمه".[2]

فعلم الأخلاق هو علم تحليل السلوك الإنساني من حيث بواعثه وأهدافه وغاياته ووسائل الإلزام والواجب والضمير مع دراسة الإرادة والمسؤولية،[3] ومن حيث كونه خيرا أو شريرا، فيعمل على تقويم

---

[1] مالبرانش: Nicolas Malebranche(1638_1715م ) فيلسوف فرنسي وهو أحد أتباع جمعية الخطابة "الأوراتوار"، وأحد فلاسفة المدرسة الديكارتية وواحد من أتباع الاتجاه الديني العقلي لتأثره بديكارت (الاتجاه العقلي)، وبالفلسفة الدينية للقديس أوغسطين؛ (راوية عبد المنعم عباس: مالبرانش والفلسفة الإلهية، دط، (دار النهضة العربية، لبنان، 1996م)، ص15).

[2] محفوظ علي عزام: الأخلاق في الإسلام بين النظريّة والتطبيق، (مرجع سابق)، ص29

[3] محمد عبد الله الشرقاوي: الفكر الأخلاقي دراسة مقارنة، ط1،(دار الجيل، لبنان، 1990م)، ص17.

هذا السلوك وفق معيار أخلاقي معين.[1] ويمكن أن يعرف أيضا بأنه علم يتناول دراسة سلوك الإنسان وأفعاله بالقياس إلى مثل أعلى. كما أن الفعل الإنساني الذي تدرسه الأخلاق هو الفعل الصادر عن الإنسان بالاختيار الحر مع الوعي به والمعرفة وهذا يتضمن النية والقدرة المعرفة.[2]

وهنا وجب علينا أن نميز بين الفعل الخلقي وغيره؛ فليست كل الصفات المستقرة في النفس من قبيل الأخلاق بل منها غرائز ودوافع لا أصل لها بالخلق، ولكن الذي يفصل الأخلاق ويميزها عن جنس هذه الصفات كون آثارها في السلوك قابلة للحمد أو للذم؛ فالأكل عند الجوع بدافع الغريزة ليس ما يحمد عليه أو يذم لكن الشره الزائد أمر مذموم،[3] وهذا يعني أن للسلوك أنواع هي:

**أ–سلوك فطري:** الناتج عن الغرائز الطبيعية والعادات الفردية وهذا النوع ثابت إلى حد كبير ولكن هذا الثبات يمكن أن يكون نسبيا في الإنسان فبكثير من الجهد يستطيع الإنسان أن يتحرر من بعض غرائزه بكبتها أو بالقضاء عليها.

**ب–سلوك كسبي(مكتسب):** السلوك النّاشئ عن العادات الاجتماعية والعرف الاجتماعي.

**ج–سلوك خلقي:** الناشئ عن العادات الأخلاقية وهذا النوع يلتزم به الإنسان خوفا من العقاب الذي يحل به من المجتمع أو من الله، كما أنه يجد من نفسه باعثا داخليا على القيام به وهو ما يسمى بالشعور الخلقي وأهم صفات هذا الشعور هي تحبيذ السلوك أو استنكاره .[4]

**ثانيا– اهتمامه بالجزاء و النفس ( الفعل الباطني):**

إذا توغلنا إلى عمق هذا العلم فسنجد موضوعه يتناول الجانب الباطني في النفس وما يصل منها كالشعور والضمير، بل يهتم أيضا بالنّوايا الخفية، لان العبرة بها والمعول عليها وليس على العمل الظاهر

---

[1] محفوظ علي عزام: الأخلاق في الإسلام بين النظريّة والتطبيق، (مرجع سابق)، ص22.

[2] المرجع نفسه، ص17.

[3] عبد الرحمان حنبكة الميداني: الأخلاق الإسلامية وأسسها،ج1، ط5 (دار القلم، سوريا، 1999م) ص11.

[4] محفوظ علي عزام: الأخلاق في الإسلام بين النظريّة والتطبيق، (مرجع سابق)، ص22.

وحده، على عكس القانون الذي يهتم بالجانب الظاهري فقط الذي يقوم على مجموعة من القوانين الموضوعة حيث يعاقب من خالفها أي جزاء واحد يختلف حسب نوع الفعل المرتكب، أما الفعل الأخلاقي فله ثلاثة أنواع من الجزاء:

**أ–الجزاء1**: الجزاء الديني( يرتبط بالجانب الاعتقادي).

**ب–الجزاء الروحي**: حيث يجد المرء في نفسه وفي صدره شعور ناتج من قلبه ويتأثر له ضميره.

**ج–الجزاء الدنيوي**: الذي يترتب على مخالفة القاعدة الخلقية من سخط الناس وعدم رضا المجتمع.[1]

هذا بالنسبة لعلم الأخلاق في حد ذاته أما بالنسبة لباحث أو دارس الأخلاق فعمله مقصور على بيان القوى والملكات والأفعال للإنسان، فتتناول بحوثهم قوى الإنسان و ملكاته وأفعاله من حيث صدورها عنه واتصالها به، ويسمونها العلوم الإرادية باعتبارها حاصلة بمحض اختيار الإنسان وإرادته كما وضحنا آنفا وهي التي بها تتعلق قوة الإرادة والتمييز، والنظر فيها وفي مقدماتها ونتائجها وآثارها المترتبة عليها تسمى الفلسفة العلمية، ويرتبون على تلك النظرة ضرورة انقسام الأفعال الصادرة عنه إلى الخيرات والشرور وبالتالي إلى الفضائل والرذائل.[2]

فعلم الأخلاق إذن علم معياري يهتم بدراسة وتقويم السّلوك البشري على أساس أو نموذج أعلى، حيث يكون هذا السلوك خاضع لإرادة حرة تتبعها مسؤولية وبالتالي يكون جزاء إما دنيوي أو أخروي، وهو من أهم العلوم الإنسانية وأقربها لنا.

**الفرع الثاني–من حيث الغاية:**

من أهمية علم الأخلاق أيضا الغاية المرجوة من هذا العلم في الواقع البشري، لذا ارتأينا أن نبين الغاية من هذا العلم في جملة من الآراء و النقاط التالية:

---

[1] يعقوب المليجي: الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية مع مقارنة بالديانات السماوية، دط،(مؤسسة الثقافة الجامعة، مصر، 1985م)، ص 17-21.

[2] مجموعة من المؤلفين: الإسلام ومكارم الأخلاق، ط1،( دار الكتاب العربي، مصر، 1992م) ص117

**أولا– آراء بعض الفلاسفة:**

أ– فهناك وجه النظر تؤكد أن علم الأخلاق هو دراسة نظرية صرفة تهدف إلى فهم طبيعة الأخلاق دون أن يكون لها أي تأثير على سلوك دارسيها،[1] وهذا الذي ذهب اليه "باسكال"*[2] الذي يقول أن الأخلاق الصحيحة تهزأ بعلم الأخلاق، و"هربرت اسبنسر"*[3] الذي يرى أن حماسة الأخلاقيين من الفلاسفة واهتمامهم بنشر العلم ورغبة في إصلاح النفوس بدع سخيفة، فكيف يرجى من العلم تهذيب النّفوس بينما المتعلمين الذين استنارت عقولهم بالعلم والعرفان لا حظّ لهم من الأخلاق، وهكذا ينكر "اسبنسر" وجود أي صلة بين العلم والأخلاق، والحقيقة أن علم الأخلاق ليس في استطاعته تبديل الناس وتغيير طبائعهم،[4]

ب_ وتؤكد وجه نظر ثانية على أن الهدف الأساسي من الأخلاق هو التأثير على سلوكنا الواقعي[5]، وهذا ما ذهب إليه سقراط الذي يرى أن الفضيلة هي المعرفة أي ان معرفة الفضيلة سبب لاكتساب الفضيلة والجهل بها يحرم الإنسان منها .[6]

ج–وتؤكد وجهة نظر ثالثة ويؤديها أغلب المفكرين أنه بينما تكون الأخلاق علما نظريا يهتم بكشف الحقيقة في الأمور الأخلاقية، فيجب أن يبقى في مسار البحث الأخلاقي نقدا دائما للمعايير الأخلاقية الموجودة، ولذلك يصبح علم الأخلاق موضوعا علميا برغم طبيعته.[1]

---

[1] محفوظ علي عزام: الأخلاق في الإسلام بين النظريّة والتطبيق، (مرجع سابق)، ص24

[2]*باسكال بليز: Pascal Blaise(1623–1662م)؛ عالم رياضي وفيلسوف فرنسي، صاحب رسالة المثلث الحسابي ومُصيغ مبدأ الحساب اللانهائي، له كتابات في النعمة لحقيقة الدين المسيحي وصاحب الخواطر وغيرها؛ (جورج طرابيش: معجم الفلاسفة، ط3، (دار الطبيعة، لبنان، 2006م)، ص179–180).

[3]*اسبنسر هربرت: Spencer Herbert(1820–1903م)، فيلسوف إنجليزي اهتم بالفلسفة والميتافيزقيا وعلم النفس، من بين كتبه مبادئ علم النفس، ومبادئ علم الاجتماع، ومعطيات الأخلاق وغيرها؛ (جورج طرابيش: معجم الفلاسفة (المرجع نفسه)، ص 356–357).

[4] محمد عبد الرحمان مرحبا: المرجع في تاريخ الأخلاق، (مرجع سابق)، ص36.37.

[5] محفوظ علي عزام: الأخلاق في الإسلام بين النظريّة والتطبيق، (مرجع سابق)، ص24.

[6] محمد عبد الرحمان مرحبا: المرجع في تاريخ الأخلاق، (مرجع سابق)، ص 36.

**ثانيا– غايات أخرى لعلم الأخلاق:**

أ–قمع الشهوة: إذا كانت الحياة الإنسانية قد قيدت آدابها ببواعث الشهوة التي تدفع النفس إلى تحصيل ملذاتها الراهنة فإنه لابد من تقويم الخلق البشري وذلك من خلال انفعلاته وشهواته إلى درجة يستقوي فيها حب الخير على الشر ، وتستعلي فيه الفضيلة على الرذيلة، فلما كانت الشهوة أقوى ما يستولي على النفس كان لابد من قمعها من مؤثر آخر يوازيها قوة وأثرا وهي الأخلاق.[2]

ب–و أهميته ليست مقصورة على معرفة النظريات والقواعد بل من أغراضه أيضا التأثير في إرادة الإنسان وهدايته، وتحميله على تعديل سلوكه حتى يحقق المثل الأعلى للحياة، ويحصل خيره وكماله،[3] وهنا يخرج هذا العلم من نطاقه النظري الى التطبيقي.

ج–كما انه يسعى لإقامة نظام يسوغها في الواقع، ويتطلع إلى إقامة نمط معين من العلاقات الإنسانية التي يمكن تعريفها وفهمها بدء من معانيها وقيمها كما تتطلع إلى الحفاظ على هذا النمط.[4]

اختلفت الآراء حول فائدة علم الأخلاق كما رأينا بين إمكانيته في تغيير الواقع وبين انه يبقى كمجرد علم افتراضي نظري، ولكن حسب رأينا يبقى علم الأخلاق كمثابة مرشد لطريقي الخير والشر وهنا تكمن قيمته الجوهرية بأنه ليس علم إلزامي كالقانون بل هو علم يقدس الحرية ويقوي الإرادة ويبين المسؤولية.

**الفرع الثالث–الحاجة إليه:**

تعتبر الأخلاق مطلب اجتماعي وفردي لما له قوة في تنظيم السلوك البشري خاصة في ظل هذا الواقع المأساوي الذي تتخبط فيه الماديات والشهوات معلنة تفوقها على ذلك العالم النقي عالم الروحانيات

---

[1] وليام ليلى: المدخل إلى علم الأخلاق، ترجمة: علي عبد المعطي محمد، دط، (منشأة المعارف، مصر، 2000م)، ص387

[2] إسماعيل مظهر: فلسفة اللذة والألم، دط، ( مطبوعات مكتبة النهضة المصرية، مصر،1936م)، ص39.

[3] محمد عبد الله الشرقاوي: الفكر الأخلاقي "دراسة مقارنة"، ط1،( دار الجيل، لبنان، 1990م)، ص20.

[4] ريمون بولان: الإسلام والسياسة، ترجمة: عادل العوّا، ط2، ( دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، سوريا، 1988)، ص193.

عالم الأخلاق والحب والسلام، لذا سأتكلم في هذا الفرع عن حاجتنا للأخلاق وذلك من خلال الحاجة الروحة والاجتماعية والفردية.

**أولا– روحيا:**

يهتم الإنسان بما أودع فيه من العقل بمعرفة الحقيقة، و بما أودع فيه من شعور بممارسة الخير، فإذا كان للعلم أهمية في رقي الإنسان المادي، فإن الأخلاق أكثر أهمية لأنها تتصل بالناحية الروحية عند الإنسان فلا ينتظر من كل إنسان أن يكون عالما، أو أن يلم بنظريات العلم ولكن ينتظر منه أن يدرك معنى الواجب و أن يهدف في أعماله وتصرفاته إلى تحقيق المبادئ الخلقية،[1] فمن المعلوم أن الأخلاق تمثل صورة الإنسان الباطنية والتي تترجم فيما بعد إلى سلوك خلقي وهذه الصورة هي قوام شخصية الإنسان،[2] لذلك فان مسألة الأخلاق من المسائل التي يجب أن يهتم بها كل إنسان بأن يتخذ له مبدأ خلقيا يسير عليه ويقيس به تصرفاته وأفعاله ويحكم به على تصرفاته وتصرفات الآخرين.[3]

لأنه إذا صلحت هذه العلوم التي هي عامل مهم في التهذيب تقدست النفس وصفا مزاجها وعرفت الكمال وواجهت الخير المحض وعشقت الأنوار الإلهية فتنال بذلك السعادة التي معناها الحياة الدائمة وهذه السعادة هي غاية الإنسان.[4] (وهذه النقطة سيكون لها الحظ الوافر من بحثنا في الفصول القادمة).

وهذا جوهر آخر للأخلاق فبالإضافة إلى تقديسها للحرية فهي تسعى أيضا من اجل الوصول بالروح إلى طينتها الأصلية البريئة، وأن تسعى إلى الاستقرار النفسي و إلى الطمأنينة وراحة الضمير.

---

[1] محمد بدوي: الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، دط، (دار المعرفة الجامعية، مصر،2000م)، ص9.

[2] كايد قرعوش، خالد القضاة، نصر البنا وآخرون: الأخلاق في الإسلام، ج2، ط2، ( دار المناهج، الأردن، 2002م)، ص23.

[3] محمد بدوي: الأخلاق بين الفلسفة و علم الاجتماع، (مرجع سابق)، ص9

[4] عبد العزيز بن عبد الله: الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب، ط2، (دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م)، ص54.

**ثانيا–على المستوى الفردي:**

لما كانت الأخلاق تمثل الجانب النفسي في حياة الإنسان فإنها تعد بمثابة الركن المعنوي لكل عمل يقوم به وبمثابة الروح لكل بناء أساسي سواء في مجال الأسرة أو المجتمع؛[1]فالأخلاق تزرع في نفس الفرد الأمانة و الاستقامة والحياء والعفة والتواضع وغير ذلك من القيم والفضائل السامية التي ترسم صورة الإنسان الداخلية وهو مالا غنى لأحد عنه، حيث يتساوى النّمو العقلي و النّمو الخلقي من حيث ضرورتهما للبشر، يقول كانط:" إن النقص الحاصل من إهمال التهذيب أشد وطأة وأضر بالإنسان من نقص التعليم".[2]

فالأخلاق الحسنة القويمة ليست فقط كمالا تحسينيا، بل هي ضرورة فردية واجتماعية أي ضرورة إنسانية ملحة غاية الإلحاح، ذلك لأنها تنمي فيه الميل إلى التسامي والارتقاء النفسي والعقلي والروحي، فتدعوه تطلعاته وأشواقه العليا إلى السّمو والتفوق إذن لابد من تربية خلقية سديدة تمكن الإنسان من التغلب على دواعي الهبوط والتّسفل الكامنة فيه وتقوي نوابع الخير والصواب والإحساس بالواجب وتقوي الضمير وتمكن للفضيلة في النفس، وتوجه الميول والنزعات المتدنية إلى وجهة إيجابية راشدة، أو تحدث توازنا وانسجاما بين نزعات الإنسان وتطلعاته العليا[3].

**ثالثا– على المستوى الجماعي:**

أما على المستوى الجماعي فالأخلاق أساس بناء المجتمعات الإنسانية فيجعلها مجتمعات محصنة لا تنال منها عوامل التردي والسقوط، فليست الحضارات قديمها وحديثها كامنة في ضعف إمكاناتها المادية أو منجزاتها العلمية، وإنما في قيمها الأخلاقية التي تسودها وتحتكم إليها.

---

[1] يعقوب المليجي: الاخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية مع مقارنة بالديانات السماوية،(مرجع سابق)، ص25.

[2] كايد قرعوش، خالد القضاة، نصر البنا وآخرون: الاخلاق في الاسلام، ج2،(مرجع سابق)، ص25.

[3] محمد عبد الله الشرقاوي: الفكر الأخلاقي، (مرجع سابق)، ص20.

يقول مارتن لوثر:" ليست سعادة البلاد بوفرة إيرادها ولا بقوة حصونها ولا بجمال بنائها، وإنما سعادتها بعدد المهذبين من أبنائها، وبعدد الرجال ذوي التربية والأخلاق فيها".[1]

فالأخلاق ضرورية لأنها تعمل على دوام الحياة الاجتماعية وتثبيت أركانها، وتعمل على تقدم وازدهار الحضارة من الناحية العلمية والعمرانية،[2] فالإنسان دائما بحاجة ماسة إلى نظام خلقي كما رأينا فيحقق له حاجته الاجتماعية ويقف أمام ميوله ونزعاته الشريرة ويوجهه إلى استخدام قواه في مجالات يعود نفعها على نفسه وعلى غيره بالخير.[3]

أما إذا خلا المجتمع من المنظومة الأخلاقية ستكون الحياة جحيما لا يطاق وسيتحول الناس إلى وحوش ضارية، كما أن الإنسان بطبعه يحتاج إلى الغير وبطبعه ينزع إلى التسلط والتجبر والتكبر والأنانية والانتقام،[4] فيحدث اختلال في القيم والموازين الاجتماعية ثم لا يلبث أن يتطرق الفساد الخلقي إلى أفراد الجهاز الحكومي فتشيع الرشوة وينعدم الضمير وتتفشى الفوضى وبذلك يصبح المجتمع مجتمع غابي، فلا عدل ولا خير و لا معروف فتصبح الأخلاق لا وزن لها.[5]حيث تكمن أهمية الأخلاق في حفظ المجتمع من المظاهر السلوكية الفاسدة مما يجعله مجتمعا قويا تسوده قيم الحق والفضيلة والإحسان وتحارب فيه قيم الشر والفساد.[6]

***انسجام الفرد و الجماعة:**

---

[1] كايد قرعوش، خالد القضاة، نصر البنا وآخرون: الاخلاق في الاسلام، ج2،(مرجع سابق )، ص26.

[2] محفوظ علي عزام: الأخلاق في الإسلام بين النظريّة والتطبيق، (مرجع سابق)، ص25.

[3] المرجع نفسه، ص24.

[4] المرجع نفسه، ص25.

[5] يعقوب المليجي: الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية مع مقارنة بالديانات السماوية،( مرجع سابق)،ص76

[6] ميسون محمد عبد القادر: التفكير الأخلاقي وعلاقته بالمسؤولية الاجتماعية وبعض المتغيرات لدى طلبة الجامعة الإسلامية بغزة، رسالة ماجستير، كلية التربية ،علم النفس، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين، 2009م، ص 16.

إن التربية الخلقية أسلوب لتنظيم العلاقة بين الفرد والمجتمع،[1] فلا أخلاق بدون تبادل فرد وفرد، وبدون علاقة ثقة متبادلة، ففي الأخلاق تحدد معاني وقيم العلاقات الفردية المتبادلة وتسعى على تنظيمها في سلك معقول ومفهوم بالفعل،[2] أي بمعنى أن الفرد كائنا فرديا واجتماعيا معا واحد في آن واحد، إذ فيه ميول عارمة نحو التفرد والاستقلال الفردي الذاتي في نواحي عديدة من مسلكه الحياتي، وهذا يستدعي سلوكا يميل به أو يدفعه إلى أخلاق تشبه الأثرة والأنانية، كما أن فيه ميول اجتماعية؛ فهو اجتماعي مدني بالطبع والحاجة أي أن اجتماعية الإنسان ميل أصيل مركوز فيه، وهو محتاج إلى غيره من أفراد الجماعة كحاجة ضرورية أساسية، فللنزعة الفردية متطلبات ولنزعته الاجتماعية متطلبات، وهذا يتطلب منه ضرورة أن يتنازل عن شيء من فرديته ومقتضياتها للجماعة، فلابد من الأخلاق القويمة التي تجعل سلوكه الأخلاقي ناتجا عن انبعاث ذاتي نحو الحق والعدل والخير والصواب حتى يستقيم حال الفرد وحال المجتمع معا، ويتم التّوازن والانسجام بين نزعات الإنسان (الفرد والجماعة).[3]

ويؤكد ذلك "شافيستري"*[4] الذي يرى أن جوهر الأخلاق قائم في الانسجام بين وجدان الفرد ومطالب المجتمع،[5] أي في جمال التناسب والتناسق بين الأفراد بعضها مع بعض في علاقتهم الاجتماعية مع استبعاد سائر الميول الشاذة غير الطبيعية التي لا تستهدف غاية معينة، ويرى أن احتمال الفضيلة في ذاتها يكفي لحث الإنسان على فعل الخير .[6]

---

[1] محمد فيصل شيخاني: القيم والأعراف الأخلاقية في الحضارة الاسلامية، دط، ( مطبعة اليمامة، سوريا، 1998م)، ص33.

[2] ريمون بولان: الاسلام والسياسة، (مرجع سابق)، ص193.

[3] محمد عبد الله الشرقاوي: الفكر الاخلاقي، (مرجع سابق)، ص21.

[4]* شافتسبري: Shaftesbury(1671-1713م)، فيلسوف وأديب إنجليزي وهوحفيد وزير الملك تشارلز الثاني تتلمذ على يد الفيلسوف"جون لوك"، له كتاب الأخلاقيون: الرابسودة الفلسفية، الاستطيقا في مناجاة النفس، فحص عن الفضيلة والفضل؛ (جورج طرابيش، (مرجع سابق)، ص395).

[5] مصطفى عبده: فلسفة الأخلاق، ط2، (مكتبة مديولي، مصر، 1998م)، ص19

[6] محمد عزيز: قراءات في علم الجمال حول الاستطيقا النظرية والتطبيقية، ج1، دط، ( مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1995 ص23.

وبالتالي فإن هذا الانسجام والتناسق أو إذ أمكن تسميته التضامن الاجتماعي لا يستمد قوته إلا بإضافة الأنا الفردية إلى الأنا الاجتماعية في كل فرد منا فتمثل الأنا الاجتماعية إلزاما تجاه المجتمع ، ولا يكون ذلك إلا بمكارم الأخلاق التي تعد ضرورة اجتماعية فردية على حد سواء.

## المطلب الثاني: أسس علم الأخلاق.

كثيرا ما يتكلم باحثي علم الأخلاق على أركان وأسس يقوم عليها هذا العلم وهي كثيرة منها الواجب و العقل الضمير المسؤولية وغيرها إلا أننا اقتصرنا على أهمها في نظرنا وهي الشعورو الضمير، الإرادة والمسؤولية.

### الفرع الأول– الضمير و الشعور:

قبل أن نتحدث عن الضمير تعريفه وماهيته وخصائصه كان لابد علينا أن نتطرق أولا إلى شي يسبق الضمير ألا وهو الشعور.

#### أولا–الشعور:

لكي يكون لنا ضمير يجب أن يسبق ذلك وجود الشعور، و هو ذلك الوميض الذي يصاحب ويضيء السبيل أمام كل عملية عقلية، سواء أكان ذلك يختص بمعرفة (كالإدراك الحسي أو الحكم)، أو بسلوك تحدده الإرادة، أو بإحساس جمالي أو عاطفي ، وعلى ذلك فالشعور بمعناه العام يشمل كل عمليات العقل ومنها المعرفة.[1] أي بمعنى أن الشعور أعم من المعرفة في حين نجد في موسوعة لالاند ترى أن الشعور يطلق على حالة عاطفية أو نزعة وجدانية للذات (آلام أو انفعالات ذات أسباب أخلاقية )في مقابل المعرفة باعتبار أن العقل هو ملكة المعرفة الوحيدة [2]

[1] محمد بدوي: الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، (مرجع سابق)، ص124.

[2] لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، (مرجع سابق)، مج 1، ص 1286

**أ –تعريف الشعور:**

الشعور هو ملكة أو غريزة*[1] خاصة في كل كائن إنساني تميزه عما سواه وبالتالي فكل التصورات التي يتصورها كل فرد خاصة به ولا يشترك معه فيها سواه، فالأنا معناها اللّاأنت، وعلى هذا النحو لا تكون الإنسانية إلا أفرادا يعيش كل منهم منطويا على نفسه. وهذه الفكرة التي تؤكد ذاتية الفرد وتحرص على تأييد الطابع الاستقلالي في التفكير تصدم بالواقع الذي يجبرها على أن تظل مجرد فكرة نظرية، فبمجرد أن يعترينا الخوف أو تحفزنا العواطف النبيلة للعمل، نجد أنفسنا نبحث عن الغير، ونطلب إليه المعونة أو نشاركه عواطفنا، ومعنى ذلك أن شعورنا يتصل بشعور الآخرين ويتفاعل معه،[2] فالإنسان بطبعه اجتماعي.

وهذا يعني أن الشعور لا يقتصر فقط على الشعور النفسي وليس معناه الأنا فقط؛ بل هو الامتزاج بين الأنا والعالم الخارجي بين التفكير والتأمل فالتفكير يتعلق بأشياء خارجة عن الذات، والتأمل يتعلق بالذات، ولعل هذا ما يفسر لنا علاقة الفرد والمجتمع تفسيرا ميتافيزيقيا.

**ب– أنواع الشعور:**

**1–الشعور النفسي أو السيكولوجي:** هو عكوف الفرد على معرفة ذاته معرفة نظرية وهذه المعرفة هي بداية المعرفة العلمية، فالتأمل الباطني حين يصل إلى بعض المعطيات عن الذات يقوم بربط هذه المعطيات عن طريق التحليل ببعض الشروط الجسمية أو المادية الخارجة عن نطاق الجسم، ويتميز هذا الشعور بالموضوعية والحكم الذي لا يصدر عن الهوى والسؤال الذي يحاول الإجابة عليه هو:"من أنا".

---

[1] الغريزة هذا مابحثه هرنجHering وصمويل بطلر Samuel Butler وتوصلا إلى نظرية تقول أن هناك في الحياة العضوية ظاهرة خفية سمياها "الذاكرة اللاشعورية وقضيا بأنها ظاهرة تلازم الحياة العضوية في جميع مظاهرها وعلى مختلف وجوهها (إسماعيل مظهر: فلسفة اللذة والالم "مرجع سابق"ص221).

[2] محمد بدوي: الأخلاق بين الفلسفة و علم الاجتماع، (مرجع سابق)، ص124.

2-**الشعور الجمالي**: هو الأثر أو الصدى الذي يحدثه تردد المعطيات الخارجية عن النفس وهو شعور الارتياح إزاء الانفعالات التي تحدثها الأشياء الجميلة في النفس.[1]كسماعنا للموسيقى أو تأملنا لمناظر طبيعية فلها الأثر الطيب في ذواتنا.

3-**الشعور الديني**: يعمل على توجيه الطاقة العقلية ورفعها من عالم المادة إلى عالم الروح أي انه يحول الأنانية الجشعة في الإنسان إلى حب خالص ينتهي في أرقى درجاته إلى الحب الإلهي،[2] وهو من أرقى المشاعر التي يمكن أن تصل إليها ملكة الشعور وهو ما يمكن أن نسميه بالشعور الروحاني لأنه يعمل على سمو الروح وترفع الذات.

4-**الشعور الأخلاقي أو الضمير**: أهم ما يميز هذا الشعور انه يهتم بالمستقبل وينظر إلى الأمام ليحدد السلوك الإنساني حسب ما توحي به النية الطيبة، يتجه هذا الشعور نحو السلوك العملي ويحاول الإجابة على سؤال :"ماذا أفعل" ويخاطب الإنسان بصيغة الأمر،[3] فالشعور الخلقي هو شعور طاغ يوجب على صاحبه أن يقوم بعمل معين وان يمتنع عن قيام بعمل آخر، فإذا قام بالعمل أحس بالراحة والطمأنينة، وإلا شعر بالوخز الداخلي والتبكيت والندم.[4] و سنلخص الشعور وما يتفرع منه في المخطط التالي

**الشكل رقم1**: أنواع الشعور.

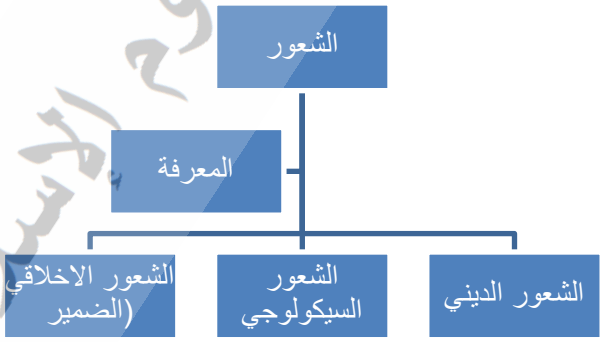


**المصدر**: من إعداد الطالبة اعتمادا على ما سبق.

---

[1] محمد بدوي: الأخلاق بين الفلسفة و علم الاجتماع، (مرجع سابق)، ص125

[2] المرجع نفسه، ص125.

[3] المرجع نفسه، ص124.

[4] محمد عبد الرحمان مرحبا: المرجع في تاريخ الأخلاق، ج1، ط1،(جروس برس، لبنان، 1988م)، ص 110

**ثانيا– الضمير:**

**أ–تعريفه:**

حاول الباحثون في الأخلاق تحديد الضمير كأساس لا غنى عنه في علم الأخلاق، وحاولوا العودة به إلى نشأة علم الأخلاق، وقد عرف الضمير طريقه إلى الدراسات الأخلاقية حتى أصبح أساس من أسسه، وأخذ له هذا المصطلح "ضمير"Conscience" كملكة تميز بين الخير والشر إلا في سنة 1225م، أما عن المعنى المقصود بكلمة ضمير، فقد تردد أيضا عند الباحثين باختلاف نظرهم واتجاهاتهم؛ فهو عند سقراط يظهر كصوت الإله تارة ومختلطا بصوت العقل تارة أخرى،[1]

ويعرفه "لالاند" بأنه خاصية العقل في إصدار أحكام معيارية تلقائية ومباشرة على القيمة الأخلاقية متمثلا في شكل صوت يأمر وينهى بالنسبة للأفعال المقبلة، أو في مشاعر السرور (الرضا) أو الألم(التأنيب) بالنسبة للأمور الماضية.[2]

**ب–نظريات نشأة الضمير الأخلاقي:**

هناك عدة نظريات تقدم تفسير لنشأة الضمير الأخلاقي، من بينها:

**1– التفسير التجريبي:** يعود هذا التفسير إلى النزعة التي نشأت في القرن السابع عشر وتطورت حتى بلغت أوجها في مذهب المنفعة العامة والنفعية، وكان أخص ما يميزها إرجاع الأخلاق إلى التجربة وتعليقها على نتائج الأفعال وآثارها،[3] حيث يفسر بأن الضمير يولد من الخارج أي من التجارب الحسية التي تنطبع في النفس، وهذه التأثيرات تكون العادات التي تجعلنا نتوقع حدوث الشيء متى

---

[1] عبد الحي محمد قابيل: المذاهب الأخلاقية في الإسلام، دط، (دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، 1984م)، ص80

[2] لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، (مرجع سابق)، مج 1، ص 212

[3] محمد عبد الرحمان مرحبا: المرجع في تاريخ الأخلاق، ج1،(مرجع سابق)، ص112.

حدث سببه،(مبدأ السببية)، وبالتالي فالتجربة هي المصدر الأساسي لنشأة الضمير كما يعتبر أن العادة الفردية التي تولدت عن التجربة هي أساس العادات الجماعية.[1]

نستنتج من هذا التفسير حسب قولهم بأن الضمير ليس فطري بل مكتسب بالتجربة، كذلك بنسبية أحكام الضمير.

**2-التفسير التطوري** :ذاع صيت هذا المذهب في القرن التاسع عشر وكان من رواده "سبنسر هنري" الذي استمد نظريته من نظرية هوبز*[2] عن "حالة الطبيعة "، وعن نظرية دارون*[3] من خلال كتابه ف " نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي" وللتفصيل أكثر يمكن العودة لهذا الكتاب،[4] الذي يقول ويربط سبنسر فكرة الضمير الأخلاقي بالفكرة العامة التي تسيطر على مبدأ التطور وهي فكرة "بقاء الأصلح" والتغيرات النافعة هي التي تعود فائدتها على الجنس، ومنها الوسائل النافعة في السلوك، وتصبح بذلك استعدادات وراثية في سلالاتهم، أي أن فكرة الوراثة تتدخل إلى حد ما في تكوين الضمير الأخلاقي وتحديد اتجاهه.[5]

---

[1] محمد بدوي: الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، (مرجع سابق)، ص 134.

[2]*هوبز:Hobbes Thomes(1588_1679م) فيلسوف إنجليزي يكنى بفيلسوف الخوف، صاحب رسالة في الطبيعة الإنسانية وكتاب العناصر الفلسفية للمواطن المعروف باسم المواطن، وكذلك رسائل في الحرية والضرورة؛ اعتبر توماس هوبز الإنسان فردا يعمل بمقتضى قوانين نزعة أنانية نفعية؛ ( جورج طرابيش: معجم الفلسفة، ( مرجع سابق)، ص709).

[3]*لم يؤكد دارون نظريته من الجانب العضوي فقط بل من خلال الجانب المعنوي حيث قال" لما أن ضرب الإنسان بقدمه الثابت في مدارج المدنية، واتحدت الفصائل الصغيرة فكونت جماعات كبيرة، همس وحي الغريزة في ضمير كل فرد من تلك الجماعات ، بأنه ملزم بأن يمد بيد الحب والعطف وبكل ما أوتي من الغرائز الاجتماعية، إلى كل أعضاء الجماعة التي هو تابع لها، ولو لم يكن على صلة مباشرة بهم، أما وقد وصلت الإنسانية إلى هذا الحد، فلم يبق أمامها من حائل يصد موجة الحب الأخوي والعطف المتبادل، (إسماعيل مظهر: فلسفة اللذة والالم "مرجع سابق"ص221).

[4] تشارلس داروين: نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي، ترجمة، مجدي محمود المليجي، ج2، ط1، (المجلس الأعلى للثقافة، مصر 2005م)، ص50-51.

[5] محمد الجبر: الرؤية المنهجية لدراسة الأخلاق، ط1، (الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 1988م)، ص 70

ولكن هذا حسب رأيي يتعارض مع مبدأ الحرية التي هي من أهم خصائص الضمير، وهذه النظرة تؤكد أن أبناء الأشرار سيكونون بطبيعة الحالة أشرار بفعل الوراثة ولكن الواقع خير دليل لرد هذه النظرية.

**3-التفسير الوضعي**: ينظر هذا المذهب إلى العلم على انه الوسيلة الوحيدة المشروعة للمعرفة الإنسانية، فهو يعترف إلا بما تثبته المشاهدة الموضوعية، و هو لا يفسر الضمير بالنشاط الذي ينبعث من باطن الذات، ولا بالقيم المطلقة التي لا يعترف بوجودها أصلا، وإنما يحدده عن طريق القواعد العامة السارية فعلا في مجتمع ما، والتي يتصرف الأفراد بمقتضاها، فالشروط التي تخضع لها الحياة في المجتمع والتي تنظم علاقات الأفراد هي الأصل في نشأة الضمير الأخلاقي، كما أن الأخلاق ليست في نظر المذهب الوضعي إلا فصلا من علم الإنسان، وهذا العلم ينقسم بدوره إلى البيولوجي وعلم الاجتماع.[1]

**4- نشأته عند علماء النفس**: يرجعون تكوين الضمير إلى قوانين نفسية وبيولوجية على أساس أن الإنسان في الأصل يعمل وفق للذة، ولكنه بذكائه سرعان ما تبين له أن ليس من مصلحته انتهاب اللذات أينما كانت فرب لذة عاجلة تقضي على الاستمتاع بلذات اكبر آجلة، وشيئا فشيئا حدث نقل للقيمة وانفصلت اللذة عن الفعل الجالب لها، وأصبح هذا الفعل ذا قيمة في ذاته وثبتت العادة هذا الوضع في الفرد ورسخته الوراثة في النوع، حتى وجدت لبعض الأفعال صفة الإلزام التي تفرض نفسها على الشعور، أما أنصار التحليل النفسي عند "فرويد" وأتباعه ، فيرون أن الضمير هو حاصل الضغوط الأبوية على الطفل وهي ضغوط تتألف من أوامر ونواه وتحريمات منها ما يتكون ما سماه فرويد ب"الأنا الفوقاني"؛ وتكوين الأنا الفوقاني أو الأعلى يسبق تاريخيا تكوين الضمير الأخلاقي فهذا الأخير لا يبدأ في التكوين إلا ابتداء من سن الثامنة عشر ويستمر تكوينه طوال عهد المراهقة مارا بكثير من التغيرات، والاكتساب النهائي للاستقلال الآني الأخلاقي يتم عادة مع نهاية المراهقة [2]

---

[1] محمد بدوي: الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، (مرجع سابق)، ص 137

[2] عبد الحي محمد قابيل: المذاهب الاخلاقية في الاسلام، (مرجع سابق)، ص82.

**الفرع الثاني–الإرادة:**

إن وجود الضمير لوحده لا يكفي لأن يكون مقوما أساسيا للسّلوك مادام منحصرا في بوتقة الذات الداخلية كما رأينا فبالرغم من ضروريته إلا انه يبقى مجرد صوت معنوي ما لم يظهر للعيان، وبالتالي لن يتجسم الضمير إلى واقع ما لم تكن هناك إرادة قوية، فما هي الإرادة وما أهميتها؟

**أولا–تعريفها:**

الإرادة عنصر مهم من عناصر تكوين النفس الإنسانية، هذه النفس التي تضم بين جنباتها تشكيلة واسعة من الدوافع والانفعالات والميول والاستعدادات و الأفكار.[1] حيث يعرفها البعض بأنها "رغبة دخلت في نزاع مع رغبة أخرى"، ومنهم من عرفها بأنها "القدرة على قبول تصور أمر ما أو رفضه" وهناك من يرى بأنها "عبارة عن رغبة مقرونة بقدرة"، [2] وهي عند ابن الخطيب "مناسبة تتقدم كل عمل قبل الشروع فيه وهي تنبعث عن الخاطر الذي يؤثر في القلب ويحرك الرغبة بتحريك العزم الذي يحرك بدوره الثبات، والثبات هو الذي يبعث الأعضاء على العمل وعلى الاستمرار في العمل، فمبدأ الأفعال إذن خواطر لا تلبث بعد التأثير على القلب الذي هو مركز المعرفة أن تنقلب إلى إرادة.[3]

**ثانيا– الإرادة و الأخلاق:**

لا ترتبط الإرادة بقانون يعينها على الفعل بل تتعلق بموضوع ما وتكون هذه العلاقة علاقة شرطية؛ كقولنا علي أن افعل هذا الشيء لأنني أريد شيئا آخر، هذا بالنسبة للإرادة في إطارها العام، أما إذا ارتبطت بالأخلاق وبالتالي الأمر المطلق، فإنه على العكس من ذلك كقولنا إن علي أن أفعل على هذا النحو أو ذاك، حتى لو لم أرد شيئا آخر؛ فمثلا لو اتبعنا الإرادة من بابها المفرد (دون ارتباطها بالجانب الأخلاقي) فينبغي ألا نكذب إذا أردنا أن نحافظ على شرفنا، أما إذا ارتبطت بالجانب

---

[1] كايد قرعوش، خالد القضاة، نصر البنّا وآخرون: الاخلاق في الاسلام، (مرجع سابق)، ص 41

[2] المرجع نفسه، ص 41

[3] عبد العزيز بن عبد الله: الفلسفة و الاخلاق عند ابن الخطيب،ط2، (دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م)، ص56

الأخلاقي فينبغي ألا نكذب حتى لو لم يجلب الكذب علينا أدنى عار، وبالتالي لابد من تجريد الأمر الأخير من كل موضوع، كي لا يكون لهذا الموضوع أي تأثير على الإرادة وبحيث لا يقتصر العقل العملي أي الإرادة على أن يدير منفعة أجنبية.[1]

ونفهم من ذلك أن الإرادة بشكلها العام تكون ذو علاقة شرطية إلزامية هدفها تحقيق مصلحة ما، أما إذا تعلقت بالأخلاق فهي تأخذ مسار خاص يلغى المبدأ الشرطي من أجل تفعيل السلوك الأخلاقي فقط.

**الفرع الثالث– المسؤولية (التبعية الأخلاقية):**

تعتبر المسؤولية هي الأخرى أحد أسس علم الأخلاق وذلك لارتباطها بالإرادة والحرية فلا تكون التبعية الأخلاقية إلا إذا وجدت الإرادة فمتى وجدت الإرادة وجدت المسؤولية.

**أولا–تعريف المسؤولية:**

ترتبط المسؤولية بفكرة الإلزام وفكرة الجزاء وهي أفكار متضامنة لا تنفصل، لان المسؤولية نوع من الإلزام وكون الإنسان مسئولا يعني كونه ملزما بالقيام بشيء وبأن يقدم عنه حسابا، فهي قبل كل شيء استعداد فطري وهي قدرة المرء على أن يلزم نفسه أولا وعلى أن يفي بعد ذلك بإلزامه بجهده الخاص، وهي بهذا المعنى الواسع سمة من السمات المميزة التي يستمدها الإنسان من جوهر ذاته. [2]

فالأعمال التي ليس في طاقة الإنسان التحرر عنها والتي غلب فيها على نفسه لا يسال عنها، كأعمال المجنون والمغمى عليه وأعمال المكره وغير ذلك،[3] وتعتبر الحرية الواعية هي أساس المسؤولية الخلقية،

---

[1] إمانويل كانت: تأسيس متافيزيقيا الأخلاق، تر:عبد الغفار مكاوي، ط2، ( الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1963م)، ص 92.

[2] احمد أمين: الأخلاق، (مرجع سابق)، ص7.

[3] احمد أمين: الأخلاق، (مرجع سابق)، ص7.

وهذا يعني أن كل فعل يصدر لا حرية واعية لا تترتب عليه أية مسؤولية خلقية، فالمسؤولية صفة تلازم صاحبها من قبل أن يبدأ الفعل إلى ما بعد انتهائه، [1]وبالتالي فالمسؤولية تفهم على معنيين :

1_مسؤولية الإنسان عن نفسه فهو مسئول عن عقله وقلبه وعمله وجسمه وماله وأوقاته وعن حياته بصفة عامة.

2-مسؤولية الإنسان نحو الآخرين.[2]

**ثانيا-أنواع المسؤولية:**

هناك نوعان من المسؤولية؛ مسؤولية قانونية ومسؤولية أخلاقية، فالإنسان إذا خالف قانون البلاد كان مسئولا أمام القضاء، وعوقب من أجل مخالفته، وإذا خالف أوامر الأخلاق كان مسئولا أمام الله وضميره، والمسؤولية الأخلاقية أوسع دائرة من المسؤولية القانونية ذلك لان القانون لا يأمر ولا ينهى إلا إذا استطاع أن يعاقب من يخالف أمره ونهيه بالعقوبات التي نص عليها، أما الأخلاق فسلطانها أوسع، لأن من يتولى لها المتوبة والعقوبة هو الله والضمير، وكلاهما يشرف على الأعمال الظاهرة والباطنة، فالقانون لا يستطيع أن ينهى عن الكذب والحسد عكس الأخلاق التي تنهى عن ذلك.[3]

إذن فالإنسان يحتاج إلى عدة مبادئ رئيسية وأساسية لتنظيم علاقته مع الآخر ويلزم أن تكون هذه المبادئ متوافقة مع طبيعة الإنسان وعقله وغير متعارضة مع مصلحة الجماعة أو الأعراف والتقاليد السائدة وكل تلك المبادئ هي ما يضمه علم الأخلاق فهو من أهم العلوم التي يصعب على الإنسان الاستغناء عنها، وفي المبحث التالي سوف نتوغل في تاريخ الفكر الاخلاقي عند الحضارات القديمة والذي من خلاله سوف يتبين لنا أكثر أهمية هذا العلم وارتباطه بالإنسان.

---

[1] وليام ليلى: مقدمة في علم الأخلاق ، (مرجع سابق)، ص 39.

[2] وليام ليلى: مقدمة في علم الأخلاق، (مرجع سابق)، ص40.

[3] احمد أمين: الأخلاق، (مرجع سابق)، ص9.

## المبحث الثالث: نشأة وتطور الفكر الأخلاقي تاريخيا.

من خلال هذا المبحث سنتعرف على جذور وأصول الفكر الأخلاقي من خلال تتبع تطور الحضارة الإنسانية بشكل متسلسل تاريخي بداية من الحضارة العراقية ثم المصرية مرورا بالبوذية حتى ننتهي إلى الحضارة اليونانية.

### المطلب الأول: حضارة ما بين الرافدين.

بما أننا نتكلم عن الجانب الأخلاقي في بحثنا هذا اخترنا الحضارة البابلية(1894-1595 ق م) التي عرفت بتطورها الفكري المبكر سواء في الجانب الأدبي أو الجانب السياسي، لذا سنأخذ عينة من تلك النماذج التي تصور لنا تلك المنظومة الأخلاقية والمتمثلة في شريعة حامورابي والمخطوطات الأدبية.

#### الفرع الأول– لمحة عامة عن المنطقة:

تعتبر منطقة ميزبوتامي*[1] أي وادي دجلة والفرات مهد الدول التي تعد بين الأقدم في العالم،[2] تعود إلى الألف الرابعة قبل الميلاد فهي أول حضارة عرفت الكتابة (بداية نقشيه 3200ق.م. في "اوك")، [3] ولقد ظهرت في هذه المنطقة ثم زالت دولا مثل سومر وآكاد وبابل وآشور كان لها تأثير كبير ومباشر على بلاد القوقاز وآسيا الوسطى وعلى بلاد اليونان.[4]

ولقد عرفت شعوب هذه المنطقة العبادات وفكرة التقديس من بداية عهدها حيث أوجدت لنفسها قوانين وأحكام لتسيرها وفق منظومة اجتماعية محكمة، وقد ارتبط وضع هذه القوانين بعدة عوامل

---

[1]* ميزبوتامي: هو الاسم الإغريقي لوادي دجلة والفرات معنا بلدان ما بين النهرين والذي ينبعاني من جبال أرمينيا في البداية يكونان قريبين جدا من بعضهما ثم يتباعدان جدا ولا يقتربان مرة أخرى إلا عند دخولهما أرض العراق الحالي.( ف.دياكوف وس.كوفاليف: الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، ط1،(دار علاء الدين، سوريا، 2000م)،ج1، ص81).

[2] المرجع نفسه، ص81.

[3] المرجع نفسه، ص95.

[4] ك.ماتفيف و أ.سازونوف: حضارة ما بين النهرين العريقة، ترجمة: حنا آدم، دط، ( دار المجسد، سوريا، 1991م)، ص7.

اجتماعية مناخية وجغرافيا، فكانت عبادات الشعوب الزراعية والمدنية أرقى طورا من عبادات الشعوب البدوية المتنقلة.[1]

**الفرع الثاني– حامورابي وشريعته( 1792–1850 ق م):**

**أولا– التعريف بشخصية حامورابي:**

حمورابي هو الملك السادس في السلالة العمورية التي حكمت بابل وقدحكم ما بين (1730-1685)*[2] ق م لمدة ثلاثين عاما، ويعتبر من أعظم ملوك بلاد ما بين النهرين لأنه جمع بين صفات القائد العسكري الماهر والسياسي المحنك والملك العادل والمشرع المصلح ويعتبر عهده العصر الذهبي للعراق القديم لما كان ينعم به سكانه من الرخاء والرفاهية أثناء حكمه،[3]وارتقت الآداب والعلوم والفنون إلى ذروتها،[4]حيث انصرف في أولى سنوات حكمه إلى الإصلاحات الداخلية وترفيه حالة السكان المعاشية،[5]وإلى تقوية وسائل الدفاع حول المدن الهامة في دولته لمدة خمس سنوات،[6]ثم انتقل إلى توسيع مملكته بالقضاء على المماليك الأربعة المجاورة موحدا بذلك منطقة ميزوبوتاميا وتكوين الإمبراطورية البابلية.[7]

---

[1] حسن الباش: القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان، دط، (دار قتيبة، سوريا، دت)، ج2،ص304.

[2] نلاحظ وجود الكثير من الاختلافات في زمن حكم حمورابي حيث نجد في كتب أخرى أن فترة حكمه مابين (1792-1750 ق.م)( مجموعة من المؤلفين: شريعة حمورابي وأصل التشريع في بلاد الشرق الأدنى، ترجمة: أسامة سراس، ط2، (دار علاء الدين، سوريا، 1993م)، القديم ص9).

[3] حلمي محروس إسماعيل: الشرق العربي القديم وحضارته، دط، (مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1997م)،ص38.

[4] خزعل الماجدي: إنجيل بابل، ط1،( الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 1998م)، ص 246.

[5] مجموعة من المؤلفين: شريعة حمورابي، (مرجع سابق)، ص8.

[6] حلمي محروس إسماعيل: الشرق العربي القديم وحضارته، (مرجع سابق)، ص39.

[7] ف.دياكوف وس.كوفاليف: الحضارات القديمة، (مرجع سابق)، ص98

**ثانيا– شريعته:**

لشريعة حمورابي أثر تاريخي هام لبلاد ما بين النهرين؛ فهي وثيقة ثمينة تكشف بنية المجتمع في ذلك الزمن.[1] وهي عبارة عن جمع منقح لمواد الشرائع التي سبقتها كشريعة "أورنمو"، وشريعة "لبت عشتار" و"شريعة إيشنونا"[2] وهي قوانين تحتوي على تشريعات كاملة، لتنظيم المجتمع وحمايته، ثم أضاف حمورابي على تلك القوانين الكثير من المواد الأخرى.[3]

ولقد أمر بتدوين قراراته وأحكامه الملكية في أواخر عهده على مسلات مصنوعة من حجر البازلت وضعت في المعابد لتكون شاهدا على انه "قد أرسى دعائم العدل في البلاد" وقام بوظيفته كملك عادل.[4]

تتألف الشريعة من ثلاثة أبواب مقدمة متن وخلاصة، ومجمل مادتها 282 مادة ضاع منها 33 مادة بسبب التلف الذي لحق المسلات،[5] عالجت هذه النصوص مختلف الجرائم والقضايا المتعلقة بالتجارة بالتجارة والأعمال الأخرى كالزواج والعائلة والملكية وإيجار المساكن والأراضي، ويلاحظ أن القانون كان قاسيا في توقيع العقوبات على كل من يخرج على العرف أو يقترف ما يتنافى مع مبادئ الأخلاق، ومعظم الأحكام كانت تأخذ بمبدأ العين بالعين والسن بالسن.[6]

كما أنه قسم المجتمع إلى ثلاث طبقات؛ الأحرار وتسمى"الأويلم Awilum" وهي الطبقة الحاكمة، والثانية "الموشكينوم Mushkinum" وهم طبقة الأحرار من عامة الشعب، والثالثة هي

---

[1] ف.دياكوف وس.كوفاليف: الحضارات القديمة، (مرجع سابق)، ص98.

[2] مجموعة من المؤلفين: شريعة حمورابي، (مرجع سابق)، ص7.

[3] نبيلة محمد عبد الحليم: ملامح العصر التاريخي في العراق القديم، دط، ( دار المعارف، مصر، 1983م)، ص 191.

[4] حلمي محروس إسماعيل: الشرق العربي القديم وحضارته، (مرجع سابق)، ص44

[5] ف.دياكوف وس.كوفاليف: الحضارات القديمة، (مرجع سابق)، ص98.

[6] حلمي محروس إسماعيل: الشرق العربي القديم وحضارته، (مرجع سابق)، ص44.

طبقة العبيد "واردوم Wardum" الذين كانوا يؤخذون من بين أسرى الحروب ومن أولادهم، وأيضا من الأحرار الذين باعوا أنفسهم أو أطفالهم لدائنيهم، بعد أن أفلسوا وعجزوا عن سداد ديونهم.[1]

وفي الإمكان إلقاء الضوء على بعض نصوص هذا القانون حتى نستطيع أن نتعرف على أحكام هذه الشريعة من خلال هذا الجدول:

**الجدول رقم2: جدول يبين عقوبة بعض الجرائم.**

| المادة | الجريمة | العقوبة |
|---|---|---|
| المادة1 | إذا اتهم رجل آخر بجريمة قتل لم يستطع إقامة الدليل عليها | القتل |
| المادة3 | إذا أدلى مواطن بشهادة كاذبة في دعوى ولم يثبت صحة الكلمات التي أدلى بها وكانت تلك الدعوى تتعلق بالحياة. | الإعدام |
| المادة6 | إذا سرق مواطن متاع معبد أو متاع الدولة فإنه يقتل، وكل من وضع يده على متاع مسروق. | القتل |
| المادة195 | إذا ضرب ولد أباه. | فسوف تقطع يده |
| المادة 205 | إذا لطم عبد خد نبيل . | تقطع أذنه[2] |
| المادة 196 | إذا فقأ رجل عين ابن رجل آخر . | تفقأ عينه |
| المادة 197 | إذا كسر عظم رجل آخر . | يكسر عظمه |
| المادة220 | إذا أسقط رجل سن رجل يساويه منزلة. | فعقوبته إسقاط سنّه[1] |

[1] نبيلة محمد عبد الحليم: ملامح العصر التاريخي في العراق القديم، (مرجع سابق)، ص192

[2] نبيلة محمد عبد الحليم: ملامح العصر التاريخي في العراق القديم، (مرجع سابق)، ص 193-195.

| | | |
|---|---|---|
| المادة197 | إذا فقأ رجل عين موشكينوم، أو كسر عظم عبد | فعليه أن يدفع نصف منية من الفضة. |
| المادة 218 | إذا أجرى طبيب عملية جراحية بسكين من البرونز لرجل، وسبب ذلك موت الرجل، أو فتح خراجا بسكين برونزية لرجل وخرب عينه | فعقوبته بتر يده. |
| المادة 203 | إذا اسقط رجل سن موشكينوم | فعليه أن يزن ربع منية من الفضة . |
| المادة 219 | إذا أجرى طبيب عملية جراحية بسكين برونزية لعبد رجل وسبب موته . | فعليه أن يعوض عنه عبدا بعبد[2]. |
| المادة 229 | إذا شيد بناء لرجل بيتا ولم يتقن عمله وانهار البيت الذي بناه وسبب موت صاحب البيت. | يجب أن يقتل هذا البناء |

**المصدر**: من إعداد الطالبة اعتمادا على؛ كتاب ملامح العصر التاريخي في العراق القديم ، وكتاب شريعة حمورابي وأصل التشريع في بلاد الشرق الأدنى القديم وكتاب كتاب الشرق العربي القديم ما بين النهرين.

***ملاحظات حول الجدول:**

– نلاحظ أن الموت كان عقوبة جرائم القتل، والسرقة، وخيانة الأمانة وشهادة الزور، وعقوق الوالدين.

– مبدأ المعاملة بالمثل موجود أيضا في كل من الشريعة الإسلامي واليهودية مما يعطي فرضية وجود مصدر سماوي في شريعة حمورابي حتى وإن كان تاريخه أقدم من الشّرائع (كتاب سماوي أو وجود نبي في هذه الفترة).

– كما أننا نلاحظ تفاوت العقوبات بين الطبقات فمبدأ المعاملة بالمثل تطبق في حالة تساوي الطبقات أما العبيد فكانت تعوض بالفضة.

---

[1] مجموعة من المؤلفين: شريعة حمورابي، (مرجع سابق) ص 123.

[2] حلمي محروس إسماعيل: الشرق العربي القديم وحضارته، (مرجع سابق)، ص48.

**الفرع الثالث– النصوص الأدبية:**

كان لدى البابليين أيضا ثروة وفيرة من الحكم والأمثال والقواعد الأخلاقية التي تتميز بالتضرع للآلهة والتوبة والخوف، وهذه النصوص تعتبر مصدرا آخر للتعرف على أخلاق بلاد الرافدين قديما، ومن بين هذه النصوص قصيدة"اللاهوتي البابلي".

**أولا– قصيدة اللاهوتي البابلي:**

عنيت هذه القصيدة بالكثير من البحث من قبل العديد من العلماء فهي تكتسي أهمية من الدرجة الأولى عند دراسة المبادئ الأخلاقية البابلية،كما أنها تسمح بالتعرف على المعضلات التي كانت تثير قلق واهتمام الفئات المتنورة من المجتمع البابلي فهي تمثل قمة الفكر الأخلاقي والديني –الفلسفي عند البابليين وتعتبر تأملا حرا في القضية الفلسفية للعذاب الإنساني.[1]

ومن بين الباحثين الذين اهتموا بالقصيدة "زميرين" (1895م)؛ أحد مترجمي وشارحي القصيدة والذي يعتقد أن القصيدة تتألف من خمسة وعشرين موشحا وكل موشح مركب من أحد عشر سطرا، كذلك الباحث "إ.ابلينغ" الذي نشر هو الآخر ترجمة وتفسير لهذه القصيدة (1918م) وهو أول من كشف على الجانب الأخلاقي في القصيدة حيث فهم هذا الأخير أن النص عبارة عن شكوى معذب متذمر قادته المحن القاسية التي ألمت به إلى حالة اليأس من العدالة الإلهية، وعند تطرقه إلى تاريخ تأليف القصيدة أشار إلى بعض المصطلحات القديمة والكلمات الغريبة التي بطل استعمالها والتي تسمح بتحديد تاريخ كتابتها في نحو القرن الخامس عشر قبل الميلاد.[2]وهذه بعض من أبيات القصيدة:

- يمجدون أفعال الرجل العظيم رغم انه قاتل.
- يزودون البسيط ولم يقم بأذى.
- يبعدون التقي الذي امتثل لمشيئة الإله.

---

[1] كلشكوف: الحياة الروحية في بابل، ترجمة: عدنان عاكف حمودي، ط1،( دار المدى للثقافة والنشر، سوريا، 1995م)، ص 66.
[2] كلشكوف: الحياة الروحية في بابل، (مرجع سابق)، ص69.

- ينهبون الطعام الزهيد من الذخيرة.
- يسندون القوي صاحب المنكرات.
- يقتلون الضعيف ويدعسون المسكين.

ويرد عليه صديقه بأن الآلهة هي السبب في ذلك قائلا:

- زولومار العظيم ، اختار طينتهم.
- الإلهة ماما هي الملكة التي عجنتهم.
- منحوا البشرية نطقا اعوج.
- خصوها بالكذب والظلم إلى الأبد.[1]

*** ملاحظات حول هذه القصيدة:**

- نلاحظ من خلال هذه الأبيات أن الآلهة هي التي جعلت الناس ظالمين، أي أن الشر والظلم فعل فطري.

- كما أن هذه النصوص تمثل نوع من النقد الاجتماعي للأوضاع السائدة آنذاك حيث بحث مؤلف القصيدة في مسالة الخطيئة والتقوى.

- لم تعرف بلاد الرافدين القديمة الفلسفة بمفهومها المعروف، ولم تكتسب حكمة البابليين طابعا منطقيا مجردا فبقيت حتى آخر أيامها في مجرى البناء الأسطوري.

## المطلب الثاني: الحضارة المصرية.

مما لا ريب فيه أن الحضارة المصرية من أعرق الحضارات التاريخية التي خلفت لنا موروث إنساني سواء في الجانب المادي التي تشهد لها المخلفات الأثرية كالأهرامات والنقوش، أو الجانب المعنوي المتمثل في

[1] المرجع نفسه، ص113.

الكم الهائل من الكتابات الأدبية والعلمية، وكمثيلتها الحضارة البابلية لقد عنت هي الأخرى بالمسائل الأخلاقية.

**الفرع الأول–نبذة عامة عن الحضارة المصرية:**

بدأت معالم الحضارة المصرية (حكم الأسرات) في حوالي 3200 ق م[1] عندما توحدت الوجهتين "البحري والقبلي" تحت سلطان وقانون واحد وأقيمت أولى الأسر المالكة التاريخية؛ على يد ملك الجنوب الملك "نارمر"، الذي احتل مملكة الشمال ووحدها مع مملكة الجنوب تحت حكمه؛ والذي جاء ذكره في لوحة نارمر الشهيرة وهو نفس الشخص الذي اعتبر الفرعون الأول والذي وصفه المؤرخ "مانيتو" في عصر البطالمة تحت اسم الملك مينا،[2] وبذلك أنشئت إمبراطورية مصر بصفة موحدة لها حكومة وقيادة مركزية، وبدأ ما يعرف بعصر الأسرات، ويقسم تاريخ مصر بشكل عام إلى عصرين:

–عصر ما قبل التاريخ*[3] (5000 –3100ق م) ويقصد به عصر ما قبل الأسرات.[4]

–عصر الأسرات (مصر الفرعونية) (3100– 341 ق م)؛ حيث قسم الكاهن المصري "مانيتون" الذي عاش في عهد الملك بطليموس الثاني (القرن الثالث ق م)تاريخ مصر الفرعونية إلى ثلاثين أسرة، وهو التقسيم المصطلح عيه حتى الآن بين المختصين والعلماء.[5]

---

[1] ألن شورتر: الحياة اليومية في مصر القديمة، ترجمة:نجيب ميخائيل إبراهيم، دط، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1997م)، ص 11.

[2] محمد صادق صبور: موجز تطور الحضارات الإنسانية، ط1، (دار الأمين، مصر، 1998م)، ص56–57.

[3]*عصور ما قبل التاريخ هي العصور التي لم يتعارف فيها الإنسان على علامات كتابية تمكنه من التعبير عن نفسه ؛ فالكتابة هنا تعتبر الحد الفاصل بين عصور ما قبل التاريخ وبين العصر التاريخي.( سمير ديب: تاريخ وحضارة مصر القديمة، دط، (مكتبة الإسكندرية، مصر، 1997م)، ص9

[4] مختار السويفي: أم الحضارات، ط1، ( الدار المصرية اللبنانية، مصر، 1999م)،ج2، ص190

[5] سمير ديب: تاريخ وحضارة مصر القديمة، (مرجع سابق)، ص 23.

كما أن للعوامل الجغرافية الأثر الكبير في نشأت هذه الحضارة؛ فقيامها على ضفة نهر النيل وفر لها ظروف الزراعة الملائمة الذي ساعد في استقرار المجتمع المصري وتطوره،[1] وكما رأينا حتى في حضارة بلاد الرافدين أن المنبع المائي له دور فعال في نشأة وتمركز الحضارات القديمة.

**الفرع الثاني– الفكر الأخلاقي في المجتمع المصري القديم:**

قسمت هذا الفرع إلى آداب خاصة تناولت فيها بعض النماذج الأخلاقية التي تتمثل في وصايا خاصة بالملك وحاشيته وآداب عامة تصور لنا أخلاق المجتمع المصري.

**أولا–الآداب العامة.**

**أ–فكرة الخير والشر:**

كان يستخدم قديما عند المصريين كلمتي "نفر" و"دجو" بمعنى الإنسان الخير والإنسان الشرير، فالإنسان نفسه مسؤول تماما عن أثر أفعاله، وما نطلق عليه اسم الضمير الآن كان طبقا لإدراك المصريين مستقرا في القلب والذي كان موطن العقل والعواطف والرغبات، وصوت القلب هو صوت الإله وقد عرجنا عنه في المبحث الثاني(الضمير)، كما أنهم لم يشغلوا أنفسهم بتأملات نظرية عن الخير المطلق بل كانت وجهة نظرهم في هذا الصدد نفعية محضة، فقد كان من المرغوب فيه عمل الخير، لان ذلك سيعود بالنفع على الفرد ،كما أنه يحفظ للإنسان اسما طيبا بين معاصريه وبين أخلافه.[2]وإتيان الخير والحق يتوافق إلى حد كبير مع السلوك الطيب، وقد كان ذلك يلقن للشباب من خلال فرع خاص في الأدب هو أدب التعاليم .[3]

---

[1] نبيلة محمد عبد الحليم: معالم التاريخ الحضاري والسياسي في مصر الفرعونية، دط، (منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، 1977م)، ص11.

[2] ياروسلاف تشرني: الديانة المصرية القديمة، ترجمة: أحمد قدري، ط1، ( دار الشروق، مصر، 1996م)، ص 102.

[3] المرجع نفسه، ص 104.

**ب–البر بالوالدين:**

يسجل تاريخ المصريين المبكر أن حق كل فرد في التحلي بالأخلاق الفاضلة يقوم على أساس النهج والسلوك اللذين يعامل بهما أفراد أسرته،[1] كما حث الحكماء الأبناء على طاعة الوالدين والبر بهما، ونستشهد بقول الحكيم آني لابنه وهو يعظه " قرب الماء لأبيك وأمك اللذين انتقلا إلى قبرهما في الصحراء، وإياك أن تغفل هذا الواجب، وليفعل لك ابنك مثل ذلك، و يقول أحد النبلاء من الأسرة السادسة عن بره بوالديه وإخوته :كنت مطيعا لأبي حفيا بأمي فرعيت عيالهما"، كما يقول الرحالة الشهير"خوف حر" محافظ أسوان :"كنت محبوبا من أبي ، مرضيا عني من أمي، ودودا لكل إخوتي".[2]

**ج–الحث على الاجتهاد والعمل:**

كان أداء العمل – أيا كان– بدقة وأمانة وإجادة يعتبر من الصفات الحميدة التي يجب أن يتحلى بها المرء، ولا تخلو الحكم والتعاليم التي قال بها حكماء مصر الأقدمون من النصائح التي تحث على العمل والإنتاج، وفي ذلك يقول أحد الحكماء :"اعمل ...وكن مجتهدا على الدوام...وافعل أكثر مما هو مطلوب منك...ولا تضيع وقتا لا تعمل فيه...ممقوت ومكروه ذلك الذي يسيء استخدام وقته...إن العمل يأتي بالثروة، والثروة لا تدوم إذا هجر العمل.[3]

**ثانيا– الآداب الخاصة:**

أ– من بين النصائح التي يتلقاها الأمير من أبيه" لا تفرق بين الخاصة والعامة ولكن وجه اهتمامك لأعمال الشخص ....كن عادلا يكن لك البقاء في الأرض كفكف دمع الباكي، لا تغتصب مال

[1] محمد بيومي مهران: الحضارة المصرية القديمة، ط4، ( دار المعرفة الجامعية، مصر، 1989م)، ج2 ص49.

[2] المرجع نفسه: ص50.

[3] مختار السويفي: أم الحضارات، (مرجع سابق)،ج2 ص 190.

الأرملة، لا تجرد ولدا من ميراث أبيه، لا تنزل موظفا كبيرا عن رتبته، لا تظلم أحدا ولا تطعنه بمدية، فذلك لن يفيدك، واجعل عقابك الضرب أو السجن- بهذا تحفظ النظام بالبلد.[1]

ب-يقول الملك لوزيره الجديد"كن يقظا عند قيامك بكل مهام الوزارة..فليست الوزارة حلوة المذاق بل هي مرة ومتعبة.. واعلم أنه عندما يأتي سائل متظلم، فعليك أن تطمئنه إلى أن معاملته ستكون طبقا للقوانين العادلة وحسب العرف الذي يعطي كل ذي حق حقه.. واعلم أن الماء والهواء يخبران بكل شيء تفعله ولا يبقى أي شيء مجهولا.. فعامل من تعرفه معاملة من لا تعرفه..والخوف من الوزير يأتي من إقامته للعدل.[2]

ج-ومن الأمثلة أيضا تعاليم أحد الملوك التي وجهها لابنه يقول فيها": لا تكن شريرا، فالصبر خير ، اجعل بيت ذكراك خالدا بحب الناس لك... اجعل الناس يحبونك في الدنيا، فالخلق الطيب ذكرى للإنسان..إن فضيلة الرجل المستقيم أحب إلى الإله من ثور الرجل الشرير،[3]وفي هذا يقول الملك الأهناسي:" أقم العدل لتوطد به مكانتك فوق الأرض، وواسي الحزين، ولا تسيء إلى الأرملة، ولا تحرمن رجلا من ميراث أبيه، ولا تضرن الأشراف في مراكزهم.[4]

**الفرع الثالث-كتب الحكمة:**

كانت كتب الحكم والنصائح من أهم الأمور التي اهتم بها المصريون القدامى مثلهم مثل شعوب ما بين النهرين.

---

[1] ت.ج.جيمز: الحياة أيام الفراعنة، ترجمة: أحمد زهيرامين، دط، (الهيئة المصرية العامة للكتب، مصر، 1997م)، ص60.

[2] مختار السويفي: أم الحضارات، (مرجع سابق)،ج2، ص265.

[3] محمد بيومي مهران: الحضارة المصرية القديمة، (مرجع سابق)، ج2 ص516-517

[4] المرجع نفسه، ص518.

فلقد خلق الشعب المصري خلال تاريخه الطويل حضارة رائعة تزخر بأعمال أدبية خالدة،[1] حيث احتلت كتب الحكم مكانة عظيمة بين كتب القدماء لأنها تقدم للناس خلاصة تجارب الحياة، وترسم لهم طريق السعادة وتضع بين أيديهم المثل العليا لكل من أراد الفلاح في الدنيا والآخرة.[2]

**أولا–حكمة "بتاح حتب":**

من أقدم آثار مصر الأدبية الخالدة كتاب قديم كتبه الحكيم " بتاح حتب"(2480-2340 ق م) في عصر الملك أسيسي أحد ملوك الأسرة الخامسة، يتضمن مجموعة كبيرة من الحكم والأمثال والنصائح التي كتبها الحكيم لابنه منذ خمسة آلاف سنة، وهي تكفي لإعطاء صورة واضحة عن حكمة مصر وآدابها ومثلها العليا في ذلك العصر القديم.[3] وتتكون هذه التعاليم من 37 حكمة والنسخة الكاملة من البردية موجودة الان في متحف اللوفر في باريس تعرف باسم Papyrus PrisscK.[4]

ومن جملة هذه الوصايا:

**أ–التواضع:**

" لا تزه بمعارفك، ولا تحسبن نفسك عالما، ولكن اجعل الأمر شورى مع الجميع، خذ نصيحة الجاهل، كما تأخذ نصيحة العالم، لان حدود العلم لا نهاية، وليس هناك من يبلغ الكمال في أحاديثه، والقول الحكيم أشد ندرة من الحجر الأخضر...إذا وجدت رجلا يتكلم وكان أكبر منك وأسدى حكمة فأصغ إليه، واحن ظهرك أمامه، ولا تغضب إلا إذا تفوه بالسوء، وعندئذ سيقول عنه الناس تبا له من جاهل".[5]

---

[1] ف.دياكوف وس.كوفاليف: الحضارات القديمة، (مرجع سابق )، ص147.

[2] محمد بيومي مهران: الحضارة المصرية القديمة، دط، ( دار المعرفة الجامعية، مصر، 1989م)، ج1ص233.

[3] محرم كمال: الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء، ط2،( الهيئة العامة للمكتبة الإسكندرية، مصر، 1998م)، ص 19.

[4] محمد بيومي مهران: الحضارة المصرية القديمة،(مرجع سابق)، ج1، ص 235.

[5] محرم كمال: الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء، (مرجع سابق)، ص 29.

**ب_الإحسان:**

"إذا وجدت مساويا لك يتجادل، وأثار حديث السوء فلا تسكت، بل أظهر حكمتك وحسن أدبك، فإن الكل سيثنون عليك، وسيحسن ذكراك عند العظماء، إذا وجدت رجلا فقيرا يتكلم فلا تحتقره لأنه لأقل منك بل دعه وشأنه ولا تجرحه لتسر قلبه، ولا تصب عليه جام غضبك، فإذا بدا لك أن تطيع أهواء قلبك، ولا تصب عليه جام غضبك فإذا بدا لك أن تطيع أهواء قلبك فتظلمه، فأقهر هواك لأن الظلم لا يتفق مع شيم الكرام"[1]

**ج_دعوة إلى الطمأنينة والعيش في سلام:**

"ولا تحاول أن تنشر الرعب بين الناس، فهذا أمر يعاقب عليه الرب ولا تحاول أن تخدع الناس، فذلك لا جدوى منه، فما أراده الله سيكون، فعش آمنا مطمئنان راضيا بحاضرك واثقا بمستقبلك، فسوف يأتي إليك رزقك من حيث لا تدري ولا تحتسب".[2]

**ثانيا– كتاب الموتى:**

لقد احتلت في نفوس المصريين القدماء فكرة الحياة بعد الموت مكانة عظيمة،[3] ففكرة الخلود ما بعد الموت من أهم العقائد المصرية القديمة ويتجلى ذلك في عنايتهم الشديدة بالأضرحة من تشييد وبناء ورعاية، فخلود الضريح ضمان للخلود والسعادة في العالم الآخر، وهذا لا يكفي بل لابد للسعادة أيضا العمل الصالح والسلوك القويم،[4] فالنصوص التي كان حقا على موتى المصريين القدماء تلاوتها يوم الحساب منكرين فيها ارتكابهم لبعض الخطايا ومتبرين من اقترافهم لبعض السيئات لخير بيان عن

---

[1] محمد بيومي مهران: الحضارة المصرية القديمة،(مرجع سابق)، ج1، ص238.

[2] المرجع نفسه، ص239.

[3] سيد عويس: الخلود في التراث الثقافي المصري، دط، ( الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دت)، ص 139.

[4] محمد بيومي مهران: الحضارة المصرية القديمة،(مرجع سابق)، ج2 ، ص516-517.

اعتقادهم فيما ينبغي أن يكون سلوك الناس وأخلاقهم وقد تضمنها الفصل الخامس والعشرون بعد المائة من الكتاب المسمى كتاب الموتى*[1] وقد سميت "خطأ الاعتراف الإنكاري".[2]

وقد جاءت في شكل فقرات خماسية من بينها:

**أ–** لم ألحق ضررا ما بأي إنسان.. ولم أعمل على شقاء حيوان...ولم استبدل السيئة بالحسنة... ولم أعرف الشر، ولم أعمله...ولم أقدم مصلحتي الخاصة على واجبي.

**ب**_لم يشكني أحد لرب الأسرة... لم ألعن الآلهة...لم أسع إلى اشقاء إنسان، أو أتسبب في فقر أحد... لم ارتكب ما يغضب الإله... لم أحرض خادما على عصيان سيده.

**ج–** لم أتسبب في مرض أحد...ولم أتسبب في بكاء أحد... ولم أقتل ولم أحرض على قتل أحد.

**د–**ولم أتسبب في حرمان إنسان من حق له.[3]

كانت التعاليم الأخلاقية داخل المجتمع المصري القديم بمثابة دستور العلاقات الإنسانية والاجتماعية والسلوكيات العامة الطيبة، وهي تعاليم تحض على الفضيلة ونبذ الرذيلة، وتدعوا إلى التحلي بالصفات الحميدة والأخلاق الرفيعة النبيلة، فالأخلاق عندهم كانت ذو نزعة دينية تربط ما بين السعادة الخالدة وكرم الأخلاق.

---

[1]*كتاب الموتى هو مجموعة لفائف من أوراق البردي تحوي نصوصا وتعاويذ وأدعية وصلوات، كان الغرض منها طرد الأرواح الشريرة من مقبرة المتوفى. ( سير و.م.فلندرزبيتري: الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، ترجمة: حسن محمد جوهر ، عبد المنعم عبد الحليم، دط،( الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1975م)، ص142.)

[2] المرجع نفسه، ص142.

[3] برت إم هرو: كتاب الموتى الفرعوني، ترجمة: فيليب عطية، ط1،(مكتبة مدبولي، مصر، 1988م)، ص 122.

## المطلب الثالث: البوذية.

وجهت البوذية أيضا عناية كبرى للأخلاق والمبادئ السامية، فتعاليمها تدعو إلى المحبة والتسامح ومكارم الأخلاق، حيث يقوم الفكر الأخلاقي البوذي على فهم واسع للحب العالمي وعلى التعاطف مع كل الكائنات الحية، وقد بدأت هذه التعاليم مع صاحبها بوذا وهذا ما سنتعرف عليه.

### الفرع الأول– لمحة عامة عن الهند والديانة البوذية:

#### أولا_الهند:

تقع الهند في آسيا الجنوبية وتقسم إلى منطقتين واضحتين: الشمال والجنوب، تشغل الأولى شبه جزيرة ديكان(هندوستان)، وتقع الثانية في اليابسة تنفصل الهند عن البلدان الأخرى بجبال منها هملايا وهي أعلى سلسلة في العالم؛ وببحار تعرقل اتصالها بالشعوب الأخرى، كما تتميز بتنوع أقاليمها وتعدد لهجاتها وثقافاتها.[1]

والهند أرض مأهولة منذ أبعد الأزمان عرفت بتاريخها المجيد فهي واحدة من أقدم مواطئ الحضارة الإنسانية،[2]ومن أهم الحضارات التي أثرت في التركيبة الإيديولوجية للهند الحضارة الدرافيدية[3]*في الجنوب والهندوآرية*[4] في الشمال.[5]

#### ثانيا– الديانة البوذية:

---

[1] ف.دياكوف وس.كوفاليف: الحضارات القديمة، (مرجع سابق )، ص 209.

[2] ف.دياكوف وس.كوفاليف: الحضارات القديمة، (مرجع سابق )، ص 210.

[3]*عرفت هذه الحضارة في اكتشافات "موهان جودار"Mohan Jodar" وهم قوم خليط من البدو المتنقلون والمستوطنون في الغابات والجبال والتورانيين الذين زحفوا من بلاد تركستان إلى الهند منذ ثلاثة آلاف قبل الميلاد (محمد ضياء الرحمان الأعظمي: دراسات في الأديان اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ط2،( مكتبة الرشد، السعودية، 2003م)، ص520.

[4]* الهندو –أوروبي من الشمال الإيراني الأفغاني الذي اجتاح الهند في القرن العاشر قبل الميلاد.آري لا تعني أبدا عرقا بعينه أو شعبا محددا بل هي تعني في الأصل النبيل أو بالأحرى الأمين. (كلود ب. لفنسون: البوذية، ترجمة: محمد علي مقلّد، ط1، (دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، 2008م)، ص26).

[5] المرجع نفسه، ص26.

نشأت الديانة البوذية بالهند كما حلت البرهمية فيها وقد كان منشئها برهميا، وهي في الواقع تخفيف لما جاء في البرهمية من تعاليم خاصة النظام الطبقي.[1]

**أ-بوذا:** تعود البوذية إلى مؤسسها "سدهارتا جوتاما" Siddharta Gautama ، الملقب ببوذا( 560 ق م-480 ق.م )،[2]الذي ولد وترعرع في ولاية "بيهار" بالقرب من الهمالايا، أُلفت العديد من أساطير حول ميلاده من بينها أسطورة "الماهيانا" التي تروي أن بوذا حين برز من جسد أمه قال:" السماء في الأعلى والأرض في الأسفل، وأنا وحدي الأكثر شرفا.[3]

يعود نسب سدهارتا إلى عائلة آرية من الطبقة الثانية الكشتيريا وهي جماعة القواد والعساكر حيث كان أبوه ملكا صغيرا في تلك المنطقة، تربى على النعيم وشب عليه، وقد بدأ حياته الأولى كأي أمير حيث تزوج وأنجب طفلا أسماه راهولا،[4] وذات مرة خرج سدهارتا من القصر للتعرف على حياة الفقراء والبؤساء فحدثت معه اللقاءات الأربعة التي قررت مصيره؛ مع عجوز شديد النحول؛ ومع مريض يئن من الألم؛ ومع جثة ذاهبة إلى محرقة الحطب؛ ومع ناسك متجول. وهي رموز لحالات الشقاء المشتركة لدى البشر على الأرض،[5] والتي شغلت فكر سدهارتا حتى قرر مغادرة حياة الرفاهية التي تحجبه عن الحقيقة، وهكذا بدأ البحث الذي دام ستة أعوام.[6]

في البداية اتخذ مجموعة من النساك لرفقته لكن سرعان ما ابتعدوا عنه ليمضي وحيدا من مكان إلى آخر إلى أن جاءه يوم التحرر من الألم وحدث له ما يسمى باليقظة أو النّرفانا،[7] في عمر خمسة وثلاثون وثلاثون عاما، ومنذ ذاك عرف باسم بوذا "اليقظ".[1]

---

[1] محمد أبو زهرة: مقارنة الأديان (الديانات القديمة )، دط،( معهد الدراسات الإسلامية، مصر، 1965م)، ص 53.

[2] كلود ب. لفنسون: البوذية، (مرجع سابق)، ص36.

[3] د.ت.سوزوكي: التصوف البوذي والتحليل النفسي، ترجمة: ثائر ديب، ط2،( دار الحوار، سوريا، 2007م)، ص 115.

[4] كلود ب. لفنسون: البوذية، (مرجع سابق)، ص 39-42.

[5] محمد ضياء الرحمان الأعظمي: دراسات في الأديان، (مرجع سابق)، ص 639.

[6] والبولا راهولا: بوذا، ترجمة: يوسف شلب الشام، ط1، (دار ورد للنشر والتوزيع، سوريا، 2001م)، ص11.

[7] كلود ب. لفنسون: البوذية، (مرجع سابق)، ص 39-42.

**ب–دعوته**: كانت دعوة بوذا ثورة على الكهنوتية الآرية والسيطرة الطبقية، واجه نظام الطبقات المغلقة ومجد المسؤولية الفردية لتامين حياة كريمة متناغمة مع كل الكائنات الحية،[2] فتعاليمه شملت جميع الأجناس والطوائف والطبقات، واستهدفت توفير السعادة لجميع هؤلاء، وقصدت تحطيم جميع الأغلال والسلاسل والقيود والموانع الحائلة في طريق الوصول إلى الهدف المنشود ونتيجة لذلك دعت تعاليمه إلى الضرب بجميع أنواع الطقوس والقرابين عرض الحائط والاكتفاء بالتجارب العملية لتنقية الروح وتهذيب النفس وتربية الأخلاق الفاضلة والتدريب على السلوك الممتاز[3].

**الفرع الثاني– الفكر الأخلاقي في الديانة البوذية:**

**أولا_الشهوة و الألم:**

كانت مهمة بوذا تربية الضمير وتنقية المجتمع من الغي والشر أو جرثوم الفساد والقضاء على رذائل "الأنا"، وعلى شر الأنانية الكامن في النفوس،[4] لذا اتخذ من نفي الذات مبدأ أساسي في تعاليمه، حيث توصل من خلال تجاربه أن الآلام والأحزان والمشكلات التي يعانيها كل فرد في الحياة إنما سببها زحمة الآمال والأماني والرغبات والشهوات التي تراود الإنسان وحينما يفشل الإنسان في تحقيق هذه الغايات يتألم ويحزن ويأس، ويعاني أنواع المتاعب والإرهاق الجسدي والنفسي ولأجل ذلك ينبغي له ممارسة الضغط على هذه الأماني والرغبات بل والسيطرة عليها والقضاء على الذات والأنانية وإبادته ليعيش سعيدا فرحا في الحياة.[5]حيث يقول في الشهوة في كتاب "الداماباياا" :"من الشهوة يأتي الحزن.....من الشهوة يأتي الخوف...والمنعتق من الشهوة لا يعرف حزنا أو خوفا".[6]

**ثانيا– طرق التحرر من الألم:**

---

[1]والبولا راهولا: بوذا، (مرجع سابق)، ص12.

[2]كلود ب. لفنسون: البوذية، (مرجع سابق)، ص 45.

[3] محمد إسماعيل الندوي: الهند القديمة ديانتها وحضارتها، دط، ( دار الشعب، مصر، 1970م)، 148.

[4]علي زيعور: الفلسفة في الهند، ط1، (عز الدين للطباعة والنشر، لبنان، 1993م)، ص246.

[5]محمد إسماعيل الندوي: الهند القديمة ديانتها وحضارتها، (مرجع سابق)، ص146.

[6]الدّاماباداا: كتاب بوذا المقدس، ترجمة:سعدي يوسف،ط1، (دار التكوين، سوريا، 2010م)، ص 76.

هناك ثماني طرق لتحرر النفس من ألمها والسيطرة على شهوتها وصولا لمرحلة تسمى النرفانا*[1]:

-الرؤية الصحيحة. 2-الفكر الصحيح. 3-الكلام الصحيح.

4- العمل الصحيح. 5-معيشة طيبة 6-جهود مخلصة

7-تفكير صادق 8تركيز صادق سليم[2]

وهذه العوامل الثمانية تهدف إلى تشجيع عناصر جوهرية ثلاثة للتمرين والترويض البوذي وتنميتها حتى الكمال وهي الحقائق الثلاث للحياة الخيرة:

1-سلوك أخلاقي(سيلا) 2-الانضباط(ساماذي) 3-حكمة(بانا)[3].

**ثالثا– السلوك الأخلاقي (سيلا):**

حسب التعليم البوذي هناك صفتان يجب تنميتها معا وبالتساوي وهما الرأفة والحكمة؛ الرأفة تشمل المحبة والإحسان والطيبة والتسامح وكل مواصفات القلب النبيلة، وتلك هي جهة المحبة، بينما تعني لحكمة الجهة العقلية و الصفات الفكرية، فإذا ما أنميت جهة المحبة وحدها وبقيت الجهة العقلية مهملة فإن المرء يصبح أحمق ذا قلب طيب، وإذا أنميت الجهة العقلية حصرا وأهملت جهة المحبة فإن المرء يصبح جافا بدون أية مشاعر تجاه الآخرين فالكمال يتطلب أن تمني الجهتان بالتساوي، وتلك هي غاية طريق البوذية.

والسلوك الأخلاقي القائم على المحبة والرأفة يتضمن ثلاثة عوامل من الصراط النبيل الثماني؛ الكلام الصحيح، العمل الصحيح ووسائل حياة صحيحة :

---

[1]*النرفانا: *النرفانا حالة التنبه التي تبلغها النفس بعد تخطيها كل مكائد الوجود والتناسخ أي حالة المعرفة الاسمى.( كلود ب. لفنسون: البوذية، (مرجع سابق)، ص32). وهي تهدئة كل ما هو مشروط، هجر كل القذرات، استئصال العطش، الانفصال، التوقف؛ "يقول بوذا "استئصال الرغبة ، استئصال البغضاء، استئصال الوهم،هذا ما يسمى بالمطلق"( والبولا راهولا: بوذا، (مرجع سابق)، ص50).

[2]والبولا راهولا: بوذا، (مرجع سابق)، ص59.

[3]كامل سعفان: معتقدات آسيوية، ط،1 (دار الندى، مصر، 1999 م)، ص204.

**أ– الكلام الصحيح**: يعني الامتناع عن : الكذب–الغيبة والنميمة – عن كل لهجة قاسية فظة غير مهذبة– الثرثارات التي لا نفع فيها التافهة العبثية والحمقاء[1]، يقول بوذا:" المرء الذي أسميه طاهرا هو من ينطق صادقا نافعا رقيقا".[2]

**ب–العمل الصحيح**: يهدف إلى القيام بسلوك أخلاقي مشرف بالامتناع عن تدمير الحياة والسرقة وعن ردود الفعل الغير المشرفة، عن العلاقات الجنسية غير الشرعية، ومساعد الآخرين على أن يسلكوا الطريق المستقيم.

**ج–وسائل لحياة الصحيحة**: فهي تعني أنه ينبغي على المرء أن يمتنع عن كسب عيشه في مهنة ضارة بالآخرين كتجارة الأسلحة وآلات القتل، وتجارة المشروبات المسكرة والسموم وإماتة الحيوانات والغش... إلخ[3]

ويعبر عن القواعد الأخلاقية البوذية في صيغة تستخدم بانتظام في العبادات اليومية كالصلاة:"أتعهد بالإحجام عن إلحاق أي أذى بالكائنات الحية، وأن لا آخذ شيئا لم يعط لي(أي السرقة)، وان امتنع عن الممارسات الجنسية اللاأخلاقية وعن الكذب، وتناول الخمر والمخدرات التي تذهب العقل و أن أمتنع عن تناول الطعام بعد الظهر، وأن أمتنع عن الرقص والغناء وألعاب التسلية ، وان امتنع عن استخدام أكاليل الزهور أو مستحضرات التجميل، وأن لا أتزين بأي نوع من أنواع الزينة."[4]

---

[1] والبولا راهولا: بوذا، (مرجع سابق)، ص 62.

[2] الدّامابادا: كتاب بوذا المقدس، (مصدر سابق)، ص 138.

[3] إبراهيم محمد إبراهيم: الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها، ط1، (مطبعة الأمانة، مصر، 1985م)، ص 143.

[4] جفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، دط، (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993م)، ص 185.

**الفرع الثالث– الفضائل والرذائل عند بوذا:**

**أولا–الرذائل:**

في تعاليم بوذا ترجع الرذائل إلى ثلاثة أصول هي:

1–الاستسلام للملاذ والشهوات.

2– سوء النية في طلب الأشياء.

3– الغباء وعدم إدراك الأمور على وجهها الصحيح[1].

**ثانيا– الفضائل:**

عرض بوذا الفضائل الأربع التي تقود مدنيا إلى السعادة في العالم الآخر وهي :

1– على المرء أن يتحلى بالإيمان والثقة بالقيم الأخلاقية والروحية والفكرية.

2– ألا يدمر الحياة أو يؤذيها بالسرقة والغش والزنا والكذب والمشروبات المسكرة .

3– يجب أن يمارس الإحسان والكرم بدون مغالبة .

4–رابعا عليه أن ينمي الحكمة التي تؤدي إلى تدمير الألم التام والتي توصله إلى النيرفانا. [2]

حيث يقول بوذا:" من كان ذا فضيلة وفطنة متحليا بالعدل والصدق ومحسنا عملته سوف يحبه العالم".[3]

ويقول أيضا:" تخلص من الغضب واترك التكبر كن اسمى من علائق الدنيا [4]..تغلب على الغضب بالحب و تغلب على السيئ بالحسن...تغلب على التعاسة بالكرم. و على الكاذب بالصدق...انطق بالحق ولا تستسلم للغضب...أعط حتى لو سئلت القليل[5].

---

[1] محمد أبو زهرة: مقارنة الأديان (الأديان القديمة)، (مرجع سابق)، ص75.

[2] والبولا راهولا: بوذا، (مرجع سابق)، ص 93

[3] الدّاماباذا: كتاب بوذا المقدس، (مصدر سابق)، ص 77

[4] المصدر نفسه، ص 82.

[5] المصدر نفسه، ص 81.

مما سبق نستنتج ما يلي:

– تعتبر البوذية فلسفة في نظر البعض وديانة في نظر آخرين ممن يمارسونها يوميا.

– كانت البوذية كما رأينا ردة فعل على النظام الطبقي البرهمي معلنة مبدأ المساواة فلم يعد هناك فضل لإنسان على آخر بينهم.

– حسب تعاليم بوذا فهي تهدف إلى قيادة الإنسان نحو الأمان نحو السلام كما تهدف أيضا للوصول إلى حالة الحقيقة أي ما تسمى بالنرفانا.

– نلاحظ أنه بالرغم من أن الأخلاق البوذية مضرب المثل في النبل والتسامح والتواضع وحب الناس إلا بعض هذه التعاليم مخالفة للإنسان لفطرته لما هو عليه، فهذه التعاليم في رأيي تلغي فعالية الإنسان في الكون وتعمل على إفناء النفس كليا.

فالبوذية هي فلسفة وضعية انتحلت الصبغة الدينية فيها دعوة إلى الزهد ونبذ الشهوات ومناداة بالقيم والفضائل الإنسانية فهي تعتبر نظام أخلاقي إلا أن ما يعيبها هو إفناء النفس.

## المطلب الرابع: الأخلاق في الفلسفة اليونانية.

سيتبين لنا في هذا المطلب تطور الفكر الأخلاقي من كونه فكر ديني اجتماعي (الحضارة المصرية والحضارة البابلية) إلى دينية فلسفية (البوذية) إلى أن يصبح ذو طابع فلسفي متميز عما سبق، وهذا ما سنحاول توضيحه من خلال نموذجين كان لهما السبق في طرح المشكلة الأخلاقية وهما سقراط وأفلاطون.

### الفرع الأول– نبذة عامة عن الحضارة اليونانية:

تعد أثينا من أقدم المدن اليونانية تحدث الكثير العلماء و الفلاسفة من بينهم أفلاطون عن تاريخها القديم؛ الذي يرجع إلى ما قبل عشرين قرنا قبل الميلاد وتمثلت فيها مراحل التطور الاجتماعي حين تحولت من المجتمع البدائي القديم إلى المجتمع القبلي، الذي انتقلت فيه الملكية الجماعية للأرض إلى

ملكية خاصة في يد الأسر الارستقراطية الكبيرة التي عرف نظام الحكم باسمهم (حكم النبلاء) الذي ظل مدة خمسة قرون حتى القرن السادس ( 6ق.م)،[1] وفي القرن الخامس (5ق.م) شهدت أثينا تغيّرا سريعا في نظام الحكم، فأصبح يقوم على الديمقراطية الاقتصادية والصناعية. [2]

ولقد كانت أثينا مركز الهام للكثير من الفلاسفة خاصة في القرن الخامس قبل الميلاد؛ حيث بلغت فيها الثقافة قمتها حين تجاوز فنها وأدبها وفلسفتها مرحلة الطفولة إلى مرحلة النضج ولمعت في سمائها أسماء كل من "سقراط وأفلاطون" فاستحقت بجدارة أن تلقب بمدرسة اليونان وأن يكون القرن الخامس ق.م. فيها هو العصر الذهبي للفكر الإنساني على الإطلاق.[3]

**الفرع الثاني– سقراط:**

يعتبر سقراط أحد أعلام الفكر الغربي القديم، وأحد مؤسسي الفلسفة الأخلاقية في العالم الغربي.

**أولا–التعريف بسقراط Socrate(469–399 ق م):**

**أ–مولده ونشأته:** يعتبر سقراط ثمرة من ثمار الحضارة الأثينية التي بلغت أوجها في القرن الخامس.[4] ولد سقراط عام (470 ق.م) بأثينا اليونانية، من أم تدعى فايناريت Phainarete كانت تعمل قابلة وأب يدعى "نيسقوس" الذي كان يشتغل بالنحت، لم يترك سقراط كتابات فجل ما وصل إلينا مستقى من خلال روايات تلامذته عنه، كحوارات أفلاطون وأرسطو ومجموعة من المحادثات التي دونها أكزنوفون والتي تعرف ب"مذكرات" عن سقراط. [5]ويروى أنه كان من المتفائلين في حياتهم إذ يقول أنه أنه رجل سعيد لأنه حظي بثلاث ميزات، وأولها انه قد ولد إنسان وليس حيوان، وثانيها لأنه ولد رجلا

---

[1] أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، ط1،(دار قباء، مصر، 1998م)، ص115.

[2] محمد مهران رشوان: تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، دط، (دار قباء، مصر، 1998م)، ص43.

[3] أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، (مرجع سابق)، ص115.

[4] أميرة حلمي مطر: فلسفة الجمال (أعلامها ومذاهبها)، دط، (دار قباء، مصر، 1998م) ،ص27.

[5] أدريه كريسون: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ترجمة: عبد الحليم محمود وأبو بكر ذكرى، دط، (دار الشعب، مصر، 1979م)، ص71.

وليس امرأة وثالثها أنه ولد يونانيا وليس بربريا، وكثيرا ما صوره أفلاطون في صورة بشعة وقبيحة حيث كان أفطس الأنف غليظ الشفاه غائر العينين.[1]

**ب_صفاته ومنهجه:**

كان سقراط من تلامذة فيتاغورس ومن كبار فلاسفة اليونان.[2] حيث اشتد به الميل للحكمة في سن مبكرة فأخذ يغذي عقله ويهذب نفسه لأنه فهم الحكمة على أنها كمال العلم لكمال العمل، فمن الناحية العلمية أفاد من مناهج فلاسفة عصره كالسوفسطائيين*[3] ولم يأخذ بشكوكهم، ونظر في الميتافيزيقيين الذين اتجهوا نحو العالم وحاولوا فهمه ككل، كشرح حركات الكواكب، وتكوين الأرض وتطور الأشياء و الكون وخلوده وعدم تغيره.[4] واقتنع بأن العلم إنما هو العلم بالنفس لأجل تقويمها واتخذ شعارا له وهي كلمة قرأها في معبد دلفي هي "اعرف نفسك بنسفك"، ومن الناحية الخلقية كان يغالب مزاجه الحاد ويقسو على جسمه القوي ليروضه على طاعة العقل، فبدأ الأثينيون يقبلون عليه رغم دمامة خلقه معجبين بحديثه البسيط البليغ وقوة عارضته وشدة مراسه في الجدل خاصة مع السفسطائيين،[5] الذين زعموا أن الموجودات خيالات لا حقيقة لها واستخدموا أسلحة الجدل في التقرير والتضليل فكان لهم سقراط بالمرصاد[6].

---

[1] أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، (مرجع سابق)، ص133.

[2] حسن محمد مكي العاملي: المدخل إلى العلم والفلسفة والإلهيات، ط1، (الدار الإسلامية، لبنان، 1990م)، ص77.

[3]* السفسطائيون: قد اعتقدوا أن الإنسان مقياس الأشياء كلها وان الحق والخير والشر أمور نسبية تتعلق بأهداف الافراد وظروفهم الشخصية ورأوا بأن الدوافع الفردية هي أصل القوانين الأخلاقية ومصدر الأفعال البشرية والأحكام الأخلاقية هي أعراف.( سمر سمير أنور محمد: الانقطاعات المعرفية في الفكر اليوناني، رسالة ماجستار، جامعة عين شمس، مصر، 2002م، ص108).

[4] أندريه كريسون: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، (مرجع سابق)، ص72.

[5] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، دط، (لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، 1936م)، ص118.

[6] حسن محمد مكي العاملي: المدخل إلى العلم والفلسفة والإلهيات، (مرجع سابق)، ص77.

ولقد أثر سقراط في شباب عصره بأسلوب حياته وظروف إعدامه؛ إذ حاكمته الديمقراطية وقضت عليه بالإعدام بتهمة انه لا يقدس آلهة المدينة ويفسد الشباب وانه يبحث عما يجري تحت الثرى وفوق السماء ويلبس الباطل ثياب الحق.[1]

**ثانيا– مميزات فلسفة سقراط الأخلاقية:**

**أ–أسبقيته في الفكر الأخلاقي اليوناني:**

إن أشهر ما قيل عن فلسفة سقراط هي عبارة سيشرون ومؤداها أن سقراط قد أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض وأدخلها للمنازل وجعلها تسوس أفعال البشر.[2] حيث ركز المفكرون اليونانيون السابقون لسقراط على تفسير الوجود الخارجي، أما الاهتمام بالإنسان وسلوكه فقد شكل مكانة ثانوية في فلسفاتهم، ثم جاء سقراط فكان أول من اهتم اهتماما ملحوظا بدراسة السلوك الإنساني،[3] فابتعد عن أن يبحث في العالم بكله، لأن المعرفة الشاملة التامة ليست في مقدورنا غير أن هناك نوعا من المعرفة في طاقة الإنسان؛ وهو البحث في الصالح والطالح، في العدل والظلم، في الحكمة والسفه، في سمو النفس وصغرها، في الدولة ورجل الدولة، في الحكومة وتوجيهها،[4] فجعل سقراط من السلوك الأخلاقي هدفه الأول وغايته القصوى.[5]

**ب–العقلانية:**

تشبع سقراط بالنهضة الفكرية والجدل العقلي الذي انتشر إبان عصره فوثق في العقل واعتبره جوهر النفس البشرية.[6] كما اعتبره أساسا للسلوك لأن الفعل الذي يستند إلى العقل صحيح.[7]فكان ينصح

---

[1] أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، (مرجع سابق)، ص135.

[2] المرجع نفسه، ص141.

[3] محمد عبد الله الشرقاوي: الفكر الأخلاقي، (مرجع سابق)، ص66.

[4] محمد عبد الله الشرقاوي: الفكر الأخلاقي، (مرجع سابق)، ص67.

[5] محمد مهران رشوان: تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، (مرجع سابق)، ص42.

[6] أميرة حلمي مطر: فلسفة الجمال، (مرجع سابق)، ص27.

[7] سمر سمير أنور محمد: الانقطاعات المعرفية في الفكر اليوناني، (مرجع سابق)، ص112.

الناس بالتمسك بفضيلة الاتزان والاعتدال وعدم التطرف في العاطفة، وكان يصف من لا يتحكم في سلوكه بأنه مثل الحيوان ولعل في هذا الاتجاه الأخلاقي عند سقراط ما يؤكد نزعته العقلية ويبعده عن التطرف العاطفي والحماسة والاندفاع .[1]

وبالتاي فإن التعاليم الأخلاقية عند سقراط مبنية على نظرية المعرفة المبنية على العقل.

**ج–السعادة :**

كان سبب اهتمام سقراط للفضيلة هي السعادة فجعلها أمرا موضوعيا يخضع للبحث العلمي، بعد أن كانت أمرا ذاتيا عند السفسطائية،[2] فهو يرى بأن السعادة ليست في الجمال ولا في القوة و لا في الثراء ولا في المجد ولا في شيء مما يشبع هذه الصفات. فالسعادة ليست في المظاهر الخارجية المادية ولكنها نتيجة حالة معنوية خالصة، وهذه الحالة المعنوية تتحقق إذا استطاع المرء أن يلاءم بين رغباته وبين الظروف التي يوجد فيها، [3] والسعادة التي يقصدها سقراط هنا هي قناعة النفس وطهارتها[4].وانتهى وطهارتها[4].وانتهى إلى الربط بين الفضيلة وبين السعادة، حيث لا يمكن أن تقوم السعادة إلا للرجل الفاضل، ولا يمكن أن يسعى الإنسان إلى الفضيلة إن لم يرج من سعيه إلى السعادة،[5]فإذا سلك الإنسان الإنسان السلوك الخير فهو يسلك بطبيعة الحال الطريق المؤدية إلى السعادة بعد معرفة طبيعتها معرفة واضحة.[6]

**ثالثا– الفضائل عند سقراط:**

تتمثل أفكار سقراط في اعتماد الفضائل الخلقية على أربعة قواعد أساسية هي:

أ–معرفة النفس ب– العلم ج– القناعة د– العمل.

---

[1] أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، (مرجع سابق)، ص134.

[2] عبد الحي محمد قابيل: المذاهب الأخلاقية في الإسلام، (مرجع سابق)،ص 133

[3] محمد بدوي: الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، (مرجع سابق)، ص 46.

[4] محمد مهران رشوان: تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، (مرجع سابق)، ص60.

[5] عبد الحي محمد قابيل: المذاهب الأخلاقية في الإسلام، (مرجع سابق)، ص 133.

[6] أندريه كريسون: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، (مرجع سابق)، ص87.

**أ–معرفة النفس**

نقطة البدء في فلسفة سقراط هي علم النفس وغاية هذه الفلسفة هي الأخلاق،[1] حيث اهتم سقراط بالنفس باعتبارها مركز النشاط العقلي والأخلاقي.[2] كما أنها ركيزة النجاح في الحياة فمتى عرف الإنسان نفسه عرف ما يصلح له وما لا يصلح.[3]

أي أن معرفة النفس هي معرفة الخير وتحقيق الفضيلة، ذلك أن من يعرف نفسه يعرف ما يناسبها، ولما كانت السعادة هي الخير الأقصى الذي يجب أن يتجه إليه الإنسان، كان على الحكيم أن يسعى إلى بلوغها بالفعل وتنظيم حياته.[4]

**ب_ العلم:**

حيث رأى بأن العلم شرط ضروري لممارسة الخير وهو شرط كاف أيضا، يقول سقراط:" أن الأشياء العادلة وكل ما نقوم به بدافع الفضيلة، أشياء جميلة وخيرة، وإن هؤلاء الذين يعرفونها لا يستطيعون أن يفضلوا عليها سواها، فالفضيلة هي معرفة الخير والرذيلة هي الجهل به والإنسان يميل إلى الشر بإرادته (وهذا ما سنناقشه في الفصول القادمة)، ونتيجة جميع ذلك، أن الفضيلة يمكن أن تعلم، والطريقة الوحيدة لكي نجعل الناس أخيارا، هي تعليمهم أن معرفة الخير هي الفضيلة وهذه المعرفة والفضيلة شيء واحد.[5]

ويترتب على قول سقراط أن الفضيلة علم أن يكون العكس صحيحا أيضا وهو أن الرذيلة جهل، فجهل الإنسان بالخير هو وحده مصدر التورط في الشر وإذا كان الخير يتحد بالسعادة عند سقراط كما

---

[1] محمد عبد الله الشرقاوي: الفكر الأخلاقي، (مرجع سابق)، ص13.

[2] سمر سمير أنور محمد: الانقطاعات المعرفية في الفكر اليوناني، (مرجع سابق)، ص111.

[3] يعقوب المليجي: الاخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية مع مقارنة بالديانات السماوية، (مرجع سابق)، ص225.

[4] محمد مهران رشوان: تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، (مرجع سابق)، ص60

[5] محمد عبد الله الشرقاوي: الفكر الأخلاقي، (مرجع سابق)، ص13.

رأينا فإن الشر سوف يتحد بالشقاء ولذلك يستحيل عل الإنسان أن يرتكب الشر وهو يعلم أنه شر إذ ليس من المعقول أن يتخلى الإنسان عن سعادته بإرادته.[1]

أي أن المعرفة بالنفس هي السبيل الوحيد إلى تحقيق الفضيلة والسعادة.

**3-القناعة:**

قد رتب سقراط بعض الفضائل وأعطاها أولوية خاصة في سلم الفضائل العام وأهم الفضائل عنده القناعة وهي تتمثل في ضبط الإنسان نفسه ضبطا يقلل ويهذب العواطف والرغبات والحاجات.[2]

**4-العمل**

أشاد سقراط أيضا بفضيلة العمل فهو السبيل لاكتساب ما يلزم الإنسان في حياته ولمعرفة ما ينبغي معرفته.[3]

وبالتالي فسقراط يرى أنه ليس للإنسان من غاية في الحياة إلا السعادة والفضائل هي طريق السعادة، وللوصول للفضيلة لابد من العلم الذي هو منبع الخير وأساس الصلاح، كما يعتقد أن الجهل مصدر الشر وأصل الفساد فالفضيلة في نظره هي العلم ومعرفة الخير كافية لإتيانه.

**الفرع الثالث- أفلاطون:**

**أولا_التعريف بأفلاطون**(428-348 ق م):.

**أ-ميلاده ونشأته:**

ولد في أثينا 428ق.م، ينتسب إلى أسرة ارستقراطية ذات تاريخ سياسي عريق،[4]ويعتبر أفلاطون أعظم الفلاسفة الأقدمين فقد اجتمع له نبل الأصل وعراقة المحتد وثراء الوالدين وجمال الصورة ورجاحة العقل وقوة الجسم حتى لقب بأفلاطون ومعناها باليونانية "عريض "كناية عن عرض كتفيه، أما اسمه

---

[1] أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، (مرجع سابق)، ص150.

[2] محمد عبد الله الشرقاوي: الفكر الأخلاقي، (مرجع سابق)، ص 67.

[3] المرجع نفسه، ص 67.

[4] أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، (مرجع سابق)، ص157.

الحقيقي فكان "أريستوكل"، على أن أهم ما اتسم به كان شغفه الشديد بالحكمة؛[1] حيث كان ملما بثقافة عصره حيث قرأ لشعراء اليونان وعلى الخصوص هوميروس واظهر ميله للرياضيات، وأطلع على كتب الفلاسفة،[2] و اتصل بسقراط في سن العشرين وتتلمذ على يديه وبعد موت معلمه أو بالأحرى قتله من طرف الديمقراطيين لجأ أفلاطون عند إقليدس اكبر تلاميذ سقراط سنا في ذلك الوقت، ثم بدأ بعد ذلك سلسلة أسفاره منها مصر،*[3] وايطاليا واتصل هناك بدوائر الفيثاغوريين،[4] وبعد رحلته رجع إلى أثينا وأنشأ سنة 387 مدرسة على أبواب المدينة تطل على بستان أكاديموس فسميت لذلك بالأكاديمية[5]

خلف أفلاطون خمس وثلاثون محاورة وثلاث عشرة رسالة، حيث كانت شخصية سقراط هي الشخصية الرئيسية في معظم المحاورات الأفلاطونية.[6]

**ب–فلسفته ومنهجه:**

عرف أفلاطون بسمو العقل والفكر حتى لقب بالإلهي، فكان عقلاء زمانه في فلسفته وآرائه، وكان له مذهبان، مذهب عام ظاهر بينه وبين الناس ومذهب خاص لا يفاتح به إلا الأخصاء ممن يثق بعقلهم وثباتهم.[7]

و رغم تأثره وإعجابه الكبير بأستاذه سقراط إلا أنه لم يؤيده في كل آراءه. بل خالفه في عدد من المسائل كمسألة الصلة بين الفضيلة والعلم؛[8] فقد أنكرها أفلاطون ورأى أن العلم ينتقل من عقل إلى

---

[1] أحمد المنياوي: جمهورية أفلاطون(المدينة الفاضلة)، ط1(دار الكتاب العربي، القاهرة، 2010م) ص 15.

[2] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، (مرجع سابق)، ص75.

[3]* ممكن جدا أنه استفاد من إقامته في مصر التي كانت تعطي للقيمة الأخلاقية مكانة هامة في مجتمعها كما رأينا ذلك سابقا.

[4] أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، (مرجع سابق)، ص157.

[5] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، (مرجع سابق)، ص77.

[6] ليوشتراوس و جوزيف كروبسي: تاريخ الفلسفة السياسية، محمود سيد أحمد، دط، (المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2005م)، ج1، ص63.

[7] حسن محمد مكي العاملي: المدخل إلى العلم والفلسفة والإلهيات، (مرجع سابق)، ص79.

[8] يعقوب المليجي: الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية مع مقارنة بالديانات السماوية، (مرجع سابق)، ص227.

عقل عن طريق البراهين والأدلة،[1] وليست الفضيلة كذلك فإن أفاضل أثينا لم يمكنهم لمجرد الدروس التعليمية أن يصيروا أبناءهم فضلاء مثلهم، ليس العلم إذن هو الذي يصير الرجل فاضلا ، وإنما الفضيلة ترجع إلى إلهام وبصيرة يشوبهما قبس من التحمس الديني، ثم مما ينبغي ملاحظته أن أفلاطون، فيما يظهر، جعل للدين في الأخلاق مكانة أكثر أهمية مما فعل سقراط، فهو يلخص الأدلة السائدة في عصره على خلود الروح، كما انه اعتقد في حياة أخرى غير هذه الحياة [2]

**ثانيا–مميزات الفكر الأخلاقي عند أفلاطون:**

**أ_النظام الطبقي عند أفلاطون:**

**1–على مستوى الفرد:** يوازن أفلاطون دائما بين الفرد والمجتمع، فإذا كنا بصدد الفرد فإننا نلاحظ أن عنده ثلاث طوائف من الاستعدادات السيكولوجية وهي:

–العقل الذي يقوم على التفكير ويقر في الرأس.

– العواطف الكريمة وهي تنبع من القلب.

– الشهوة ومصدرها البطن.[3]

**2–على مستوى المجتمع:** وإذا كنا بصدد المجتمع فانه لا ينتظم إلا بتقسيمه إلى ثلاث من الطبقات الاجتماعية هي:

–الطبقة الحاكمة وهي تمثل العقل ويسميها الطبقة الذهبية.

–الطبقة التي تحمي المجتمع، أي الجيش وهم أصحاب العواطف الكريمة ويسميهم الطبقة الفضية.

–الطبقة التي تقوم بالإنتاج وتشمل الزراع والصناع والتجار ويطلق عليها أفلاطون الطبقة النحاسية.

وقد رسم قواعد التربية والأخلاق والنظام السياسي في مؤلفه ليحقق ما يسميها المدينة الفاضلة.[1]

---

[1] أندريه كريسون: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، (مرجع سابق)، ص84.

[2] المرجع نفسه، ص85.

[3] المرجع نفسه، ص89.

**ب_السعادة:**

يتحدث أفلاطون كثيرا عن النشاط الخلقي كله على أنه يستهدف وينتهي في السعادة وهي عكس اللذة التي تعمل على إشباع رغبات الإنسان سواء أكانت نبيلة أو خسيسة، فلا يكون الإنسان سعيدا إلا ذلك الإنسان الذي تكون نفسه في الحالة التي يجب أن تكون عليها، وهذا يعني الإنسان العادل والخير والأخلاقي فالسعادة لا شان لها باللذة، السعادة إذن عند أفلاطون هي مجرد اسم آخر للخير الأقصى.[2]

لأن الفضيلة عنده زهد تتساوى فيه بنظر الإنسان الملذات والآلام ، فالتخلص منها هو السبيل إلى السعادة.[3]

**ج–النفس:**

النفس هي جوهر روحاني بسيط محرك للبدن ومستقل عنه وقائم بذاته من عالم المثل؛[4]وتنقسم إلى قسمين الأول عقلي والثاني غير عقلي فهو شهوي وهذا القسم فيه عنصر ثالث هو مقر الغضب والحماسة والغيظ ويدعى القسم الغضبي، ففي الفرد إذن ثلاثة عناصر هي:العقلي ، والغضبي، والشهوي،[5] وتبعا لذلك يميز أفلاطون بين أنفس ثلاث هي:

1–**النفس الناطقة** : هي جوهر روحي تقع على عاتقها مسؤولية إدارة الجسم والعمل على رقيه من خلال التفكير، وتستقر هذه النفس في الرأس لعلو شرفها.

---

[1] يعقوب المليجي: الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية مع مقارنة بالديانات السماوية، (مرجع سابق)، ص228.

[2] وولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دط، (دار الثقافة، مصر، 1984م)، ص 189.

[3] أفلاطون: جمهورية أفلاطون، ترجمة: ط1، (مؤسسة هنداوي، مصر، 2017م)، ص110.

[4] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، (مرجع سابق)، ج2 ص 471.

[5] أفلاطون: جمهورية أفلاطون ،ترجمة: حنا خباز،ط1(مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة،2017م) ص 124.

**2–النفس الغضبيّة:** مادية فانية مقرها الصدر، وتتصل بالنفس الأولى عن طريق العنق وهي تخضع للنفس الناطقة أحيانا وترفض هذا الخضوع أحيانا أخرى.

**3–النفس الشهوانية:** وهي أيضا مادية ومقرها البطن وترتبط بحاجات الأكل والشرب وكل الشهوات.[1]

**ثالثا–الفضيلة والخير:**

**أ–الفضيلة:**

بانسجام الأنفس السابقة( الناطقة والغضبية والشهوانية) تتحقق أم الفضائل ألا وهي فضيلة العدالة .ويعرف أفلاطون الفضيلة بأنها:[2]

1–الحكمة وهي المعرفة 3–العفاف وهي السيطرة على الرغبات والشهوات

2–الشجاعة 4 العدالة وهي أم الفضائل.

ولتحقيق العدالة يجب أن تنتظم الفضائل الثلاث الأولى فيما بينها على صورة أن تكون فيها القوة الشهوانية خاضعة للقوة الغضبية، وتكون هذه الأخيرة خاضعة للقوة العاقلة أو بعبارة أخرى يجب أن تكون القوتان الشهوانية والغضبية خاضعتين معا للعقل الذي يجب أن يقود النفس إلى طريق الخير والفضيلة فتتحقق بذلك فضيلة العدالة[3]

**ب– نظرته للخير:**

حدد أفلاطون موقفه من الخير ومن الفضيلة الموصلة للخير، فقدم مستويين من كل منهما، فالخير عنده ينقسم إلى ما سماه في محاورة الجمهورية؛ "الخير الفلسفي والخير الشعبي":

**1–الخير الفلسفي:**

---

[1] أحمد المنياوي: جمهورية أفلاطون، (مرجع سابق)، ص116-117.

[2] أفلاطون: جمهورية أفلاطون، (مصدر سابق)، ص107.

[3] محمد مهران رشوان: تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، (مرجع سابق)، ص 70.

يتأسس الخير الفلسفي على العقل وتفهم المبدأ الذي على أساسه تسلك وهذه الفضيلة فعل محكوم بالمبادئ.[1]وهو الخير الذي يتحقق للإنسان عن طريق المعرفة والعلم، أو عن طريق التحلي بالفضيلة"الحكمة"، وهو يتميز بالثبات والإطلاق. وما سماه أفلاطون" الخير الفلسفي" هو نفسه ما سماه "الخير الأقصى" وهو ما يعنيه السعادة، وقد ربط بينه وبين العدالة، تلك الفضيلة التي يتحقق بها سائر الفضائل الأخرى وعلى قمتها فضيلة الحكمة التي يتوصل بها الإنسان إلى ما سماه بالخير الفلسفي وبالتالي إلى السعادة والعادل عنده سعيد.[2]

## 2-الخير الشعبي:

ويسمى أيضا الفضيلة الاعتيادية؛ و هو الفعل الحق المنطلق من أسس أخرى مثل العادة والمألوف والتقاليد والدوافع الخيرة فالناس يفعلون الصواب لأنه شيء معتاد وهم يفعلونه دون أن يفهموا أسبابه وهي فضيلة الملل والنحل،[3]كما أنه أقل منزلة من الخير الفلسفي ويتوصل إليه الإنسان بمجرد الرأي، والرأي وإن كان صحيحا فهو لا يصل إلى مستوى العلم، ومن هنا كان هذا الخير لا يتميز كسابقه بالثبات ولا الإطلاق، لأنه يعتمد على التقليد والعرف، ولا يستند إلى دليل أو برهان عقلي.[4]

ولقد ربط بين الخير الفلسفي وبين عالم المثل، غير المتحقق على الكمال في عالمنا هذا ، حيث أن المتحقق فيه هو الخير الشعبي الذي هو بالتالي بمثابة الظلال لعالم المثل، ومن هنا كانت السعادة الحقيقية عنده هي السعادة المرتبطة بالخير الفلسفي، وهي لن تتحقق في هذا العالم الأرضي ، ، ومن هنا كان اتفاق أفلاطون فيما وصل إليه مع ما وصل إليه رجال الأديان السماوية في معالجتهم لموضوع السعادة وربطهم السعادة القصوى بالحياة الأخروية، وأفلاطون بذلك كان تلميذ مخلصا لأستاذه سقراط

---

[1] وولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، (مرجع سابق)، ص 187.

[2] عبد الحي محمد قابيل: المذاهب الأخلاقية في الإسلام، (مرجع سابق )، ص 135.

[3] وولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، (مرجع سابق)، ص 187

[4] عبد الحي محمد قابيل: المذاهب الأخلاقية في الإسلام، (مرجع سابق)،ص 135.

و الذي كان يرى السعادة القصوى في حياة غير هذه الحياة الدنيا ن ومن ثم لم ير في الموت شقاء بل انتقالا إلى حياة أفضل ونعيم أكبر[1].

لاحظنا كيفية سيرورة الفكر الأخلاقي من كونه يتعلق بالجزاء فقط (الحضارة البابلية والمصرية) أي أن القيم مجرد سطحيات لاحترام قانون أو دين إلى أن أصبحت القيم ذاتية عميقة ومن كون القيمة ذو تفكير جماعي إلى أن أصبحت ذو تفكير فردي، حيث اتجهت جهود فلاسفة نحو تحليل الذات الإنسانية إلى وجهات مختلفة وما يهمنا الرواقية وممثلها سقراط وأفلاطون الذين ذهبوا إلى انه كلما قلت الرغبات والشهوات زادت الفرصة للحصول على السعادة.

[1] المرجع نفسه، ص 137.

**خلاصة الفصل:**

كانت الفلسفة الأخلاقية ولا زالت من أهم العلوم المعيارية الفعالة التي تدرس السلوك والفعل، وحكم ماذا ينبغي أن يكون وما هو قائم لتصحيحه وفق معايير معينة أو نموذج أعلى، كما أن الأخلاق تعتبر همزة وصل بين الإنسان والآخر وبين الفرد والمجتمع باعتبار أن المجتمع متغلغل في كل عضو من أعضائه وينعكس في سلوك كل فرد من أفراده؛ أي أن الأخلاق تحمل بعد اجتماعي فردي يتمثل في ما يسمى بالتضامن الاجتماعي الذي لا يستمد قوته إلا بإضافة الأنا الفردية على الأنا الاجتماعية وفق منظومة أخلاقية تعزز الاستمرارية والنظام.

كما أن الفلسفة الأخلاقية حلقة هامة في سلسلة الفكر الإنساني أخذت وأعطت، تأثرت وأثّرت، حيث كانت بوادر مولدها مع بزوغ وعي الإنسان الفكري والتي مثلته أقدم الحضارات التاريخية حضارة ما بين النهرين و حضارة مصر العريقة، حيث كان الفكر الأخلاقي ذو طابع ديني يرتبط بالجزاء ثم تطور المفهوم إلى مفهوم مزدوج ديني ذو صبغة فلسفية وهذا ما مثلته البوذية، أي تطور المفهوم الأخلاقي من قوانين إلى مبادئ ومن كونه سطحي إلى عمودي وصولا لذاتية الإنسان وربطها بالسعادة، فأخذت الأخلاق نزعة فلسفية وهذا ما تبنته الحضارة اليونانية.

# الفصل الأول:

# الفلسفة الأخلاقية عند أوغسطين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**تمهيد:**

أوغسطين هو أحد أهم الشخصيات العالمية التي كان لها باع كبير في صياغة الفكر الإنساني العام خاصة الفكر المسيحي الغربي، كما عد من أوائل الآباء الذين مزجوا الفكر اللاهوتي الديني بالتقليد الأفلاطوني للفلسفة اليونانية، ومما لاشك فيه أن هذا التأثير كان له بعد إيجابي للمسيحية وتعاليمها، سواء الجانب الديني أو الفلسفي أو الأخلاقي.

وبما أننا في صدد دراسة فلسفة الأخلاق عند أوغسطين فقد خصصنا هذا الفصل للتعمق في فكر أوغسطين الأخلاقي وذلك من خلال الوقوف على أهم المحطات التاريخية والاجتماعية لالتماس الجذور الفكرية والإرهاصات الأولى لفلسفته، كما أننا سنتعرف على منظومته الأخلاقية وعلاقة قوى الإنسان الداخلية بالسلوك والخلق وصولا لماهيتها مع تحديد أنواع الفضائل.

وستكون دراستنا على حسب المخطط التالي:

**هيكلة الفصل:**

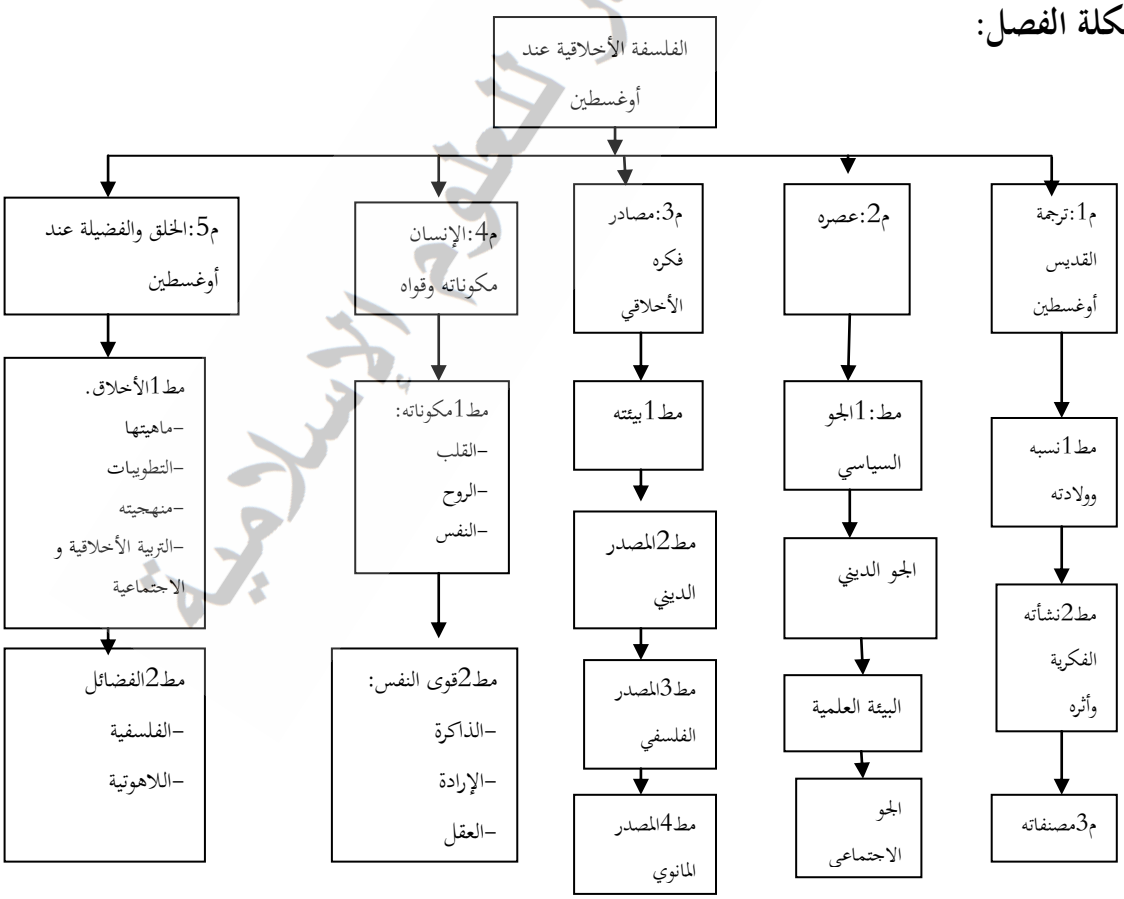

## المبحث الأول: ترجمة القديس أوغسطين.

يعتبر أوغسطين من عظماء علماء اللاهوت ومن أبرز آباء الكنيسة الذين كان لهم دور في صياغة الفلسفة المسيحية، لذا ارتأينا في هذا المبحث ترجمة سيرته من خلال مطالب ثلاث؛ الأول خصصناه للحديث عن نسبه وولادته والثاني حول نشأته الفكرية وتنوع ثقافته التي كان لها الأثر البعيد على المستوى الديني و الفلسفي أما الثالث فكان حول مصنفاته، خاصة الأخلاقية منها.

### المطلب الأول: نسبه و ولادته.

#### الفرع الأول– نسبه:

هو أورليوس أوغسطينوس "Aurelius Augustinus" أشهر آباء الكنيسة*[1] اللاتينية،[2] من مدينة صغيرة جبلية تدعى "تاغاست"، وهي سوق تجاري يقع على مفترق طرق في مقاطعة نوميديا، المعروفة اليوم بسوق أهراس بالجزائر؛[3] ينحدر أوغسطين من عائلة متواضعة تتكون على الأقل من أخ واحد وأختان، وأب يدعى "باتيركيوس" من مالكي الأرض الصّغار،[4] و أحد ملتزمي الضرائب بالمدينة، وكان مثل غيره من أفراد هذه الطبقة المتوسطة من أبناء المدن،[5] كان وثنيا ولكنه متساهل مع الإيمان

---

[1] * آباء الكنيسة: أطلق منذ زمن بعيد على كاتبي المؤلفات المسيحية الأوائل لقب" آباء الكنيسة فكلمة أب لها دلالة روحية وقد استخدمت بمعنى معلم في الكتاب المقدس، والكتابات المسيحية الأولى، والآباء هم المعلمون الذين ساهموا في تحديد مضمون الإيمان أو صياغته أو شرحه، ويطلق على من تتوفر فيهم العناصر الأربعة التالية وهي: مستقيم التعليم، والحياة المقدسة، والقبول الكنسي والقدم . ولقد أطلق لقب آباء الكنيسة العظماء على الآباء التاليين: أمبروزوس وجيروم وأغسطينوس وغريغريوس الكبير، (عادل فرج عبد المسيح: موسوعة آباء الكنيسة، ط2، (دار الثقافة، مصر، 2006 م)، ج1، ص285-286).

[2] شارل الحلو: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ط1، ، (دار الكتب العلمية، لبنان، 1992م)، ج1، ص155.

[3] أوغسطين: اعترافات، ترجمة: الخوري يوحنا الحلو ط4، (دار المشرق ، لبنان، 1991م)، ص1.

[4] ربيين دانيال: كتاب التراث المسيحي في شمال إفريقيا، ترجمة: سمير مالك، (دار منهل الحياة، لبنان، 1999م)، ص261.

[5] نورمان ف. كانتور: التاريخ الوسيط قصة حضارة :البداية والنهاية، ترجمة: قاسم عبده قاسم، ط5، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1997 م)، ج1، ص106.

المسيحي الذي كانت تمارسه زوجته مونيكا Monica أم أوغسطين؛[1] التي عرفت بإخلاصها للدين المسيحي، قضت حياتها كلها تقريبا في العناية بولدها الضال والدعاء له بالهداية،[2] التي كان لها أعظم تأثير عليه طوال الشطر الأكبر من حياته وهذا ما سنتطرق له فيما بعد.

**الفرع الثاني– ولادته:**

ينتمي أوغسطين إلى العصر الذهبي لآباء الكنيسة، وطنه هو إفريقيا بكل ما تمثل من روابط مادية وعاطفية وروحية، ولد في 354م بتاغاست النوميدية،[3] حرص والداه على تنشئته تنشئة علمية فقدما أفضل ما عندهما إليه لأجل تثقيفه[4] فأدخلاه المدرسة الابتدائية صغيرا[5]ولما بلغ الثانية عشر –من عمره أرسلته أسرته إلى مدرسة في مدورا.[6](مداوروش مدينة تقع حوالي 30 كلم جنوبي تاغست)

تميزت فترة صباه بكثرة انقياده للشهوة وابتعاده عن واجباته المدرسية وهذا ما يقره في كتابه اعترافات الذي لا يمكن أن نبحث في تفاصيل حياة الفيلسوف دون العودة إليه؛ يقول أوغسطين": أيها الرب إلهي إني أخطئت بمخالفة أوامر والدي ومعلمي يوم كان بمقدوري أن استعمل العلم التي أحب والدي أن يعلمانيها حينذاك استعمالا صالحا أيا كانت نيتهما، ولكني عصيت لهما أمرا، لا طمعا بالأفضل، بل انقيادا وراء الله و وأحببت نشوة النصر والأساطير المدغدغة لأذني بينما كان ناظراي يتوقان بمثل ذلك الشوق إلى رؤية المشاهد المسرحية، متعة الكبار، إن القائم بتلك الأعمال يكتسب درجة من الاحترام سامية يتمناها معظم المتفرجين لصغارهم، ويعاقبونهم إذا صدتهم تلك المشاهد عن متابعة دروسهم التي تؤهلهم إلى القيام بمثلها في المستقبل".[7]

---

[1] ربيين دانيال: التراث المسيحي في شمال إفريقيا، 1999، (مرجع سابق)، ص261.

[2] ويل ديورانت: قصة الحضارة (عصر الإيمان)، ترجمة: محمد بدران، دط،( دار الجيل، لبنان ) مج 4،ص55

[3] محفوظ قداش: تاريخ الجزائر في العصور القديمة، ترجمة: صالح عباد،دط، ( المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،دت)، ص214.

[4] ربيين دانيال: التراث المسيحي في شمال إفريقيا، 1999، (مرجع سابق)، ص261.

[5] القديس أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص1.

[6] ول ديورنت: قصة الحضارة، مج 4، (مرجع سابق)، ص55.

[7] القديس أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص17.

فلم يبدي أوغسطين اهتماما للدراسة في فترة صباه؛ يقول في ذلك:" ما أحببت العلم في حداثتي التي كانت أخف وطأة علي من صباي، كرهت الدرس والأسلوب المتبع إرغاما لي عليه، ومع أني نفرت منه، فقد أكرهوني عليه وكان خيرا بيد أني أسأت التصرف حقا، لو لم يكرهوني لما تعلمت حرفا".[1]

فالدراسة إذن كانت بالنسبة إليه تجربة بائسة ومشئومة، غير نافعة لشيء إلا لتدريبه على الصراعات والمظالم و خيبات الأمل، ولما بلغ السابعة عشر ذهب ليتم دراسته العليا في قرطاجنة،[2] يقول أوغسطين:" وفي السادسة عشرة من عمري عجز والدي عن سد النفقات المترتبة علي فاضطررت إلى مغادرة المدرسة، وما إن لزمت بيتي حتى تعالت أشواك الشهوات فوق رأسي وما من يد لتقتلعها"،[3] وفي وفي سن السابعة عشر ترك أوغسطينوس بيته في تاغاست وانطلق قاصدا قرطاجة، لكي يكمل دراسته الجامعية هناك، وفي حجرة الدراسة بدأت مقدرات هذا الشاب ومهاراته تظهر إلى العلن، لكن مع بروز قواه الفكرية كانت أخلاقه تتردى بالمقابل[4].

أظهر أوغسطين أنه تلميذ مجد في اللغة اللاتينية، وفي العلوم الرياضية، والموسيقى والفلسفة فكان عاكفا على طلب العلم، ولم يكن يحب اللغة اليونانية، ولذلك لم يتقنها ولم يتعلم آدابها، ولكنه افتتن بأفلاطون افتتانا جعله يلقبه " نصف الإله" ولم يمتنع عن أن يكون أفلاطونيا بعد أن صار مسيحيا، وقد هيأته ثقافته الوثنية في المنطق والفلسفة لأن يكون أعظم الفقهاء دهاء في الكنيسة المسيحية،[5] ولما أتم دراسته أخذ يعلم النحو في تاغستا ثم البلاغة في قرطاجنة؛ وفي عام 382 وجد أوغسطين نفسه وهو لا يزال في الثامنة عشر من عمره أبا لولد وقد لقب هذا الولد في وقت من الأوقات " ابن خطيئتي"، ولكنه كان يسميه عادة "أديوداتوس" أي عطية الله، وقد أحب الولد فيما بعد حبا شديدا، ولم يكن يسمح له أن يبتعد عنه قط، ولما بلغ التاسعة عشرة من العمر غادر قرطاجنة إلى عالم روما الواسع.[6]

---

[1] أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص19.

[2] ول ديورنت: قصة الحضارة، مج 4، (مرجع سابق)، ص55.

[3] أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص32.

[4] ربيين دانيال: التراث المسيحي في شمال إفريقيا، (مرجع سابق)، ص262.

[5] ول ديورنت: قصة الحضارة، مج 4، (مرجع سابق)، ص55

[6] المرجع نفسه، ص56

استهوته المانوية فأعتنقها حيث وجد فيها العمق والشمولية،[1] وظل يدين بها على مدى عشر سنوات في الوقت الذي كان يدرس البلاغة ثم صار يلقي دروسه فيها وفي الخطابة في قرطاجة، وما لبث أن ارتد عنها في النهاية.[2]

ولقد ساعده المانويين في تعزيز حياته المهنية بتزويده باتصالات في إيطاليا واستخدام نفوذهم حتى فاز بمنصب البلاغة الإمبراطورية في ميلان.[3]

بالإضافة إلى السمعة الحسنة لطلاب روما التي كانت من أسباب هجرة أوغسطين لها، ويقول في ذلك:" إنما السبب الأول أو بالأحرى الأوحد هو أن الطلاب في روما وفقا لما سمعت عنهم أكثر انضباطا وهدوء من زملائهم في أي بلد آخر وذلك عائد إلى النظام الدقيق الذي يسيرهم"،[4] فتألب حوله الطلاب ينهلون عنه العلم ويبخلون عليه بالزهيد من المال الضروري لمعيشته، ولم يمكث فيها طويلا بل راح إلى ميلانو يعلم الخطابة سنة 384 م كما أعرجنا عنه سابقا. ولدى قدومه إلى ميلانو تعرف أوغسطينوس إلى "أمبروسيوس" أسقف المدينة وتردد عليه واستمع إلى مواعظه فأعجبته بلاغته، وعايش الكاثوليك وصادق أكثر من واحد.[5]

أنهى أشغاله المدرسية وراح يستعرض في عزلة تامة في كسيسياكوم، ماضيه المرير المؤلم، وهنالك بعيدا عن العالم، بالصلاة والصوم والتأمل أعاد النظر في حياته كلها؛ فكان اهتداؤه إلى الكثلكة سنة 386م، وعندما كان في الثانية والثلاثين من عمره، صمم أغسطينوس أن يصبح مسيحيا[6] فتعمد على يد أمبروسيوس وقرر العودة إلى إفريقيا وفي طريق العودة فقد أمه، و ترك إيطاليا عام 388 وعند وصوله إلى

---

[1]Augustine: On the free choice of the will, on grace and free choice, and other writings, translated by Peter King, (the United states of America by Coambridge University Press, N.Y. 2010 ) P13.

[2] نورمان ف. كانتور: التاريخ الوسيط قصة حضارة (مرجع سابق)، ص107.

[3]Augustine: On the free choice of the will, on grace and free choice, and other writings.(Op.cit). P13.

[4] أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص87.

[5] المرجع نفسه، ص3.

[6] ربيين دانيال: التراث المسيحي في شمال إفريقيا، 1999، (مرجع سابق)، ص272.

تاغاست باع أملاكه ووزع عائداتها على البؤساء ، ثم استقر في هيبون حيث سيّم كاهنا(391) ثم أسقفا،[1] ظل القديس أوغسطين أسقفا لهيبو*[2] Hippo في الفترة الواقعة بين 396-430م[3] وقبل أن تخمد جذوة الحياة في ذلك الرجل العظيم في الثلاثين من آب سنة 430 شهد بكثير من الحزن والألم دخول الوندال إلى مدينة هيبون وفتكهم الذريع بأبنائها.[4]

## المطلب الثاني: نشأة أوغسطين الفكرية وأثره في الساحة العلمية.

### الفرع الأول– نشأته العلمية:

#### أولا–فن الخطابة والمحاماة:

أ– أظهر القديس أوغسطين كفاءات ممتازة منذ حداثته في معهد ماداور(مداوروش)، كان دائما في المرتبة الأولى في الخطابة، وكان لا يكل عن الإطلاع حتى في أيامه العابثة على كل ما تقع عليه يداه، أنشأ مدرسة للخطابة وهو ما يزال في التاسعة عشرة في قرطاجة، بمساعدة أحد الممولين، وكان تلاميذه في العشرينات أيضا من عمره، أصدقاؤه بحيث أن الدروس كان يتبعها مناقشات حول مسائل عديدة تسر إليها نفسه.[5]

ويقول في هذا:" تغلبت على شهواتي فرحت ادرس الخطابة وأبيع هذا الفن طوال تلك السنوات وكان رواجه يقوم بالهذر وشقشقة اللسان، وعلمت أن رغبتي في تثقيف طلاب صالحين حقا فعلمتهم بلا غش ولا تمويه فن الخداع ليسعوا في خلاص المجرمين حين تدعوا الحاجة، لا في إهلاك الأبرياء، إلهي رأيتني عن بعد اسقط على حضيض زلت عليه قدمي، وشاهدت من خلال الدخان الكثيف شرارات

---

[1] شارل الحلو: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، (مرجع سابق)، ص155.

[2] * مدينة عنابة أو هيبونة أو بونة، يرجع هذا الاسم إلى العهد الروماني وهي من بين المستعمرات التابعة لقرطاجة ، وقد لعبت دورا هاما في العهد الروماني حيث أصبحت عاصمة أفريقيا الجديدة والتي كانت من أملاك "يوبا الأول" وكانت تتربع على حوالي 60 هكتار، (مختار حساني: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، دط، ( دار الحكمة، الجزائر، 2007 م)، ج3، ص5).

[3] السيد الباز العريني: تاريخ أوربا "العصور الوسطى"، دط، (دار النهضة العربية، لبنان، 1968م)، ص 112.

[4] أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص6.

[5] علي زيعور: أوغسطينوس، ط1 (دار إقرأ ، لبنان، 1983م)، ص103.

نيتي المستقيمة الصالحة لتعليم طلاب الأباطيل، الباحثين عن الأكاذيب، أجل رأيت كل هذا ورأيتني أحاكيهم آنذاك في كل شيء".[1]

ب- كما أنه درس المحاماة دون أن تحلو له ممارستها واعتبرها مهنة يكثر فيها التدجيل، ولما سئل رأيه فيها، لم يتورع من أن يجيب:" نجاح المرء في فن المحاماة رهين بكذبه ونفاقه".[2]

**ثانيا- ثقافته الكلاسيكية:**

تعمق أوغسطين في دراسة الفكر الكلاسيكي،[3] فلم يقف ضد تعلم الثقافة الكلاسيكية، حيث انتفع كثيرا من الآداب القديمة، وهو مدين لها بقسط وافر من معارفه، إنه مثلا يستشهد 13 مرة بشيشرون، ويورد خمسة أقوال لتيرانس، وواحدة ل أوفيد في الاعترافات ويورد هؤلاء وغيرهم ألاف المرات في كتب أخرى له.[4]

**ثالثا_ معرفته باللغات:**

**أ_ اللغة اللاتينية:** مما لا شك فيه أن أوغسطين يعرف بل ويتقن اللغة اللاتينية باعتبارها اللغة الرسمية للرومان، فاللاتينية كانت لغة الإدارة والحكومة آنذاك.[5]

**ب- اللغة اليونانية:** يقول في الاعترافات أنه شعر بكره لا يفهم كنهه للغة اليونانية، وفي كتاب آخر يقول إنه ألم إلماما سريعا بهذه اللغة،[6] أو أنه عرف القليل جدا منها، فهو لم يتقن اليونانية لدرجة أن يستطيع قراءة الروائع الشعرية والفلسفية في الأدب اليوناني، إلا أن معارفه كانت كافية لترجمة دون جهد كبير، الكتب المقدسة والمؤلفات اللاهوتية،[7] فهو يقول في الاعترافات:" ...لماذا نفرت من اللغة اليونانية اليونانية وقد باشرت درسها صغيرا؟ لم يبق لي اليوم عنها فكرة واضحة، على يد أساتذة الأدب تذوقت

---

[1] أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص58.

[2] المرجع نفسه، ص2.

[3] نورمان ف. كانتور: التاريخ الوسيط قصة حضارة (مرجع سابق)، ص107.

[4] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص104.

[5] محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري "منذ فجر التاريخ إلى الفتح الاسلامي"، دط، ( المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1992م)، ص260.

[6] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص103.

[7] المرجع نفسه، ص104.

اللغة اللاتينية، لا على أيدي المدرسين الابتدائيين، لأن مبادئها الأولى كالقراءة والخط والحساب أخف وطأة علي من اليونانية، إن لم تكن الخطية قد بغضتني باليونانية، فأي شيء إذا؟".[1]

**الفرع الثاني– أثره في الساحة الفكرية:**

لقد نجح أوغسطين في دمج الثقافة اليونانية الوثنية مع الثقافة المسيحية بعد تنقيتها من الوثنيات والكفر والكذب فهي تثقف العقل، وتتيح المعرفة الأكمل للكتب المقدسة، ذلك بفضل احتوائها على الديالكتيك (الجدل والمحاورة) والفلسفة والعلوم اللغوية وغيرها، من هنا دعا إلى توجيه دراسة الشعر والتاريخ والعلوم والفلسفة والفن من الغاية الخاصة بها إلى تمجيد الحقيقة والناموس والجمال الإلهي كما نبه إلى لزوم الإحلال محل دراسة الكتب الدنيوية دراسة الأسفار المقدسة، وبفعل هذا جرى الاندماج بين الثقافة القديمة والثقافة الجديدة، بين الثقافة الإنسانية والثقافة الإلهية، فحقق أوغسطينوس شخصيا تحقيق ذلك الدمج وكان مثال المفكر المسيحي الذي دمج بين الحكمتين، وصاغ الحقائق العقدية بأسلوب أغنته روعة التراث القديم،[2] كما أنه ساهم بشكل فعال في إرساء الطريقة الأوغسطينية من خلال الرهبنة حيث ألف هو وطائفة من الأصدقاء جماعة دينية عاشت معا في "تاغست" عيشة تميزت بالفقر والعزوبية منقطعين للدرس والصلاة، وعلى هذا النحو وُجدت الطريقة الأوغسطينية، وهي أقدم أخوة رهبانية في أفريقيا. [3]

فالدور الذي قام به أوغسطين في تاريخ الفكر يعتبر بمثابة البوابة الواصلة ما بين العصور القديمة والعصور الوسطى،[4] فقد وسم أوغسطين بطابعه أعمال العصر الوسيط، وأحيت روحه الفكر الوسيطي، ومنحته دفقا ودفعا غنيين، وشكل لذلك العصر إيديولوجية هيمنت مدة طويلة جدا، وعقيدة متآلفة القطاعات (لاهوتية، فلسفية، اجتماعية، أخلاقية) ووجهة مسير ثقافي وفلسفي.[5]

[1] أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص20

[2] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص105.

[3] ول ديورنت: قصة الحضارة ، (مرجع سابق)، مج 4، ص56.

[4] نورمان ف. كانتور: التاريخ الوسيط قصة حضارة (مرجع سابق)، ص109.

[5] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص99

لقد أظهر أوغسطينوس في شبابه مؤشرات قليلة على عظمة فكرية ستبرز فيما بعد في مؤلفاته، فبعد قراءتنا لكتاب الاعترافات تبين لنا أنه اجتماعي وسريع التأقلم ومتفتح وهذا ما دلت عليه كثرة اللقاءات مع الآخرين خاصة الذين كان لهم الأثر في تطوير وتكوين شخصيته؛ كما أن ثقافته كانت متنوعة وغنية جمعت بين ثقافة كلاسيكية أدبية، جمعت بين الخطابة والفلسفة والدين.

**المطلب الثالث: مصنفات أوغسطين.**

ترك لنا أوغسطين آثار جلية تمثلت في مصنفاته التي تميزت بالتنوع والإلمام بحكم تنوع ثقافته التي جمعت بين العلوم الدنيوية والدينية، والتي سنتعرف على أهمها.

**الفرع الأول– مؤلفاته:**

تعتبر كتابات أوغسطين مصدرا أساسيا للتاريخ الاجتماعي لعصره[1] فقد كتب العديد من المصنفات انتشرت في ذلك الحين على نطاق واسع[2]، تاركا مؤلفات جمة تتجاوز المائتي (200)رسالة، والخمس مائة موعظة، ومائة وثلاثة عشر مطولة( Traites) ضاع قسم كبير منها، وهي موضوعة باللاتينية اشتهرت بالمتانة والبلاغة وقوة البيان، وتنقسم تلك الآثار إلى قطاعات أهمها القطاع الديني الذي يطغى على سائرها.[3] و التي سنذكر بعضها في الجدول التالي:

[1] هنري تشادويك: أوغسطينوس ( مقدمة قصيرة جدا)، ترجمة: أحمد الروبي، ط1، (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر ، 2016 م)،ص9.

[2] ربيين دانيال: التراث المسيحي في شمال إفريقيا، (مرجع سابق)، ص275.

[3] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص108.

**الجدول رقم3: جدول توضيحي لبعض مؤلفات أوغسطين.**

| نوع المصنف | اسم الكتاب | سنة تأليفه |
|---|---|---|
| **أعمال جدلية ضد اليهود والوثنيون** | مدينة الله | 413م_426م |
| **كتب عقائدية صرفة** | الثالوث( 15 مقالة يشرح فيها العقيدة) | 400_416م |
| | العقيدة المسيحية | ... |
| | مراسلات مع القديس جيروم | ... |
| **كتب في التربية** | المعلم يعالج سيكولوجيّة التّعليم و الدّرس | 389م |
| **كتابات لاهوتية** | فائدة الثقة | 392م |
| | الإيمان والمبادئ المسيحية | 393م |
| | التعاليم الأساسية: الإيمان، الرجاء، المحبة | 400م |
| **كتب تاريخية** | اعترافات. | 397م |
| **مقالات فلسفية** | الرد على الأكاديميين | 389م |
| | الحياة السعيدة خلود النفس | 386-387م |

| | | |
|---|---|---|
| **مقالات فلسفية** | | |
| | الموسيقى(8كتب) | 387-389م[1] |
| | الإرادة الحرة | 388-395م |
| **جدلية و لاهوتية** | ضد أتباع ماني(أهمها كتاب في مبادئهم) | 388م |
| | ضد رسالة الأساس | 397م |
| | فائدة الثقة | 392م[2] |
| **الأعمال التفسيرية** | في التعليم المسيحي | 396_426م |
| | تفسير العهد القديم | 393م |
| | ت.العهد الجديد | 400م |

**المصدر**: من إعداد الطالبة اعتمادا على كتابي شرح "في شرح الموعظة على الجبل" لأوغسطين، و"أغسطينوس" لعلي زيعور.

في نهاية حياته كتب أوغسطين نقدا أملاه عليه ضميره لعمله الخاص طوال حياته وأسماه "المراجعات" أو" إعادات نظر" وذلك لأن الكتاب يكاد يكون في أغلبه دفاعا عن أفكاره بقدر ما هو تراجع عن أفعاله الطائشة.[3]

**الفرع الثاني– مصنفات أوغسطين الأخلاقية:**

إن العمل الأدبي لأوغسطين وفير ومتنوع و نحن ما يهمنا المؤلفات التي طغى فيها الجانب الأخلاقي، و من بينها مؤلفان بارزان هما مدينة الله والاعترافات المؤلف المتعلق بالسيرة الذاتية خاصته.

[1] أوغسطين: في شرح الموعظة على الجبل، تقديم: بيشوي كامل ط1،(مطبعة الكرنك، مصر، 1962م)، ص31.

[2] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص108.

[3] هنري تشادويك: أوغسطينوس ( مقدمة قصيرة جدا)، ص41.

**أولا–مدينة الله ( 413–426):**

**أ– تعريفه:**

كتاب مدينة الله هو أهم كتب أوغسطين في تاريخ الحضارة، وهو يقع في 22 جزء، ظهرت تباعا في عدة مراحل من سنة 413 إلى سنة426، وينطوي على أروع دفاع عن المسيحية القديمة في عرض تاريخي جلي، فهو يقدم الصيغة الأولى الفريدة للاهوت في التاريخ فكانت أفكاره الرئيسية في بناء السياسة الدينية في العصر الوسيط،[1]فهو يعبر عن فلسفة في صورة تاريخ،[2] ولقد وضعه أوغسطين في حقبة مأساوية من تاريخ أوروبا، ذلك أن روما سقطت في سنة310م بيد البرابرة تحت قيادة الاريك.[3]

ولم يكن أوغسطين هو الذي ابتكر هذا المفهوم، فلقد استنبط عنوان الكتاب واختاره من آية في سفر المزامير:" **قد قيل بك أمجاد يا مدينة الله** "[4]، وعليه فإن مصطلح "مدينة" بالنسبة إلى أوغسطينوس يعني ببساطة مزاملة أو اتحاد مبني على روابط مشتركة ورابط الإيمان المشترك بالمسيح والخلاص المشترك.[5]

ولقد وضع أوغسطين في هذا المؤلف فكره السياسي عن المدينة السماوية والمدينة الأرضية وهما ليستا بالضرورة الكنيسة والدولة، وأوضح أن الدولة ليست لها وظيفة دينية تؤديه، وإن كان عليها أن توفر القانون والنظام لتحقيق السلام الأرضي الخلفية التي تقوم بها المدينة السماوية، ومن ثم فهي أي الدولة مجرد مؤسسة تابعة، وظيفتها تهيئة الظروف الاجتماعية والسياسية التي تلاءم الحياة الدينية القويمة وهكذا يتضح أن أوغسطين يخص الكنيسة بالفضل على الدولة.[6]

---

[1] حنا الفاخوري: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ط1، (منشورات المكتبة البوليسية، لبنان، 2001 م)، ص742.

[2] ول ديورنت: قصة الحضارة، (مرجع سابق) مج4، ص61.

[3] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص109.

[4] مز (3/87).

[5] ربيين دانيال: التراث المسيحي في شمال إفريقيا، (مرجع سابق)، ص296.

[6] رأفت عبد الحميد: الإمبراطورية البيزنطية العقيدة والسياسة، دط ، (دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2000م)، ج1، ص45

**ب–أقسامه:**

جاء كتاب مدينة الله عملا ضخما في قسمين يتكون من اثنتين وعشرين مقالة؛ [1] صدرت على مراحل خلال مدة الثلاث عشرة سنة تالية، و لقد باشر أوغسطينوس عمله هذا في سن التاسعة والخمسين، وانتهى منه عندما أصبح في سن الثانية والسبعين.[2]

قدم في الأجزاء العشرة الأولى البرهان على أن عبادة الآلهة لم تكن لتوفر السعادة الأرضية، ولم تكن ضرورية ولا مفيدة بالنسبة إلى الحياة الأبدية، فإلى مدينة الله ينتسب جميع الأخيار، وإلى مدينة الشيطان ينتسب جميع الأشرار، ويرى أوغسطين أن هذا الانقسام ما هو إلا ثمرة الخطيئة؛ خطيئة الملائكة المتمردين التي كانت في الأصل خطيئة آدم بالتجربة، وهكذا تواصلت المدينة الأرضية في تاريخ البشر غارقة في بؤرة الشر، إلى أن تجسد ابن الله وخط الطريق التي تقود من المدينة الأرضية إلى مدينة الله بمشيئة الله.[3]

**ج_أسباب تأليفه:**

**1_السبب المباشر:**

***سقوط روما:**

كان الداعي إلى وضع هذا الكتاب الاتهام الموجه إلى مسيحية القرنين الثاني والثالث[4]، والذي تجدد بعنف من قبل الوثنيين بعد سقوط روما وإمبراطوريتها في أيدي ألاريك؛ [5] هو أن المسيحية مسؤولية عن انهيار هذا العالم الذي امتد في الزمان والمكان امتدادا واسعا جدا، والذي كانت فيه روما "المدينة الخالدة"،[6] فقد قامت المسيحية مقام الوثنية وأطاحت بآلهتها التي كانت في نظر الوثنيين، تحمي المدينة

[1] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص109

[2] ربيين دانيال: التراث المسيحي في شمال إفريقيا، (مرجع سابق)، ص294.

[3] حنا الفاخوري: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، (مرجع سابق)، ص 743.

[4] المرجع نفسه، ص742.

[5] ويل ديورنت : قصة الحضارة، (مرجع سابق)، مج4، ص61.

[6] حنا الفاخوري: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، (مرجع سابق)، ص742.

والإمبراطورية فانهار العالم، ورأى الوثنيون أن روما لم تشهد قط انهيار كهذا الانهيار على امتداد تاريخها، وهي في حمى آلهتها الذين كانت تكرمهم وتبخلهم.[1]

*** طلب "مارسلينوس":**

فقد طلب إليه مارسلينوس مساعد الوالي المسيحي الذي كان قد ترأس المؤتمر مع الدوناتيين أن يدبج ردا معقولا على الإدعاءات والمزاعم بأن إهمال البانثيون Pantheonالوثني( معبد الآلهة) هو الذي سبّب الكارثة، إذ كان هناك رغبة في تقديم جواب شاف عن هذا التساؤل لتبيان ما هو معقول في ما يتعلق بسقوط روما وللنظر في أسباب هذا الحدث المأساوي، وهذا ما دعا أوغسطينوس إلى أن يكتب رائعته "مدينة الله" .[2]

**ب– السبب الغير المباشر:(الفساد).**

اعتقد أوغسطين إن ما من بلد أو مملكة أو إمبراطورية على سطح الأرض، كانت في حد ذاتها مكتملة الخير، وليست روما إلا مدينة من عمل البشر، ومهما كان لها من الفضائل، فلم تتوافر بها العدالة،[3]بل العكس فقط كانت في طريقها إلى الانهيار، وهذا ما يؤكده أوغسطين في كتابه مدينة الله:" انتقلت روما من الازدهار إلى حروب داخلية على دروب الفوضى والاضطرابات فلم تعد التقاليد القديمة تسير شيئا فشيئا، بل راحت تطغى كالنهر الطامي، طغى الترف والبخل على قلوب الشبيبة حتى استحال عليهم الحفاظ على تراثهم في نفوسهم، و أبوا أن يتقبلوه في نفوس الآخرين، فيسهل على الإنسان أن يرى بؤرة الفساد التي كانت تعيش فيها روما قبل مجيء المسيح،[4]ويقول أيضا:" ...وها هي الجمهورية الرومانية تتحول شيئا فشيئا وتتهاوى من علياء مجدها في الرذيلة والعار"[5]

[1] حنا الفاخوري: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، (مرجع سابق)،ص 743.

[2] ربيين دانيال: التراث المسيحي في شمال إفريقيا، (مرجع سابق)، ص294.

[3] السيد الباز العريني: تاريخ أوربا "العصور الوسطى"، دط،( دار النهضة العربية، لبنان، 1968م)، ص113.

[4] أوغسطين: مدينة الله، ترجمة: يوحنا الحلو، ط2، (دار المشرق، لبنان، 2006م)، ج1، ص86.

[5] المرجع نفسه: ص87.

**ثانيا– الاعترافات:**

**1_ تعريفه:**

هي أول ما كتب من التراجم الذاتية وأوسعها شهرة، والكتاب موجه إلى الله مباشرة بوصفه توبة إليه من الذنوب،[1] حيث يروي أوغسطين في مؤلفه هذا سيرة حياته، ومسار فكره وطريقة اهتدائه.[2]تقع اعترافات أوغسطين في 13 كتابا أو فصلا وضعها ما بين 397م و401م، وهي أثر مبتكر في تاريخ الأدب المسيحي لم يسبق له مثيل، وتعد من روائح الأدب العالمي معنى ومبنى. [3]

**2_محتواه:**

كتب أوغسطين كما أشرنا اعترافاته في ثلاثة عشر بابا، وهي ليست صك اتهام ضد نفسه بقدر ما هي شهادة حية تنطق بجود الله وصلاحه ومحبته حيث حطم فيه أوغسطين قيود الحياء البشري وسحق الكبرياء وقضى في ذاته على الأنانية التي تستعبد معظم الناس،[4] تفتح هذه السيرة الذاتية بابا واسعا على تطور صاحبها الديني حتى سنة387م، وتوقفنا على صراعه المؤلم في سبيل الوصول إلى الراحة في الله، إنها ليست اعترافا بتعثره وعثراته فحسب ولكنها أيضا اعتراف بالإيمان، تتجلى في هذا الكتاب مقدرة أوغسطين العجيبة على وصف الأحداث وعلى تصوير أدق اختلاجات نفسه وتموجات عاطفته.[5]

**ثالثا–المواعظ الأخلاقية:**

كما له العديد من الأعمال الراعوية والأخلاقية والمواعظ؛ منها أبحاث في البتولية، والكذب، والصبر، وتعليم الموعوظين وطالبي الدخول في المسيحية، أما عن المواعظ فقد نسب إليه حوالي363 موعظة أصيلة.[6]

---

[1] ويل ديورنت: قصة الحضارة (مرجع سابق)، مج4، ص60.

[2] علي زيعور: أوغسطينوس،(مرجع سابق)، ص108.

[3] حنا الفاخوري: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، (مرجع سابق)، ص740.

[4] أوغسطين: اعترافات، (مرجع سابق)، ص5.

[5] حنا الفاخوري: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، (مرجع سابق)، ص740.

[6] المرجع نفسه، ص746.

لاحظنا أن لأوغسطين طاقة كبرى على الإنتاج والإرادة القوية للوصول إلى مبتغاه خاصة أيام شبابه الأولى كما كانت له شخصية فذة فاز من خلالها على احترام وحب أصدقائه وهذا ما تجلى لنا من خلال كتابه الاعترافات، كما أن اطلاعه على علوم عصره المتنوعة، وإحاطته بشتى المعارف الفلسفية واللاهوتية والفكرية قد برزت في لائحة مؤلفاته الكثيرة والمتنوعة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## المبحث الثاني: عصر أوغسطين.

نشأ أوغسطين في أحضان الدولة الرومانية بشمال إفريقيا، والتي تميزت بالنظام الطبقي و بتنوع الآراء الدينية سواء تلك التي انبثقت من رحم المسيحية أو الوثنية الأصلية لإفريقيا، لذا سنحاول دراسة ووصف عصر القديس من الجانب السياسي والديني والاجتماعي والعلمي مع الإلماح للدور الفعال لأوغسطين في كل مستوى.

### المطلب الأول: الجو السياسي(الدولة الرومانية 27ق.م_476م).

#### الفرع الأول– تعريف الدولة الرومانية في شمال إفريقيا.(تاريخها):

**أولا_ الحضارة الرومانية:**

كانت الدولة الرومانية هي الدولة السياسية والعملية في العالم القديم، فكان الرومانيون يهدفون إلى تحقيق فكرة الدولة وسيادة القانون المدني وأن يوحدوا دول العالم في إمبراطورية واحدة كبرى تمتد من الفرات إلى الأطلنطي، ومن صحراء ليبيا حتى ضفاف نهر الراين، وقد ضمت الإمبراطورية معظم الأمم المتمدنة والخصبة في آسيا وأفريقيا وأوربا.

تمتع الرومانيون بقوة الشخصية التي استطاعوا بها أن يحكموا العالم، على عكس اليونانيون الذين تميزوا بالفكر العميق بالأدبيات و قدموا القوانين حتى للشعوب التي غزوها، وهذا الاختلاف بينهما امتد بالطبع ليؤثر على الأخلاق والحياة الدينية لكليهما، فبينما كانت الأساطير اليونانية والأعمال الفنية والشعر هي موضوع الاهتمام في اليونان، كانت الحرب والغزو وتوسيع رقعة الإمبراطورية هي جل ما يشغل الرومان، ولم يكن للرومانيين علاقة بالطبيعة، فلم يكن لديهم اهتمام سوى بالتفكير في فكرة واحدة هي روما؛ روما الفاتحة والمنتصرة.[1]

[1] عادل فرج عبد المسيح موسوعة آباء الكنيسة، (مرجع سابق)، ج1، ص17.

**ثانيا_ الاحتلال الروماني لشمال إفريقيا ونظام حكمها:**

**أ_ احتلال نوميديا( 46ق.م–439م):**

لم تكن الأراضي الرومانية في أوروبا غنية بالخيرات والثروات مثلما كانت المناطق الأخرى في آسيا وإفريقيا، ولهذا فإن هدف الرومان من التوسع في الخارج هو السيطرة واحتلال أراضي الغير والاستيلاء على الخيرات والثروات الموجودة بالبلد الذي يحتلونه. [1]وهذا ما حدث بالفعل في شمال إفريقيا حيث دخل الرومان إلى أراضيها سنة 213 ق.م، و تم احتلال الرومان لنوميديا بصفة ملموسة سنة 46ق.م بعد معركة تابسوس، وتكونت منها مقاطعة مؤقتة عرفت ب"إفريقيا الجديدة،[2] ودام هذا الاحتلال 576 سنة.[3]

أطلق الرومان على سكان شمال إفريقيا اسم بربر*[4] وهو يعني حسب المفهوم اليوناني والمفهوم الروماني إنسان أجنبي لا يتكلم اللغة اليونانية، ونفس الكلمة استعملها الرومان عندما تغلبوا على اليونانيين حيث أطلقوا عليهم اسم "البربر" على جميع السكان الذين لا يتكلمون لغتهم ولا ينتمون إلى سلالتهم أو عرقهم.[5]

**ب– طبيعة العلاقة بين الرومان وسكان شمال إفريقيا:**

كان الرومان في شمال إفريقيا يتمتعون بالحقوق السياسية وامتلاك الأراضي وتوزيع الغنائم على الجنود الرومانيين الذين يساعدونهم في بسط نفوذهم في أراضي الغير، أما سكان شمال إفريقيا، فلم تكن لهم حقوق وإنما كانت لهم واجبات تتمثل في خدمة الرومان سواء كجنود أو عمال أو مزارعين، ولذلك

---

[1] عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية1962، ط1، (دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997م)، ص13.

[2] محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، (مرجع سابق)، ص190.

[3] عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية1962، (مرجع سابق)،ص20.

[4]* هم حاميون بن مازيغ بن كنعان ابن حام وهذا الذي صححه وأكده ابن خلدون بقوله:" والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح.. وإن اسم أبيهم مازيغ".( مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دط، (المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1976م)، ج1ص89.

[5] عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية1962، (مرجع سابق)، ص7.

وقعت عشرات الثورات لكنها كانت تخمد بسهولة لضعف القبائل البربرية وعدم قدرتها على توحيد صفوف أبنائها.[1]

**الفرع الثاني– النظام الروماني في شمال إفريقيا*[2].**

استعمل الرومان إستراتيجية سياسية وعسكرية في تنظيم وتسيير المناطق التي احتلوها في شمال إفريقيا [3] حيث قسمت الأقاليم إلى أربعة مستويات طبقية:

**– المستوطنات الرومانية:** وهي المدن التي أسسها الرومان، أو مدن استقبلت مجموعة من السكان يتمتعون بحقوق المواطنة الرومانية، ويعد بالتالي سكانها مواطنين رومان سواء بالأصل أو القانون، ويتمتعون بذلك بقوانين منسوخة على قوانين روما، وتطبق بها القوانين الرومانية، وتتمتع بالاستقلال الإداري.[4]

**_البلديات الرومانية:** كانت لها مؤسسات كالمستوطنة، مأخوذة على مؤسسات روما، بنفس الألقاب والمهام، لكن الملكيات العقارية في البلديات كانت تخضع لأعباء كانت أراضي المستوطنات معفية منها.[5]

**_مدن لاتينية:** ويستفيد سكانها من حرية التجارة والتملك لكن لا يحق لهم المشاركة في الانتخابات ويتعين عليهم دفع الضرائب. [6]

**_ بلديات الغرباء:** هي البلديات التي يتكون معظم سكانها من الأهالي، كانت روما تكتفي بالاعتراف وتكريس سلطة رئيس القبيلة على قبيلته مع الاحتفاظ بالمؤسسات والقوانين العرفية المحلية.[1]

---

[1] عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية1962، (مرجع سابق)، ص17.

*[2] إفريقيا هو الاسم الذي أطلقه الرومان قديما (أفريكا،Africa) وهي مأخوذة من الكلمة اللاتينية أبريكا (Apria) وتعني مشمسة أو مغمورة بالشمس، أو ربما تكون مأخوذة من الكلمة اليونانية (أفريك Aphrike) وتعني البلاد غير الباردة، على أن أفريقيا لم تطلق أساسا سوى على شريط الساحل الشمالي من القارة والذي كان ينظر إليه في الواقع على أنه امتداد لأوروبا نحو الجنوب. (عادل فرج عبد المسيح: موسوعة آباء الكنيسة، دط، ( دار الثقافة، مصر دت)، ج2، ص146).

[3] عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية1962، (مرجع سابق)، ص14.

[4] محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، (مرجع سابق)، ص201.

[5] المرجع نفسه، ص202.

[6] عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية1962، (مرجع سابق)، ص15.

**الفرع الثالث– أوغسطين والأوضاع السياسية:**

قد يقفز إلى الذهن أن الاضطهاد الروماني للمسيحيين قد توقف بفعل تحول الدولة تدريجيا إلى المسيحية، بدء ب"الشرعية" وانتهاء ب"الرسمية" لكن هذا لم يحدث، بل ازداد الاضطهاد الروماني في عهد الأباطرة المسيحيين للمسيحيين ضراوة عما كان عليه زمن الأباطرة الوثنيين، فكان ما عانته الكنيسة والمسيحيون في ظل أباطرة من بني عقيدتهم أشد وأبقى. ويعود ذلك في المقام الأول إلى ازدياد هوة التباعد في وجهتي النظر بين الاعتقاد الكنسي والفكر السياسي الروماني.[2]

وهذا ما عاشته كنيسة إفريقيا التي عانت هي الأخرى من إضطهادات كومود *COMMODE* و اضطهادات ديسيوس، وكان أعنفها هو اضطهاد ديوكليتان، فقد أراد هذا الأخير تقوية الوطنية بالعودة إلى الديانات الوطنية وإلغاء الديانات الأخرى كالمسيحية وفرض عبادة الإلوهية على الجيش، حينئذ أصبحت الكنيسة معادية للعسكرية.[3] وقد زاد الوضع سوءا عندما ترسبت عادات الوثنية بين صفوف المسيحيين الذين كانوا يجعلون كنائسهم ومعابدهم في أعيادهم التذكارية مسارح للأكل والشرب والقصف، فكان لزاما على الكنيسة عقد مجمع "هيبون" عام 393م الذي اشترك فيه القديس أوغسطين.[4]

زاد تدهور الوضع السياسي في إفريقيا بعد الغزو الوندالي، ففي سنة 430 تم القضاء على ما تبقى من السلطة الرومانية في إفريقيا، وفي تلك الآونة الحرجة لم يكن هناك من يقوم بقيادة المجتمع والسهر على راحته سوى الأساقفة، إلا أن أسقف هيبو الذي كان هو القديس أوغسطين في ذلك الوقت كان يرقد مسجى على فراش الموت، وكان بعض أساقفة شمال إفريقيا يريدون الهرب من البلاد، وكتبوا إلى أوغسطين طالبين النصيحة، فأجاب بأنه إذا تخلى الزعماء الروحيون عن رعاياهم، فلن يكون لعامة

---

[1] محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، (مرجع سابق)، ص202.

[2] رأفت عبد الحميد: الإمبراطورية البيزنطية العقيدة والسياسة، دط، (دار قباء، مصر، 2000م)، ج1، ص42.

[3] محفوظ قداش: تاريخ الجزائر في العصور القديمة، ترجمة: صالح عباد، دط، ( المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993م)، ص206.

[4] أوغسطين: اعترافات، (مرجع سابق)، ص5.

الناس دليل يقودهم في مواجهة الموقف العصيب، وفي هذا مساس بسمعة الكنيسة، فعلى الأساقفة أن يبقوا في مواقعهم حتى النهاية.[1]

لم يقدر لحياة أوغسطينوس أن تنتهي على وتيرة الانتصار، فقد ترك هذه الدنيا في ظروف بدا عليها وكأنها قد حطمت كل عمل حياته وفشلت آماله جميعها، فالإمبراطورية الرومانية التي كان يكن لها أوغسطينوس أعمق مشاعر الاحترام والتقدير ويعقد عليها آمالا جساما وجدت نفسها فجأة على شفير الانهيار والسقوط لقد حوصرت مدينة روما، واقتحمها القوطيون ونهبوا ممتلكاتها سنة 410م، ولم ينته الأمر عند هذا الحد؛ بل ترنحت هذه الإمبراطورية وهي تتداعى على مدى ست وستين سنة أخرى وفي عام 428 اكتسحت إفريقيا الشمالية جماعة الوندالين.[2]

## المطلب الثاني: الجو الديني (أوغسطين والحالة الدينية).

شهدت شمال إفريقيا العديد من الإيديولوجيات المختلفة سواء الطوائف الدينية المنشقة عن المسيحية أو المعتقدات الوثنية المحلية والرومانية.

### الفرع الأول– الوثنية:

### أولا–الديانة المحلية:

حافظ الكثير من سكان شمال إفريقيا على اعتقاداتهم القديمة من تقديس الجبال والغيوم والمغاور والأشجار وعبادة الحيوانات وجميع قوات الطبيعة، و كانوا منعكفين على عبادة آلهة القرطاجيين أي "تانيت" Tanit التي أصبحوا يسمونها "سيلستيس" أو الآلهة السماوية، وبعل الذي صاروا يسمونه "ساترنوس" Saturnous المعروف بمنجله.[3]

[1] نورمان ف. كانتور: التاريخ الوسيط قصة حضارة (مرجع سابق)، ص102.

[2] ربيين دانيال: التراث المسيحي في شمال إفريقيا، (مرجع سابق)، **ص**290.

[3] أحمد صفر: مدينة المغرب في التاريخ، دط، (دار النشر بوسلامة، تونس، 1959م)، ج1، ص360.

**ثانيا_ الديانة الرومانية في إفريقا:**

مما لا شك فيه أن المعمرين الرومان من موظفين وجنود، قد نقلوا معهم إلى إفريقيا معتقداتهم ومن بينها:

أ-ثالوث" الكابتول" المتكون من: جوبتر، جونو، و منرفة، هذا الثالوث الذي انتشرت عبادته في أغلب المدن الرئيسية من دوقة إلى سبيطلة وتيمقاد وتازولت(لمباز) وقيرطا، بل امتدت في بعض الأحيان حتى المدن الصغيرة.

ب- إضافة إلى الثالوث المشار إليه نجد عبادة الإله مارس وهرمس وسيراس وباخوس واسكولابيوس.

ج-عبادة الإمبراطور التي انتشرت رسميا في العديد من المدن الإفريقية، لكنها لم تؤثر بشكل كبير على الأهالي الذي صمدوا في وجه الديانة الرومانية، ولم تحظ برضاهم وقبولهم غير الآلهة الرومانية التي استمدت روحها وجوهرها من آلهة محلية، كالإلهين جوبيتر وساتورنوس اللذين استمدوا روحهما من بعل_حمون، والآلهة كايليستيس التي استمدت روحها من الآلهة تانيت التي سبق ذكرها،[1] فكانت هذه المعبودات الأكثر انتشارا في المغرب في الفترة الرومانية ، وانتشرت عبادتها من ضواحي لبدة إلى يول( قيصرية_شرشال) ومن السواحل إلى الهضاب الداخلية المطلة على الصحراء[2].

كان لتأثير الحضارة الرومانية على سكان شمال أفريقيا وطأ كبير في جميع المجالات ، بل أخذوا عنهم أيضا معتقداتهم، ودانوا بدينهم، وتمذهبوا بمذهبهم، إذ أن الدين جزء متمما للحضارة الرومانية.

**الفرع الثاني- المسيحية:**

**أولا-نشأة الديانة المسيحية في إفريقيا:**

كانت الطرق التي سلكتها المسيحية في الانتشار في بلاد المغرب محل نقاش طويل بين المختصين في الدراسات المسيحية، فتولدت نظريتان متعارضتان عن نشأة المسيحية في أفريقيا وهما:

[1] محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، (مرجع سابق)، ص222.
[2] المرجع نفسه، ص223.

أ- عرفت المسيحية طريقها إلى أفريقيا من الشرق عن طريق مصر وليبيا؛[1] وهذا بواسطة التجار الشرقيون الذي كان لهم الدور في نقل الدين الجديد إلى المدن الساحلية الكبرى.[2]

ب- جاءت عن طريق روما، وليس هناك ما يؤيد إحدى النظريتين بطريقة حاسمة، كما كان هناك مركزان واضحان قاما على الشواطئ الجنوبية للبحر المتوسط في القرن الأول من الكرازة بالمسيحية كان أحد المركزين في كيرانايكا( القيروان) وكان واقعا تحت تأثير كنيسة الإسكندرية على يد مرقس الرسول و هذا ما تأكده المجادلات الدينية التي جاءت في سفر أعمال الرسل (2/10، 6:8و9)نتأكد، أما الآخر فكان في قرطاجنة (بتونس) وليس من شك في أنه كان معرضا للوقوع تحت تأثير كنيسة روما[3].

**ثانيا- أسباب انتشار الديانة المسحية في إفريقيا:**

1- إن فشل الديانة الرومانية الرسمية المتمثلة في عبادة الإمبراطور، وغموض وتعدد المعتقدات الوثنية التي لم تستطع تحقي الوئام الاجتماعي، والرغبة في العدالة الاجتماعية كانت وراء سرعة انتشار المسيحية التي كانت تحمل في ثناياها معاني العدل والتسامح و التآزر الاجتماعي، فأقبل عليها الناس خاصة من الطبقات الدنيا وتزايد عدد المسيحيين الذين بلغ عددهم أوائل القرن الثالث الميلادي أكثر من مائة ألف مسيحي.[4] ولقد كان لأوائل المسيحيين موقف معادي للإمبراطورية وإرادة حقيقية في الاستقلال الذاتي يعبر عنها التنظيم الكهنوتي، ولقد تمكن البربر من الانخراط في الدين الجديد معبرين عن عداوتهم لروما.[5]

2-مرسوم ميلانو: مع تطبيق مرسوم ميلانو الذي كان قد أقره قسطنطين، استيقظت الكنيسة المسيحية منهوكة القوى لتجد نفسها محط ترحيب على أعلى المستويات في الإمبراطورية، والإمبراطور نفسه أصبح من بين أعضائها، و ذلك من خلال مرسوم ميلانو 313م الذي منح كل فرد حق العبادة الحرة بالطريقة التي يراها مناسبة له كما أنه رخس للكنائس أن تسترد الممتلكات والأرزاق التي صودرت منها، كما أنه له نتيجتان بعيدتا الأثر والنطاق؛ لقد وضع حدا لاضطهاد المسيحيين في كل أرجاء

[1] عادل فرج عبد المسيح: موسوعة آباء الكنيسة، (مرجع سابق)، ج2، ص147.

[2] محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، (مرجع سابق)، ص225.

[3] عادل فرج عبد المسيح: موسوعة آباء الكنيسة، (مرجع سابق)، ج2، ص147.

[4] محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، (مرجع سابق)، ص225.

[5] محفوظ قداش: تاريخ الجزائر في العصور القديمة، (مرجع سابق)، ص205.

الإمبراطورية بما في ذلك إفريقيا الشمالية،*[1] كما أنه أدى بسرعة فائقة إلى تحالف دائم بين الكنيسة والدولة الرومانية، وهكذا لم يعد المسيحيون يحتاجون إلى الاجتماع سرا خوفا من الاضطهادات.[2]

**الفرع الثالث– الدّوناتية:**

بينما كانت الكنائس الأوروبية والآسيوية غارقة في أدغال المنازعات اللاهوتية المتعلقة بالأريوسية والغنوسطية ومجموعة من البدع الأخرى، كانت كنائس إفريقيا الشمالية منشغلة بحركة دينية جديدة باتت تعرف بالدوناتية Donatisme.

**أولا–تعريفها:**

**الدوناتية:** وهو مذهب دوناتوس*[3] أسقف الديار السود (كاز نوار) شمال الأوراس منذ سنة 305م، أخذ هذا المذهب ينتشر بسرعة في كامل القطر الجزائري رغم مقاومة السلطة له، وذلك لما احتوت عليه تعاليمه74 من مبادئ التحرير،[4] حيث استقطبت جماهير غفيرة من الناس توافدوا إليها خاصة الفقراء وأهل الريف وغير المتعلمين المضطدين ناهيك الأمازيغيين المستاءين من العسكر الروماني الذين نهبوا أراضيهم.[5]

**ثانيا–أسباب نشأتها:**

قامت حركة دوناتوس في بداية الأمر على خلاف ديني ولكنه سرعان ما تطور إلى مقاومة شعبية ضد الحكم الروماني والكنيسة الكاثوليكية التي ساندته في موقفه. وكان الأمر الحقيقي الذي تسبب في نشأة المقاومة الدوناتية هو التعاسة التي شملت أغلبية الأهالي في إفريقيا الرومانية ولا سيما الفلاحين الفقراء

---

*[1] شهد مسيحي إفريقيا العديد من الاضطهادات خاصة في عصر الإمبراطور كومودوس180م، وسيفيروس الذي أصدر مرسوما سنة 202م يمنع بموجبه الدعوة لليهودية والتبشير بالمسيحية225، و إضطهادات دقيوس. (محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، (مرجع سابق)، ص226).

[2] ربيين دانيال: التراث المسيحي في شمال إفريقيا، (مرجع سابق)، ص231.

[3] *دوناتوس: توفي دوناتوس في المنفى في العام355م وقد كان على مدى أربعين سنة مصدر إلهام هذه الحركة، كان هذا الرجل منظما وخطيبا وكاتبا ، كان فخورا ومملوء غيرة ويرفض أية تسوية وقد أظهر أوغسطينوس دائما احتراما وتقديرا عظيمين لمناوئه دوناتوس (ربيين دانيال: التراث المسيحي في شمال إفريقيا، (مرجع سابق)، ص240.

[4] عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، دط، (ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1975م)، ج1ص74.

[5] ربيين دانيال: التراث المسيحي في شمال إفريقيا، (مرجع سابق)، ص236.

الذين انتزعت منهم أراضيهم بعد احتلال بلادهم، فتعرضوا إلى اضطهاد المعمرين الأجانب وحلفائهم من بعض المحظوظين الأهالي.[1]

فكانت الدولة هي خصمهم اللدود، كما أن الكنيسة التابعة لهذه الدولة هي الأداة الرئيسية لاضطهادهم والتضييق عليهم، فتحولوا بشدة متزايدة ضد البنية الكاثوليكية، مصرين على أنها مؤسسة فاسدة وقد تخلت عن المسيح، فانقسم الكثير من الجماعات المسيحية المحلية بعضها على بعض بسبب هذه المسألة، وهكذا وجدت المدن والقرى نفسها وخلال فترة وجيزة، أمام كنيستين؛ واحدة للدوناتيين وأخرى للكاثوليك، وكان لكل كنيسة ناظرها الخاص.[2]

فالمسألة الدوناتية إذن بدأت في الأصل، من جراء العدد الكبير من المسيحيين الذين تخاذلوا إبان الاضطهاد العنيف من قبل السياسة الرومانية والكنيسة الكاثوليكية.

**ثالثا_أوغسطين و الدوناتية:**

حارب أوغسطين الدوناتيين بكل ما لديه من وسائل،[3] ففي بداية الأمر اختار أوغسطين طريقة الحوار مع الدوناتيين إذ ارتأى أنه يجب العمل بالكلمة والكفاح بالمناقشة والإقناع بالعقل، غير أن خصومه رفضوا الحديث مع من أنعتوه بالمجادل القرطاجي، فكان أوغسطين من أخطر المجادلين وسعى في ردعها بشتى الطرق إلى أن الحركة الدوناتية زاد نشاطها؛[4] فأعد لهم أوغسطين ندوة قرطاجة التي انعقدت في شهر يونيو 411م،[5] وهو ما عرف بمجمع قرطاجة.

---

[1] أبو عمران الشيخ: أوغسطين العنابي ومقاومة الحركة الدوناتية، مجلة الأصالة(عن تاريخ وحضارة عنابة عبر العصور) جامعة الجزائر، العدد 35/34، 1976م، ص 170.

[2] ربيين دانيال: التراث المسيحي في شمال إفريقيا، (مرجع سابق)، ص239.

[3] ويل ديورنت: قصة الحضارة، (مرجع سابق)،مج4، ص42.

[4] أبو عمران الشيخ: أوغسطين العنابي ومقاومة الحركة الدوناتية، (مرجع سابق)، ص 174.

[5] المرجع نفسه، ص 175.

***مجمع قرطاجة 411م:**

هذا المجمع تعرف قوانينه بقوانين الكنيسة الإفريقية أو مجموعة الشرع الكنسي الإفريقي،[1] حيث تم فيه مواجهة أساقفة الكاثوليك للدوناتيين برئاسة مفوض إمبراطوري(كاثوليكي) وكّل إليه التحكيم بين الأحزاب المتخاصمة، كان أوغسطين متحدثا رسميا أساسيا باسم القضية الكاثوليكية، وأقنع الأساقفة الكاثوليكيين بالبدء على الملأ في الإعلان عن أنه إذا قبل الدوناتيين بتناول العشاء الرباني معهم وقبلوا الوحدة، فسيدعون حينئذ أقرانهم من الدوناتيين للمشاركة في رعاية كل أبرشية، ولم يكلف العرض السخي شيئا، حيث كانت الضغائن المتبادلة أعظم أثرا من العرض بحيث قضت على كل فرصة لقبوله.[2]

وفي السنة التالية لهذا المؤتمر 412م صدر مرسوم اشتراعي يفرض غرامة باهظة على كل من يرتبط بنشاطات مسيحية خارج الكنيسة الرسمية الكاثوليكية العالمية، أما الفقراء الذين لا يتمكنون من دفع الغرامة، فسيجرى ضربهم ضربا مبرحا، ولقد أعطيت الأوامر للسادة بضرورة إجبار عبيدهم بالإذعان لهذا القانون، كذلك قضى المرسوم بإقصاء النظار الدوناتيين عن أوطانهم، وبمصادرة أراضيهم ودور عبادتهم، وكان العقاب الصارم من نصيب كل من تسوله نفسه أن يحميهم أو يقدم لهم الملجأ، وكأن كل هذه الاجراءات لم تكن قاسية وعنيفة بما فيه الكفاية، حتى أنه تم بعد سنتين سن القوانين التي تحرمهم من حقوقهم المدنية.[3]

إذن لقد وجدت الشيع والبدع والديانات الوثنية والطوائف المسيحية في سبيلها أكبر معارض وألد خصم وأشد مهاجم وهو أوغسطين؛ حيث تمكن من الانتصار عليها خاصة المسألة الدوناتية التي كانت بالنسبة إليه المحنة العظمى لخدمته الكهنوتية.

[1] عبد الرزاق بن عبد المجيد ألارو: مصادر النصرانية، ط1، ( دار التوحيد والتبشير، السعودية ،2007م)ج1، ص827.

[2] هنري تشادويك: أوغسطينوس ( مقدمة قصيرة جدا)، (مرجع سابق)، ص88.

[3] ربيين دانيال: التراث المسيحي في شمال إفريقيا، (مرجع سابق)، ص254.

## المطلب الثالث: البيئة العلمية.

### الفرع الأول– اللغة و الفلسفة اليونانية:

#### أولا–اللغة:

انتشرت منذ قبل القرن الثالث قبل الميلاد الحضارة اليونانية وآدابها، ومن ثم لغتها في ربوع الإمبراطورية الرومانية ومن بينها كل مدن حوض البحر المتوسط،[1] وقد استمر استخدام اللغة اليونانية في روما وشمالي أفريقيا وبلاد الغال (فرنسا حاليا) حتى القرن الثالث الميلادي ثم حلت محلها اللغة اللاتينية بعد القرن 3م، حيث أصبحت اللغة اللاتينية اللغة الرسمية المستعملة في المحاكم والمجالس، والمذكرات والمناقشات البلدية والمراسلات والمفاهمات الإدارية، أما اللغة الليبية واللغة البونيقية فبقيت مجرد لهجات للتواصل اليومي الاجتماعي. [2]

#### ثانيا– الفلسفة اليونانية:

لقد نشأت المسيحية في فضاء ثقافي هيمنت عليه الفلسفة اليونانية، وحتى في الحكم الروماني، كانت الفلسفة اليونانية هي الشكل الأرقى للتفكير،[3] وهي الديانة الأعمق بالنسبة للعقلانيين، وقد أمدت الفلسفة المفكرين من المسيحيين وغيرهم بإطار ذهني للتعبير عن أفكارهم، فكانت الأفلاطونية والرواقية هما أكثر أنماط الفكر في تلك الفترة تأثيرا.[4]

### الفرع الثاني– التعليم وإنشاء المدارس:

مما لا شك فيه أن المدرسة تلعب دورا أساسيا في نشر العلم والمعرفة منذ القدم وهو ما كان موجود بالفعل في إفريقيا الرومانية .

---

[1] عادل فرج عبد المسيح: موسوعة آباء الكنيسة،( مرجع سابق)، ج1، ص22.

[2] أحمد صفر مدينة المغرب في التاريخ، (مرجع سابق)، ص358.

[3] معز مديوني: مقدمة لقراءة فكر أوغسطينوس، ط1، (جداول، الكويت، 2011م)، ص47.

[4] عادل فرج عبد المسيح: موسوعة آباء الكنيسة،( مرجع سابق)، ج1، ص22.

قامت البلديات الإفريقية الرومانية بفتح مدارس لتعليم الأطفال القراءة والكتابة والحساب على يد معلم أولي في القرية،[1] ثم دراسة اللغة والأدب ودراسة المنطق الجدلي والخطابة والبلاغة وسائر العلوم والفنون( الحساب والموسيقى والهندسة والهيئة والفلسفة)، وعندما يبلغ التلميذ السابعة عشر من عمره يترك النحو جانبا ويقصد أساتذة المدن الكبرى مثل سيرتا وتبسة ومداوروش.[2] وبعد ذلك يقصد الشاب المثقف مدارس قرطاجة لإتمام دراسته العليا على يد المعلمين الكبار كفروتون وأبولي وتيرتوليان وسيبريان وأوغسطين.[3]

***منهجية التعليم في المدارس:**

نستشهد بقول أوغسطين في وصفه لأساليب التعليم آنذاك:" أن أطيع معلمي كي ألمع بين الناس وأبرع في الفنون الكثيرة الكلام التي تضمن لي مجدا بشريا وثروات زافة، وضعوني في المدرسة، طلبا للعلم، وكنت غبيا فلم أجد لها نفعا، وفضلا عن ذلك إن تكاسلت ضربوني، وكان كبار القوم يعدون أسلوب الضرب في التربية أسلوبا ممتازا، وكم ممن سبقونا نهجوا لنا نهجا و فرضوه علينا فوفروا لبني آدم تعبا كثيرا وألما أكثر".[4]

وكان من نتيجة انتشار هذه المدارس بروز العديد من العلماء الأفارقة كان لها صيتها في عالم الآداب اللاتينية والإغريقية، كالشاعر مانيليوس(Manilius) الذي عالج موضوع معرفة الغيب بالاستناد إلى الطالع،[5] و أبوليوس ابن مدينة مداوروش صاحب كتاب " الحمار الذهبي"، وأولوس جيليوس مؤلف" ليالي أتيكا" وهو دليل مختصر نوعا ما لتبادل أطراف الحديث بفاعلية أثناء حفلات العشاء، وعاصر أوغسطينوس الكاتب اللاتيني ماكروبيوس، الذي أمست تعليقاته على حلم" سيبيو" الكتاب السادس

[1] محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، (مرجع سابق)، ص220.

[2] حنا الفاخوري: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، (مرجع سابق)، ص729.

[3] محفوظ قداش: تاريخ الجزائر في العصور القديمة، (مرجع سابق)، 213.

[4] أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص16.

[5] محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، (مرجع سابق)، ص221.

من الجمهورية، مصدرا رئيسا للمعلومات المتعلقة بالفلسفة الأفلاطونية الجديدة للغرب في العصور الوسطى وعاصر أوغسطينوس أيضا مارتيانوس كابيلا.[1]

## المطلب الرابع: الجو الاجتماعي.

تميزت أفريقية الشمالية الرومانية بكونها موطن لخليط من الأجناس والعقائد، حيث أمتزج في أهلها الدم البوني و النوميدي بالدم الروماني،[2] فكانت مختلطة جدا؛ ففي المزارع كان الفلاحون مزيجا من البربر والفينيقيين الذين يتكلمون البونيقية، وفي الموانئ مثل "قرطاج" و"هيبو" كان كثير من التّجار يتكلمون اليونانية وتربطهم علاقات وثيقة بصقلية وجنوب إيطاليا؛ وهي المناطق التي كانت في تلك الحقبة يتحدث أهلها اليونانية على نطاق واسع ، لكن اللاتينية كانت لغة المتعلمين والجيش والإدارة وكانت ثقافة أوغسطين المنزلية والمدرسية لاتينية.[3]

أما عن وضعهم الاجتماعي والأخلاقي فلقد وصفها أوغسطين بقوله:" بغاء وشراسة، هوان وجرائم منسوبة إلى آلهة ينشرونها أو يخترعها الناس تحت التهديد، أعياد يقيمونها احتفاء بتلك القبائح تعرض أمام الناس ليقتدوا بها،[4] على هذا النحو يضرب الإثم الشعوب بأصواته الإباحية من الخارج، أما من الداخل فإن التصنع بالعفة يكاد يسر بصوت خفي في آذان عدد قليل من الناس، درسا في الرذيلة يعطى في الهواء الطلق وفي فسحة واسعة، أما النصائح الشريفة ففي السر تعطى، الشرف يختبئ والعار يعتلن، العمل السيء يدعو حشدا من المشاهدين ، أما الصالح فيكاد يجد بضعة مستمعين وكأن على الإنسان أن يخجل من الشرف ويمجد العار[5].

لقد كان المجتمع بأفريقيا الرومانية خاليا من كل انسجام وتماسك وتلاحم، مما ساهم في تكوين النظام الطبقي وتفشي الرذيلة وافتقار المجتمع من كل أنواع النظام الأخلاقي .

---

[1] هنري تشادويك: أوغسطينوس ( مقدمة قصيرة جدا)، (مرجع سابق)، ص14.

[2] ويل ديورنت: قصة الحضارة، (مرجع سابق)،مج4، ص55.

[3] هنري تشادويك: أوغسطينوس ( مقدمة قصيرة جدا)، (مرجع سابق)، ص.14

[4] أوغسطين: مدينة الله، (مصدر سابق)، ج1، ص103.

[5] المصدر نفسه، ص105.

## المبحث الثالث: مصادر الفكر الأخلاقي عند أوغسطين.

تعددت المشارب التي استقى منها أوغسطين فكره الأخلاقي ما بين محيطه والبيئة التي عاش فيها خاصة والدته، و المصادر الفلسفية واللاهوتية الدينية، ومما لاشك فيه أن هذا التنوع سيكون له بعد وأثر في تشكيل المنظومة الأخلاقية لأوغسطين.

### المطلب الأول: بيئته.

انتفع أوغسطين من مصادر تاريخية وأدبية متعددة، ولعل أولها وأهمها البيئة المحيطة به، والتي كان لها تأثير مباشر على تكوين فكره الأخلاقي وأقصد على وجه التحديد السيدة مونكا والدته والقديس أمبروز.

**الفرع الأول– والدته"مونكا":**

مونكا سيدة مسيحية ورعة، كان لها الأثر الكبير في تنشئة فكر أوغسطين منذ طفولته حتى اهتداءه للكاثوليكية، عرفت بالوداعة والاستقامة الأخلاقية،[1] يقول أوغسطين في وصف أخلاق والدته والتي تأثر بها ": وهبت خادمتك الأمينة التي خلقتني يا إلهي ورحمتني من أحشاءها خلقا كريما، إن وقع خلاف بين شخصين أو تباغضا كانت تسعى جهدها لإعادة السلام بينهما، ومهما سمعنا من المسبات والمطاعن التي تتقاذفها المتخاصمات المتنافرات فلم تكن والدتي تبلغ الغائبات عن تلك الأحاديث إلا من شأنه أن يلقي الصلح والسلام بينهن، وتلك المسبات لو وصلت إلى مسامع الغائبة لولدت خصاما ثانيا وخيم العاقبة.[2]

قد يبدو تصرف والدتي هذا لدي عملا عاديا، لو لم أعرف بالاختبار العدد العديد ممن لا أدري سبب إقبالهم على ارتكاب الإثم المنتشر في كل مكان ينقلون إلى مسامع أعداء ثائرين أقوال أخصامهم، وفضلا عن ذلك لا ينقلون الكلام كما هو بل يزيدون عليه، ويجدر بكل إنسان يحمل هذا الاسم ألا

[1] علي زيعور: أوغسطينوس ، (مرجع سابق)، ص100.

[2] القديس أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص183.

يفكر البتة بإشعال نار الخصومات وتغذيتها إن لم يعمل جهده على إطفائها بحسن الكلام، تلك كانت حال والدتي وأنت أستاذها قد علمتها ذلك في مدرسة قلبها الخفية".[1] وقد توفيت السيدة مونكا عن عمر السادسة والخمسين وكان أوغسطين في الثالثة والثلاثين من عمره.[2] ومما لاشك فيه أن أوغسطين قد أخذ وتأثر بأخلاق والدته حتى ولو بعد حين من عمره.

**الفرع الثاني– أمبروسيوس(340م–397م):**

كان "أوروليوس أمبروسيوس" قديسا وحاكما وأسقفا في ميلان أيام أوغسطين، يعد من أحد الرموز المؤثرة في قيام الكنيسة وتشييدها في روما، وهو من عائلة رومانية مسيحية، تعلم الأدب والقانون والبلاغة، كان أبوه حاكم فرنسا،[3] عرف بقدرته وفصاحته في الوعظ وبروعة التراتيل.

ولقد أقنعت مونيكا ولدها بالحضور إلى الكنيسة للاستماع إلى أمبروسيوس، فبدأ أوغسطينوس التردد إلى الكنيسة أسبوعيا، لتلبية حاجاته المهنية في اكتساب الأساليب الخطابية التي كان يستخدمها هذا الواعظ الكبير، ولكن في استماعه إليه وجد نفسه أخيرا مدفوعا إلى التأمل في محتوى ما كان يقوله أمبروسيوس في مواعظه، حيث كان هذا الرجل يعالج نفس القضايا التي أقلقت أوغسطين.[4]

كان لخطبه الوعظية وقع حسن وأثر عميق في نفس أوغسطين، وأصبح يشعر بميل وانجذاب نحو المذهب الكاثوليكي، وعند ذلك بدأ بإصلاح سلوكه وتهذيب حياته، وبعد بلبلة واضطرابات مؤلمة تدين بعقيدة أمه (المذهب الكاثوليك)، وقد تم تعميده من قبل القديس أمبروسيوس سنة م387 وكان عمره إذ ذاك 33 سنة، فتبرع بجميع ما يملكه من متاع الدنيا على الفقراء والمساكين.[5]

---

[1] القديس أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص184.

[2] المصدر نفسه، ص188.

[3] جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، ط3، ( دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، 2006م)، ص93.

[4] ربيين دانيال: التراث المسيحي في شمال إفريقيا، (مرجع سابق)، ص268.

[5] أحمد صفر: مدينة المغرب في التاريخ، (مرجع سابق)، ص367.

## المطلب الثاني: المصدر الديني.

أما المصدر الآخر له فكانت الكتب المقدسة والتي وجد فيها جميع أسس لاهوته وأخلاقه وتبتله، كما أنه كان يلم أيضا بالمؤلفات الآبائية، وسنقتصر على عهدي الكتاب المقدس ورسائل بولس.

### الفرع الأول: العهد القديم.

**أولا–تأثره بمزامير داود:**

اعتمد أوغسطين في كثير من استشهاداته الأخلاقية على سفر مزامير داوود باعتباره يحتوي على مجموعة كبيرة من الشعر العبري الديني، حيث يقول في اعترافاته :"وبينما أقرأ مزامير داود، تلك الأناشيد الإيمانية والترانيم التقوية التي من شأنها أن تخفض روح الكبرياء...كم وكم صعدت نحوك من هتافات أثناء قراءتي المزامير وأي حب لك متقد لم أقتبس منها، وتمنيت لو أنني تلوتها بما أمكنني من حماس، للعالم بأسره لكي أدحض مزاعم الجنس البشري، ألا ينشدها الناس في كل الأرض؟[1]

وقد احتوت المزامير على عدة فقرات تتكلم عن القيم الأخلاقية التي كان لها الوطء الكبير في روح أوغسطين ومن الأمثلة التي عناها أوغسطين:

أ– "**حتى ما تظل قلوبكم مثقلة يا بني البشر، تحبون الباطل وتبتغون الكذب**"[2]ويعقب أوغسطين عليها:"ذلك بدأ في عيني وعلى وجهي حين وجه إلينا روحك الصالح كلامه قائلا وأنا جهلت كل شيء مدة طويلة، أحببت الباطل وابتغيت الكذب ولهذا أضربت لدى سماعه متذكرا أنني كنت على مثال أولئك الذين عناهم هذا التحذير... يا ليت الذين يحبون الباطل يسمعونها اليوم ويبحثون عن الكذب، علهم منه يخافون، فيتقيئون ضلالهم وتستجيب صراخهم لأن من يشفع بنا قد مات حقا عنا بالجسد". [3]

ب–" **اسخطوا ولا تخطأوا**"[4] يقول أوغسطين:" أثرت فيّ حقّا هذه الكلمات، يا إلهي أنا الذي تعلمت أن أسخط على ذاتي بسبب ماضي كيلا أخطأ فيما بعد، إنه لسخط شرعي، لأن الطبيعة التي

---

[1] أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص173

[2] مز2/4.

[3] أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص174.

[4] مز4/4.

استخدمتني للخطيئة لم تكن طبيعة من طباع الظلمات كما يدعي من لا يسخطون البتة على أنفسهم بل يدخرون لأنفسهم غضبا ليوم الغضب واعتلاء دينونة الله العادلة".[1] نلاحظ في هذا التعقيب لأوغسطين نوع من الدعوة للتوبة وإصلاح النفس.

**الفرع الثاني: العهد الجديد.**

مما لا شك فيه أن فكر أوغسطين الأخلاقي قد تشرب من ينبوع العهد الجديد سواء من الأناجيل أو رسائل بولس.

**أولا–الأناجيل:**

سنكتفي هنا بالإشارة إلى بعض الفقرات من إنجيل متى على لسان السيد المسيح:

**أ–قد سمعتم أنه قيل للقدماء :" لا تقتل ومن قتل يكون مستوجب الحكم، وأما أنا فأقول لكم: إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم"**[2]

**ب– قد سمعتم أنه قيل للقدماء :" لاتزن، وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه".**[3]

ج–يقول الإنجيل:" **سمعتم أنه قيل: تحب قريبك، وتبغض عدوك، وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم، باركوا لاعينيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا من أجل الذين يسيئون إليكم**".[4]

فالأناجيل تقرر مبدأ حرمة الدماء والأعراض والأموال وهي من القيم الأخلاقية العالمية، بل ويزيد المسيح على تعاليم العهد القديم بالعمل على سد المنافذ التي تؤدي إلى تلك الرذائل وقبيح الأفعال كالقتل و الزنا و السرقة.

---

[1] القديس أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص175.

[2] مت 5/21-22.

[3] أبو ضيف المدني: الأخلاق في الأديان السماوية، ط1، (دار الشروق، مصر ، 1988م)، ص33.

[4] مت5/27-28.

**ثانيا– بولس:**

إن ما أكمل مذهب أوغسطين وأتم تطوره الروحي هو قراءته للقديس بولس،[1] وتأثره برسائله ويقول في ذلك:" انصببت بشغف على مطالعة الكتب الجديرة بالاحترام ، التي من روحك وبخاصة على كتب بولس الرسول، فإذا بتلك الصعوبات التي خيل إلي أن بولس يناقض ذاته فيها، تتلاشى، وإذا بأقوال الناموس والأنبياء لا تتلاءم وكلامه، وظهرت لي الوحدة بين آيات الكتاب النقية وتعلمت أن" ابتهج برعدة"، وحين أخذت أعمل أدركت أن كل صحيح قرأته في كتب أفلاطونية حديثة قد جاء هنا في كتبك ممهورا بنعمتك. [2]

**المطلب الثالث: المصدر الفلسفي.**

للفلسفة اليونانية تأثير واسع النطاق على الفكر المسيحي المبكر، ساهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في تكوين الفلسفة اللاهوتية والمنظومة الأخلاقية لأوغسطين، وفي هذا المطلب سنركز على أهم المنابع الفلسفية التّي تشرب منها أوغسطين.

**الفرع الأول– فلسفة أفلوطين( الأفلاطونية الجديدة):**

لم يكن أوغسطين يؤمن بالطائفية الضيقة التي ميزت المدارس الفلسفية آنذاك لذلك اختار ألا يتماشى مع أي مدرسة.[3] وقد كانت مصادر أوغسطين الفلسفية مقصورة على الكتب اللاتينية لأنه لم يكن يحسن اليونانية في شبابه، ثم أجادها فيما بعد لمراجعة ترجمات الأسفار المقدسة، ولا يلوح أنه استخدمها للإطلاع على الكتب اليونانية؛[4] خاصة الفلسفة الأفلاطونية الحديثة التي فتنت عقله في نهاية المطاف (عندما بلغ 31من عمره)[5] التي تعود إلى أفلوطين (205–270م) وقدمها بهمة ونشاط إلى العامة تلميذه ومحرر أعماله ومؤلف سيرته الذاتية "فرفوريوس" حوالي (232_305م)، ورغم أن

---

[1] إتين هنري جلسون: الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، ط3، (مكتبة مدبولي، الكويت ، 1996م)، ص63.

[2] القديس أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص142.

[3] Augustine: On the free choice of the will, on grace and free choice, and other writings.( Op.cit). P12.

[4] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، ط1،(دار العالم العربي، مصر، 2010م)، ص29.

[5] هنري تشادويك: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص16.

أفلوطين ألقى تعاليمه في روما، بينما عاش "فرفوريوس" جزء من حياته في صقلية، فإن الاثنين ألّفا باليونانية حصريّا ورغم تجريد الأفكار وتعقيدها كان لأفلوطين و"فرفورفيوس" أثر هائل في الغرب اللاتيني والشرق الإغريقي على حد سواء، و قد أعلن أوغسطين في أوج حماسه الأول للأفلاطونية أنه وجد في أفلوطين " أفلاطون يبعث إلى الحياة مجددا".

وباستيعابها (المذهب الأفلوطيني) المذاهب الأساسية للأخلاق الرواقية وقسما كبيرا من المنطق الأرسطي أيضا، أمست الأفلاطونية الجديدة مهيمنة بالكامل على كل المواقف الفلسفية الأخرى في أواخر العصور القديمة، وقد تم ترجمت أعمال أفلوطين وفرفوريوس إلى اللاتينية على يد "ماريوس فيكتورينوس الإفريقي"*[1] تقريبا في الفترة التي ولد فيها أوغسطين؛[2] حيث يقول أغسطين:" اطلعت على عدة كتب أفلاطونية ترجمها إلى اللاتينية فيكتورينوس أستاذ الفلسفة سابقا في روما الذي مات نصرانيا".[3]

**الفرع الثاني– تأثره بشيشرون( 106_43 ق م):**

هو ماركوس توليوس كيكرو، أما "شيشرون" فهو تعريب لصيغة اسمه بالإيطالية، فيلسوف وسياسي وأديب روماني كبير، ولد عام 106 ق.م أيام الثورات أو عصر الحروب الأهلية، جاء إلى روما صغيرا وتلقى تعليما ممتازا في البلاغة والفلسفة والقانون واللغة الإغريقية، ولع بدراسة الفلسفة منذ صغره فتلقاها على يد أساتذة من الأبيقوريين والرواقيين وأتباع الأكاديمية الجديدة.[4] وله العديد من الكتب أهمها:" المقالات الأكاديمية"؛كتاب "غايات الخيرات والشرور".[5]

---

[1]*فيكتوريانوس: معلم البيان في روما، ذاعت شهرته حتى نصب له تمثالا في روما، وقد ترجم بعض كتابات أرسطو وبعض رسائل أفلوطين كما ترجم بعض كتابات الأفلاطونية الجدد... وقد اعتنق المسيحية وألف كتب لاهوتية عديدة. (القديس أوغسطين: في شرح الموعظة على الجبل، (مصدر سابق)، 18).

[2] هنري تشادويك: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص17.

[3] القديس أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص147.

[4] شيشرون: علم الغيب في العالم القديم، ترجمة: توفيق الطويل، دط، (مكتبة الآداب بالجماميز، مصر، دت)، ص7-8.

[5] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، (مرجع سابق)،ص21.

***تأثر أوغسطين بشيشرون:** بالرغم أن أوغسطين لم يتلقى تعليما فلسفيا مباشرا من شيشرون إلا أنه أخذ منه شغف الحكمة والبحث عن الحقيقة أينما وجدت،[1] حيث قرأ أوغسطين له محاورة "هورتنسيوس" سنة 373؛ التي كان لها الأثر الفوري عليه أن فكر جديا في قضايا أخلاقية ودينية.[2] فلقد وجد أوغسطين في كتابات شيشرون ما حقر في نفسه؛ الغنى؛ المجد البشري؛ والشهوة ومال به إلى تطلب المتعة التي توفرها دراسة الفلسفة،[3]التي كانت بمثابة مدرسة علم وفضيلة، ووسيلة الحياة السعيدة، مما جعل أوغسطين يشتاق إلى حياة العفة وإلى البحث عن الحقيقة،[4] فيقرر أن الفضيلة غاية الحياة دون اللذة، وأن القوانين الوضعية يجب أن تقوم على القانون السرمدي، وأن القانون غير العدل لا يلزم، وأن الإثم أعظم الشرور،[5] وقد كان أوغسطين كثيرا ما يستشهد بآراء شيشرون كقوله": يطلعنا شيشرون في كتبه عن الجمهورية...وغيرها".[6]

فششرون إذن أقوى أثر استرشد به أوغسطين فيما يخص بالمسائل الفلسفية والأخلاقية، خاصة محاورة " هورتنسيوس" التي كان لها اثر تشجيعي غير مسبوق في أعمال أوغسطين.

**الفرع الثالث– تأثره بأفلاطون:**

كان تأثر أوغسطين بأفلاطون عن طريق فورفيوس عن أفلوطين،[7] أما أفلاطون فلم يعرفه حق المعرفة، المعرفة، وكان يعتقد أن الأفلاطونية والأفلوطنية الجديدة مذهب واحد، فقال في كتاب الرد على الأكاديميين:" إن أفلوطين شديد الشبه بأفلاطون حتى ليمكن الاعتقاد أن أفلاطون بعث في أفلوطين.[8]

---

[1] Augustine: On the free choice of the will, on grace and free choice, and other writings. Op.cit. P12.

[2] هنري تشادويك: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص18.

[3] حنا الفاخوري: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، (مرجع سابق)، ص729.

[4] أوغسطين: في شرح الموعظة على الجبل، (مصدر سابق)، ص11.

[5] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، (مرجع سابق)، ص21.

[6] أوغسطين: مدينة الله، (مصدر سابق)، ج1،ص72.

[7] هنري تشادويك: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص24.

[8] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، (مرجع سابق)، ص29.

أما عن رأيه في أفلاطون فيكمن في قول:" يعطى أفلاطون وسام سعف العدل الذي فكر بطرد الشعراء وكأنهم أعداء لما فكر في إنشاء دولة مثالية ... إنسان يطرد الكذب من المدينة في حين نرى الآلهة يطالبون بالألعاب المسرحية بمثابة تكريم لهم الآلهة يريدون أيضا أن تكون تلك المسرحيات موجهة إليهم من دون سواهم بشكل احتفالي، ويسأل أوغسطين: من ذا الذي يليق به التأليه؟ أهذا الحكيم الذي يحرم هذا العدد الضخم من المشاهد الإباحية أو أولئك الأبالسة المعجبون بأضاليل البشر.[1] فأفلاطون قام ضد شهوة الآلهة المخجلة هذه، كما أنه حارب تلك المسارح التي تنشر الرذائل بدعاية علنية لجرائمهم الحقيقية أو الخيالية إذكاء لنيران غرائز الإنسان المخجلة وكأنها مقبولة إلهيا، كما أن أفلاطون الذي جاهد طويلا ضد شرور النفس البالغة الشؤم وتأثيرها المأساوي في الأخلاق البشرية من خلال أعماله النبيلة إلا أنهم لا يرونه جديرا بأن يكون في أحقر هيكل".[2]

فمن خلال قوله هذا نرى تلك النظرة التقديرية التي يكنها أوغسطين لأفلاطون باعتباره رجل أخلاق وفضيلة، إلا أنه لم يحظى بالاهتمام من قبل معاصريه لأنه ثار ضد الرذيلة المثارة والشغوفة باسم الآلهة.

مما سبق نرى أن الفلسفة التي أخذ منها أوغسطين كانت مستقاة من المذاهب الرواقية كوحدة الفضائل ونبذ الرذائل، وحكم العقل على العواطف، وتحديد الفضيلة والسعادة.

## المطلب الرابع: المانوية.

### الفرع الأول– تعريفها:

انتشرت المانوية بسرعة بين الوثنيين وبعض الجماعات المسيحية في القرنين الثالث والرابع، تعود إلى مؤسسها مانس Manes الذي ولد في 216م في جنوب بابل، و "مانس" هذا قد علّم مثل الزرادشتيين في فارس القديمة؛ بأن الحياة هي صراع أبدي بين النور والظلمة بين الله والشيطان بين الخير والشر، بين الروح والجسد،[3] كما عبرت عقيدته عن النفور من العالم المادي و اعتبرت أن الجنس والظلام

[1] أوغسطين: مدينة الله، (مصدر سابق)، ج1، ص79.

[2] المصدر نفسه، ص81.

[3] ربيين دانيال: التراث المسيحي في شمال إفريقيا، (مرجع سابق)، ص263_264.

والظلام مرتبطان بعلاقة وثيقة وكان الظلام هو جوهر الشر نفسه،[1] فالعالم المادي بما فيها الخليقة ما هي إلا ظلام وشر، و أن الجسد ليس إلا سجنا للروح، لذا فالزواج و الإنجاب عندهم أعظم الشرور، وأما عن الخلاص فهو لا يتحقق في نظرهم عن طريق كفارة المسيح، بل عبر زهد مستمر يفرضه المرء على نفسه، على أن يقوم يسوع بدور المساعد نحو النور. وقد كان هناك مجموعات من المانويين في كل من "قرطاجة" و"هيبو"، تضم رهبانا قد عزموا على إتباع سياسة التقشف الصارم، ونظام العزوبة الذي يختص بأولئك الذين يطبلون "الكمال"، وكأي جماعة جديدة متطرفة قوبل المانويين بكراهية شديدة وبعداء كبير في كثير من الأماكن والأصقاع، كما أنهم عانوا الاضطهادات أكثر من المسيحيين أنفسهم.[2]

زعم المانويون أنهم يملكون الإجابة الوحيدة المرضية لإشكالية الشر؛ فهو بالنسبة إليهم قوة لا سبيل لاستئصالها راسخة في بنية العالم المادي، وما من أحد يمكن أن يزعم بشكل منطقي بان الخالق المطلق لهذا العالم المضطرب يمكن أن يكون على كل شيء قدير وفي الوقت نفسه خيرا جدا، وإذا شئنا للحجة أن تكون متماسكة، فلابد من التضحية إما بالقدرة المطلقة وإما بالخيرية المطلقة، ولقد سلم معلمو المانوية بأن كل الناس يعلمون دون المزيد من الإسهاب أو البحث والتمحيص المقصود من كلمة "شر"[3].

**الفرع الثاني– اعتناق أوغسطين للمانوية.**

لما بلغ أوغسطين التاسعة والعشرين من عمره اعتنق المانوية لمدة تسعة سنين ضانا أنهم ينادون بالعفة التي طالما اشتاق إليها،[4] ويروي أوغسطين عن إعجابه بفصاحة الأسقف فوستوس المانوي فيقول:" كان في قرطاجة أسقف مانوي اسمه فوستوس وكان أحبولة شيطانية، استمال إليه الكثيرين بفصاحته، ومع أني أعجبت ببيانه فقد عرفت أن أميز بينه وبين الحقائق التي أتوق إليها، ولذا لم أكترث للقالب الذي يصوغ فيه خطابه بل وجهت اهتمامي إلى الغذاء العلمي الذي يقدمه لعقلي، ولا سيما

[1] هنري تشادويك: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص20.

[2] ربين دانيال: التراث المسيحي في شمال إفريقيا، (مرجع سابق)، ،ص263_264.

[3] هنري تشادويك: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص20.

[4] أوغسطين: في شرح الموعظة على الجبل، (مصدر سابق)، ص 14.

بعد أن ذاع صيته، وعلمت أنه متعمق بجميع العلوم الشريفة والمعارف الحرة[1]... ولما كنت مطلعا على عدة كتب فلسفية وحافظا لمبادئها في ذهني أخذت أقارن بين بعضها وبين خرافات المانويين الطويلة، واتضح لي رجحان الكفة لدى الذين فهموا العالم وإن كانوا عاجزين عن الوصول إلى خالقه".[2]

تخلى أوغسطين عن المانوية بعد محاورته للمعلم "فوستوس" الذي اكتشف أن قدرته على البيان أكبر من قدرته على المحاجة الفكرية، عوضا عن ذلك اتضح أن الحياة الأخلاقية لطبقة الصفوة التي زعم منتسبيها لأنفسهم الكمال المعصوم ليست عذرية كما كان يفترض، وهذا ما جعل أوغسطين يبحث عن بدائل للمانوية. [3]

**الفرع الثالث–تأثره بالمانوية:**

بعدما تخلى أوغسطين عن المانوية أصبح خصما مريرا لهم، وبالرغم من ذلك فإنه قد تأثر في كتاباته اللاهوتية ببعض الاتجاهات المانوية خاصة فكرة الخير والشر،[4] ومزجها بالأفكار الفيتاغورسية الجديدة المتعلقة ب"النسبة" باعتبارها عنصرا من عناصر جمال الكل، و " الجوهر الفرد" الخير ( الواحد واحد وحده وسيظل هكذا أبد الآبدين) في مقابل الشرّي التعددية اللامتناهية .[5] فأوغسطين لا يجد حرجا في العودة إلى الكتابات غير المسيحية مثل علاقته بالمانوية ، ولا شك أن هذا الأمر يعد سمة مميزة لأوغسطين أكثر من غيره من اللاهوتيين في تلك المرحلة والسبب في ذلك هو اعتقاده في وجود حقيقة واحدة يتم التعبير عنها بطرق شتى. [6]

وأهم ما أخذ عن المانوية فكرة الصراع ولقد رأينا أن معاكسته بين مدينة الله ومدينة الشيطان هي الفكرة المانوية القائلة بأن قوتين تتنازعان العالم أي بين روح الخير وروح الشر.

---

[1] أوغسطين: اعترافات، ( مصدر سابق)، ص79.

[2] المصدر نفسه، ص81.

[3] هنري تشادويك: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص22.

[4] نورمان ف. كانتور: التاريخ الوسيط قصة حضارة، (مرجع سابق)، ج1، ص108.

[5] هنري تشادويك: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص22.

[6] معز مديوني: مقدمة لقراءة فكر أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص38.

نستنتج أن أوغسطين لم يضع أية حدود بين الفلسفة والدين، حيث تنوعت مصادر فكره الأخلاقي مما عكس ذلك على أعماله وميزت العصر الوسيط، وشكل بذلك عصر إيديولوجي تميز بفكر مزدوج ما بين اللاهوت و الفلسفة وأخلاق.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## المبحث الرابع: الإنسان ومكوناته وقواه.

إن البحث والنظر في موضوع الفضائل يقودان إلى النظر في صورة الإنسان الذي هو رأس المخلوقات وسيدها، فقد تميز عن سائر الكائنات الحية بما أودعت فيه من روح وعواطف وقوى عقلية، حتى صار غنيّا بالإمكانيّات ومتنوع النشاطات، وهو الكائن المعني بعمارة الأرض فصلاحها وخرابها مرتبطان بفكره وسلوكه، فالإنسان الصالح من جوهر قلبه الصالح يخرج الصلاح، والإنسان الشرير من جوهر قلبه يخرج الشر، لذا خصصنا هذا المبحث للحديث عن الإنسان (مكوناته و قواه) حسب فكر أوغسطين.

### المطلب الأول: مكونات الإنسان.

خصصنا هذا المطلب للحديث عن ماهية الإنسان حسب تصور نصوص الكتاب المقدس وفكر أوغسطين، ثم انتقلنا إلى أهم العناصر التي تكونه( النفس والروح والقلب).

**الفرع الأول–تعريف الإنسان:**

مما لا شك فيه أن أوغسطين قد عالج الكثير من القضايا اللاهوتية والفلسفية استنادا على بعض فقرات العهدين (الكتاب المقدس) وهذا ما عرجنا عنه آنفا.

فلقد ذكر الإنسان ولفظة إنسان في العديد من المواضع خاصة سفر التكوين الذي يروي قصة الخلق وكيف خلق الإنسان؛ " **وقد جبله الله من تراب الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة**"،[1]وقد خلقه على صورته" **خلقه الله على صورته**"[2]، ويشير بولس إلى أن التشابه هذا يكمن في البر وقداسة الحق ،[3] كما أن له سلطة على الحيوانات "**وقد أعطى الإنسان سلطانا على الحيوانات** ".[4]

---

[1] تك 7/2.

[2] تك 26/1 -27.

[3] أف24/4، وكو3/9-10.

[4] تك26/1-28.

وأما أوغسطين فيرى أن "الإنسان روح تستعمل جسدا فيشكل وحدة النفس والجسد،[1] وهو يتميز عن الحيوان لكونه عاقلا، وعن الملائكة لكونه ذائقا الموت، ليس هو إذن جسد من جهة، ونفس من جهة أخرى ، هو مركب منهما معا،ولا يستطيع أن يعيش إلا بكليهما معا".[2]

*وقد تميز أوغسطين عن غيره في هذا المضمار بنقطتين هامتين :

**أ–** تشديده بشكل خاص وجلي على وحدة النفس، وبدلا من أن يحددها تبعا للإنسان فإنه يعرفها مباشرة وفي حد ذاتها بالقول أنها جوهر عاقل صنع لكي يدبر الجسم، وسنفصل في هذا الأمر فيما بعد.

**ب–** ومن جهة ثانية، تعريفه للإنسان بحكم كونه "جوهرا مركبا من جوهر ثان هو النفس ومن جوهر ثالث هو البدن، على هذا فإن الإنسان هو نفس عاقلة تستخدم بدنا، وأن الجسم هو شيء ممتد طولا وعرضا وعمقا له أبعاد، ويحتل حيزا ما، وبما أنه لا شيء من هذه الصفات يؤوب إلى النفس، فإن النفس ليست الجسم ليس للنفس امتدادا ولا أبعادا.[3]

إذن فالإنسان حسب المفهوم الديني (المسيحي واليهودي) مخلوق طيني ترابي، نفخت فيه روح حية، وهو شبيه بالله بما أودعه فيه من قوى العقل والمعرفة؛ فأعطيت له السلطة على سائر الكائنات الحية الأخرى. وقد مزج أوغسطين هذا المفهوم مع قبلياته الفلسفية، فما أن يتفلسف أوغسطين حتى يقع في التحديد الأفلاطوني للإنسان باعتباره وحدة متكونة من نفس وجسم لا يمكن الفصل بينهما.

**الفرع الثاني_ القلب:**

يعتبر القلب أهم عضو عضلي في جسم الإنسان والحيوان على حد سواء؛ وهو ليس مجرد آلة لضخ الدم عبر الأوعية الدموية لكامل الجسم للحفاظ على الحياة، بل هو مركز العواطف الجسدية والروحية.

---

[1] شارل الحلو: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ط1،( دار الكتب العلمية، لبنان، 1992م)، ج 1، ص156.

[2] علي زيعور: أوغسطينوس، ط1، (دار اقرأ، لبنان، 1983م)، ص170.

[3] المرجع نفسه، ص189.

**أولا_تعريف القلب:**

يعتبر القلب مركز العواطف الجسدية كانت أم روحية " **توكلوا عليه في كل حين يا قوم ،اسكبوا قدامه قلوبكم الله ملجأ لنا**"،[1] كما أنه المسؤول عن الرغبة:" **فبينينا السور واتصل كل السور إلى نصفه وكان للشعب قلب في العمل**"[2]، وبحسبه تكون طبيعة الإنسان الروحية معوجة أو مستقيمة؛ "**قلب معوج يبعد عني، الشرير لا أعرفه، الذي يغتاب صاحبه سرا هذا أقطعه، مستكبر العين ومنتفخ القلب لا أحتمله**"؛[3] "**أحمدك باستقامة قلب عند تعلمي أحكام عدلك**".[4]

كما يوصف القلب البشري في فقرات الكتاب المقدس بأنه ملآن من الشر والحماقة؛ "**هذا شر كل ما عمل تحت الشمس إن حادثة واحدة للجميع، وأيضا قلب بني البشر ملآن من الشر والحماقة في قلبهم وهم أحياء وبعد ذلك يذهبون إلى الأموات**"،[5]وأنه أخدع من كل شيء وهو نجس؛ "**القلب أخدع من كل شيء وهو نجيس من يعرفه**"؛[6] وهو أيضا مقر الإيمان؛" **لأن القلب يؤمن به للبر، والفم يعترف به للخلاص**"،[7]وأن الله ينظر إلى القلب؛ "**لأن الإنسان ينظر إلى العينين، وأما الرب فينظر إلى القلب**"،[8] وإذا قُصد تأكيد وقوة العاطفة نسبت إلى القلب كما قيل " **تحب الرب إلهك من كل قلبك**".[9]

ويصفه أوغسطين بالكسل والعمى والقبح:" هذه هي حال القلب البشري، إنه أعمى وكسول، حقير وقبيح ويريد أن يبقى خفيا، ولا يرضى بأن يظل شيء مخفيا عنه، فلا يستطيع أن يخفى عن نظر

---

[1] مز 8/62.
[2] نح 6/4.
[3] مز 4/101 -5.
[4] مز 7/119.
[5] جا 3/9.
[6] إر9/17.
[7] رو 10/10.
[8] 1 صم 7/16.
[9] مت 37/22.

الحقيقة بينما الحقيقة خارجة عن مدى نظره وبرغم شقاءه يفضل أن يجد فرحه في الحقيقة لا في الكذب، وسيكون سعيدا بلا ضوضاء ولا عراقيل وسيتمتع بالحقيقة وحدها ، مصدر كل حقيقة.[1]

**ثانيا– المحافظة على وظيفة القلب:**

ونقصد هنا الكيفية التي يراها أوغسطين فعالة لإصلاح حال القلب إذ نجده في خواطره يقول: "اختر ما يجب أن يكون في قلبك كن مليئا بالخير من الداخل حيث يرى الله ولا يرى الإنسان، أصغ إلى الرب؛ إياك أن تعمل برّك بمرأى من الناس لكي ينظروا إليك، وفي أعمالك الصالحة العلنية لا تبحث عن مجدك بل عن مجد الله ، اقنع بمن يرى ما في الباطن واعمل على أن يكون محبا محبوبا من الباطن ذاك الذي صنع إنسانك الباطني وما فيه من جمال، فإن خلوت من الجمال الباطني ذاك الذي صنع إنسانك الباطني وما فيه من جمال، المسيح يرى ضميرك فيحبك فيه، وفيه يتحدث إليك ويعاقبك ويكافئك، إن خلوت من الجمال الباطني فأي نفع لك من كل ما سواه؟ كن تقيا يكن لك في قلبك أمان وسلام، شرط أن يظل إيمانك يقظا لأنه إن نام هلكت،[2] **هنيئا لك فرحك حين تدخل إلى قلبك ولا تجد فيه شرا، نقّ فؤادك لتتمكن من الدخول إليه مرتاحا**".[3]

ومن بين الصفات والأخلاق التي ركز عليها أوغسطين في مداواة القلب هو الابتعاد عن الشهوة والبخل والجهل والبغضاء فيقول:" انزع منه أوساخ الشهوات وآفة البخل وطاعون الخرافات، وانزع منه ما به انتهكت الأقداس ونقه من الأفكار الشريرة والبغضاء".[4]

إذن فأوغسطين يرى أن القلب موضع نظر الله، فيه يعاقب أو يكافئ الإنسان؛ لذا أولى له أهمية بالغة لإصلاحه، حيث أوصى من أجل صلاحه أن يمتلئ بالخير وأن يكون سليم النية مخلص من أجل الله ليس من أجل الرياء لأن بصلاح القلب يكون صلاح باطن الإنسان، كما أن طهارة القلب وسلامته مرتبطان بالإيمان.

---

[1] أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص216.

[2] أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، ترجمة: يوحنا الحلو، ط7 (دار المشرق، لبنان، 1970م)، ص178.

[3] مت 8/5.

[4] أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، (مصدر سابق)، ص178.

**ثالثا– علاقة القلب بالسلوك أو الفعل الأخلاقي:**

سأركز في هذه النقطة على مراحل دخول الرذيلة (أو حتى الفضيلة ) من القلب إلى الحواس حتى تصبح عادة.

يرى أوغسطين أن الخطيئة تكون على ثلاثة مراحل هي: الإثارة؛ اللذة؛ إرضاؤها . و قد شبه هذه الأصناف الثلاثة بثلاثة أموات:

**أ_الميت الأول**: كما لو كان في المنزل ولم يحمل بعد. وذلك عند إرضاء الشهوة في القلب. وهنا تمثل مرحلة الإثارة

**ب_الميت الثاني**: كما لو كان قد حمل خارج المنزل، وذلك عندما يبلغ الرضا حد التنفيذ ( دون أن تكون الخطية قد صارت عادة بعد).

**ج_ والميت الثالث**: كما لو كان في القبر فاسدا( أنتن) وذلك عندما تكون الخطية قد بلغت حد العادة.[1]

فالميت الأول الذي مزال في منزله ولم يحمل بعد يمثل الخطيئة التي تقع في القلب أول مرة، مثلا كالشخص الذي يتعاطى المخدرات لأول مرة والذي يتلذذ بها، فالخطيئة هنا مازالت لم تحدث وطئ سيء في القلب بعد، كذلك الجسد هنا مزال على طبيعته إلا أنه فقد الحياة الآنية فقط، أما الميت الثاني الذي حمل خارج منزله الذي شبهه أوغسطين بتكرار الخطية دون أن تصبح عادة بعد (تعاطي المخدرات مرتين أو ثلاث مرات بفترات زمنية متباعدة لكن يمكن معالجتها بسهولة)، الميث الثالث الذي فسد ونتن جسد بالقبر بمثابة الخطية التي أصبحت عادة وإدمان والتي يصعب معالجتها (إدمان المخدرات).

[1] أوغسطين: في شرح الموعظة على الجبل لأوغسطين، (مصدر سابق)، 91.

**الفرع الثالث– الروح:**

تعتبر الروح من المفاهيم الغامضة التي استعصت على كثير من العلماء والفلاسفة في تحديد ماهيتها، وقد ذكرت بعدة معان في مصطلحات الكتاب المقدس، إلا أن أوغسطين أخذ منها معنى واحد وهو النفس العاقلة للإنسان.

**أولا_ تعريف الروح:**

كما أشرنا لقد جاءت لفظة "روح" في العهدين القديم والجديد بعدة معان فهي كائن غير مادي، وهي من مكونات الإنسان و العنصر المميز للإنسان عن الحيوان.

الروح كائن غير مادي قد يلبس أو لا يلبس جسدا، وقد وصف الله بأنه روح؛ "**الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا**"،[1] وقيل عن الملائكة الذين لا جسد لهم أنهم جميعهم أرواحا خادمة؛ "**أليس جميعهم أرواحا خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص**"،[2] ويقول بولس:" **ولتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا ألم**".[3]

فالجسد هو الجزء المادي في تكوين الإنسان؛ أما النفس فهي عنصر الحياة الحيوانية فيها يشترك الإنسان مع الحيوان، وعليها يتوقف الفهم والحركة والحساسية، كما أنها تتوقف عند الموت، والروح هي العقل، العنصر الخالد، ومصدر الإرادة والضمير، خلق الله الإنسان بإعطاء حياة لجسد الذي صوره ثم يخلق روح عاقلة وهبها للإنسان؛ "**وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية**"،[4]وعند الموت؛ "**يرجع التراب إلى الأرض كما كان، وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها**".[5]

---

[1] يو4/24.

[2] عب1/14.

[3] 1تس 5/23.

[4] تك2/7.

[5] جا12/7.

**ثانيا–الفرق بين الروح والنفس:**

النفس الحية في الحيوان؛ " **وقال الله: لتخرج الأرض ذوات أنفس حية كجنسها؛ بهائم، ودبابات ووحوش أرض كأجناسها**"[1] هي مجرد نفس حيوانية ومادية في طبيعتها وتهلك مع الجسد، وهي التي قيل عنها" **لأن نفس الجسد هي في الدم، فأنا أعطيتكم إياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم، لأن الدم يكفر عن النفوس**".[2]

أما النفس الحية في الإنسان فهي عنصر أسمى هي النفس العاقلة التي نفخها الخالق في الإنسان وجعلها على صورته، ولهذا ففي كثير من الأحيان تستعمل لفظة "روح"في الكتاب بدل النفس، ولفظة النفس بدل الروح، ولهذا يعتقد كثيرون أن هناك عنصرين فقط في الإنسان الجسد ويشمل النفس والروح.[3]

فالنفس الحيوانية إذن غير خالدة وتفنى بفناء الجسد وهي متعلقة بوجود الدم في الحيوان. أما كلمة الروح فيختص بها الإنسان دون الحيوان لأنها هي النفس العاقلة.

**ثالثا– حقيقة الروح:**

يرى أوغسطين أن الروح ولو كانت مخطئة فهي خالدة كما أنها تحتفظ إلى الأبد بمسحة من الصورة والشكل الإلهيين، حيث قال: " حتى الروح الساقطة تظل صورة الرب وقادرة على معرفة الرب؛ فالروح تحتفظ بعلامات العقلانية والحرية التي تعد مغزى صورة الرب التي يهبها للإنسان بواسطة الخلق".[4]

وقد ذكر أوغسطين أن الإنسان مكون من روح وجسد في قوله:" أنت أيها الرب إلهي، أعطيت الأطفال جسدا وروحا، أعطيتهم جسدا كاملا وقلدتهم حواسا بها يشعرون كما جعلت لهم أعضاء قوية

---

[1] تك1/24.

[2] لاو 17/11و14.

[3] مجموعة من المؤلفين: قاموس الكتاب المقدس، ط10، ( دار الثقافة ، 1995م)، ص280.

[4] هنري تشادويك: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص46.

وجملت ظاهرهم ووضعت فيهم عنصرا باطنيا ليكون مبدأ كل حياة وبقاء".[1] بحيث لا يمكن للإنسان أن يتواجد بماهية محددة دون هذه العلاقة بين هذين المكونين، فقد ذكر أن اتحاد الروح والجسد ينشئ سلطة للأول على الثاني، ويميز أوغسطين ثلاث درجات في الروح الإنسانية؛ الحكمة والجوهر والتغيير، فالحكمة تصمم العلاقة بين الروح والجسد و هي مكملة لقدرة ثانية تدعى الجوهر؛ التي تتعلق بتصميم أو تمييز التعابير الجسدية ليأتي "التغيير" وينتج معرفة متساوية للأشياء المحسوسة ونظم مبادئها، فالتغيير سبب رئيسي للفكر الذي بدوره يرفع بالإنسان إلى درجة الحكمة.[2]

**رابعا– علاقة الروح بالأخلاق والسلوك:**

**أ_ علاقتها بالسلوك:**

يقول أوغسطين:" الأعضاء للجسم، لهذا وظيفة ولذلك أخرى، إن الله قد صنع الجسد وحيدا ولكنه لم يعط الأذن أن ترى والعين أن تسمع والجبين أن يشعر واليد أن تذوق، إنما أعطى سائر الأعضاء الصحة والارتباط والوحدة وأحيى الكل ووحدهم كذلك بالروح".[3]

**ب_ علاقتها بالأخلاق.**

رغم أن أوغسطين انشق عن الرأي الأفلوطيني القائل بأن الشر ينبع من المادة فإنه وافق على أن التبعية الرئيسية للاختيار الخاطئ للروح هي أنها أمست مرتبطة بشكل وسواسي بالجسد، والمادة بحد ذاتها محايدة أخلاقيا، ورغم ذلك فبمقتضى حقيقة كونها مخلوقة من العدم، وبموجب كونها هي ذاتها عديمة الشكل، فهي تحمل في طياتها دونية ميتافيزقية عميقة، ومع ذلك فالروح هي المعترك الحقيقي عن الطبيعة التي وهبها الله للبشرية خيرة، فقد كان لآدم قبل السقوط وللمسيح في انبعاثه" طبيعة نقية" لا يتأتي لبقية

[1] أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص14.

[2] كريستيان نادو: المفردات والأسلوب عند القديس أوغسطين،ترجمة: شادي رباح نصر، ط1، (النايا للدراسات والنشر، سوريا، 2014م)، ص17-18.

[3] أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، (مصدر سابق)، ص276.

البشرية الآن نيلها، ويؤدي فساد الخيارات الواهنة إلى نشوء سلسلة من العادات تقيد الشخصية وتصبح متأصلة، وتمسي طبيعة معيبة أو "فاسدة".[1]

**الفرع الرابع– النفس:**

تضاربت المفاهيم في تحديد معنى النفس بتعدد الإيديولوجيات والثقافات، فالنفس قوة خفية وهالة روحية تسيطر على المكنونات البشرية، وكغيره من الباحثين أولى أوغسطين اهتماما بليغا بالنفس وعالمها، لذا سنحاول التطرق لمفهوم النفس عند أوغسطين لما لها أهمية وعلاقة وطيدة بنشاط الإنسان المعرفي والانفعالي والعقلي والأخلاقي.

**أولا_ تعريف النفس:**

يوجد في العهدين أوصاف كثيرة للنفس، فهي هبة الله؛ " **وجبل الرّب الإله آدم ترابا من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفسا حية**"،[2]وهي هنا الروح التي سبق شرحها، وللنفس قيمة عظيمة؛ " **لأنّه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كلّه وخسر نفسه؟ أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه**"،[3] وقد جاءت أيضا بمعنى الحياة الحيوانية وقد بينا ذلك في حديثنا عن الروح أيضا، أي أنها حي من أحياء الحيوانات؛ " **وقال الله: لتفض المياه زحّافات ذات نفس حيّة، وليطر طير فوق الأرض على وجه جلد السماء**"،[4] والإنسان يشاركها في ذلك، إلا أن له روحا مخلوقة على شبه الله وصورته.

[1] هنري تشادويك: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص46.

[2] تك2/7.

[3] مت16/26.

[4] تك1/20.

وقد عرفها أوغسطين على أنها جوهر عاقل صنع كي يدبر البدن؛ فإن النفس إذن هي التي تمنح الحياة، وكل الوظائف الحيوية في البدن تقوم هي بها"، وهي خالدة ويتحجج أوغسطين في ذلك بحجتي أفلاطون*[1]:

**أ–الحجة الأولى:** إن الحقيقة غير فاسدة طبعا، والنفس محل الحقيقة، فالنفس غير فاسدة، وكان أفلاطون قد قال: "إن المثل بسيطة ثابتة، فلابد أن تكون النفس التي تعقلها شبيهة بها".

**ب– الحجة الثانية:** أن النفس تدرك ذاتها وتدرك أنها قبلت وجودها من الموجود بالذات، وليس اللاوجود وجود حتى يسلب النفس وجودها، وكان أفلاطون قد قال إن النفس حياة، فهي مشاركة في الحياة بالذات، وليست تقبل الماهية ضدها، فلا يمكن أن تقبل النفس ضدها وهو الموت، وله دليل آخر مستمد من الاشتهاء الطبيعي للسعادة بحيث أن شرط السعادة دوامها، فالنفس التي تطلب الدوام طلبا طبيعيا ضروريا يجب أن تكون دائمة.[2]

أي أن الحقيقة بطبيعة الحال غير قابلة للفساد أو الهدم، كذلك لا تقبل أية ماهية من الماهيات عكسها ونقيضها، وحيث أن النفس البشرية تشارك مشاركة أساسية في فكرة الحياة، فإنه لمن المتناقض الاعتقاد بأنه من الممكن أن تقبل ما هو نقيض الحياة نقيضها هي، وهو الموت، فالنفس ثابتة خالدة لا تقبل الفناء لأنها حقيقة.

**ثانيا– وظيفة النفس ومصدرها:**

**أ– وظيفتها:**

يستكشف أوغسطين في النفس ميلا طبيعيا لأن تحيى في الجسم، ويرى أنها هي التي تمنحه صورته وحياته، فالنفس والجسم لا يؤلفان شخصين بل إنسانا واحدا"، النفس هي الإنسان الباطن، والجسم

[1] * النفس عند أفلاطون كيان غير مادي وخالدة بطبيعتها، وتوجد قبل الجسد الذي تحصر فيه، وهي مقدر لها أن تستمر في البقاء بعد الموت، وإذا كانت أبعد من أن يكون لها علاقة بالعالم الآتي أو عالم المستقبل فهي تنتسب على وجه صحيح إلى عالم المثل، ويفضل معرفتها لها قبل وجودا الدنيوي تستطيع أن تتعرف عليها أن تتذكرها هنا؛ (عادل فرج عبد المسيح: موسوعة آباء الكنيسة، (مرجع سابق)، ج1، ص22).

[2] كتاب تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط : يوسف كرم، دار العالم العربي، مصر، ط1، 2010،ص37

هو الإنسان الظاهر، دون أن تصير النفس جسما أو يصير الجسم نفسا، وليس محل النفس جزء معينا من الجسم، كالرأس أو القلب، بل الجسم كله، وهذا لازم من بساطة النفس، وظاهر من أنه حين يحس أدق جزء من الجسم تعلم بذلك النفس كلها، فأوغسطين يقترب هنا من النظرية الأرسطوطالية؛ وهي تعتبر الإنسان كائنا طبيعيا، ولكنه من ناحية أخرى يفسر الاتحاد بأنه"انتباه" النفس للجسم، ومزاولة قدرتها فيه بواسطة الهواء والنار، وهما أقرب العناصر الجسمية إلى الروحانية. [1]

كما أن أوغسطين تميز بإضافته لضرورة وجود الله وعلاقته بالنفس، فهي واسطة بين البدن الذي تحركه وبين أفكار الله التي تحركها، وهي روحانية غير منفصلة عن الأفكار الإلهية التي هي أيضا روحانية، وهي ليست قسما من الله وإلا لكانت ثابتة لا تتغير، لقد خلقها الله كما خلق كل شيء من العدم بإرادته هو خلقها على صورته وشبيهة به، وهي ترتقي صوبه وتتطلع إليه بل وتتجدد في المشاركة مع الحكمة الإلهية[2]

**ب –مصدرها:**

هناك عدة فرضيات وقف عندها أوغسطين في معرفة أصل النفس، كقول المانويين والفلاسفة خاصة أفلاطون بحكم تأثره المسبق بهما:

1- فالمانويّة ترى أن النفس صادرة عن ذات الله، وهذا القول يستلزم إحدى اثنتين، إما أن النفس ثابتة كالله، أو أن الله متغير كالنفس، وكلتا النتيجتين باطلة.

2- وأمّا أفلاطون وغيره من الفلاسفة فيقولون أن النفس قديمة هبطت إلى الأرض وتعود إليها بالتناسخ، وهذا حديث معارض للشعور والعقل،[3] فالإنسان لا يتذكر أي حياة سابقة، ومحال أن تتقمص النفس جسما حيوانيا أو نباتيا، لما بين الطرفين من مغايرة تامة.

---

[1] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، (مرجع سابق)، ص38.

[2] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص190.

[3] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، (مرجع سابق)، ص36.

كما يقول أفلاطون أيضا بوجود نفس تدبر هذا العالم وتسوسه، وقد تساءل أوغسطين مرات عدة عن وجود نفس تكون أسمى من النفس البشرية،[1] ويستخدمها الله كأداة لإدارة العالم وتدبيره، بحث الموضوع فوجده صعبا، إذ لم يجد له حلا ينطلق من الكتاب المقدس يتوافق مع البداهة التي يقدمها العقل.[2]

3_ ورأي آخر يرى أن النفس تولد من بذرة مادية أو من نفس حيوانية، وهذان الرأيان يبطلان روحانية النفس الإنسانية وهي ثابتة.

4_ أما الرأي الأخير فهو مأخوذ من الكتاب المقدس وقد مال إليه أوغسطين ولم يأخذ به كليا؛ هو أن الله خلق نفس آدم و صدرت عنها النفوس بالتوالد، ولكنه لم ير كيف يكون هذا التوالد، ووجد فيه خطرا على الشخصية الإنسانية، كما أنه كان يعتقد بإمكان خلق الله لكل نفس على حدة لتحل في جسم المولود، ولكنه لم يتقيد بهذا الرأي ، وقد ظل مترددا طوال حياته ، كما يبدو من كتاب الاستدراكات.[3]

كما أن النفس مخلوقة قبل البدن، وهنا ينطلق أوغسطين، من نصين مقدسين: فسفر التكوين يقول أن الله خلق الإنسان على صورته وشاكلته، وإنه خلق الرجل والمرأة في اليوم السادس، وفي مكان آخر يرد في الكتاب المقدس أن الله خلق الإنسان من طين الأرض، وأنه أخرج حواء من آدم بعد استراحة في اليوم السابع، وهذان النصان لابد أن يمثلا خلق القسمين المتميزين في الإنسان: يشير النص الأول إذن إلى خلق النفس والثاني إلى البدن.[4]

ينجم عن هذا أن النفس خلقت كاملة منذ أول وهلة، ولكن أوغسطين لم يفصل في مسألة خلق النفس و تردد أمام عدة افتراضات فلسفية ودينية؛ منها أن جميع النفوس بعد أن وجدت في السابق في الله تهبط بمشيئتها وطوعا إلى الأجسام لتحريكها، أو أن الله يخلق نفسا لكل جسم تكون خاصة به عندما يولد.. أو أن الله خلق جميع النفوس عندما خلق نفس(روح) آدم؛ وهذا يبرر مسألة انتقال

[1] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص191.

[2] المرجع نفسه، ص192.

[3] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، (مرجع سابق)، ص37.

[4] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص191.

الخطيئة الأصلية، وهذا الرأي الأخير هو الذي تبناه أوغسطين وسنقوم بالشرح والتفصيل في هذه المسالة (انتقال الخطيئة) في الفصل الأخير (الفصل الثالث).

**ثالثا–أنواع النفس:**

النفس إما أن تكون نباتية أو حسية أو حيوانية، أي أن تكون عاقلة كنفس الإنسان أو روحية بالمطلق كما هي في الملاك،[1] يقول أوغسطين في مدينة الله:" إن الله هو الذي صنع الإنسان حيوانا عاقلا، مركبا من نفس وجسد، يعطي الحياة النباتية مع النبات، والحياة الحسية مع البهائم، والحياة العقلية مع الملائكة دون سواهم، إنه مبدأ كل قاعدة وجمال ونظام وقياس وعدد ووزن واصل كل إيلاد طبيعي، أيا كان نوعه وثمنه، أصل بذور الأشكال وشكل البذور وحركة البذور والأشكال، لقد خلق الجسد بما عليه من جمال وقوة وخصب فرتب أعضاءه ونسق في ما بينها، ووهبها القوة، هو الذي وهب النفس غير العاقلة الذاكرة والحس والقابلية ووهب العاقلة العقل والحرية".[2]

ولقد وظف أوغسطين هنا مصطلحات فلسفية وميز فيما بينها وهي " أنيموس وأنيما"؛ فالأنيما هي المبدأ المحرك للجسم لدى الإنسان أو للحيوان، أما أنيموس فتستعمل على الأغلب للدلالة على نفس الإنسان، أي على المبدأ الحيوي وكذلك أيضا على الجوهر العقلي، أي أن أنيما هي مبدأ الحياة للحيوان والإنسان، كما استعمل كلمة حياة فيتا لحياة النبات بدل أنيما.[3]

**رابعا– معرفة النفس و علاقتها بالأخلاق:**

**أ–معرفة النفس:**

نقصد بمعرفة النفس الماهية والكيفية التي بواسطتها تكسب النفس المعرفة، فهي تقوم بفعل المراقبة حيث لا تسمح بمرور التغيير والتبدل في الجسد بطريقة غير مرئية بدون أن تخضع للجسد، تأخذ النفس بحيوية رائعة من ماهيتها الخاصة، صورة مشابهة للشيء، وهذا ما يسمى إحساسا، فالأحاسيس هي إذن

[1] القديس أوغسطين: مدينة الله، (مصدر سابق)، ج2، ص375.

[2] المصدر نفسه، ص239.

[3] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص192.

أفعال تضطلع فيها النفس وليست شهوات تستعبدها، بعض هذه الإحساسات تنبؤ المرء فقط عن حالة وحاجة الجسد والبعض الآخر عن الأشياء المحيطة به.

العلامة الفارقة لهذه الأشياء هي عدم استقرارها وثباتها فهي تظهر وتختفي في الزمن وتمحي ويستبدل بعضها البعض الآخر دون أن يكون التقاطها ممكنا.

إن عدم الاستقرار هذا يستثنيها من كل معرفة حقيقية، فالمعرفة هو ضبط الفكر بشيء لا يتغير، والحقيقة أن النفس تواجه في ذاتها معارف موضوعها أشياء من هذا النوع، هذا ما يحدث كل مرة تضبط فيها حقيقة ما، ذلك إن الحقيقة مغايرة تماما لاستنتاج الحدث أو المعطى تجريبيا إنها استنتاج قاعدة بواسطة الفكر الذي يخضع لها فإذا رأيت أن 2 زائد 2 يساوي4 أو أنه يجب فعل الخير وتجنب الشر ، وهذه حقائق غير حسية معقولة حيث تشكل الضرورة سماتها الأساسية، وبما أنها ضرورة دائمة أبدية بمعنى أن هذه الصفات حقيقية.

إن المعارف الحقيقية في النفس ليست كلها مستمدة من الأحاسيس لأن الأشياء الحسية ليست دائمة ولا ضرورة بل هي عارضة متغيرة عابرة فمهما جمعت من تجارب حسية فلن يستخرج منها أبدا قانونا ضروريا، فالعين المجردة ترى أن 2زاد3 تساوي 5، ولكن الفكر فقط يسمح بإعطاء هذه النتيجة.

فالأشياء الحسية ليست مصدر المعرفة، يقول أوغسطين:" فهل أنا مصدر المعررفة؟ ولكني عارض ومتغير وعابر مثل الأشياء؟

فيرى أوغسطين أن هناك شيء ما في الإنسان يتعداه وهو حقيقة ضرورية دائمة أبدية وهي الله.[1] فالله هو الشمس المعقولة التي تنير العقل فيرى الحقيقة، السيد الداخلي الذي يرد في الداخل على العقل الذي يسأل، الحقيقة الأكثر داخلية من داخليتنا، ولهذا نرى أن كل السبل الأوغسطينية المؤدية إلى الله تتبع مسالك مماثلة من الخارج إلى الداخل ومن الداخل إلى الخارج.[2]

إذن فالمعرفة الحقيقية عند أوغسطين متعلقة بالشيء الثابت لأن طبيعته المستقرة تسمح بأن يبقى في حقل المعرفة العقلية، كما أن الأحاسيس ليست مصدر المعرفة لأنها متغيرة، والحقيقة الثابتة التي تنير البصيرة والعقل لرؤية الحقيقة هو الله، وسنقف عند هذه المسألة أيضا في الفصل الأخير.

---

[1] شارل الحلو: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، (مرجع سابق)، ج 1، ص157.

[2] شارل الحلو: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، (مرجع سابق)، ج 1ص158.

**ب_ علاقة النفس بالأخلاق و السلوك:**

يرى أوغسطين أن الإنسان يقترف الجرائم إذا كانت نفسه وأخلاقه شريرة؛ فيغضب ويثور على النظام والقوانين ويستسلم إل العبث واللهو ولاسيما حين تترك نفسه العنان للميول التي تغذي اللذات الجسدية. [1] فالحياة البشرية تتلطخ وتضل وتفسد إذا كانت نفس الإنسان العاقلة شريرة،[2] كما أنه ربط بين النفس والسلوك، فالنفس حاضرة بكليتها في الجسد بأكمله بيد أنها لا تتحد به إلا بواسطة الفعل الذي تمارسه عليه لتحييه، إنها متنبهة لكل ما يحدث ولا يفوتها شيء، وإذا طالت الأشياء الخارجية حواسنا، فإن أعضاءنا الحسية تستجيب، ولكن بما أن النفس متعالية متفوقة على الجسد، وحيث أن المتدني لا يؤثر على المتفوق فالنفس لا تخضع للحواس.[3]

إذن لقد ربط أوغسطين بين النفس وحالها (سواء أكانت شريرة أو خيرة) وبين حياة الإنسان فتكون فاسدة أو صالحة بفساد أو صلاح النفس، كما أن لها علاقة بالسلوك فهي المسؤولة عن الفعل الذي تمارسه في الجسد لتحييه.

## المطلب الثاني: قوى النفس.

قسم أفلاطون قديما قوى النفس إلى ثلاثة أقسام كما وضحنا ذلك في الفصل التمهيدي وهي؛ النفس العاقلة الناطقة والنفس الغضبية والنفس الشهوانية ولكل نفس وظيفة، وهذا الرأي أخذ به الكثير من الفلاسفة والباحثين قديما وحديثا، إلا أن المبدأ الأساس عند أوغسطين مختلف عن معلمه اليوناني فهو يرى أن النفس هي ذاكرة وعقل وإرادة وهي متحدة في جوهر واحد، لذا سنقف على هاته الأنفس الثلاث عند أوغسطين، كما سندرس علاقتها بالفعل والسلوك الأخلاقي.

### الفرع الأول– قوى النفس عند أوغسطين ومراحل ظهورها:

قبل حديثنا عن مراحل ظهور قوى النفس لابد علينا من التطرق للأسباب التي أدت أوغسطين لتبني مبدأ النفس الواحدة وهي الذاكرة والعقل والإرادة.

---

[1] أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص73.

[2] المصدر نفسه، ص74.

[3] شارل الحلو: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، (مرجع سابق)، ج 1، ص156.

**أولا–تقسيم قوى النفس عند أوغسطين:**

إن وجود النفس لازم من وجود الفكر عند أوغسطين، فما إن يدرك الفرد وجوده حتى يدرك ذاته كقوة حية، من حيث إن التفكير حياة، بل أرفع مراتب الحياة، و الفكر معلوم من باطن بالفكر نفسه. فليس الفكر من الجسم، ولكنه من مبدأ آخر ، ويضاف إلى ذلك إدراكنا المجردات، فإنه يدل على أن المبدأ المدرك مجرد، هذا المبدأ هو النفس الناطقة، وهي تقوم بجميع أفعال الإنسان، ولا ضرورة لوضع نفوس ثلاث كما فعل أفلاطون.[1] لذا فالنفس الإنسانية عند أوغسطين هي: ذاكرة وعقل وإرادة؛ الذاكرة هي النفس المتحلية بحقائق المعلومة، والعقل هو النفس المتعلقة أي متصورة المجردات، والإرادة هي النفس المحبة وكلها متحدة في جوهر واحد.[2]

وسبب تبني أوغسطين لهذا القول هو أن النفس الإنسانية صورة الله، روحانياتها تجعلها واحدة غير منقسمة كما أن الله واحد، والعقل والإرادة والذاكرة تجعلها ثلاثية في وحدتها كما أن الله ثالوث، وليس في النفس قوى متمايزة منها، وإنما هناك أفعال لها مختلفة، على أن النفس متغيرة مثل كل مخلوق، والتغير يتم في موضوع، وموضوع التغير المادة فهل نضيف للنفس ضربا من مادة روحية؟ سؤال ألقاه أوغسطين، ثم لم يجب عنه وتركه بمثابة فرض محتمل، ألقاه بمناسبة النظر في الملائكة وفي الفرق بينهم وبين الله من جهة والموجودات الجسمية من جهة أخرى، وارتأى أنهم يفترقون عن الله في كونهم مخلوقين، وبهذه المثابة متغيرين بالطبع وحاصلين على موضوع للتغير، ويفترقون عن الجسميات في أن تأملهم لله يثبتهم دون تغير بالفعل فيجعل اتحاد المادة والصورة فيهم دائما، ويجعلهم من ثم خارج الزمان.[3]

ربط أوغسطين بين الفكر والذات جاعلا من إدراك الذات قوة حية، وأن الفكر مرتبط بالباطن ليس بالجسد وبالضبط بالنفس الناطقة فهي واحد ولكن أفعالها مختلفة، فالنفس واحدة لكن مختلفة في أفعالها كما الثالوث، وليس في النفس قوى متمايزة منها.

---

[1] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، (مرجع سابق)، ص36.

[2] المرجع نفسه، ص31.

[3] المرجع نفسه، ص36.

**ثانيا–مراحل ظهور قوى النفس وتطورها:**

يرى أوغسطين أن أوّل الموجودات هو الخير وثانيهما العقل الذي صدر عن الله والذي يحتوي على نماذج في هذه النفس الأولى، بعضها يظل قائما فيها وبعضها يتحد بالجسد لنسيانه التأمل فينسى أصله الأول حتى يتم لها التحرر من الجسد، وفي أثنا هبوط النفس أن تتذكر هذا الأصل الأول حتى يتم لها التحرر من الجسد، و في أثناء هبوط النفس للبدن تمر بعالم الأفلاك وكل فلك يرمز إلى فضيلة أو إلى استعداد أو إلى ملكة من ملكات النفس حتى تصل إلى الجسد، وبفضل ما للنفس من ملكة عقلية تحتفظ بمعرفة الله وتتحد به عن طريق ممارسة الفضائل التي تتدرج من أدنى إلى أعلى في أربع مجموعات؛ الفضائل السياسية( الحذر القوة، الاعتدال، العدل)، والفضائل المطهرة التي تخلص الروح مما يبعدها عن التأمل، وفضائل التعقل القادر على التأمل، ثم الفضائل المثالية الباطنة في العقل الإلهي كنماذج للأشياء المخلوقة.[1]

**الفرع الثاني– الذاكرة:**

تعتبر الذاكرة إحدى قوى النفس التي تمكنها من تخزين و الاحتفاظ بالمعلومات فهي بمثابة نظام لمعالجة المعلومات، ولقد عالج أوغسطين الذاكرة بتحليل عميق في كتابه الاعترافات مخصصا لها باب مستقل وهو الباب العاشر.

**أولا–تعريف الذاكرة:**

الذاكرة هي المقدرة على التفكير،[2] وفي الفلسفة هي قدرة النفس على الاحتفاظ بالتجارب السابقة واستعادتها،[3] أمّا في علم النفس فالذاكرة إحدى الوظائف العقلية المختصة بالاحتفاظ بذكريات الفرد وما مر به من تجارب وما تعلمه من معلومات وباستدعاء ما يحتاجه الفرد من كل ذلك عندما يكون في موقف يتطلب ذلك، وهي أحدى القدرات العقلية للإنسان.[4]

---

[1] حسن حنفي: نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ط2، ( 1978 مكتبة الأنجيلو المصرية، مصر)، ص6.

[2] كريستيان نادو: المفردات والأسلوب عند القديس أغسطين، (مرجع سابق)، ص101.

[3] إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، (مرجع سابق)، ص88.

[4] فرج عبد القادر طه و شاكر عطية قنديل وآخرون: معجم علم النفس والتحليل النفسي، ط1، (دار النهضة ، لبنان، دت)، ص204.

وهي عند أوغسطين هوية النفس التي تسمح باستمراريته، وهي مستوى من العقل يضفي وحدة على تعددية التجارب المنفصلة في مجرى الزمن، تستقر الذاكرة في مستوى أعمق من العلم والمشيئة، فهي باطن العقل، ومستودع محتمل وحسب في الوعي،[1] فالذاكرة للنفس كالمعدة للجسم وإنما الفرح والحزن كطعام حلو أو مر لها، فعندما تنتقل هذه التأثيرات إلى الذاكرة فكأنها تنتقل إلى المعدة وتقيم فيها دون أن يكون لها أي مذاق،[2] وقوة الذاكرة ليست مقتصرة فقط على الإنسان بل يتميز بها الحيوان أيضا يقول أوغسطين:"...الذاكرة موجودة لدى البهائم والطيور، وإلا لما عرفت أعشاشها والكثير من عاداتها المعروفة وهذه العادات عينها تفرض وجود الذاكرة لديها".[3]

فالذاكرة إذن هي باطن العقل وإحدى قوى النفس المسئولة على الاحتفاظ بالذكريات والتجارب السابقة واستعادتها وقت الحاجة.

**ثانيا– علاقة الذاكرة بالنفس:**

ربط أوغسطين ما بين الذاكرة و النفس وميولها فهو يقول:" من ذاكرتي استخرج يقيني حين أقر بوجود ميول أربعة: الشوق، والفرح والخوف والحزن، وكلما تحدثت عنها قسمت كلا منها إلى فروع متناسبة فأحددها واستخلص كل ما أقوله عنها ولا أشعر في داخلي بأي خوف منها حين أستعيدها في ذاكرتي لأنها موجودة قبل أن أتذكرها وأناقشها، ولهذا بفضل الذكريات استطعت أن استخرجها، وكما أن الطعام بفضل الاجترار يعود من المعدة إلى الفم كذلك تعود هي من أعماق الذاكرة.

كما انه ربط بين الشعور والذاكرة :" لولا فكرة الشعور الناجم عن تلك الصور في ذاكرتنا، القائم إلى جانب نبرات الكلمات الملائمة للصورة المنطبعة فينا بواسطة الحواس لما كنا نتكلم عنها، إنه لشعور وأفكار لا تلج إلينا من باب الجسد بل أن النفس عينها التي اختبرت هذه الميول قد شعرت بها ووكلتها إلى الذاكرة، اللهم إلا إذا كانت الذاكرة نفسها قد سجلتها بدون هذه الاستنابة.[4]

---

[1] هنري تشادويك: أوغسطينوس، ( مرجع سابق)، ص77.

[2] القديس أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص207.

[3] المصدر نفسه، ص210.

[4] القديس أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص207.

**ثالثا– أنواع الذاكرة:**

يقدم أوغسطين الذاكرة على أنها ذات مجالات شاسعة، أو على هيئة قصر كبير فخم، وضعت داخله كنوز الصور وشتى أنواع الأفكار التي يؤلفها الإنسان وكل المكتسبات الحواس وغيرها ، وعندما يدخل الإنسان إلى هذا البلاط، يطلب مثول جميع الصور التي يرغبه بعضها فورا وآخر يتأخر بالقدوم،[1] وأهم هذه الأنواع ذاكرة الإحساسات وذاكرة الأفكار وذاكرة الأعداد:

**أ_ ذاكرة الإحساسات:**

ذاكرة الإحساسات هي الذاكرة المتعلقة بالحواس، التي تنقل صور العالم الخارجي للعالم الباطني للنفس ضمن ترتيب متناسق.

فجميع الإحساسات تحفظ في الذاكرة مرتبة ومصنفة حسب الأنواع، التي تكون قد دخلت إليها، يدخل كل إحساس من مدخل خاص،[2] يقول أوغسطين :"تلك فيها تحفظ مرتبة، وفقا لأنواعها، تلك الإحساسات التي ولجت كل في مدخلها الخاص: النور والألوان والصور الجسدية تدخل كلها بواسطة العين، والأصوات على اختلافها تدخل بواسطة الأذن، والروائح بواسطة الأنف والأطعمة بواسطة الفم وأخيرا يلج بواسطة حس منتشر في الجسم كله كل شعور بالخشونة والليونة بالحار والبارد، بالنعومة أو القساوة بالخفة أو الثقل، بالباطن أو الظاهر، فالذاكرة تستقبل كل ذلك في مسكنها الرحب، في منعرجاتها الخفية ، السرية إلى حين الطلب والحاجة، فتدخل كل شيء من بابه الخاص وينتظم في صف وترتيب".[3]

والحقيقة أن الإحساسات ليست هي التي تدخل، وإنما هي صور المدركات التي تقبع في الذاكرة على أهبة المثول عند استدعائها، هذه الملكة التي لا شيء مادي لها، تستحضر وتستدعي الروائح والطعم والانطباعات اللمسية، فيستطيع الإنسان أن يميز بين هذه الرائحة أو تلك دون أن يتنسم هذه الزهرة أو تلك.[4]

---

[1] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص194.

[2] المرجع نفسه، ص195.

[3] أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص201.

[4] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص195.

إذن فالنور والألوان وأشكال الأجسام، تدخل عن طريق العينين، وتدخل الأصوات المتنوعة عن طريق الأذنين، وهكذا أي أن الذاكرة الحسية تتكون من مجموعة مستقبلات كل منها يختص باستقبال نوع خاص من المعلومات . حيث يختص كل مستقبل حسي بنوع المثار الخارجي.

**ب_ ذاكرة الأفكار:**

هي خزان المفاهيم حيث تكون مرتبة ومبوبة وليست منقولة إلى الذاكرة بواسطة الحواس،[1] يقول أوغسطين في ذلك:" لذاكرتي قوة شاملة تتعدى الحقائق المعروفة لأنها تستوعب أيضا كل ما علمتني إيّاه العلوم الحرة بقدر مالا أزال أذكره، وموضوع منعزل في مكان داخلي ليس مكانا حقا وتلك ليست صورا بسيطة بل معارف وعلوم فيّ، كل ما أعرفه عن تلك النصوص لا يبقى في ذاكرتي على مثال صورة أحتفظ بها وحدها تاركا في الخارج ما ترمز إليه، إن هذه الحقائق لا تصل إلى الذاكرة إنما تضبط الذاكرة بسرعة مدهشة صورها فترتبها وكأنها في بيوت إلى أن تستخرجها بطريقة عجيبة، لقد عرفتها في فكري وفيه أيضا أدركت صحتها وسلمتها إليه كنزا استخرجها منه حين يروقني ذلك، لقد كانت فيه قبل أن أدركها إنها كانت في ذاكرتي منسية مدفونة في أعمال خفية بعثتها منها إلى حيّز التفكير بفضل الدرس.[2]

**ج–ذاكرة الأعداد.**

يقول أوغسطين:" وتتضمن الذاكرة المحاضر وسنن الأعداد والقياسات التي لا تحصى، لا ينطبع فينا شيء من كل هذا بواسطة الحواس الجسدية لأن ليس لهذه النصوص لون ولا صورة ولا رائحة ولا يمكن أن تقع تحت الحواس، إنني أدرك نبرات الكلمات المشيرة إليها في الحديث، ولكن شتان ما بين الكلمات والأشياء، لقد رأيت خطوطا كخيط العنكبوت دقة رسمها فنانون لكنها خطوط العلوم الرياضية وليست صورة لما أرتني إياه عيني الجسدية يدركها حقا كل من أدركها في ذاته دون اللجوء إلى الواقع، بفضل حواسي الجسدية أدركت الأعداد المحصاة كلها إنما بخلاف ذلك هي الأعداد المحصية التي ليست صورة للأولى ولذا فوجودها مطلق.[3]

---

[1] المرجع نفسه، ص195.

[2] أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص204.

[3] أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص205.

لقد صنف أوغسطين العديد من أنواع الذاكرة أهمها ذاكرة الإحساسات المتعلقة بالحواس حيث تنقل صور من العالم الخارجي للذاكرة، وهي مصنفة ومرتبة، وذاكرة الأفكار وهي متعلقة بالتفكير وليست مرتبطة بالحواس وهي موجودة أصلا في الذاكرة بشكل خفي ولا تستخرج إلا بالتعلم، أما ذاكرة الأعداد فهي خاصة بالرياضيات و القياسات والأعداد الغير متناهية وهي ليست كالصور التي تنقلها الحواس.

**رابعا– علاقتها بالأخلاق:**

لم يتكلم أوغسطين بشكل مباشر عن علاقة الذاكرة بالفعل الخلقي، ولكن من خلال تحليل أقواله عن الذاكرة وما يختص بها في اعترافاته يمكننا استنباط ثلاثة عناصر أساسية وربطها بالفعل السلوكي عند أوغسطين ونقصد بذلك السعادة والعواطف والتعلم.

**أ –السعادة:**

فمن خلال بحث البشرية الشمولي عن السعادة، فالذاكرة تعتبر أيضا الوسط الذي من خلاله يصبح المرء سريع الاستجابة لآلاء الرب ونعمائه( الاعترافات، الكتاب العاشر)، فلم يقل أوغسطين إن الإنسان الطبيعي بمعزل عن فضل الرب، لديه بالفعل الرب في اللاوعي، حتى عندما ينكره أو يتجاهله بالمستويات الواعية من شخصيته، وتذكر المرء الرب فعل إرادي وقرار بحد ذاته، وحب الرب ليس بشعور غير محدد، بل هو يقين بالوعي.[1]

إذن فالسعادة من غايات الفعل الخلقي والسعادة تكمن في الحقيقة الأبدية الغير المتغيرة" الله"، فالذاكرة هي وسط الذي يمكّن الإنسان من الاستجابة للنعمة الإلهية الكامنة في الوعي.

**ب– العواطف:**

يقول أوغسطين:" تتضمن تلك الذاكرة تأثرات النفس، لا كما هي في النفس ساعة تحس بها النفس، بل بطريقة مختلفة تتجاوب مع طبيعة الذاكرة عينها، أذكر أنني كنت فيما مضى مسرورا، لا هذه الساعة وإن الرغبة المنقضية تعود إلى الذاكرة دون أن أشعر بها الآن وأحيانا أتذكر بغبطة حزني وبحزن

[1] هنري تشادويك: أوغسطينوس، ( مرجع سابق)، ص77.

أتذكر فرحي، وطال ما أن الأمر على هذه الحال فكيف يغتبط فكري وتغتم ذاكرتي حين أتذكر بسرور كآبتي الماضية؟ اغتباط فكري دليل على أن الفرح مقيم فيه فكيف لا تغتم ذاكرتي والحزن مقيم فيها".[1]

وهذا يعني أن للعاطفة تأثير قوي للإنسان فهي تستثار من خلال الذكريات المؤلمة والسعيدة جسديا أو عاطفيا(كالحزن والفرح) مما يعيد للمرء الحالة النفسية المعاشة؛ ومما لاشك فيه أن الفعل الخيري ( أو الشر) له وطء جيد (أو سيء) على النفس مما يجعلها فرحة منشرحة( أو حزينة ) فينطبع هذا الشعور في الذاكرة ، أي أن الذاكرة تربط ما بين السبب والفعل وما بين الشعور والعاطفة.

**ج_ التعلم:**

يقول أوغسطين:" فبعد هذا الدرس الدقيق نجد أن حفظ تلك النصوص التي لا نجمع صورها بواسطة الحواس بل نراها في ذواتنا بدون صور كما في الواقع، يقوم بضبط الأقسام المبعثرة بلا نظام في الذاكرة وإبقائها تحت تصرفنا في ذاكرتنا حيث كانت مخفية، منسية شرط أن تتقدم بسهولة من عقلنا حين يجهد نفسه كالمعتاد بحثا عنها، تتضمن ذاكرتي عدة نصوص مماثلة لها، قد وجدناها ووضعنا يدنا عليها وهذا يعني الحفظ والمعرفة، إن امتنعت عن إثارتها في زمن قصير، تهافتت من جديد إلى اللجة وتبعثرت في أشد المساكن خفاء، إذ ذاك على الفكر أن يكتشفها من جديد ويستخرجها ثانية من مكانها".[2]

فالذاكرة تظهر ما يتعلمه التفكير من السيد الخارجي الذي هو الخالق، كما أن ما يدركه الإنسان ويتذكره هو ذات الشيء الذي يريده، أي أن الذاكرة عند أوغسطين هو تذكير للروح بما هو موجود خارجها أي الله [3]

وفي علم النفس الحديث حين عرض قضايا التعلم والذاكرة لابد وأن يؤخذ بعين الاعتبار أبحاث علم الأعصاب وما أسفرت عنه من نتائج تخص وظائف المخ البشري والإمكانات اللامتناهية لهذا العضو على التعلم والاستفادة من الخبرات التي يعايشها لحظة بلحظة.[4]

---

[1] أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص206.

[2] المصدر نفسه، 204_205.

[3] كريستيان نادو: المفردات والأسلوب عند القديس أوغسطين، (مرجع سابق)، ص102.

[4] عزيزة محمد السيد: إمكانات العقل البشري، دط، (دار النشر للجامعات، مصر، 2014 م)، ص129.

وبالتالي فالدرس الذي أشار إليه أوغسطين هو التعليم؛ فالتعلم يسمح لنا بتعديل السلوك سواء المكتسب أو الفطري باعتبار أن الذاكرة هي المسؤولة على التعلم واكتساب المعلومات والمعرفة ثم استرجاعها، فإن تعلم الفضائل والأخلاق والنصوص المقدسة ستحفظ تلقائيا في الذاكرة.

**الفرع الثالث– الإرادة:**

**أولا– تعريف الإرادة:**

الإرادة هي تصميم واع على أداء فعل معين، والعمل الإرادي وليد قرار ذهني سابق،[1] وهي حركة للروح نحو الشيء الذي تطمح إليه، أي أن الهدف الأسمى للروح هو(كينونة) الأشياء، وبهذا السياق إن ما ترغب به الروح في الأشياء ليس الأشياء في ذاتها*،[2] وبما أنّ الخالق الذي هو أساس وجود الأشياء، فالخالق هو هدف الإرادة الصحيحة، وحقيقة الروح الباحثة عن الخالق يتم تحريكها من قبل الأساس الإلهي الذي هو الحب.

كما أن الإرادة تسيطر على جميع حركات الروح؛ فبدون الإرادة لا يمكن القول أن المشاعر التي تمثل ارتباطا وطيدا بين الروح وأشياء الخارجية ليست إلا ارتباطا بالخوف والحب والرغبة لأن الإرادة هي ما يأخذ الروح ويوجهها نحو الهدف أو الفرار.

والاختلاف الذي يميز أوغسطين عن أجيال العصور الوسطى هو في مبدأ الإرادة حيث أظهر وجودا للعقل ضمنها، إلا أن الأطروحة الأوغسطينية تميل إلى نقص في الإرادة على المستوى الوجودي، أي إن الخطيئة الآدمية لا يمكن لأحد أن يصلحها إلا الخالق.[3]

نستنتج أنه بالرغم من أن الإرادة هي المسيطرة على حركات الروح والمسؤولة عن بلوغ هدفها الأسمى(الخالق)، فهي لا تسع الإنسان لبلوغه الخلاص الذي لا يكون إلا بتدخل النعمة الإلهية فقط.

---

[1] إبراهيم مذكور المعجم الفلسفي، ( مرجع سابق)، ص 7.

[2] *الذات ميتافيزيقيا هي حقيقة الوجود ومقوماته وتقابل العرض؛ (إبراهيم مذكور المعجم الفلسفي، ( مرجع سابق)، ص 87).

[3] كريستيان نادو: المفردات والأسلوب عند القديس أوغسطين، (مرجع سابق)، ص145_144.

**ثانيا–وظيفة الإرادة:**

يرى أوغسطين أن وجود الإرادة بديهي كوجود الحياة نفسها، وإذا ضلت الإرادة ولدت الانفعالات، وهناك أربع انفعالات كبرى هي: الشهوة، الفرح ، الخوف، الحزن، وتتعلق هذه كلها بالإرادة، فإن نرغب بمعنى أن نساير الحركة التي بموجبها تميل الإرادة نحو شيء ما، وإن نخاف هو أن نسير مع حركتها في الابتعاد عن شيء ما...إذن كل حركات النفس مرتبطة بالإرادة.

كما يرتبط بها على مستوى أرفع كل عملية معرفية؛ فتكون الإرادة هي المسيطرة في الحياة النفسانية؛ في الأحاسيس و في الذاكرة وهي التي تحدث المعرفة العقلية فنحن نعرف لأننا نريد أن نعرف، وينطلق منها من هذه الملكة كل تعلم واكتساب. [1]

نرى أن علم النفس الأوغسطيني يتميز بتشديده على الإرادة، فهو يعطيه دورا أساسيا، ويراها تتحكم بل وتتعلق بها قرارات ومشيئة البشر على المستوى العملي وعلى عمليات القوى المعرفية بشكل خاص.

**ثالثا– مبادئ الإرادة:**

هناك مبدأين تقوم على أساسهما الإرادة؛ وهما الحب والحرية:

أ–**الحب:**

يقول أوغسطين متأثرا بالفلسفة اليونانية، وبفلسفة أرسطو بشكل خاص، إنه في كل نفس( كما أنه في كل جسم، يوجد ثقل طبيعي يقودها باستمرار، ويحركها دائما إلى أن تبحث عن مكان طبيعي لراحتها، ذلك المكان هو الحب، إن جاذبيتي يقول أوغسطين هي حبي. [2]

فمحبة الأشياء توحي أن ذلك الشيء (المرغوب ) هو مرغوب به لذاته، وهو حركة للروح نحو ذاك الشيء المراد[3]

وهكذا فإن الحب هو المحرك الصميمي للإرادة ، ويعني ذلك بالطبع أنه إذا كانت الإرادة هي المميز للإنسان، فإن الحب هو الذي يحركه، إن الحب أساسي في الإنسان، وهو قوة باطنية فيه، تجذبه إليها

[1] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص201.

[2] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص201.

[3] كريستيان نادو: المفردات والأسلوب عند القديس أغسطين، (مرجع سابق)، ص22.

كما تجذب الجاذبية الأجسام التي تقع، إن المحبة تقودنا إلى مكان راحتنا؛ تقودنا إلى أسفل عندما نحب الكائنات السفلى، وإلى أعلى عندما نحب الله.

يتجه الإنسان نحو غايته بإرادته عكس ما هو في الأجسام التي هي أيضا تتجه لغاية لها محددة، وعلى الإرادة أن تحترم الترتيب السائد الذي سنه الله على أساس إعطاء ماهية ثابتة لكل كائن، وتحديد غاية له، وهذا ما يقودنا إلى الحرية ثم إلى الحب ثم إلى المحبة والنعمة. [1]

* **ملاحظة**: الحب أيضا من الفضائل المسيحية التي تحدث عنها أوغسطين بشكل موسع وهذا ما سنقف عنده في المبحث الخامس الخاص بالفضائل.

**ب_مبدأ الحرية**:

الحرية أمر بديهي في اعتقاد أوغسطين فوجودها ثابت ويقيني كثبوت اعتقاده بأنه يحيا، فعندما يريد الشخص أولا يريد شيئا، فبلا شك هو الذي يريد أولا يريد ذلك الشيء ولا أحد غيره مطلقا.

الحرية هي تطبيق لقانون الخالق في الأرض ولهذا فالحرية الكاملة تشكل طيفا من الضرورة حيث أنها تعكس توازنا بين الإرادة الإنسانية والإرادة الإلهية أي أن الإرادة الإلهية تحوي الإرادة الإنسانية، فالحرية مبدأ إيجابي حيث أن كل ما يشمل انحطاط البشرية هو نقيض لها، ونظريا إن الحرية اقتباس قد يكون سلبيا أو إيجابيا عن نظام الخالق الطبيعي، بمعنى آخر هو صلة الوصل بين نظام الخالق والروح البشرية ولهذا السبب فإن الروح تسعى إلى الانصياع لهذا النظام وبواسطة العقل وحده تبقى الروح ضمن هذا النظام. [2]

أي أن الحرية في الفكر الأوغسطيني مشكلة ما ورائية، سواء في نشوئها أو في نهايتها ومصيرها، فهي مرتبطة أشد الارتباط بالعقيدة الدينية، ولا تفهم بدونها، ولا تبلغ كمالها في العالم الآخر، فهي تبقى قاصرة بدون النعمة، أفعالها مقيدة بالله وتابعة له. [3]

---

[1] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص202.

[2] كريستيان نادو: المفردات والأسلوب عند القديس أغسطين، (مرجع سابق)، ص84.

[3] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص203.

وبهذا فالحرية لا تنفصل عن الإرادة ولا تفهم بدونها، فالإنسان حر ومسؤولية حريته تكمن في مسألة وجود الثواب والعقاب في الحياة الآخرة أو طاعته وعصيانه للتشريعات، ولكن هذه الحرية ليست بصفة مطلقة لأن الإرادة الإنسان تتعلق بإرادة الخالق.

**رابعا–علاقة الإرادة بالأخلاق:**

يقول أوغسطين:" ولما تيقنت بأن حياتي وإرادتي سواسية ارتفعت قليلا إلى نورك وعليه فحين كنت أريد شيئا أو لا أريده كنت أثق من أني أنا أريد وأنا لا أريد، لا شخصا آخر، ومنذئذ أدركت أن أصل الشر كامن في، أما الأعمال التي أتيتها مرغما فقد شعرت بنفسي أني منفعل بها لا فاعل، واستنتجت أن لا وجود فيها للخطيئة بل هي عقاب عادل تنزله في، وهذا ما كنت أعترف به حالا لنفسي... ثم استدرك قائلا:" من خلقني ؟ أليس إلهي الصالح، الصلاح عينه هو الذي خلقني؟ ومن أين أتتني إرادتي الشريرة وامتناعي عن الخير؟".[1]

فإن الإرادة تقوم بتوجيه المشاعر، كما تقوم بتوجيه ارتباطات وحركات الروح نحو تلك الأشياء ذاتها؛ ولكن إن كانت الإرادة تقوم بتوجيه المشاعر، هي ذاتها موجهة بواسطة الحب، أي إن إرادة الشيء هي حب لذلك الشيء و بالتالي هنالك إرادة خيرة وإرادة سيئة كما أن هنالك حب جيد وحب سيء، كل هؤلاء يعتمدون على اختيار الشيء المرغوب به أو المراد، في الحقيقة، أن ذاك الشيء هو الذي سوف يميز الإرادة الصائبة لتكون حب الخير أو حب جيد، أما الإرادة السيئة أو الإرادة المعكوسة فهي منحرفة في المقياس، حيث أن الشيء الذي يجب أن يكون ملكا لها يقوم بحرفها عن مسارها.[2]

إذا أخذنا الإرادة بحد ذاتها ككل طبيعة أي ككائن فإنها جيدة، خيرة إذ بدونها لا وجود لحياة خيرة، الإرادة تأتينا من الله، وهي بحد ذاتها ليست خيرا مطلقا تماما أي كالعدالة والقوة والعفة، الإرادة أداة ذات طبيعة خيره إلا أن مفعولها يمكن أن يكون سيئا حسب طريقة الإنسان باستعمالها، وكما أن العقل مصدر العلم يعلم ذاته، والذاكرة مخزن الذكريات تتذكر ذاتها، فكذلك هي الإرادة لأنها سيدة نفسها، حرة هي التي تسيء استعمال الخير أي استعمال نفسها( لأنها بحد ذاتها خير). الله مصدر كل شيء

[1] أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص124.

[2] كريستيان نادو: المفردات والأسلوب عند القديس أغسطين، (مرجع سابق)، ص145_144.

ومصدر كل خير طبعا، صحيح أنه خلق الإرادة سيدة نفسها، لكنه خلقها أيضا على أن ترتبط بالخير الأسمى وأن تحيد عنه، أي أنه يوجهها إلى الخير، وهي حرة أن تقبل أو أن ترفض، وإذا فعلت الخير فإنها تفعله مشتركة مع الله الذي يخلق كل فعل، و البحث عن مصدر الشر هو البحث عن مصدر غير موجود، فالصمت هو غياب الصوت، والظلام هو غياب النور.. وعلى هذه الشاكلة يفسر أوغسطين الخطيئة الأولى فيقول إنها نقص محبة الله في الإرادة، إلا أن الله يساعد الإرادة عندما تقع أو تخطيء بواسطة النعمة.[1]

وبالتالي فالإنسان حر في توجيه إرادته المتعلقة بحب الشيء المرغوب وعلى هذا الأساس هناك إرادتين خيرة و شريرة، فالجيدة هي الإرادة الصحيحة المرتبطة بالفعل الإلهي الموجه لها، أما السيئة فهي انحراف عن الإرادة الخيرة.

**الفرع الرابع– القوة العاقلة:**

احتل العقل مكانة هامة في المشكلات الفلسفية التي عالجها أوغسطين باعتباره أحد قوى النفس الإنسانية، كما أنه الميزة التي ميز بها الله النفس الإنسانية عن النفس الحيوانية، لذا سنحاول فهم ماهية هذه القوة المعرفية وكيف ربط أوغسطين بينها وبين السلوك والفضيلة.

**أولا–تعريف العقل:**

العقل بوجه عام ما يميز به الحق من الباطل والصواب من الخطأ، ويطلق على أسمى صور عمليات البرهنة والاستدلال بخاصة، ويراد به أيضا المبادئ اليقينية التي يلتقي عندها العقلاء جميعا وهي مبدأ الهوية،[2] كما أنه ميزة الإنسان؛ فإن وضع الإنسان بالمقارنة مع فصيلة الحيوانات فإنه الحيوان العقلاني الوحيد، وليكون أكثر قربا من الخالق يجب على الإنسان أن يترفع بنفسه فوق حالته الحيوانية، أي أنه لا يمكن أن يفعل شيئا واحدا إلا من خلال استخدام عقله، وبهذه الحقيقة سوف يترفع عن الموت أي عن جميع الأشياء المادية الآنية ليكون أكثر قربا من الخالق، وعلى العكس، إذا لم تملك الروح عقلا فإنها

[1] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص177.

[2] إبراهيم مذكور : المعجم الفلسفي( مرجع سابق)، ص120.

ستصبح حيوانية، أي أن الروح تبتعد عن الخالق وتتجه نحو الموت بسبب أنها كلما ابتعدت عن الخالق، كلما فقدت ذاتها وكينونتها.[1]

فالعقل عند أوغسطين بمثابة المبدأ الباطني أو هو صنو الذّات، ولكنه في الوقت نفسه يمثّل تلك القوة الخارجة عن الذات والتّي تسعى إلى فهم حقيقتها الباطنية.[2] لذا حرص أوغسطين على تنمية قدراته والتي لا تكون إلا بالمطالعة فيقول:" يتغذى العقل بالمطالعة، في الجسم الذي يصوم، وينتعش الإنسان الباطني بفضل هذا الدواء ويصبح قادرا على أن يتحمل برجولة صوم الإنسان الخارجي".[3]

فهو الحركة التي يمر بها الفكر(منس)*[4] من إحدى معارفه إلى أخرى كي يقيم بين هذه وتلك علاقات مشتركة أو ليفرقها.[5] وهناك فرق بين العقل والتعقل؛ أي أن العقل صاغرا أمام التعقل باعتبار أن الأخير يشير إلى ارتباط مباشر وفوري بالحقيقة الإلهية و بالتالي إن التعقل مترفع عن العقل، كما أن العقل ضروري لوجود التعقل في الحصول أو تمنيه، يجب أن يكون المرء عقلانيا.[6]

أي أنه الحركة التي يستطيع من خلالها التفكير أن يميز أو يربط أشياء مختلفة وأهداف متنوعة من المعرفة، أي أن العقل جزء من المقدرة العليا للروح التي تصبح الأشياء من خلالها واضحة ومفهومة.

**ثانيا–مكانة العقل:**

لم تحظى مكانة العقل عند أوغسطين نفس المكانة المرموقة التي حظي بها في الفلسفات الإغريقية وهذا ما ميز فكره، فهو يرى أن كل الفلسفة التي سبقت ظهور المسيح مخطئة بجعلها العقل أسمى قوة في الإنسان إلى أن جاء الوحي الإلهي فكشف له عن هذه الحقيقة، فالعقل لا يستطيع أن يهدي الإنسان إلى الحقيقة والحكمة، لأنه هو في ذاته غامض المعنى، وأصله مغلّف بالغموض ولا يزيل حجاب هذا

---

[1] كريستيان نادو: المفردات والأسلوب عند القديس أوغسطين، (مرجع سابق)، ص120 .

[2] معز مديوني: مقدمة لقراءة فكر أغسطينوس، ط1، ( جداول للنشر، لبنان، 2011م)، ص83.

[3] أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، (مصدر سابق)، ص170.

[4]* الفكر هو القسم الأعلى من النفس العاقلة( أنيموس) وهو الذي يلتصق بالمعقولات وبالله (علي زيعور: أوغسطينوس، ( مرجع سابق)، ص193.

[5] علي زيعور: أوغسطينوس، ( مرجع سابق)، ص193.

[6] كريستيان نادو: المفردات والأسلوب عند القديس أغسطين، (مرجع سابق)، ص120.

الغموض إلا الوحي المسيحي، ويرى أوغسطين أن العقل ليس واحدا بسيطا بل هو مزدوج الطبيعة، فقد خلق الله الإنسان على صورته، فهو صنع يد الله عدلا لأنموذجه الأعلى، ولكن هبوط آدم أفقده ذلك كله، ومنذ ذلك الحين استغرقت القوة الأصلية للعقل في الغموض وهي كذلك أبدا، وإذا ترك العقل وحده لذاته معتمدا على قواه عجز عن أن يهدي إلى الطريق عودا، لأن العقل لا يستطيع أن يعيد بناء ذاته، ولا يستطيع معتمدا على جهوده أن يعود إلى جوهره الأول الصافي، وإذا صح له أن يتم إصلاح حاله فلا يكون ذلك إلا بعون العناية الإلهية.[1]

يقول أوغسطين:"وأيقنت حقا أن العقل أصبح يدرك في مخلوقاتك منذ تكوينه الكمالات غير المنظورة، وبينها قدرتك الأزلية وإلوهيتك وفيما كنت أبحث عن أسس اعتمد عليها لقياس جمال الأجسام السماوية المتغيرة حين كنت أقول: هذا يجب أن يكون على الشكل الفلاني والعكس بالعكس، أجل آنذاك اكتشفت الحقيقة الخالدة الأزلية فيها فوق عقلي الذي لا يثبت على حال".[2]

فالعقل عند أوغسطين لا يستقل بذاته في إدراك الحقيقة المطلة بل لابد له في ذلك من سلطة الكتاب المقدس، فلكي يكون برهان العقل يقينيا لابد له من الاعتماد على السلطة التي تمحو كل شك وتردد حسب اعتقاده، ولذلك يلجأ أوغسطين إلى سلطة الكتاب المقدس في الحقائق الفلسفية، فقدرة العقل بدون السلطة أقل على الإدراك، وسلطة الكتاب المقدس تعني الإيمان به، فالإيمان ضروري للتعقل كما أن التعقل ضروري للإيمان.[3]

[1] أرنيست كاسيدر: مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية (مقال في الإنسان)، ترجمة: إحسان عبّاس، دط، ( دار الأندلس ،لبنان، 1991م)، ص43.

[2] القديس أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص138.

[3] حسن حنفي: نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، (مرجع سابق)، ص15.

**ثالثا– علاقة العقل بالفضيلة والمعرفة:**

بتتبعنا لأقسام العقل وجدناه ينقسم إلى قسمين نظري وعملي؛ فالنظري ينصب على الإدراك والمعرفة، والعملي ينصب على الأخلاق والسلوك،[1] مما يدعونا هذا إلى معرفة عمل العقل ووظيفته، وما علاقته بالأخلاق والسلوك.

**أ–وظيفة العقل:**

يقتصر العقل على دور نفعي بحت، فبعيدا عن كونه الجزء الأكثر ترفعا على الروح سيصبح التعقل أداة لها، فإن التعقل لا غنى عنه ليس فقط على المستوى العقلانية بل أيضا على المستوى الروحاني، وخلافا للحواس التي تقوم بقولبة الروح من الخارج، فإن العقل يسمح بالعودة إلى حالة وضوح الكينونة الإلهية. [2]

فوظيفته تكمن في تمييز المعلومات المكتسبة بفضل الحواس بشكل واضح أو بمعنى آخر تبحث عن الحقيقة وتفصله، كما أنه يبحث عن الوحدة في الأشياء التي لا تمثله بشكل فوري وخارج متناوله،[3] فهو أداة لوصول الحقيقة، فالبحث في الكائن الإلهي يقتضي البحث في حقيقة الذات الباطنية، وهذا الأمر يتم بواسطة العقل باعتباره الأداة التي ستمكن الذات من البحث عن حقيقة توجد فيها ولكنها أشمل أي وجود الله[4] لأن العقل يمهد لبعض حقائق الإيمان مع أن هذه الحقائق لا يمكن البرهنة عليها ولكن من الممكن البرهنة على أنه يمكن الاعتقاد بها وتلك مهمة العقل، فالعقل يسبق الإيمان، ولكن هناك عقلا آخر يتبعه، فأوغسطين يعتقد بوجوب الإيمان بحقائق الوحي حتى يمكن تعقلها بعد ذلك، ويضع أوغسطين منهجه هذا في عبارة مشهورة له: أعقل كي تؤمن وآمن كي تعقل.[5]

---

[1] إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، ( مرجع سابق)، ص120.

[2] كريستيان نادو: المفردات والأسلوب عند القديس أغسطين، (مرجع سابق)، ص120.

[3] المرجع نفسه، ص121.

[4] معز مديوني: مقدمة لقراءة فكر أغسطينوس، (مرجع سابق)، ص(73 -83).

[5] حسن حنفي: نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، (مرجع سابق)، ص15.

**ب- علاقته بالفضيلة:**

هناك علاقة وطيدة ما بين العقل (المعرفة التي تمثله) والفضيلة؛ وقد أخذ أوغسطين برأي كل من سقراط وأفلاطون في ذلك؛ وهذه العلاقة تعني أنه إذا كان هناك رجل يعرف الخير فسوف يفعله، والواضح أن الناس غالبا ما يعرفون ما هو الخير ولكنهم لا يقدرون على السير في طريقه، ويرى أوغسطين أن الإرادة تتغلب على العقل، كما أن اتجاهات الإنسان العاطفية اللاعقلانية تمنعه من إتباع ما يمليه العقل.[1] لذا لجأ أوغسطين للإيمان، فهو يتعامل مع العقل والعقيدة على أساس أنهما حقلان متداخلان ومتلازمان؛ وهذا التلازم يعود في الأصل إلى القول بأن وجود العقل بشكل معزول لا يكفي فلابد من توجيهه بكيفية تتلاءم مع العقل الإلهي، والسبب في ذلك أن أوغسطين لا يروم الفصل بين توجهاته العقلية وتوجهانه الأخلاقية،[2] ولقد ركز أوغسطين على ضرورة خضوع العقل لأوامر التشريعات الإلهية وسلطة الكتاب المقدس، يقول أوغسطين في وظيفة العقل وخضوعه للكتاب المقدس:" الكتاب المقدس يدعو العقل إلى الخضوع لله لتوجيهه، ورعايته ويخضع الشهوات للعقل لكي يضبطها ويروضها ويجعلها أسيرة البر".[3]

إذن لقد تمكن أوغسطين من تشريع لمفهوم جديد في الفلسفة ألا وهو مفهوم الإنسان الباطني، الذي أصبح مقر الحقيقة الغير المتغيرة، فالعقل هو الأداة التي تمكن الذات من البحث عن حقيقة توجد فيه وهي الله، كما أنه تميّز عن معلميه من الفلسفة الإغريقية في مسألة سلطة قوة العقل واحتلاله المكانة الرفيعة المعهودة فهو يرى أن أنه لابد من سلطة تسوس سلطة العقل وهي سلطة الكتاب المقدس.

[1] نورمان ف. كانتور: التاريخ الوسيط قصة حضارة ،(مرجع سابق)، ج1، ص110.

[2] معز مديوني: مقدمة لقراءة فكر أغسطينوس، (مرجع سابق)، ص66.

[3] أوغسطين: مدينة الله، (مصدر سابق)، ج1، ص 426.

## المبحث الخامس: الخلق والفضيلة عند أوغسطين.

علمنا سابقا أن فلسفة الأخلاق هي العلم الذي يهتم بدراسة أفعال وأحوال الإنسان الإرادية وفق مجموعة من المعايير والمفاهيم الاجتماعية والدينية بصفة نسبية أو مطلقة، وفي هذا المبحث سنركز على فلسفة الأخلاق الأوغسطينية بشكل مباشر خاصة بعد معرفتنا بالنفس وقواها وعلاقتها بالسلوك والأخلاق، وسيكون ذلك من خلال مطلبين؛ الأول خاص بالأخلاق والثاني بالفضائل.

### المطلب الأول: الأخلاق.

#### الفرع الأول_ ماهية الأخلاق عند أوغسطين:

**أولا_ تعريف الأخلاق:**

إنّ التفكير الأخلاقي عند أوغسطين لا يمكن عزله عن الفكر الديني المسيحي. فالأخلاق المسيحية مؤسسة على الوحي الذي هو إيمان الله لذاته وطبيعته في الكتاب المقدس، فالمسيحية تجسد للمبادئ الأخلاقية في حياة السيد المسيح.[1]

هذا من الناحية الدينية أما الناحية العقلية والفلسفية فعلم الأخلاق عند أوغسطين هي علم الخير أو العلم بالخير والشر، أي الحكمة العملية التي تفسر معنى الخير والشر،[2] ولقد تطرقنا لهذا المفهوم سابقا وسنحاول الإلمام بشكل مفصل حول مسالة الخير والشر في الفصل الأخير.

والخير أو الخير الكامل هو توجه النفس نحو طبيعة عليا تضيء بنورها هذه النفس، وتمنحها السعادة الأضمن و الأخصب، فرغائب الإنسان لا تجد إشباعها إلا في الله، يعني ذلك أن الإنسان إذا تعمق في

[1] فايز فارس: علم الأخلاق المسيحية ،ج1، ط1( دار الثقافة، مصر، دت)، ص21

[2] جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1،(مرجع سابق) ص51

رغبته في السعادة، فإنه سيتجاوز النظرة الرواقية*[1] لها في سبيل البحث في الله نفسه عن الامتلاء والأبدية، والخير الأسمى لكائن ما؛ هو ما يضع هذا في أكمل حالة، وحيث أن ما يحرك الجسم ويحييه هي النفس، فلا شيء أفضل منها إذ هي أفضل من كل لذة، ومن كل شهوة أو قوة، أو جمال، وما شابه من لذائذ جسدية، إنها تمنحه الحياة فهي خيره الأسمى،[2] ويقول أوغسطين:" ما إن يصل الإنسان ذلك الخير الأسمى يصبح سعيدا، إن الخير الأسمى الذي تقترحه الفلسفة وتتبناه ليس خير الشجرة ولا الحيوان ولا الله بل خير الإنسان". [3]

**ثانيا– علاقتها بالسلوك:**

يقول أوغسطين :" علم الأخلاق سبيل السعادة، يبقى علم الأخلاق تدرس فيه مسألة الخير الأسمى وبه ترتبط كل أفعالنا وإليه نسعى، حتى إذا حصلنا عليه سعدنا، ولن نعود بحاجة إلى شيء، وهو كذلك الهدف المنشود وفي سبيله نعمل جاهدين من دون سواه، على أن هذا الخير أصل كل سعادة، أناس يجعلونه مرتبطا بالجسد وآخرون بالروح وغيرهم بالروح والجسد معا، وإذ يرون أن الإنسان مركب من نفس وجسد يظنون أن الواحد أو الآخر أو كليهما معا، يستطيعان أن يجعلاه سعيدا ، بهذه السعادة التي هي غاية كل ما يعمل، وبها يتم مبتغاه، أما الذين أضافوا نوعا ثالثا من الخيور المسماة خارجية، كالشرف والمجد والثروات إلخ... فلم يرفعوها إلى درجة الخير النهائي المنشود لأجل ذاته، بل يسعون إليها في سبيل خير آخر يجعلها خيرا للصالحين وشرا للأشرار، وعلى هذا النحو فإن خير الإنسان هذا الذي يربطه بعضهم بالروح وبعضهم الآخر بالجسد وأخيرا بعضهم يجعله للروح والجسد معا فكلهم متفق على السعي إليه في الإنسان، السعي إليه في الجسد هو سعي إليه في الجزء السفلي، والسعي إليه في الروح هو سعي إليه في الجزء الأعلى أن يطلبه في الاثنين معا ففي الإنسان يطلبه.[4]

---

[1]*يرى الرواقيين كشيء أكيد أن خير الإنسان الأسمى يرتكز فقط على فضيلة النفس. (القديس أوغسطين: مدينة الله، ترجمة: يوحنا الحلو، ط2 (دار المشرق، لبنان، 2007م)، ج3، ص105)

[2] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص221.

[3] أوغسطين، مدينة الله (مصدر سابق)، ج3، ص108.

[4] أوغسطين،مدينة الله ، (مصدر سابق) ج1، ص377.

إذن فالأخلاق عند أوغسطين تنطلق من رهان ديني وعقلي معا، فغايتها معرفة الله بوصفه الخير؛ حيث ركز على العلاقة بين الفرد والله باعتبارها الأساس للسلوك الخلقي والسلوك الديني.

**الفرع الثاني_ مكارم الأخلاق (التطويبات):**

لا تكاد تخلو مصنفات أوغسطين اللاهوتية والأخلاقية من جملة الصفات السلوكية التي تحمل طابع الحسن والقبيح، بل وله مصنف أفرده للحديث عن خلق واحد وسماه باسمه " الكذب" ، وبما أننا بصدد الحديث عن مكارم الأخلاق أو الصفات الحميدة الخيرة ارتأينا الوقوف على ما يصطلح عليه ب "التَّطويبات" وهي عبارة عن دستور أخلاقي بما تحمله في طياتها من جملة مكارم أخلاقية لاهوتية، حيث عنى بها أوغسطين بالقول والشرح والتفسير.

ذكرت التطويبات في كل من سفري متى ولوقا؛ ونصها يقول في سفر متى:" **طوبى للمساكين بالرّوح، لأن لهم ملكوت السماوات..طوبى للحزانى لأنهم يتعزون...طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض...طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون...طوبى للرحماء لأنهم يرحمون...طوبى لأنقياء القلوب لأنهم يعاينون الله...طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون...طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين**".[1]

**أولا–المسكين بالروح:** يقول أوغسطين:" المسكين بالروح هو وديع يخاف كلمة الله و يعترف بخطاياه، ولا يغتر باستحقاقاته وببره، يسبح الله حين يأتي عملا صالحا، ويشكو نفسه حين يأتي سوء، ولا يرجو سوى الله، لأن الرجاء فيه وحده لا يخيب، المسكين بالروح يتخلى عن ماله ويتبع المسيح، يوزع على الفقراء كل ما يملك لكي يطيع المسيح ولا يعوقه شيء عالمي، وإذ يتحرر من كل حمل أرضي يطير إليه كما على أجنحة".[2]

فالمسكين بالروح هو ذو علاقة وطيدة مع الله فهو سريع التوبة والإنابة في حالة الخطأ وعديم الرياء في حالة الاستحسان فهو يتخلى عن نفسه وماله وكل ما يملك في سبيل معبوده(المسيح).

[1] مت 5/ 3-11. وكذلك لو 20/6-24.

[2] أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، (مصدر سابق)، ص270.

**ثانيا–طوبى للودعاء:** الوديع هو الإنسان الذي من كل خير يعمله لا يرضى إلا بالله، ولا يبعده عنه أي أذى يتعرض له، فعليه في كل ما يعمله من خير ألا يؤخذ إلا بمحاسن الله، ولا يبعدنه عنه الشر الذي يتحمله، فهو يصنع هذا ليحيى. فالذي يريد أن يرث الأرض عليه أن يكون وديع، يقول أوغسطين:"كن وديعا هادئا ولا تكن شرسا متكبرا، ولا تجمع براسك كالحصان والبغل اللذين لا فهم لهما ومتى صرت وديعا وهادئا أقام الرب فيك، وقادك في سبله"[1].

فالإنسان الوديع عند أوغسطين هو الذي يحمل كل معاني اللطف والسكينة والهدوء.

**ثالثا–طوبى للباكين:** إن الرجل الذي عاش عيشة صلاح وبر وقام في وسط التجارب فسيظل دوما خائفا، الناس يضحكون ويكون ومن اللازم أن يبكي مما يضحكهم، بيد أن هذا الإنسان يبكي خسارته، والآخر يبكي حزنه الذي تسبب له من وجوده في السجن، والثالث يبكي لأنه فقد عزيزا عليه، وأول هؤلاء الباكين جميعا هو الرجل البار الذي يبكي حقا أولئك الذين يذرفون دموعا عقيمة، إنه يبكي على من يبكون وعلى من يضحكون لأن الباكي على أمر باطلة يبكى سدى والضاحك لما لا قيمة له يتأذى من ضحكه. البار يبكي دوما ولهذا يبكي أكثر من سواه، إنه يبكي في صلاته حين يوصي خيرا بأعماله الصالحة. [2]

**رابعا–طوبى للجياع:** يقول أوغسطين:"إن كان الجسم يشتهي الشبع، فبعد أن تهضم غذاءك سوف تشكو من الجوع من جديد، إنك تشبع لزمن يسير، ثم يعود إليك الجوع، أنت بحاجة إلى الشبع لأنك جائع وعطشان، فليكن فيك جوع وعطش إلى البر، لكي تشبع من هذا البر عينه الذي تعطش الآن وتجوع إليه، والاعتراف بخطياك بداية برّك، منذ أن امتنعت عن الدفاع عن خطيئتك بدأت تحزن ويكتمل برّك فيك ساعة لا يعود يفرحك سواه، ويكتمل برك حين لا تعود الشهوة تستهويك، ويبطل كل صراع بين اللحم والدم، وحين تنال إكليل البر وتتغلب على العدو ويبتلع الموت بالغلبة إذ ذاك يصبح برك كاملا، أحب البر وليكن فيك عطش إلى البر".[3]

---

[1] أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، (مصدر سابق)، ص274.

[2] المصدر نفسه، ص279.

[3] المصدر نفسه، ص283.

فالجوع الحقيقي عند أوغسطين ليس المرتبط بشهوة الطعام والأكل لأن إشباعهما آن ومتكرر بل هو مرتبط بالبر الذي في حالة اكتماله يتغلب الإنسان على شهوة نفسه.

**خامسا–طوبى للرحماء:** إن الذين ينقذون البائسين مطوبين لأن عملهم هذا يرتد إليهم بطريقة يتحررون بها من البؤس.[1]

يقول أوغسطين:"اعمل فيكون، اعمل لآخر ليكون لك كما عملت له، أنت في بحبوحة وفي فاقة معا، أنت مكتظ بالخيرات الزمنية ومحتاج إلى الخيرات الأبدية، تسمع الفقير يستعطيك وأنت ذاتك تستعطي الله، تسأل وتسأل؛ إن الله يعاملك كما تعامل من يستغيث بك، إنك مليء وفارغ معا، املأ مما يفيض عنك من ليس له شيء لكي يمتلئ فراغك من ملء الله، [2]وقد استدل أوغسطين بلوقا في ذلك :" **اغفروا يغفر لكم، أعطوا تعطوا**".[3]

فرحمة الإنسان لغيره تستوجب بالضرورة رحمة الله وكأنها معاملة ما بين الإنسان وربه فإن عمل الخير أو الشر للآخر سيكون له نفس الجزاء من ربه.

**سادسا–طوبى لأنقياء القلوب:** يقول أوغسطين:"يا لغباوة الباحثين عن الله بهذه العيون الخارجية، إذ لا يرى الله إلا بالقلب، وذلك كما هو مكتوب في موضع آخر" التمسوه بقلب سليم" لأن القلب النقي ما هو سوى القلب السليم والبسيط، وكما أن هذا النور لا يرى إلا بعيون نقية، هكذا لا يرى الله ما لم يكن ذاك الذي يراه( أي القلب) نقيا. [4]

وهذا يعني أنه لمعاينة الله ورؤية النور الحقيقي لابد من طهارة القلب والحرص على نقاوة النظر الباطني.

**سابعا–طوبى لفاعلي السلامة:** الكمال في السلام حيث كل شيء مقبول، ولذا فإن فاعلي السلامة هم أبناء الله إذ لا شيء يخالف الله،[5] إذ يسيطرون على حركات أرواحهم ويخضعونها للصواب أي للعقل

[1] أوغسطين: في شرح الموعظة على الجبل، (مصدر سابق)، ص46.

[2] أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، (مصر سابق)، ص286.

[3] لو 37/6

[4] أوغسطين: في شرح الموعظة على الجبل، (مصدر سابق)، ص47.

[5] أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، (مصر سابق)، ص293.

والروح، ويقمعون شهواتهم الجسدية تماما،[1] حيث انتظم كل شيء وراح ما هو سام في الإنسان[2] ورفيع يأمر ما دونه المشترك بين الإنسان والحيوان، ثم إن ما سما في الإنسان أي الفكر والروح، هو عينه خاضع للأسمى منه أي الله ويقول سفر مزمور: " **أتريد السلام اعمل برا يكن لك السلام، السلام والبر تعانقا**".[3] فمن أراد أن يأتي السلام فليعمل البر وليبتعد عن الشر ويعمل الخير ، هذا هو حب البر، ثم يطلب السلام ويتبعه.[4]

**ثامنا–طوبى للمضطهدين على البر**: يقول أوغسطين:"كثيرون يمتحنون وينالون العقاب ذاته، إنما السبب يختلف؛ المجرمون يتحملون عذابات كثيرة وكذلك اللصوص والقتلة والسفاكون والشهداء، ولكن العقاب لا يعمل شهيدا بل السبب، لأنك لو نظرت إلى الآلام وحدها كما قلت لوجبت مكافأة اللصوص أيضا، ،إذا حق الفخر بالألم فللشيطان أيضا أن يفخر، اختر لنفسك السبب وهلم إلى العذاب مطمئنا، إن كنت مدفوعا إليه بسبب صالح نلت الإكليل بعد العذاب".[5]

قد أشاد أوغسطين في تفسير وشرح التطويبات المسيحية التي ألمت على جملة من مكارم الأخلاق التي من خلالها ينال الإنسان المسيحي البر والسلام والرحمة الإلهية.

**الفرع الثالث– منهجية أوغسطين في دراسة الأخلاق:**

لمعرفة منهجية أوغسطين في دراسته للأخلاق سنتطرق لخلقين أحدهما حميد والآخر مذموم من كتابين مختلفين ومن خلالهما سنحاول التقرب لمنهجيته في دراسة الأخلاق.

[1] أوغسطين: في شرح الموعظة على الجبل، (مصدر سابق)، ص47.

[2] أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، (مصر سابق)، ص293.

[3] مز11/134.

[4] المصدر نفسه، ص294.

[5] المصدر نفسه، ص289.

**أولا–الخلق الجيد:( العفو)**

اخترنا نموذج العفو من كتاب خواطر فيلسوف؛ باعتباره أحد المكارم الأخلاق الإنسانية ويعبر عنه أيضا بالمسامحة الأخوية؛ ويقول أوغسطين في ذلك:" وكأني به يقول: يا إنسان اغفر للبشر لكي اغفر لك أنا الله" ألا تريد أن تأخذ من الرب إلهك ما يأمرك بأن تمنحه أخاك؟ فكيف تسأل الغفران لنفسك إن رفضت أن تعطي الغير ما تريده لنفسك؟"،[1] وقد جاء في سفر متى:" **يا رب كم مرة يخطئ إلي أخي وأنا أغفر له؟ هل إلى سبع مرات؟ قال له يسوع: لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات**"[2]

كما أن العفو يعزز من الرابطة الأخوية فيقول :"إن أهنت أخاك فلا تقل: وأي شر فظيع أتيت؟ لقد أخطئت ضد إنسان. لا تتهاون بخطيئتك هذه التي ارتكبتها ضد إنسان، أتريد أن تعرف أنك هلكت بسبب خطيئتك هذه ضد إنسان؟[3] أصغ إلى صوت ربك "، **إن قلت لأخيك يا أحمق" استحققت نار جهنم** ". [4] فيحذرك الرب من أن تتهاون في خطايا أخيك، لا لكي تبحث عما توبخه عليه، بل لكي ترى الشر الذي فيه فتصلحه منه؛ و الإصلاح كالحب، إنه يبقى إيصال الإنسان إلى الحياة السعيدة، ويزداد حبا كلما ازداد رغبة في إصلاحه، لا يكن إصلاحك للقريب ناتجا عن كدر يزعجه أو عن خطأ اقترفه بحقك لأنك لا تعمل شيئا إن حاولت إصلاحه بدافع من ذلك، أما إن عملت ذلك حبا به فقد أتيت شيئا عظيما، .. عظيم هو الإنسان الذي يتناسى الإهانات، بل إنس إهانتك ولا تنس جرح أخيك، أصلحه فيما بينك وبينه، إن سمع لك ربحته، ولولاك لبقي على ضلال، وبخه فيما بينك وبينه بدافع من الإصلاح".[5]

[1] أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، (مصدر سابق)، ص256.

[2] مت 21/18-22.

[3] أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، (مصدر سابق)، ص258.

[4] مت 22/5.

[5] أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، (مصدر سابق)، ص259.

**ثانيا–الخلق السيئ( الكذب):**

خص القديس أوغسطين الكذب بمقالتين ظهرت الأولى سنة 395 تحت عنوان" الكذب"، أما الثانية فقد ظهرت سنة 420 بعنوان" ضد الكذب"، ولم يقتصر كلامه على الكذب على هاتين المقالتين، بل ضمن في رسائله المتنوعة والمتعددة آراءه في الكذب لما لهذا الموضوع من أهمية في الدفاع عن الحقيقة.[1]

إذن لابد من معرفة مقومات الكذب عند أوغسطين، فهو يرى أن من يقول خطأ لا يكذب، لأنه يعتقد أو يقتنع بأنّه يقول الحق لأن كل من يعتقد شيئا يعرف أحيانا انه يجهل ما يعتقده، أي أن هناك فرق ما بين الاعتقاد والاقتناع، فالذي يقتنع بشيء يعتقد أنه يعرف ما يجهل، وفعلا كل من يقول شيئا يؤمن به ويقتنع بوجوده فهو لا يكذب، حتى ولو كان ذلك الشيء غلطا، لأن إيمانه بما يقول يحمله على أن يقدم ما يؤمن به وهو مطابق لفكرته،[2] إن صدق ما لم يكن أهلا لان يصدق، أو ظن أنه يعرف ما يجهله، وكان الشيء صحيحا وإن غامره بعض الخطأ، وإن لم يكن صاحبه كاذبا، إنه يأخذ المجهول وكأنه معروف، إذ ذاك يكذب كل من يفكر في شيء ويقدم شيئا آخر بكلامه، أو بأي نوع من الإشارات والحركات، يقال إن الكذاب يراوغ في قلبه، إذ يحمل فكره معينة؛ يقبل ويختزن ما يعرفه صحيحا من دون أن يقول، وفي الوقت عينه يقدم بديلا عنه، مع علمه بأنه خطأ.

كذلك يكذب كل من يقول الحق وهو مؤمن بأن ما يقوله خطأ فيقدمه إلى الناس شيئا صحيحا، والأخذ بما قيل عن طريق السمع أو القراءة، ومن ثم يعتبر الإنسان كذابا أو صادقا، استنادا إلى نفسيته، لا إلى حقيقة ما يقول أو يكتب ومن دون أن تؤخذ صوابية ما يقال أو يكتب بعين الاعتبار، إن من يقول الخطأ بدلا من الحق، مع اقتناعه التام بأن قوله هو الصحيح، يخطأ بحسب رأي أوغسطين ويضل

[1] أوغسطين: تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحي في الحياة السعيدة (في الكذب)، ترجمة: يوحنا الحلو، ط1، (دار المشرق، لبنان، 2007م)، ص 125.

[2] المصدر نفسه، 128.

ويصبح بحاجة إلى أن يفكر في ما يقول، ولا يعتبر كاذبا لأنه لا يراوغ في حديثه، ولا يريد أن يخدع، ولا أن يخش بل هو نفسه يقع فريسة الغش والخداع.[1]

**ثالثا_ منهجيته:**

من خلال المثالين السابقين يتبين لنا بوضوح تباين منهجية أوغسطين حين تناوله الصفات الأخلاقية من كتاب لآخر، فخلق العفو التي مررنا بها عالجها أوغسطين بصفة لاهوتية فكانت للفكر الديني أقرب من الفكر الفلسفي كذلك التطويبات، أما الكذب فعالجه بطريقة فلسفية ويعود هذا لتأثره بمعلميه من اليونان. كما يمكننا إعطاء النقاط التالية التي تبين لنا الملامح الكبرى لمنهجية أوغسطين والتي تباينت على حسب تطوره الفكري:

**أ–المنهج الفلسفي:**

لقد طغى المنهج الفلسفي على كثير من دراسات أوغسطين ويتبين لنا ذلك من خلال تحليلاته وطريقة عرضه ومناقشته للأفكار الأخلاقية استنادا على آليات التفسير العقلي.

**ب–المنهج اللاهوتي:**

يتبين لنا ذلك من خلال قوة الاستشهاد بفقرات الكتاب المقدس، والحالة الروحية التعبدية ما بين أوغسطين وربه، كما أنه كثير الربط ما بين الفعل الخلقي والسعادة والكمال والله ، ونلمس هنا غياب المنهج العقلي عكس المنهج السابق ويمثل آخر مرحلة في تطوره الفكري.

**ج– أسلوب التوبيخ:**

نلتمس هذا الأسلوب من خلال العديد من الأمثلة خاصة في كتاب مدينة الله ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في قول أوغسطين:" حبركم فيما مضى الذي اختاره مجلس الشيوخ بالإجماع كأفضل مواطن، فلو أنه حي لوبخكم على وقاحتكم لأنكم في مصابكم تتهمون مجيء المسيح وتتذمرون منه، وفي الواقع أليس لأنكم تريدون التمتع دون إزعاج، برذائلكم أحرارا من كل عذاب جهنمي، لا يطاق والغوص ما

[1] المصدر نفسه، ص 120.

شئتم في فسادكم؟ تشتهون السلام والخيرات، ألكي تتمتعون بها بطريقة شريفة واعتدال وخوف الله؟ كلا ثم كلا، تنوع من الملذات، لا ينضب له معين، وهدر جنوني وأخيرا نمو خصب في الخراب الأخلاقي أشد هولا من سيف العدو: ذاك ما تسعون إليه".[1]

لقد وظّف أوغسطين التوبيخ كلغة تأديبية في كثير من مواعظه، فالتوبيخ يأتي كنتيجة لتكرار الخطأ دون الرغبة في تركه ولو أقيمت الحجة وهذا الأسلوب يتماشى مع المرحلة اللاهوتية من حياته.

**4-الاستشهاد بالأمثلة:**

لم يكتف أوغسطين بمجرد عرض آراءه الفلسفية والاستشهاد من فقرات الكتاب المقدس بل أنه استعان بالتمثيل والاستشهاد من وقائع محلية وتاريخية؛ وهذا مثال عن رجل سيء؛" نيرون الواقف في المرتبة الأولى أعلى الذرى التي يمكن للرذيلة أن تصل إليه ، ذاك رجل بلغ من الانحلال حدا لم يبق محلا للرجولة فيه، ولا للخوف منه، إنما بلغ من القسوة حدا قضى على كل ما يتوهمه الناس فيه من تخنث، لولا معرفتهم به، على أن هذه القدرة السامية لا تعطى لأمثال هؤلاء الناس إلا بعناية من الله العلي عندما يستحق العالم بنظره".[2]

إن تعدد وتباين مناهج أوغسطين في عرضه ودراسته للأخلاق إنما يدل على مراحل تطوره الفكري والمعرفي، كما يدل على معرفته بأحوال النفس وتعدد الطباع البشرية إذ أن هناك العاقل الذي ينتهج ويتبع قول العقل، وهناك من يرجح القوة الإيمانية، وهناك من كانت شهوته غلبت نفسه فيصعب التعامل معها إلا بالعقاب والتوبيخ.

[1] القديس أوغسطين: مدينة الله، (مصدر سابق)، مج1، ص52-53.

[2] كتاب مدينة الله:القديس أغسطين،مج:1، تر: الخور أسقف يوحنا الحلو، لبنات :دار المشرق،ط2،2006، ص259

**الشكل رقم 2: مخطط يوضح منهجية أوغسطين.**

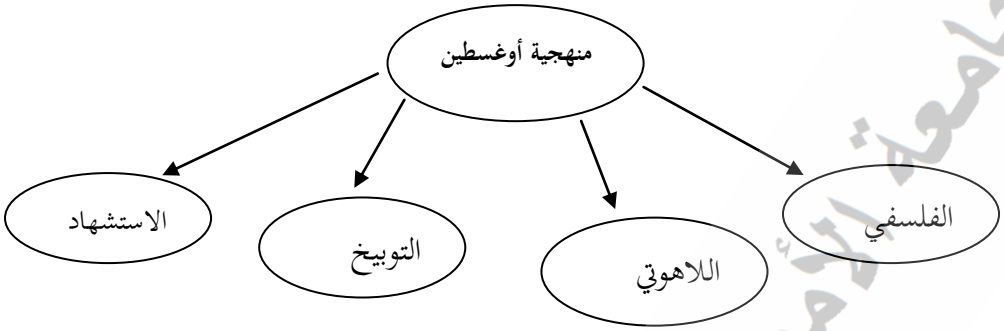


**المصدر**: من إعداد الطالبة.

**الفرع الرابع–التربية الأخلاقية و الاجتماعية:**

لم يكتفي أوغسطين بمجرد عرض وتفسير الفعل الخلقي بل أعطى منهجية عملية لإصلاح نفس الإنسان وأفعالها وذلك من خلال أسلوب تربوي يخص الفرد والمجتمع، لذا سنحاول رسم معالم أفكار أوغسطين الأخلاقية وإلمامها في صورة منظومة تربوية.

**أولا –معرفة عيوب نفسه:**

بما أن النفس كما علمنا سابقا هي المسؤولة عن الفعل الخلقي بفضل الإرادة لذا لابد قبل الشروع في عملية الإصلاح معرفة حال النفس أهي شريرة أو خيرة ومعرفة عيوبها لإصلاحها.

يقول أوغسطين في مواعظه:" انتم تفتشون حقولكم وبيوتكم بحثا عن موارد لدفع ائتمان هذه الأشياء، ولكن لكي تقتنوا المحبة، عليكم أن تفتشوا في نفوسكم وفي دواخلكم هذا لأنه عليكم أن تجدوا ذواتكم ونفوسكم".[1]

فما أخلاق الإنسان الظاهرة إلا مرآة معكوسة لباطنه، وهذا ما يبينه قول أوغسطين:" وكما أن الإنسان يقترف الجرائم إذا كانت عاطفته وأخلاقه شريرة فيغضب ويثور على النظام والقوانين ويستسلم

[1] ربيين دانيال: التراث المسيحي في شمال إفريقيا، (مرجع سابق)، ص330.

للعبث واللهو ولا سيما حينما يترك لنفسه العنان للميول التي تغذي اللذات الجسدية هكذا تتلطخ،[1] الحياة البشرية وتضل وتفسد إذا كانت نفس الإنسان العاقلة شريرة، يقول أوغسطين:" ولقد كانت نفسي شريرة لأنها ليست حقيقة، أنت تنير مصباحي يا إلهي وتبدد من عقلي الظلمات" ومن كمالك أخذنا أيها النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آت إلى العالم دون أن يكون لهذا النور دورة أو خسوف". [2]

إذن فمعرفة الإنسان لنفسه أول مراحل العلاج ولقد أفلح أوغسطين في طرحه لهذه المرحلة فهي بوابة المحبة، وبالتالي يسهل عليه إصلاح حاله إن عرف أصل علته الباطنية ومعرفة ميولات نفسه ومدى قربه من اللذات والشهوات.

**ثانيا–التربية الداخلية( معالجة النفس):**

سنحاول التركيز في التربية الروحية(الداخلية) على كل من التوبة باعتبارها أول خطوة نحو الإصلاح، ثم سنتكلم على حب البر لأنه طريق الكمال وبعدها سنعرج على كيفية أوغسطين في مقاومة النفس للشهوات.

**أ–التوبة:**

يستشهد أوغسطين بقول السيد المسيح :" **توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات**"،[3]ويشير أوغسطين إلى أن الملكوت يكون في داخل الإنسان كما قال سفر لوقا:" **ملكوت السموات في داخلكم**"[4] لذا فهو يرى أنه لابد من تقبّل حكمة نصائح المعلم(السيد المسيح) لئلا يفوت زمن الرحمة، فالله يطيل أناته على الإنسان لكي يتوب إليه فينجو من الهلاك.[5]

[1] أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص73.

[2] المصدر نفسه، ص74.

[3] مت17/4.

[4] لو21/17.

[5] أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، (مصدر سابق)، ص167.

ولقد اعتبر أوغسطين أن توبة القلب جزء من النمط المنتظم للحياة الروحانية الأصلية كلها، وينبغي أن يقبل المؤمنون الاقتصاد الشديد كشكل من أشكال الانضباط الذاتي،[1] فهو يقول:" إن الله بصبره يدعو الأبرار إلى التوبة، كما أن رحمة الله تغمر الصالحين لتعضدهم فإن حزمه يمسك بالأشرار لكي يؤدبهم، وقد شاءت العناية الإلهية أن تعد للأبرار في المستقبل خيرات لن يتمتع بها الأشرار ولهؤلاء ويلات لن يذوقها الأبرار".[2]

فالتوبة عند أوغسطين نعمة إلهية خصها للأبرار في زمن الرحمة، وهي مفتاح العودة لله والدخول في الملكوت ونيل الخيرات في الحياة الأبدية.

**ب–حب البر:**

إن الخير يمنح فرحا كاملا، و الله يمنحه العذوبة، والقلب يعطي ثمرته، فلابد من طلب البر ليبدو كل شيء تافها، يقول أوغسطين:" اجعل البر يلذّ لك حتى تتغلب على الملذات المسموح بها، عليك أن تؤثر البر على اللذة الشرعية، فضّل اللذة العقلية على اللذة الجسدية، الملذات المحرمة يفرح بها جسدك، أما البر العذب فيتغبط به عقلك بما فيه من خيرات لا منظورة جميلة نقية مقدسة ومتناسقة لكيلا تضطر إلى الذهاب إليها بدافع من الخوف،إن اندفعت إليها عن خوف فلست تجد فيها غبطتك عليك أن تمتنع عن الإثم، لا خوفا من العقاب بل حبا بالبر.[3]

وهذا يعني أنه لكي يتغلب الإنسان على اللذات الحسية والجسدية عليه أن يحب البر حتى وإن بدى له صعبا وكأن أوغسطين يدعو لفعل حب البر أي التّحبب إليه إلى أن يتطبع بالفعل فيصير فيه على سبيل العادة وأن يتجنب الإثم حبا في البر وليس خوفا من العقاب.

[1] هنري تشادويك: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص67.
[2] أوغسطين: مدينة الله، (مصدر سابق)، ج1، ص19.
[3] أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، (مصدر سابق)، ص284.

**ج_ مقاومة الشهوة:**

أولى أوغسطين اهتماما شديدا بشهوات النفس لما لها من تأثير شديد وبالغ على الإنسان وجسده حيث فرق بين الحاجة واللذة؛ فهو يقول في اعترافاته:" وقد نتساءل غالبا عما إذا كانت الحاجة الطبيعية تستلزم شبعا ضروريا أم هي الشهوة الحسية تطالب بذلك، عن رياء وخبث خدمة لها، إن نفسنا التاعسة قد وجدت غبطتها في هذا الشك .. لأنها لقيت عذرا جوهريا في صعوبة معرفة الكمية اللازمة للمعيشة ولحفظ الصحة، تتذرع الشهوة بمستلزمات الصحة لتستوفي حقها شيئا فشيئا، ... وأسمع صوت إلهي يأمرني قائلا: لا تثقلوا قلوبكم بالسكر والشراهة"[1] سمعت منك كلمة أخرى: **لا تكن تابعا لشهواتك بل عاص أهواءك**".[2]

ولا شك أن مقاومة الشهوة أفضل من الاستسلام لها، وبقدر ما يتنقى الإنسان يقترب من الله بمزيد من الشبه، ولا ريب في أن استئصالها كليا، في هذه الحياة من الإنسان أمر مستحيل ،وهي لا تزال تجرب النفوس في مسيرتها إلى الصلاح، على أن السيطرة عليها واجبة عن طريق التزام البر، وإذ احتقر العالم الأمور الجيدة والمقدسة، كان على المجد البشري أن يخجل ويتراجع أمام محبة الحقيقة، عندما تتغلب شهوة المجد في قلب الإنسان على مخافة الله ومحبته فتلك رذيلة من ألد أعداء الإيمان والتقوى،[3] حتى إن السيد قال فيها:" **كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون المجد بعضكم من بعض ولا تقبلون المجد الذي من عند الله وحده**"،[4] توكل على أمرك بالجهاد في سبيل النصر، ستنتصر إذا عضدك من أمرك، الشهوة شيء والعمل بها شيء آخر، اللاشهوة ميزة خاصة بمن أوتي الكمال:أما الامتناع عن دغدغة الشهوات فشان من يحارب ويجاهد ويتألم؛[5]"**الجسد يشتهي ما هو مناف للروح، والروح يشتهي ما هو مناف للجسد، لئلا تعمل بعض ما تريد**".[6]

---

[1] أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص221.

[2] يش30/18.

[3] أوغسطين: مدينة الله،(مصدر سابق)، ج1، ص247.

[4] يو44/5

[5] أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، (مصدر سابق)، ص226.

[6] غلا17/5

فحاجة النفس كما بينها أوغسطين إن لم تضبط مهّدت الطريق للشهوة في التمادي لذا رأى أوغسطين أن الحل يكمن في القناعة .

يقول أوغسطين مبينا رأيه في القناعة:"وبفضل نعمتك سمعت أيضا كلمة أخرى فأحببتها كثيرا وهي:"**إن أكلنا لم نزدد وإن لم نأكل لم ننقص**"[1]يعني أنني لا أصبح غنيا في تلك الحال ولا فقيرا في هذه وهذه كلمة ثالثة:" **تعلمت أن أكون قنوعا بنصيبي وأعرف أن أتضع وأعرف أن أرغد وأستطيع كل شيء في من يقويني**"[2]، أنا لا أخشى من نجاسة الطعام بل الشهوة النجسة أياها أخشى.[3]

الشهوة إذن عند القديس أوغسطين هي الميل والرغبة في شيء ما ، وكلما حاول المرء إشباعها تمادت وخرجت عن سيطرة القوى العاقلة، لذا لابد من عدم الاستسلام لها ومقاومتها والاقتناع بما يسد الحاجة الضرورية للإنسان أي أخذ مبدأ العدل والوسطية في الشيء.

**ثالثا_التربية البدنية:**

المرحلة الثالثة التي رسمناها في المنظومة الأخلاقية لأوغسطين هي تربية الجسم وأعضاءه فلكل عضو وظيفة معينة.

يقول أوغسطين:" لهذا وظيفة ولذلك أخرى، إن الله قد صنع الجسد وحيدا ولكنه لم يعط الأذن أن ترى والعين أن تسمع والجبين أن يشعر واليد أن تذوق، إنما أعطى سائر الأعضاء الصحة والارتباط والوحدة وأحيى الكل ووحدهم كذلك بالروح".[4]

وسنحاول في هذا العنصر الوقوف على الأعضاء الرئيسية المسؤولة عن الفعل والسلوك، والتي تكلم عنها أوغسطين في كل من كتابه" الاعتراف وخواطر فيلسوف"، لذا رأينا من المستحسن تقديم ذلك في الجدول التالي:

---

[1] (1كور8/8.

[2] فيليب4/11.

[3] أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص223.

[4] أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، (مصدر سابق)، ص276.

**الجدول رقم 04: جدول يبين وظيفة كل عضو والشهوة المتعلقة به وكيفية المحافظة عليه.**

| العضو | وظيفته و شهوته | قبحه وكيفية الحفاظ عليه |
|---|---|---|
| **الأنف** | الشم | التأثر بالعطور المغرية، فلابد الكف عن البحث عنها وأن يحتقرها إن حضرت حتى يتمكن من الاستغناء عنها. |
| **الأذن** | السمع | الإصغاء بشيء من الغبطة والانشراح إلى الأنغام (الترانيم)، ولكن يجب ألا يستسلم لها بالكلية لئلا يصعب مفارقتها ساعة وعدم إكرامها، ولا يجوز التساهل معها بل إخضاعها للعقل. |
| **العين** | النظر | جميع الحواس تستخدم هذه الحاسة عندما تقتضي شيئا لتدركه، لذا لابد من مقاومة مغريات العين لئلا تتعثر بها القدمان السائرتان في طريق الإيمان فهذه المغريات التي ليست ضرورية للاستعمال ولا تتلاءم والتقوى هؤلاء يتمسكون في الظاهر بأعمال أيديهم وفي الباطن يتخلون عن خالقهم ويهدمون ما حقق فيهم من معجزات. |
| **البطن** | الأكل و الشرب | يجب على المرء أن يجد لذته في سد حاجته الضرورية ، وأن يجاهد ضد هذا الميل لئلا يسقط في فخاخه، فهي حرب يومية سلاحها الصوم لترويض الجسد واستعباد الشهوة، فالجوع والعطش تحرق وتقتل كالحمى إن لم تعالجها بالأطعمة و ألاّ تؤخذ الأطعمة إلا علاجا ، ولكن عندما تنتقل من هذه الحاجة المؤلمة إلى لذة الشبع وبالتالي الشهوة |
| **اللسان** | التكلم | اجعل لسانك ضابطا لأن المهذار لا يعرف كيف يسير على الأرض ، المهذار يهوى الأكاذيب ولا يتلذذ إلا بالكلام إن تكلم لم يفكر بما يقول ولا يهتم بخطاياه لأنه يهتم بعيوب غيره، أحفظ لسانك من الشر، لا تكذب ولا تتهم أحدا، ولا تشهد بالزور ولا تجدف ولا تتكلم شفتاك بالغدر.[1] |

**المصدر**:القديس أوغسطين، اعترافات، (مصدر سابق)، ص221 -227.

[1] أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، (مصدر سابق)، ص 243.

حرص أوغسطين على إصلاح كل عضو مسؤول على شهوة معينة، وذلك بسد الحاجة الضرورية دون الترك لكي لا تتمادى.

**رابعا– التربية الاجتماعية:**

سنخصص الحديث في هذا العنصر على جانبين مهمين في التربية الاجتماعية وهما؛ حرص أوغسطين على تطبيق طريقة الردع أو العقاب، والقضاء على الأسباب التي تؤدي إلى الآفات الاجتماعية كالسرقة والتشرد.

**أ– الردع الكنسي:**

يرى أوغسطين أنّ التدخل من قبل السلطة ضروريا في حالة الآثام الجسمية جدا كالزنا والقتل وتدنيس المقدسات، ومن بين تلك الآثام، كان الزنا المشكلة الأكثر شيوعا على الإطلاق في مجتمعه، كما أنه ناهض بشدة ممارستين كانتا شائعتين آنذاك وهما؛ الإجهاض والتخلي عن الأطفال غير المرغوب فيهم، فغالبا ما كانت النسوة المسيحيات وبخاصة أولئك اللواتي كن يقطن الأديرة هن من كان يهتم برعاية هؤلاء الأطفال المتروكين والمتشردين.[1] ويرى أوغسطين أن هذه الخطايا إن لم تحارب أصبحت عادة؛ فمتى صارت الخطيئة عادة بدت خفيفة غير مؤذية، وإن تكن جسمية وثقيلة، حتى إن الإنسان لا يعود ينفيها بل يعلنها ويتباهى بها، يقول أوغسطين": فإياك أن تهمل الخطايا التي صارت فيك عادة، لأنك إن تعودت خطيئة استخففت خطرها وما عددتها شيئا فتتصلب في موقفك وتفقد الندامة".[2]

لذا شدد أوغسطين على العقاب الذي يقتضي حرمانا من القربان المقدس وأن يحتل المذنب مقعده في جزء خاص من مبنى الكنيسة مخصص للتائبين، وكان غفران الخطايا والتغاضي عنها هبة المسيح وحده، بحسب اعتقاد أوغسطين، فالمسيح هو الذي أوكل إلى كنيسته سلطة المفاتيح التي بموجبها، شريطة الإيمان، يمكن أن يغفر للمؤمنين، وكان التائبون يقبلون بهيبة في جمعة الآلام في حضرة المؤمنين المجتمعين، واستعدادا لقربان عيد الفصح، و يذكر أوغسطين الإرشاد الرعوي وجلسات التعنيف الخاصة

[1] ربيين دانيال: التراث المسيحي في شمال إفريقيا، (مرجع سابق) ،ص332.

[2] أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، (مصدر سابق)، ص155

للآثمين، لكنه لا يذكر أي نظام متواتر للاعتراف السري للكاهن والغفران الخاص الذي لم يكن ممارسة رعوية على أيامه، وجرى العرف على الترحيب بالآثمين المغفور لهم في القداس بالمسح على رؤوسهم بأيدي القساوسة، وقد يكون صف التائبين في جمعة أللآلام " طويلة جدا" لكن هذه كانت حالات خاصة من الانتكاسات الخطيرة.[1]

فالخطيئة إذن إن لم تحارب في بادئ الأمر أصبحت عادة يستصيغها الفرد بسهولة دون تأنيب ضمير ثم تنتقل بعد ذلك للمجتمع بشكل تدريجي إلى أن تصبح آفة اجتماعية خطيرة.

**ب–الاهتمام بالمعوزين للقضاء على الآفات الاجتماعية:**

يعتبر الفقر من أهم المشكلات الاجتماعية العويصة بسبب ما تنتجه من آفات جسيمة كالسرقة والتشرد وغيرها.

اهتم أوغسطين بمشكلة الفقر بسبب ما يجرى عنها من ويلات اجتماعية كالسرقة وتعاطي الزنا، حيث توجد عائلات يضطرون بسبب الجوع الذي أصاب أحد أبنائهم إلى بيع الابن الآخر في سوق النخاسة، كما أن هناك أولاد يعيشون حياة الحرمان بسبب الموت المفاجئ لوالدهم أو تخليه عنهم، وغالبا ما أشار أوغسطينوس إلى مثل هذه الأمور المرعبة، وكان الويل من نصيب أي عضو في كنيسته عنده ميل لقهر الضعيف:" انتبهوا فعندما تفترسون سمكة صغيرة سوف تأتيكم سمكة كبيرة لكي تفترسكم أنتم".[2]

ويناشد أوغسطين في عظاته مجتمعه بقوله:" فكروا إذا في الفقراء أكسوا المسيح العريان، كل واحد منكم يرجوا أن يتقابل معه في المجد، ولكن انظروا، هاهو ملقى هناك تحت القنطرة، أنظروا هاهو يتضور جوعا أنظروا أنه يرتعش من البرد القارس معدم ومفلس، انظروا إليه هناك وهو بعيد عن بيته وأهله،

[1] هنري تشادويك: أوغسطينوس ( مرجع سابق)، ص67.

[2] ربيين دانيال: التراث المسيحي في شمال إفريقيا، (مرجع سابق)، ص332.

افعلوا ما تعودتم أن تفعلوه، لكن أكثروا منه يجب على معرفتكم الروحية أن تثمر في أفعالكم وسلوككم، انتم تسبحون الزراع فأتوا الآن بالحصاد".[1]

كان أوغسطينوس يعلم ما للأخلاق السيئة من تأثير مضر، إذ تتولى إضعاف وحدة المجتمع الذي ينغمس فيها وتفسده، لذا بحث عن الأسباب الرئيسية التي أدت لظهورها وحاربها، كما أنه أولى أهمية لضرورة تطبيق نظام الردع والعقاب.

**الشكل رقم 3 :المنظومة الأخلاقية الأوغسطينية**

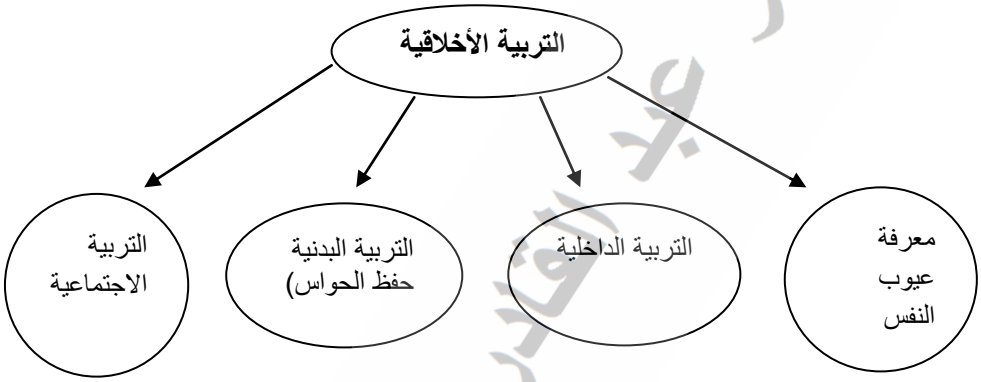


**المصدر**: من إعداد الطالبة.

## المطلب الثاني: الفضائل.

سنخص هذا المطلب بالحديث عن الفضائل من وجهة نظر القديس أوغسطين وهي سبعة فضائل منها الفضائل الفلسفية الأربع والفضائل اللاهوتية.

### الفرع الأول:تعريف الفضيلة(Vertu ):

تعني الفضيلة لغة الفضل والزيادة وهي ضد النقص والنقيصة،[2] وهي في علم الأخلاق الاستعداد الدائم لفعل الخير أو مطابقة الأفعال الإرادية للقانون الأخلاقي؛ أو مجموع قواعد السلوك المعترف بقيمتها و إن الخلق ينقسم؛ إلى فضيلة و هي مبدأ لما هو كمال و على رذيلة و هي مبدأ لما هو

[1] المرجع نفسه، ص333.

[2] ابن منظور:لسان العرب، (مرجع سابق)،مج11،ص192.

نقصان[1]. وفي موسوعة لالاند؛ الفضيلة من مرادفات الحكمة Wisdom، والحكمة هي الفضيلة العليا التي تنشأ من سيطرة القوة العاقلة على القوة الشهوانية.[2]

وهي عكس الرذيلة(Vice ) والتي تعبر عن اعتياد الإنسان على عمل الشر،[3] فإن كانت الفضيلة في الاعتدال حسب أرسطو فالرذيلة هي تجاوز هذا الاعتدال أي إتباع الهوى ومخالفة العقل،[4] وهي في الأخلاقيات(الرذيلة) استعداد مألوف لنوع من المسلك الذي يعتبر لا أخلاقيا إلى حد كبير ، تنطلق الرذائل من فساد الطوية و تنطلق الأخطاء من عيب في المزاج و الرذيلة عادة الإيذاء و في الرذيلة درجات كما في الفضيلة خلاف لما كان يدعيه الرواقيون. [5]

والفضيلة عند أوغسطين أثمن ما في الإنسان وأنفع ما فيه،[6] وهي تلك اللذة أو ذلك الخير، للنفس وهي كمالها وسبب سعادتها، وحيث أن اللذة الحقيقية هي في حيازة الله، والمعرفة الحقيقية ليست هي وحدها غاية الإنسان، ولكنها مطلوبة كشرط ضروري للحصول على تلك الغاية، إن السعادة باختصار تولد من الحقيقة وهما لا تنفصلان،[7] الفضيلة وحدها طريق الكرامة والمجد،[8]لأنها المبدأ الأساسي لحياة صالحة، حيث تأمر من أعلى النفس، مقرها أعضاء الجسد فيتقدس الجسد بإرادة مقدسة، ومادامت الإرادة ثابتة ومستمرة ومهما يكن في الجسد وللجسد، ولم يستطع الإنسان الهروب بلا خطيئة يكون بريئا مما يعاني.[9]

---

[1] معن زيادة : المعجم الفلسفي العربي (مرجع سابق)، ج 1 ص 41.

[2] يسار عابدين و بيير نانو: الفضيلة في مفهوم المدينة، (مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، سوريا، 2012م)، عدد1 مج،28، ص151.

[3] إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، (مرجع سابق)، ص91.

[4] جميل صليبا :المعجم الفلسفي،(مرجع سابق)، ج1، ص614.

[5] لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، (مرجع سابق)، مج 1ص 1547.

[6] أوغسطين: مدينة الله ، (مصدر سابق)، ج3، ص119.

[7] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص220.

[8] أوغسطين: مدينة الله، (مصدر سابق)، ج1، ص243.

[9] المصدر نفسه، ص34.

يقول أوغسطين:" كنت أحب السلام في الفضيلة وأكره الفوضى في الرذيلة هكذا اعتقدت أن في الفضيلة وحدة وفي الرذيلة انقساما، وخيل إلي أن النفس العاقلة ترتكز على هذه الوحدة وعلى جوهر الحقيقة والخير الاسمي" .[1]

وقد فرقوا في القرون الوسطى بين الفضائل الأخلاقية vertus morales وهي الفضائل الأربعة المعروفة وبين الفضائل الدينية أو اللاهوتية vertus théologales وهي الإيمان والرجاء والمحبة.[2]

**الفرع الثاني_ الفضائل الأخلاقية:**

وهي الفضائل الأربعة التي تكلم عنها فلاسفة اليونان من قبل وهي؛ الحكمة، الشجاعة، القوة( الشجاعة) والعدالة وسنتعرف عليها من خلال فكر أوغسطين.

**أولا– الحكمة( الفطنة):**

**أ– تعريفها:**

إن التصور الأوغسطيني للحكمة أكثر قربا للنموذج الذي اقترحه شيشرون من الذي قدمه أرسطو بأن الحكمة فلسفة حكيمة، وبنفس الوقت إنها ذات نظام نظري وأخلاقي، وعليه يدحض أوغسطين نظريات المشككين بقولهم أن الحكمة مستحيلة حيث أن البحث عن الحقيقة محكوم عليه بالفشل، يرد أوغسطين بالتأكيد على أن العقل لن يستطيع كشف الحقيقة وعلينا أيضا أن نعترف بأن المعرفة الكاملة للأشياء المادية هي مستحيلة ولكن هذا لا يشير إلى عطل في الطبيعة البشرية لأن المعرفة لا يمكن الحصول عليها بواسطة قدرات الإنسان العقلية فحسب بل يجب على عملية المعرفة أن تكون متصلة بالإيمان وليس بالوجود المحسوس أو العقلاني للأشياء.[3]

ويقول أوغسطين:"إن سألت ما هي الحكمة، لأجابوك بأنها ليست سوى مقياس العقل، بمعنى أن العقل يتزن بها فلا يعود يسرع إلى الإفراط من دون أن يصاب بالضمور والتراجع عن الاكتمال".[4]

---

[1] أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص73.

[2] جميل صليبا: المعجم الفلسفي،(مرجع سابق)، ج2،ص150.

[3] كريستيان نادو: المفردات والأسلوب عند القديس أوغسطين، (مرجع سابق)، ص124-125.

[4] أوغسطين: كتاب تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحي في الحياة، (مصدر سابق)، ص 120.

فالحكمة تتضمن السعادة والسعادة هذه تتضمن الله لذلك فأن الشكّاك لا يستطيعون أن يكونوا سعداء لأنهم لا يستطيعون حيازة الله، ولا السعادة ولا الحكمة، إذن فالحكمة بنظر أوغسطين هي حكمة الله،[1] لأنه يرى أن الله هو كمال الحكمة، وحكمة الإنسان عبادة الله، فالكتاب المقدس يعلمهم أنهم لن ينالوا مبتغاهم إلا إذا رعوا ما كانوا يهملون :" **يا بني إن رغبت في الحكمة فأحفظ البر فيهبها لك الرب**"،[2]. وبالتالي فإن كان الرب لا يهب الحكمة سوى من يحفظ البر فمن لا يتقي الرب لا يتبرر، ثم يضيف :" **رأس الحكمة مخافة الرب**"،[3] ومن ذا الذي يحفظ البر إن لم يخف الرب القائل في موضع آخر:" من لا يتقي الله لا يدرك البر".[4]

وقد جاء في الحكمة :" **فعرفت كل ما خفي وكل ما ظهر لأن مهندسة كل شيء علمتني وهي الحكمة**"،[5]وفي الرسالة الأولى لأهل قرونثس:" **ومع ذلك فإننا بحكمة نتكلم بين المؤمنين الراشدين، وليس بحكمة هذه الدنيا، ومصيرهم للزوال**".[6]

وتأتي الحكمة أيضا بمعنى "الفطنة" أي القدرة على قراءة الأحداث وفهمها؛ وهي تعني معرفة ما يجري، وقرار ما ينبغي فعله بشريّا، وهي بحسب الكتاب المقدس والتقليد، الفطنة هي حكمة تشاهد الأحداث البشرية في ضوء الله، فهي تمييز يفصل بين ما يقود الإنسان إلى الله وما يحيده عنه، إنها الحس بالمسؤوليات الذي يضطلع بانعكاسات لأفعال الشخصية، إنها القدرة على اتخاذ القرارات العقلانية الشجاعة من دون التخوف من نتائجها السلبية.[7]

---

[1] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص219.

[2] يشو33/1.

[3] مز 10/111

[4] أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، (مصدر سابق )، ص1.

[5] الحكمة 21/7.

[6] 1 كرون 6/2.

[7] كارلو ماريا مرتيني اليسوعي: الفضائل، ط1، (دار المشرق، لبنان، ،2011م) ص17-19.

ويقول أوغسطين:" على الفطنة أن تتسلح بالانتباه والسهر التام لئلا تقع فريسة مشير عاطل، ولذا قال الرب اسهروا ثم يضيف قائلا:" **امشوا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام**"[1]، وهل نقول عن الخمول النفساني الذي يمنعنا من إدراك خبث الحية، كلاما أوضح من كلام النبي القائل:" **إن الذي يحتقر اليسير يسقط شيئا فشيئا**"[2]

**ب_طريق الحكمة ومراتبها:**

**1-طريقها:**

يقول أوغسطين:"طريق الحكمة العقل وطريق العقل المشورة، وطريق المشورة القوة، وطريق القوة المعرفة، وطريق المعرفة تقوى الله، وطريق تقوى الله مخافته، فتتجه الطريق صعودا من المخافة إلى الحكمة لأن رأس الحكمة مخافة الرب، من وادي الدموع إلى جبل السلام". [3]

فأوغسطين يرى أنه للوصول إلى الحكمة لابد من العقل والقوة والمعرفة التي تكون بتقوى الله ومخافته.

ب-**مراتبها:**

يستشهد أوغسطين بإشعيا حين تناوله لمراتب الحكمة وهي سبع مراتب، حيث يقول: "**ويحل روح الرب روح الحكمة والفهم روح المشورة والقوة روح المعرفة ومخافة الرب(التقوى)، ولذته تكون في مخافة الرب، ولذته تكون في مخافة الرب فلا يقضي بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه بل يقضي بالعدل للمساكين**"،[4] فأشعياء يبدأ بالحكمة وينتهي بمخافة الرب، لأن " رأس الحكمة مخافة الرب"،[5]

لذلك إذ رتبنا ما ورد لأشعياء إلى ترتيبها تصاعديا( بدلا من ترتيبه التنازلي) فسيبدأ بمخافة الرب، ثانيا التقوى، ثالثا المعرفة، رابعا القوة(الاحتمال)، خامسا المشورة، سادسا الفهم، سابعا الحكمة.

---

[1] يو35/12

[2] يشو1/19.

[3] أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، (مصدر سابق)، ص2.

[4] إش 2/11_4.

[5] القديس أوغسطين: في شرح الموعظة على الجبل، (مصدر سابق)، 52.

**ثانيا_العفة:**

**أ–تعريفها:**

يقول أوغسطين:" تأمرني بالعفة كما قال أحدهم، ولما علمت بأني لا أكون عفيفا ما لم يهبني الله العفة و كان من الفطنة أن أعلم ممن هي هذه الموهبة العفة تعيد تركيبنا، العفة تقودنا من جديد إلى الوحدة التي خسرناها يوم تبعثرت قوانا، قل ما يحبك من يشرك في حبك آخر لأنه لا يحبك من أجلك، أيها الحب الذي يشعل دوما ولا ينطفئ أبدا، يا إلهي ، أيتها المحبة أشعلني، تأمرني بالعفة، هبني ما تأمر به ومر بما تريد، تأمرني حقا بأن أتنزه عن شهوة الجسد وشهوة العين وطمع العالم". [1]

فالطهارة والعفة عند أوغسطين فضيلة في النفس وأن القدرة رفيقتها العادية تؤهلها لأن تتحمل كل شيء لا أن تقبل بالشر، كذلك لا أحد على ما تحلى به من ثبات وعفة، يستطيع أن يكون مسؤولا عما يجري في جسده من أحداث ، بل هو مسؤول عن كل ما تقبل به أو ترفضه إرادته.[2]

كما أن العفة لا تتعلق بالإكراه وهذا ما يؤكده أوغسطين فهو يقول:" إن نوعا من العنف الذي يتحمله الإنسان في جسده قد يثير فيه شعورا مخالفا لشعور الألم، علما أن انتهاكا من ذاك النوع لا يحرم النفس من العفة التي تعانقها، وتخاف من أن يظن أحد بأن الفكر قبل بفعل قد يستحيل على الجسد عدم المبالاة به، وعلى هذا النحو أي قلب لا يصفح لتلك التعيسات اللواتي رفضن الموت هروبا من تلك الإهانات أما اللواتي رفضن الموت هروبا من جرم الآخرين عليهن إلى ارتكاب جرم شخصي فمن ذا يتهمهن ولا يتهم بالجنون؟".[3]

فالعفة إذن تتعلق بالدرجة الأولى بالإرادة والقدرة الداخلية وهي ليست مسؤولة عما يفعل بالجسد على وجه الإكراه.

---

[1] القديس أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص219.

[2] القديس أوغسطين: مدينة الله، (مصدر سابق) ،ج1، ص35.

[3] القديس أوغسطين: مدينة الله، (مصدر سابق) ،ج1، ص 34.

**ثالثا– العدالة:**

**أ_تعريفها:**

يقول أوغسطين:" وأعظم وأجمل ما في الفضيلة هو الاعتدال والزهد،[1] ولفظة "الاعتدال" من لفظة"القياس" Mesure" وباللغة اللاتينية Modus، وأستعين بكلمة Tempérance من فعل Tempérer ومعناه عدل، لطف، والواقع هو أن كلمة قياس تعني الاعتدال لا زيادة ولا نقصان، وعليه فذلك هو الاكتمال الذي وضعه أوغسطين ضد الفاقة (الفقر)، وهي لفظة تفضل على كلمة "وفرة" ، لأن اللفظة الأخيرة هذه تعني فيضا، وإلى حد ما فإن فيضان شيء يدل على الإفراط والإسراف، وحين يزيد الشيء عن معدله تبطل قيمة القياس، وكذلك عندما يزيد الشيء عن الحاجة المطلوبة يبطل القياس، وكل شيء يفوق معدله يعطل مقياسه، إذا الفاقة ليست غريبة من الطفاح، بيد أن كلا منهما يتميز عن الآخر بالزيادة والنقصان.

وإذا قمنا أيضا بدراسة لفظة "Opulence" رخاء، وفرة، نراها لا تحتوي سوى لفظة وفير، وليست سوى نوع من القياس، وفعلا كيف يمكن للطافح أن يساعد وهو أشد انزعاجا من المحتاج؟ إذا كل ما هو ناقص أو طافح، لكونه بحاجة إلى القياس، هو عرضة إلى الفاقة بكل بساطة، والحال أن الحكمة هي مقياس العقل، لأن الحكمة هي نقيض الحماقة، وهذه فاقة ونقيض الفاقة هو الاكتمال، إذا الحكمة اكتمال، والاكتمال يتضمن قياسا، وعليه فإن قياس العقل يكمن في الحكمة، ومنها تأتي هذه الجملة الشهيرة المدوية بحق في كل مكان:" أهم ما في الحياة أن يكون كل شيء فيها بمقياس.[2]

**ب– أنواع العدالة:**

**1–العدالة الأخلاقية الروحية:**

تعمل هذه الفضيلة برأي أوغسطين على كبح جماح الرغبات الجسدية خوفا من أن تنتزع من العقل الضعيف تنازلات مؤسفة،[3] ولا يجوز الاعتقاد بأن لا عيب فينا حين يقول الرسول:" **الجسد يشتهي ما**

[1] أوغسطين: كتاب تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحي في الحياة، (مصدر سابق )، ص 97.

[2] المصدر نفسه، ص 119.

[3] أوغسطين: مدينة الله، (مصدر سابق)، ج3، ص115.

**هو ضد الروح**"[1] طالما أن الرسول نفسه يكشف لنا عن مقاومة تقوم بها فضيلة مضادة فيقول: الروح تشتهي ما هو ضد الجسد مضيفا كلاهما في حرب، ولستم تعلمون ما تريدون". ولكن ماذا نريد أن نعمل حين نرغب في أن تتحقق غاية الخير الأسمى فينا وأن يتوقف هذا الطلاق بين ما يشتهيه الروح وما يشتهيه الجسد؟ ولكن بما أن القدرة في هذه الحياة تخون إرادتنا فلنعمل على الأقل بمساعدة الله على ألا ندع الروح فينا يستسلم لهجات الجسد حتى إذا انهزم انقاد إلى القبول بالخطيئة..لا نظن أن هذه الحرب الداخلية التي نخوضها وطالما لا نزال فيها، ستكون السعادة ثمرة لنا نمتلكها بإرادتنا المنتصرة وأي إنسان وصل إلى درجة عالية من الحكمة يدعى أنه قد تخلص من شهواته.[2]

**ب العدالة السياسية: التي تتعلق بالقانون.**

ينقد أوغسطين فكرة كتاب شيشرون "الجمهورية" حيث قال:" أنه لن يكون هنالك قانون سليم غير الذي يقره الخالق" علاوة على ذلك ، قام بالتعليق على عبارة كتبها شيشرون في كتباه السابق:" محال أن تحكم البلاد دون عدالة" وأضاف أيضا:" إنّ نقيض الدولة الوحيد هو الظلم"؛ إذا كانت جموع الناس المحتشدة تشكل جمهورية يقول شيشرون فالرابط بينهم يجب أن يكون العدالة.

يقول أوغسطين في هذا إن الجمهورية الرومانية لم تعرف القانون قط لأنها لم تعلم عدل الخالق وعدالة المسيح، وعليه فإن الجمهورية الرومانية لم تعرف حتى ما هو (شعبي) لأن الشيء الوحيد المتاح للبشرية جمعاء هو العدالة التي منحها المسيح من خلال اعتدال تحكيمه.[3]

يعني هذا أن أي اتفاقية مبرمة من أجل العدالة غير مبنية على الحقيقة الإلهية محكومة عليها بالهلاك والانحلال، وأن أي عدالة مبنية على ديانة غير المسيحية فهي مطبقة بصورة غير شرعية.

**رابعا– القوة:**

[1] غلا 17/5

[2] أوغسطين: مدينة الله، (مصدر سابق)، ج3، ص117.

[3] كريستيان نادو: المفردات والأسلوب عند القديس أوغسطين، (مرجع سابق)، ص79-80

إن القوة تأتي للإنسان وتعطيه الشجاعة والجرأة على مواجهة مصاعب الحياة و اضطهاداتها وكل أنواع الخوف والارتباط والتردد، وهي مرادفة للشجاعة.

**أ–تعريف القوة:**

يقول أوغسطين في القوة:"كلامي عن القوة قليل؛ القوة هي الحب الذي يجب أن يكون مضرما لله في كبح جماح رغباتنا في الخيور الأرضية حتى إذا خسرها كان قويا." [1]

حيث أضفى أوغسطين للقوة هنا بعد إيماني إلهي ليجعلها تسعى إلى كمالها من خلال الحب الذي يهيئ الإنسان لبذل الحياة في سبيل الإيمان وإن خسر كل خيرات الأرض.

ولكي تكون القوة في مسارها الصحيح لابد لها من السير خلف الفضيلة، يقول أوغسطين :"إن الفخر والكرامة والقوة التي يشتهيها الإنسان، بكثرة ويتوق إليها الصالحون، لا تتقدم على الفضيلة بل تسير وراءها، والفضيلة الحقيقية هي التي تهدف أولا و آخرا إلى الخير الذي يفوق كل خير.[2]

وهذا يعني أن القوة لو تركت دون قيد الفضيلة لانحرفت عن المسار، وولدت ما يسمى بالتسلط أو كما يسميها أوغسطين شهوة التسلط بقوله:" إن شهوة التسلط هي أشرس ما في الشهوات التي تتلف قلوب الناس".[3] لذا فالتعبير الأفضل عن القوة يقضي المقاومة وعيش فضيلة الصبر لا الهجوم هجوما عدوانيا كما يتردد في القول الشائع إننا أقوياء لأننا نهاجم، كما أن عظمة النفس وسموها تلد القوة الصبورة.[4] ففضيلة القوة إذن تعبر عن نفسها بالوجه الأفضل لا في الهجوم والعدوانية.

**ب–وظيفة فضيلة القوة.**

يرى أوغسطين أن من واجب فضيلة القوة الحفاظ على اللذة على النحو المعتدل وألا تكون هي بذاتها غاية الإنسان؛ ويقول في هذا:" إنّ اللذة خاضعة للقوة أو مفضلة عليها أو مشاركة لها، وعلى هذا النحو من واجب تلك القوة أن تعيش في سبيل الوطن وتعطيه أولادا، وإتماما ذاك الواجب المزدوج لا يستغني عن اللذة الجسدية لأنها الشرط الضروري للغذاء والشراب اللذين تعتمد عليهما الحياة الرفيقة

[1] أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، (مصدر سابق)، ص367.

[2] أوغسطين: مدينة الله، (مصدر سابق)، ج1، ص243.

[3] أوغسطين: مدينة الله، (مصدر سابق)، ج3، ص142.

[4] كارلو ماريا مرتيني اليسوعي: الفضائل، (مرجع سابق)، ص42.

الدائمة للزواج الذي به تستمر الأجيال، ولكن حين يفضلها المرء على الفضيلة فذلك يعني أنه يسعى إليها بحد ذاتها، ويصبح من الواجب تسمية الفضيلة أداة للحصول على اللذة أو الاحتفاظ به، يقول أوغسطين: ما أكره الحياة التي تسود اللذة عليها وتكون الفضيلة أسيرة لها ولكن ماذا أقول؟ لا شيء هنا يستحق ذاك الاسم، لم يعد هناك سوى سفالة ممقوتة تجد بين الفلاسفة محامين لها ومدافعين عنها.[1]

ففضيلة القوة تتصل بممارسة العدالة وبتحقيق الخير، إنها تجعل من المرء قادر على العيش ليصنع الخير في كل الظروف، وإن المجال الذي تمارس فيه فضيلة القوة هو واسع جدا، إذ أن فضيلة القوة هذه ضرورية حيث يجب مقاومة التهديدات على اختلافها، وتجاوز الخوف ومواجهة الإعياء والقرف والسام من الحياة إن أردنا للخير أن يكون مشعا.[2]

إذن هناك عدة أسباب تجعل من القوة إحدى الفضائل الإنسانية والأخلاقية الأساسية التي على كل إنسان أن يعتني بها، إن كان شريفا نبيلا، فهي ليست نوعا من الجسارة الشرهة التي تدفع باتجاه تجميع كل الطاقات النفسية والأخلاقية للقيام بعمل بطولي، بل هي نعمة تتيح للمرء الوصل إلى الخير الأسمى من خلال السيطرة على ما يسمى باللذة.

**الفرع الثالث– الفضائل اللاهوتية:**

وهذه الفضائل اللاهوتية تتمثل في كل من فضيلة الحب والإيمان والرجاء.

**أولا– الحب:**

إن الكلام عن الأخلاق عند أوغسطين هو أيضا الكلام عن الحب كركيزة أساسية في علم الأخلاق الأوغسطيني.

[1] أوغسطين: مدينة الله، (مصدر سابق)، ج3، ص103.

[2] كارلو ماريا مرتيني اليسوعي: الفضائل، (مرجع سابق)، ص41.

**أ–تعريف الحب:**

إن القول الشهير الله محبة هو قلب وصميم السعادة الأوغسطينية، فالحب بالمعنى الكامل للكلمة هو مصدر السلوك والتصرفات البشرية، إن حبي هو جاذبيتي؛[1]ويقول أوغسطين في هذا :" إن المحبة تبذل كل ما في وسعها لمساعدة الآخرين ولاحتمال زلاتهم وأخطائهم، وإن هذا هو سبب الترحيب بعودة أولئك الذين تركونا وسقطوا في الخطية، إلى الكنيسة من جديد، ولكن المحبة تتطلب منا في بعض الأحيان أن نطلب لأجل الذين نحبهم أن يرتقوا في حياتهم إلى مستوى أعلى فالله كأب حكيم لا يرغب في أن يحرمنا من بركة أو من مسرة، لكنه يرغب في أن ينتزع من قلوبنا الخطايا التي تسبب لنا الحزن والأسى،:" المحبة هي التي تضرب وتجرح بينما الشر هو الذي يطري ويتملق"، وبما أن الله يتعامل معنا بإخلاص لذا يجب علينا أن نتعامل مع الآخرين بلطف، ولكن بحزم فنوبخهم عند الضرورة.[2]

**ب_ أنواع الحب**

**1–الحب الإلهي( المقدس)**

إن حب الخالق بالنسبة لأوغسطين هو الحب الوحيد بل الأوحد شريطة ألا يقلل من ماهيته بل يزيدها من خلال تقريبها من الخلود، ويؤكد أوغسطين عندما يؤخذ الحب من الناحية الجسدية، أن جميع الأجساد تميل إلى مكان يكون فيه الجسد على طبيعته، وهذا الجسد إلى ما هو طبيعي فإنه يوجه ذاته نحو الخالق، وعندما يميل الجسد إلى ما هو طبيعي فأنه يوجه ذاته نحو ما يتوافق مع ماهيته وليس بحثا للحصول على المزيد، هذا هو بنفسه الحب الإنساني ذلك الذي يبحث عن الكمال في كل مرة يشبع بها نهمه للمزيد، فالإشباع الوحيد الممكن للحب الإنساني هو حب الخالق[3]

وهو ميل النفس لطبيعة عليا ترنو إليها و الحب الإلهي هو كمال الحب والذي به تشبع النفس وتمتلئ وهي غاية الغايات.

[1] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص223.

[2] ربيين دانيال: التراث المسيحي في شمال إفريقيا (مرجع سابق)، ص334.

[3] كريستيان نادو: المفردات والأسلوب عند القديس أوغسطين، (مرجع سابق)، ص22.

**2-الحب البشري:**

يقول أوغسطين:" أحب أخاك إن أحببت السلام، لأن من يحب أخاه يتحمل أخاه، ويتحمل كل شيء في سبيل الوحدة، ليكن حبك لأخيك بأن تبذل نفسك عنه، ليس ملكوت الله أكلا وشربا إنما هو بر وسلام وفرح بالروح القدس، إن أكرمت الله بهذا أرضيته ورضي الناس عنك، اتبع ما هو للسلام ترضى قريبك في الخير من أجل البناء، وإن كنت قويا، عليك أن تتحمل ضعف الضعفاء لا أن ترضي نفسك، احذر الغش في أعمالك واجتنب الكذب والخبث والثرثرة ولا تقل إلى الغير كلام السوء إن سمعت أحدا يغتابه، وإن سمعت كلاما ممن هو غضبان أو مضطرب أو حزين فخله في سرك ، وما الفائدة من نشره وإعلانه؟ لن يؤذيك أن بقي في باطنك، أحب السلام وأحب السلام، عانقه وتشوق إليه في بيتك وفي عملك ومع زوجتك وبنيك وخدامك وأصدقائك وأحبه أيضا في أعدائك...علينا أن نمتدح محبي السلام أما مبغضوه فمن الأفضل تهدئتهم بالصمت والتثقيف دون أن تثيرهم بتوجيه اللوم إليهم.[1]

فصديق السلام الحقيقي هو من كان صديقا لأعدائه، أحب السلام واستول عليه، واجعله ملكا لك، اجذب إليك كل من استطعت إليهم سبيلا لكي يحوزوا السلام: يتسع مدى السلام باتساع عدد مالكيه.[2]

الحب البشري اقل درجة من النوع الأول وهو ركيزة السلام ما بين الإنسان وأخيه وهو رأس التعامل الأخلاقي فيما بينهم.

**ج_ علاقة الحب بالفضائل الأخرى:**

يرى أوغسطين أن كل الفضائل السابقة ما هي إلا تنوع في التعبير عن الحب؛ حيث يقول: "أما ما يسمى بالفضيلة الرباعية فهو تنوع في التعبير عن الحب ذاته، بقدر ما يدركه عقلي؛ فالاعتدال هو الحب الذي يقدم ذاته لمحبوبه كاملا، والقوة هي الحب الذي يحتمل كل شيء في سبيل محبوبه، البر هو الحب

[1] أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، (مصدر سابق)، ص295.

[2] المصدر نفسه، ص296.

الذي لا يخدم سوى محبوبه فيسيطر بصدق، الفطنة هي الحب الذي يميز بين ما يساعد على البلوغ إلى الله وبين ما يمنع عنه.

ولكن هذا الحب ليس حبا عاديا بل حب الله، الخير الأسمى والحكمة السامية، ويشرح لنا أوغسطين ذلك بقوله:" ولذلك يجوز لنا أن نحدد تلك الفضائل على النحو التالي فنقول أن الاعتدال هو حب الله الكامل من دون عيب، والقوة هي الحب الذي يحتمل كل شيء، وبسهولة في سبيل الله، والبر هو الحب الذي لا يخدم سوى الله ولذلك فهو يسيطر جيدا على الباقي أي على ما هو خاضع للإنسان؛ الفطنة هي الحب الذي يميز بين ما يقرب من الله وما يبعد عنه، الاعتدال يقوم ويهدئ ما فينا من ميول تدفعنا إلى ملذات تبعدنا إلى ملذات تبعدنا عن الله ووصاياه وعن ثمار صلاحه، أحب الله وحده وأرذل كل ما هو محسوس واستخدمه فقط لقضاء حاجات الحياة والدنيا. [1] ويرى أغسطين أنه لابد من إضفاء بعد روحي خالص للمحبة لا تعترضه عقبات مادية ولا دوافع إنسية لأن الهدف الحقيقي من إيطيقيا المحبة هو الخلاص في المدينة الخالدة الأبدية.[2]

إذن فالحب الحقيقي والوحيد عند أوغسطين هو حب الخير الأسمى أي حب الله، كما أنه ربط الحب بين بني البشر وإن لم يعمم وجعل منه سبب السلام ، وأساس الروابط البشرية.

**ثانيا– الرجاء:**

**أ–تعريف الرجاء.**

الرجاء فضيلة إلهية، إذ إن مصدره غير أرضي فهو عطاء من الرب الإله، فالرجاء كأي فعل من الأفعال، هو أن نحيا في استسلام تام بين ذراعي الله الذي ينشر فينا هذه الفضيلة فيغذيها وينميها وينضجها ويقويها، فهي فضيلة إلهية تجعلنا مشاركين حياة الله نفسه، فهو سر لا يخضع للوصف والخيال والشرح والقول.[3]

[1] أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، (مصدر سابق)، ص367-366.

[2] محمد عفيان: المدينة والأخلاق عند القديس أوغسطين، (مجلة الراصد العلمي، عدد10، مجلد6، وهران1 أحمد بن بلة، الجزائر،2019م)، ص85.

[3] كارلو ماريا مرتيني اليسوعي: الفضائل، (مرجع سابق)، ص73.

فالرجاء قدرة لمعرفة بديهية نمطية تدرك إدراكا حادّا صافيا، فالقلوب بكل أحلامها ورغباتها وطموحاتها، لا تقدر على فهم هذا الخير اللامحدود الذي يحضره الله لها، وذلك الخير هو هدف الرجاء الذي يعلو كل انتظار ورغبة، حتى ولو كانت هذه الرغبة ممتلئة من ذلك الرجاء ومشبعة منه، فمحتوى الرجاء المسيحي هو ما يغمر المؤمن به إن وثق به ثقة تامة.[1]

**ب–الرجاء وعلاقته بالإيمان.**

الرجاء كفضيلة أو كموهبة روحية يعتبر بمثابة امتداد للإيمان نفسه، والرجاء يستمد قوته من وعد الله وأمانته،[2] يقول أوغسطين:" الرجاء ضروري طال ما أنك لا ترى ما تؤمن به، خوفا من أن تيأس مما لا ترى فتفقد الإيمان، أنت تحزن لأنك لا ترى، ولكن تعزّ لأنك ترجو أن ترى، فليكن الرجاء معك رفيقا للإيمان ".[3]

فالرجاء في الحياة الروحية هو انتظار تحقيق وعد الله بمجيء المسيح في مجده ومكافأة المؤمنين بمجد الحياة الأبدية،[4] ثمنا لبر الإيمان وتعويضا عن آلامهم وخسارتهم وبذلهم التي عانوها على الأرض من أجل طاعة الإيمان، فالرجاء هو القوة الإلهية التي تغذي الإيمان وتدفعه للعمل والجهاد ليستمر عبر الزمان ويتجاوزه أيضا حتى الموت، لذلك فالرجاء هو مصدر العزيمة والشجاعة في تحمل أتعاب الخدمة وهو سر الفرح في ضيقات الحياة وسر السلام والرجاء يعتمد كليا على النعمة: [5]" **فألقوا رجاءكم بالتمام على النعمة**" [6]

كما أنه مرتبط بالخلاص يقول أوغسطين:" ليس فرحك ، الآن واقعا بل رجاء ولكنه رجاء أكيد، كما لو كان حقيقة، إذ لا خوف على ما وعدتك به الحقيقة لأنها لا تغش ولذلك فمن المستحسن أن ترتبط

---

[1] المرجع نفسه، ص85.

[2] متى المسكين: الفضائل المسيحية بحسب الإنجيل، (مصدر سابق)، ص33.

[3] أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، (مصدر سابق)، ص97.

[4] متى المسكين: الفضائل المسيحية بحسب الإنجيل، (مصدر سابق)، ص33.

[5] المصدر نفسه، ص34.

[6] 1بط13/1.

بها، إن ثبتت في كلامها حررتك في الحاضر تؤمن وفي المستقبل ترى، طال ما أنت تؤمن فالرجاء قائم في هذا الزمان.[1] وحين ترى يصبح الرجاء حقيقة والمشاهدة تكون وجها لوجه...خلاصك الآن قائم على الرجاء وليس على الحقيقة، لأنك لم تنل حتى الآن ما وعدت به بل ترجوه.[2]

**ثالثا– الإيمان** :

**أ_ تعريف الإيمان.**

أصل الكلمة في العبرية يميل في العهد القديم إلى العامل الأدبي الأخلاقي دون العقلي، كهبة تمنح للإنسان الثبوت في المواقف مع الله، أما في اليونانية في العهد الجديد فتميل الكلمة بالأكثر إلى عامل المعرفة للتقرب إلى الله عن طريق الحق[3].

فالإيمان هو الفضيلة اللاهوتية التي بها يؤمن الإنسان بالله ويقول له نعم، ويسلم إليه نفسه بصورة كاملة وإلى كل ما قاله وكشفه له، وإلى ما تعرض الكنيسة بأن يؤمن أتباعها به لأنه هو الحق بعينه[4]أي أن الإيمان يشمل معنى الولاء الكلي والتبعية الكلية لله الذي له الجزاء حياة أبدية، كما أنه توجد علاقة قوية بين قوة الإيمان و قوة رؤية الله أو رؤيا الحياة الأبدية.[5]

ويرى أوغسطين بأن الإيمان بالله أولى الوصايا فيقول: "الإيمان بالله أولى الوصايا وهو بداية الدين والحياة فينا، ثبت قلبك في الإيمان بالله، ثم عش حياة صالحة مترفعا عن كل ما يغري، متحملا آلام هذا الدهر حتى إذا غالت في ملاطفتك أو في تهديدك لا يجرفها تيارك ولا تحطمك شدتها، بل فليصمد قلبك بوجهها[6] وهذا ما يؤكده مرقس بقوله :" **أيها الأحبة ليكن لكم إيمان بالله** "[7]

---

[1] أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، (مصدر سابق)، ص97

[2] المصدر نفسه، ص98.

[3] متى المسكين: الفضائل المسيحية بحسب الإنجيل، دط، (دير القدس أنبا مقار،مصر، 1992 م)، ص17.

[4] ماريا مرتيني اليسوعي: الفضائل، (مرجع سابق)، ص69-70.

[5] متى المسكين: الفضائل المسيحية بحسب الإنجيل، (مصدر سابق)، ص18.

[6] القديس أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، (مصدر سابق)، ص81.

[7] مر24/11.

**ب_ الإيمان والوحدة.:**

الإيمان هو إجابة الإنسان لله الذي يكشف له عن ذاته ويهبها له، وهو في الوقت نفسه يؤتي الإنسان نورا فياضا في بحثه عن معنى الحياة الأخيرة،[1]يقول أوغسطين:" ذاك هو الإيمان بأن يسوع هو المسيح، وذاك هو إيمان المسيحيين الذين لا يكتفون من الإيمان بالاسم بل يشمل إيمانهم أعمالهم وحياتهم.[2]فبواسطة الإيمان يقول أوغسطين نصبح أعضاء جسد المسيح وبالإيمان يصبح المسيح رأسنا، ويرى أوغسطين بأن الإيمان يتضاعف بالمسيح ويشير بكل وضوح إلى واقع أن كل المسيحيين سويا وفردا، يشكلون جسد المسيح، مجتمعا ومنفردا، وكما ظهر الله إلى العالم في شخص يسوع المسيح، هكذا يستمر ظهوره إلى العالم ، في أعمال المسيحي و آلامه، أي أن إتباع المسيح مطلوب فهو حياة الإيمان عندما يعيش المؤمن مثل المسيح من أجل الآخرين يحضر المسيح فيه".[3]

إن للإيمان بالله أهمية كبرى للمسيحي فهو طريق خيره الأسمى، وهو يربط بوجه مميز بالخلاص الذي يتحقق بتجسد الكلمة أي المسيح .

[1] جورج يلدا: التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، دط، (طباعة الكنيسة الكلدانية، بريطانيا، 2012م)، ج1، ص7

[2] القديس أوغسطين: شرح رسالة القديس يوحنا الأولى، ترجمة: يوحنا الحلو، ط4 (دار المشرق، لبنان، 2001 م)، ص153.

[3] المخلصي منصور: أوغسطين الإفريقي، دط،( مطبعة المشرق، العراق، 1994م)، ص120.

**خلاصة الفصل:**

إن تتبعنا لمراحل نشأة وتطور فكر أوغسطين من بدايات تعلمه الأولى مكننا من رسم وفهم المعالم الكبرى لفلسفته الأخلاقية التي عدت إضافة مميزة لتاريخ الفلسفة المسيحية بشكل خاص و الفلسفة الأخلاقية بشكل عام؛ فلقد كان للوسط الاجتماعي والسياسي والعلمي دور كبير في توجيه ميولاته الفكرية، كما أثر فيه شيشرون من خلال كتابه " هورطانسيون" الذي صور فيه مدرسة العلم والفضيلة باعتبارها وسيلة للحياة السعيدة فكان له دافع لطلب الحقيقة وحقيقة الإنسان ومصيره.

كما أنه تشبع من الفكر المانوي الذي ظن أن بها ضالته، ولكن لم يلبث بها كثيرا حتى توجه لدراسة الفلسفة الأفلاطونية التي أفادته في فهم العقائد المسيحية والتي اهتدى إليه فيما بعد بفضل والدته وعضات أمبروز وفيها توصل للحقيقة التي كان ينشدها.

ومن خلال هذا الفصل تبين لنا طبيعة الفلسفة الأخلاقية الأوغسطينية التي كانت تنطلق من حقيقة جوهرية مطلقة هي الله، أو الخير الأسمى التي ترنو إليها النفس اعتمادا على قواها الثلاث الذاكرة والإرادة والعقل. وللوصل لهذا المبتغى وضع أوغسطين منظومة تربوية أخلاقية وفقنا في تحديدها والتي تتمثل في:

1-معرفة عيوب النفس وميولاتها وهي أول مراحل العلاج وهي بوابة المحبة.

2-التربية الداخلية أو الروحية وتكون بالتوبة وحب البر ومقاومة الشهوة دون القضاء عليها بسد حاجة النفس دون إشباعها.

3-التربية البدنية حيث حرص أوغسطين على إصلاح كل عضو مسؤول على شهوة معينة.

4-التربية الاجتماعية وتكون بتطبيق طريقة الردع والعقاب، وبالقضاء على الفقر باعتباره من أهم أسباب الآفات الاجتماعية.

أما الفضائل فقد اعتبرها كمال الأخلاق حيث شملت سبع فضائل، فلسفية ولاهوتية.

# الفصل الثاني:

# الفلسفة الأخلاقية عند أبو حامد الغزالي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**تمهيد:**

كان الغزالي ولا يزال أحد رموز الفكر الإسلامي ومن الشخصيات الموسوعية التي برعت في عدة فنون؛ فقد جمع الغزالي بين علوم الدين والدنيا فكان فقيه وصوفي وفيلسوف وناقد ومجادلا، ولقد نشأ في بيئة تميزت بالاضطرابات السياسية وتنوع الثقافات والإيديولوجيات الديني ومما لاشك فيه أن هذا التمايز سينعكس على عقليته الفكرية خاصة الأخلاقية منها وهو ما يهمنا.

وعلى إثر ما قدمناه في ما يخص فلسفة أوغسطين الأخلاقية سنحاول تتبع المنهجية السابقة بشكل تقريبي حتى يتسنى لنا إعطاء منظومة الغزالي الأخلاقية بشكل كامل وذلك اعتمادا على المخطط التالي:

**هيكلة الفصل:**

## المبحث الأول: ترجمة الغزالي.

الغزالي هو أحد أكبر أعلام الفكر الإنساني و أشهر علماء المسلمين، ذاع صيته في زمن الأولين وشغل بال أكثر المفكرين قديما وحديثا، لذا سنحاول التطرق إلى سيرته وأخباره من أهم كتب السير، والوقوف على أهم المحطات التاريخية التي كان لها الأثر في بناء شخصية وفكر وعقيدة أبي حامد.

### المطلب الأول: نسبه وولادته.

جاء في كتاب تبيين المفتري وسير أعلام النبلاء نسبه وهو؛ محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي حجة الإسلام والمسلمين إمام أئمة الدين من لم تر العيون مثله لسانا وبيانا ونطقا وخاطرا وذكاء وطبعا،[1]الإمام البحر، من أعجوبة الزمان الطوسي الشافعي، الأشعري، الغزالي، صاحب التّصانيف، والذكاء المفرط.[2]

**الفرع الثاني– ولادته:**

ولد أبو حامد الغزالي في منتصف القرن الخامس الهجري (450هـ)،[3]وقيل سنة إحدى وخمسين[4]بطوس إحدى مدن "خرسان"،[5] من أسرة عرفت بالعلم والإقبال عليه والرغبة في تحصيله ونشره، فقد كان عمه أبو حامد أحمد بن محمد الغزالي الكبير أو القديم عالما جليلا أقر بفضله فضلاء المشرقين والمغربين؛ فله في الخلافات والجدل و رؤوس المسائل والمذاهب تصانيف،[6] وأخوه أبو الفتوح مجد

---

[1] أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي: تبيين المفتري فيما نسب إلى الإمام الحسن الأشعري، دط، (مكتبة القدسي، مصر، 1929هـ)، ص 292.

[2] أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، تقديم: حسان عبد المنان، دط،( دار الأفكار الدولية، لبنان، 2004م)، ج1، ص3677

[3] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، ط1،(دار المعارف، مصر، 1964م)، ص7.

[4] صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي: الوافي بالوفيات، ط2، (النشرات الإسلامية "جمعية المستشرقين الألمانية"، لبنان، 1962م)، ج1، ص277

[5] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص7.

[6] تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، ط1،( مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه، مصر، 1968م)، ج6 ص 35.

الدين أحمد بن محمد الغزالي كان من فقهاء الشافعية وعلمائهم فقد تولى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد أثر مفارقة أخيه محمد (الغزالي) لها،[1] أما أبوه فهو محمد بن محمد الغزالي وإن لم يكن يساوي عمه المذكور في التحصيل العلمي إلا أن رغبته في العلم لا تقل عن رغبة الغزالي الكبير، فقد عرف عنه حرصه على حضور مجالس الوعظ والعلم وإصغائه لما يسمع بعناية مما يحدث في القلب رقة يعقبها بكاء فدعاء بأن يرزق الله ولديه من العلم مثل ما يسمع من هؤلاء الذين أعجب بهم.[2]

عرف والد الغزالي باشتغاله بغزل الصوف، والاسترزاق من بيعه في دكانه بطوس، و لما حضرته الوفاة وصى بولديه إلى صديق له متصوف من أهل الخير، وهذا ما فعله هذا الصوفي فبعد موت والد الغزالي، أقبل على تعليمهما إلى أن فنى ذلك النزر اليسير الذي كان قد خلفه لهما أبوهما، مما تعذر على الصوفي القيام بقوتهما،[3] فدفع به هذا لإرسالهما إلى مدرسة من المدارس التي كانت تمد الوافدين عليها بما يلزمهم من ضروريات العيش.[4]

كانت طفولة الغزالي مع أخيه جد قاسية فقد عرف اليتم والحرمان والفقر، وبالرغم من ذلك فإن العناية الإلهية حالت دون ذلك، فنشأته على يد الرجل الصوفي كان لها أثر كبير في ما بعد.

**المطلب الثاني: نشأة الغزالي الفكرية وأثره في الساحة العلمية.**

لابد علينا من الوقوف على الإرهاصات الفكرية الأولى لنشأة الغزالي، التي جعلت منه عالما جليلا كان له أثر كبير في عصره وذلك من خلال تتبع وإدراج بعض آراء المتقدمين و معاصريه حول شخصه وعلمه.

---

[1] حسن الفاتح قريب الله: دور الغزالي في الفكر، دط،( مطبعة الأمانة، مصر، 1978م)، ص16.

[2] المرجع نفسه، ص19.

[3] تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، (مصدر سابق)، ص194.

[4] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص 7.

**الفرع الأول– نشأته العلمية:**

قرأ الغزالي طرفا من العلم ببلده "طوس"*[1] ثم ارتحل إلى جرجان ثم إلى نيسابور حيث إمام الحرمين ضياء الدين الجويني*[2] رئيس المدرسة النظامية آنذاك؛ [3] فلازمه حتى برع في الفقه ومهر في الكلام والجدل[4] وبرع في النظر في مدة قريبة، فقاوم الأقران وتوحد وصنف الكتب الحسان في الأصول والفروع التي انفرد بحسن وضعها وترتيبها وتحقيق الكلام، فيها حتى انه صنف في حياة أستاذه الجويني فنظر في كتابه المسمى بالمنخول،[5]فقال له عبارته المشهورة:"دفنتني وأنا حي هلا صبرت حتى أموت"[6] أي أن كتابك غطى على كتابي وهو اعتراف صريح من أستاذه بجودة تصنيفه.

خرج الغزالي من نيسابور عام 478هـ إلى " المعسكر" وظل به حتى ولّى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد عام 484هـ،[7]حيث بلغ أوج مجده العلمي في هذه المدرسة، وأخذ في تأليف الأصول والفقه والكلام والحكمة، وأدخله سيلان ذهنه في مضايق الكلام و مزال الإقدام، حتى عظم جاهه وازدادت حشمته، ثم سلك طريق التزهد والانقطاع ثم أدى فريضة الحج، فلما رجع توجه إلى الشام فأقام في مدينة دمشق مدة يذكر الدروس في زاوية الجامع، ثم توجه إلى القدس واجتهد في العبادة وزيارة المشاهد والمواعظ المعظمة ثم قصد مصر وأقام بالإسكندرية مدة ويقال أنه عزم منها على ركوب البحر للاجتماع بالأمير "يوسف بن تاشفين" صاحب مراكش لما بلغه منه من محبة أهل العلم والإقبال عليهم فبلغه نعي

---

[1]*مدينة طوس: كانت ثاني مدينة في خرسان بعد نيسابور ، وكانت تتألف من مدينتين توأمين هما" الطابوران" و" توقان".( محمد إبراهيم الفيومي: الإمام الغزالي وعلاقة العقل باليقين، دط،( دار الفكر العربي، مصر، دت)، ص 25.

[2] *الجويني: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري، إمام الحرمين وكنيته أبو المعالي( 419هـ_1028)، كان فقيها يدرس الفقه في إحدى المدارس في نيسابور (عبد الرحمان بدوي: مذاهب الإسلاميين، دط، (دار العلم للملايين، لبنان، 1997م)، ص679).

[3] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص 7.

[4] أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، (مصدر سابق)، ص3677.

[5] أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد بن علي الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط1،(دار الكتب العلمية، لبنان،1359هـ)، ج8، ص168.

[6] المصدر نفسه، ص169.

[7] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص 7.

المذكور فعاد إلى وطنه بطوس، وصنف بها كتبا نافعة ثم عاد إلى نيسابور وألزم بتدريس النظامية بعد معاودات،[1] ثم رجع إلى مدينة طوس، واتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء، وخانقاه للصوفية، ووزع أوقاته على وظائف؛ من ختم القرآن، ومجالسة أرباب القلوب، والتدريس لطلبة العلم، وإدامة الصلاة والصيام و سائر العبادات، إلى أن انتقل إلى رحمة الله،[2] وكانت وفاته بطوس في الرابع عشر جمادى الثانية سنة خمس وخمسمائة.[3]

إن تنوع البيئة التي قام الغزالي بزيارتها جعلته متفتحا على ثقافات وإيديولوجيات مختلفة أكسبته الكثير من المناهج والعلوم الشرقية والغربية.

**الفرع الثاني– أثره في الساحة العلمية:**

سأورد هنا بعض من أقوال العلماء التي تعبر عن آرائهم في الغزالي.

**أولا–** قال أحمد بن صالح الجيلي في تاريخه:" أبو حامد لقب بالغزالي، برع في الفقه، وكان له ذكاء وفطنة وتصرف، وقدرة على إنشاء الكلام، وتأليف المعاني، ودخل في علوم الأوائل...استدعي لتدريس النظامية ببغداد في سنة أربع وثمانين، وبقي إلى أن غلبت عليه الخلوة، وترك التدريس، ولبس الثياب الخشنة وتقلل في مطعمه".[4]

ومن رأيه هذا نستنتج أن الغزالي استخدم الكثير من آراء أصحاب العلوم الأوائل في تصانيفه المختلفة.

2–وقال ابن عساكر:"حج أبو حامد وأقام بالشام نحو من عشر سنين، وصنف ، وأخذ نفسه بالمجاهدة، وكان مقامه بدمشق في المنارة الغربية من الجامع، سمع صحيح البخاري من أبي سهل الحفصي وقدم دمشق في سنة تسع وثمانين".

3ـــوقال ابن خلكان:"بعثه النظام على مدرسته ببغداد في سنة أربع وثمانين، وتركها في سنة ثمان وثمانين، وتزهد وحج وأقام بدمشق مدة بالزاوية الغربية ثم انتقل إلى بيت المقدس وتعبد، ثم قصد مصر، وأقام مدة

[1] صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي: الوافي بالوفيات، (مصدر سابق)، ص275.

[2] تاج الدين أبي نصر السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، (مصدر سابق)، ص200.

[3] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص 7.

[4] أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، (مصدر سابق)، ص3678.

بالإسكندرية، فقيل : عزم على المضي إلى يوسف بن تاشفين سلطان مراكش، فبلغه نعيه، ثم عاد إلى طوس وصنف البسيط والوسط والوسيط والوجيز والخلاصة والإحياء وألف المستصفى في أصول الفقه والمنخول في اللباب والمنتحل في الجدل وتهافت الفلاسفة ومحك النظر ومعيار العلم وشرح الأسماء الحسنى ومشكاة الأنوار والمنقذ من الضلال وحقيقة القولين وأشياء".[1]

إن هذه التصانيف التي أوردها ابن خلكان تجعلنا نحتكم للقول أنها من جملة تصانيف الغزالي التي عرفت بأثرها في الساحة العلمية وقتها.

**المطلب الثالث: مصنفات الغزالي.**

خصصنا هذا المطلب للحديث عن مصنفات الغزالي متتبعة في ذلك الترتيب الزمني الذي قدمه جملة من الباحثين حول تاريخانية كل مصنف، ثم تكلمنا عن أهم الكتب التي تمس موضوعنا وهي الكتب التي اهتمت بالأخلاق ككتاب الإحياء وكتاب كيمياء السعادة وميزان العمل.

**الفرع الأول– مؤلفات الغزالي:**

**أولا_الدراسات القديمة:**

للغزالي العديد من المصنفات والرسائل في شتى المجلات الفكرية السائدة في عصره، وقد ذكر ذلك في العديد من التراجم، ككتاب الأعلام الذي ينسب له الذخيرة في علم البصيرة والإحياء والتجنيد في كلمة التوحيد،[2] وقد ذكر بعضها في طبقات الشافعية؛ كالمستصفى في أصول الفقه وبداية الهداية و كيمياء السعادة والمآخذ والتحصين والرد على الباطنية ومقاصد الفلاسفة والغاية القصوى و المنتخل في علم الجدل ومعيار العلم، ومشكاة الأنوار والمنقذ من الضلال والقسطاس المستقيم.[3]

فللغزالي العديد من الكتب لذا فضلنا تصنيفها في جدول يوضح لنا مراحل تدوين الكتب حسب فترات زمنية متسلسلة.

---

[1] أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، (مصدر سابق)، ص3679.

[2] خير الدين الزركلي الدمشقي: الأعلام، ط5،( دار العلم للملايين ، لبنان، 2002م) ص214.

[3] صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي: الوافي بالوفيات، (مصدر سابق)، ص276.

**الجدول رقم 05: جدول توضيحي لمراحل تدوين الكتب حسب فترات زمنية متسلسلة[1]:**

| المرحلة | الفترة الزمنية | اسم المؤلف |
|---|---|---|
| الأولى | 465هـ_478هـ | -التعليقة في فروع المذهب.<br>_ المنخول في أصول الفقه. |
| الثانية | 478هـ- 488هـ | البسيط _الوجيز _الوسيط_ الخلاصة<br>_المبادئ والغايات_ تهافت الفلاسفة<br>مقاصد الفلاسفة-معيار العلم-ميزان العمل_<br>الاقتصاد في الاعتقاد -حجة العقل_الرسالة القدسية في<br>الاعتقاد. |
| الثالثة | 488 _499هـ | إحياء علوم الدين_ مفصل الخلاف _جواهر القرآن_ بداية<br>الهداية_الأربعون في أصول الدين_ القسطاس المستقيم_<br>فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة_ كيمياء السعادة_ أيها<br>الولد_نصيحة الملوك- مشكاة الانوار |
| الرابعة | 499_503هـ | المنقذ من الضلال_المستصفى من علم الأصول_سر<br>العالمين وكشف مافي الدارين_الإملاء في الإحياء |
| الأخيرة | 503_505هـ | الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة_ إلجام العام عن علم<br>الكلام_ منهاج العابدين. |

**المصدر:** من أعداد الطالبة اعتمادا على كتاب عبد الكريم العثمان: سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه.

**ثانيا- الدراسات الحديثة(الاستشراقية):**

[1] عبد الكريم العثمان: سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه، دط،( دار الفكر، سوريا، دت)، ص 202_205.

لم تقتصر دراسة مؤلفات الغزالي فقط على الأولين كما أشرنا آنفا بل كانت لمؤلفاته الحظ الوفير من الدراسات الحديثة كالدراسات الاستشراقية و سأقتصر على ما ذكره محمد بدوي في كتابه مؤلفات الغزالي.

يرى محمد بدوي أن البحث في مؤلفات الغزالي بدأ خصوصا منذ منتصف القرن التاسع عشر، حين كتب ر.جوشه R.Goshe بحثا عن حياة الغزالي ومؤلفاته (طبع في برلين 1858م )، ثم جاء مكونلد D.B Macdonald الذي عنى هو الآخر بالحديث عن بعض الكتب الموضوعة على الغزالي، وجاء المستشرق الكبير إغناطيوس جولد تسيهر، الذي تعرض لكتب الغزالي أولا في نشرته لكتاب محمد بن تومرت مهدي الموحدين الذي نشره مع ترجمة فرنسية في الجزائر سنة 1903م، وأنكر صحة كتاب العالمين، وعنى جيردنر w.H.T.Gairdner بكتاب مشكاة الانوار" فكتب مقالا عن "مشكاة الأنوار" ومشكلة الغزالي نشر في مجلة الإسلام سنة 1914م.[1]

كما أن أول محاولة جدية لترتيب مؤلفات الغزالي هي تلك التي قام بها ماسينيون*[2] في كتابه" مجموع نصوص غير منشورة خاصة بتاريخ التصوف في بلاد الإسلام" الذي ظهر في باريس 1929 حيث قدم لوحة تاريخية لمؤلفاته وفقا لمقدمات هذه المؤلفات على النحو التالي:

_ الفترة الأولى( من سنة 478-484هـ) : الوجيز.

_الفترة الثانية ( من سنة 484_488هـ) : المقاصد والتهافت والاقتصاد المستظهري سنة 487هـ.

_الفترة الثالثة:( من سنة 492_ 495 هـ): الإحياء ( وقد بدأ قبل ذلك ) المستصفى ، كيمياء السعادة، منهاج العابدين.

[1] كتاب عبد الرحمان بدوي: مؤلفات الغزالي، ط2، (وكالة المطبوعات،الكويت، 1977م)، ص9.

[2] *ماسينيوس: مستشرق فرنسي(1883_1962م)، التحق بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة مما حفزه إلى التعمق في دراسة الآثار الإسلامية، زار الكثير من البلاد العربية خلاف مصر كالجزائر والحجاز والقدس وبيروت وغيرها، تقلب في عدة مناصب في التدريس بالمعاهد والجامعات، وحصل على الدكتوراه من السوربون برسالة عن آلام الحلاج 1922 م.( ماسينيون ومصفى عبد الرزاق: التصوف، ط1،(دار الكتاب اللبناني ، لبنان، 1984م)، ص8).

_ الفترة الأخيرة من (495_ 505 هـ) في طوس: معيار العلم؛ محك النظر؛ الاجوبة المسكتة؛ وميزان العمل؛ جواهر القرآن؛ المضنون؛ المشكاة؛ القسطاس المستقيم؛ إلجام العوام؛ فيضل التفرقة؛ المنقذ من الضلال؛ الرسالة اللدنية. [1]

بيد أن الأستاذ "ماسينيون" لم يفصل القول في هذه اللوحة ولم يبررها، كما أنه حشد المؤلفات حشدا في الفترة الأخيرة ولم يبحث في المؤلفات المنحولة،[2] يمكن العودة إلى هذا الكتاب للتفصيل أكثر حول الدراسات الحديثة الخاصة بمؤلفات الغزالي.

**الفرع الثاني– مصنفات الغزالي الأخلاقية:**

يعد الغزالي من أشهر الأخلاقيين الذين اهتموا بمسألة الأخلاق، حيث خصص في ذلك الكثير من المؤلفات التي يمكن تسميتها مصنفات الغزالي الأخلاقية، و سأختص بذلك كل من كتاب الإحياء وكيمياء السعادة وميزان العمل.

**أولا– كيمياء السعادة:**

أصل هذا الكتاب بالفارسية( كيمياء السعادة والعلوم) والأصل الفارسي كبير يشابه إحياء علوم الدين ويقال إنه ترجم فيه كتاب الإحياء، كما أن الأصل الفارسي يتألف من أربعة أركان أيضا:

**1–الركن الأول**: في العبادة وهو عشرة أصول؛ الأصل الأول اعتقاد أهل السنة والثاني طلب العلم، والثالث الطهارة، والرابع الصلاة، والخامس الزكاة، والسادس الصيام، والسابع الحج، والثامن تلاوة القرآن، والتاسع الأذكار والدعوات، والعاشر ترتيب الأوراد.[3]

**2–الركن الثاني**: في آداب المعاملة فالأصل الأول في آداب الطعام، والثاني آداب النكاح، والثالث آداب الكسب والتجارة، والرابع طلب الحلال، والخامس آداب الصحبة، والسادس آداب العزلة،

[1] كتاب عبد الرحمان بدوي: مؤلفات الغزالي،(مرجع سابق)، ص10.

[2] المرجع نفسه، ص11.

[3] المرجع نفسه، ص 176.

والسابع آداب السفر، والثامن آداب السماع والوجد، والتاسع آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعاشر رعاية الرعية وتسيير الولاية. [1]

**3-الركن الثالث**: في رؤية عقبات الطريق وهو أيضا عشرة أصول: الأول في رياضة النفس ، والثاني علاج الشهوة، الثالث في شر الكلام وآفات اللسان، والرابع في الغضب والحقد والحسد، والخامس علاج حب الدنيا، وعلاج حب المال، السابع علاج حب الجاه والحشمة، والثامن علاج الرياء والنفاق في العبادة، والتاسع علاج الكبر والعجب، والعاشر علاج الغرور و والغفلة. [2]

**4-الركن الرابع**: في المنجيات، وهو أيضا عشرة أصول؛ الأول في التوبة والبعد عن المظالم، والثاني في الشكر والصبر، والثالث في الخوف والرجاء، والرابع في الفقر والزهد، والخامس في التوحيد والتوكل، والسادس في محبة الحق.[3]

نرى أن هذه الأركان الأربع تكاد تكون هي نفسها أرباع الأحياء؛ فالركن الأول بتقسيماته يماثل ربع العبادات والركن الثاني يشابه ربع العادات والثالث ربع المهلكات والأخير ربع المنجيات، ولقد تحدث فيه الغزالي إجمالا عن معرفة النفس ومعرفة القلب وعساكره، والأخلاق الحسنة والأخلاق الذميمة.

ورسالة كيمياء السعادة توضح أن السعادة لا تكون إلا في خزائن الله سبحانه وتعالى، ولا تلتمس إلا من حضرة النبوة وكل من طلبها من غير هذا السبيل فقد أخطأ الطريق، ومن هنا كان لابد ممن يريد أن يفر بهذه السعادة، أن يتعرى من كل صفات النقص ويلتزم بكل صفات الكمال. [4]

---

[1] عمار النجار: نظرات في فكر الغزالي،( مرجع سابق)، ص 68.

[2] عبد الرحمان بدوي: مؤلفات الغزالي، (مرجع سابق)، ص176.

[3] عمار النجار: نظرات في فكر الغزالي،( مرجع سابق)، ص68.

[4] المرجع نفسه، ص68.

**ثانيا– ميزان العمل:**

**1_ تعريفه:**

حدد الغزالي حقيقة كتاب ميزان العمل وموقعه بين مؤلفات في مطلع الكتاب بقوله:" أن السعادة التي هي مطلوب الأولين والآخرين لا تنال إلا بالعلم والعمل وافتقر كل واحد منهما إلى الإحاطة بحقيقته ومقداره ووجب معرفة العلم والتمييز بينه وبين غيره بمعيار وفرغنا منه وجب معرفة العمل المسعد والتمييز بينه وبين العمل المشقي فافتقر ذلك أيضا إلى ميزان".[1] و بهذا التحديد يعطي الغزالي أهمية كبرى للمعايير والموازين لتحقيق السعادة التي هي مطلوب الأولين والآخرين.[2]

ولهذا الكتاب أيضا قيمة معرفية كبيرة فقد ترجم إلى عدة لغات منها العبرية، كالترجمة التي قام بها إبراهيم بن حسداي بن سموئيل هلفي ما بين ( 1225–م1240) تحت عنوان "الميزان الصادق"،[3] حيث رأى أن الغزالي في مصاف أرسطو وابن ميمون ورأى فيه علما لا يمكن للمكلة اليهودية أن تستغني عن كتبه، خصوصا عندما يتعلق الأمر بجانب الأخلاق والشرع، حيث يقول: "وهذه سنوات قد مضت فيه تفتق وأزهر وأنار وأشرق وظهر في أرض المشرق، رجل حكيم مبرور ، وعالم كبير مشهور له في كل علم باع وفي كل فن قدرة ومستطاع، إنه أبو حامد الغزالي وقد ألف كتابه هذا أكمل تأليف وفسره أجمل تفسير وسماه ميزان العمل، والفضائل تلك الفضائل التي بها يحيى الإنسان، فتكلم فيه بالشيء العجيب، وأظهر قدرا كبيرا وعلما كثيرا...".[4]

وقد نشر هذه الترجمة "جولدنتال" وفقا لثلاث مخطوطات، وصدرها بمقدمة عبرية عن حياة الغزالي ومؤلفاته في باريس 1839م.[5]:" يعد ميزان العمل أهم كتب جنسه سواء في موضوعه أم في لغته وبيانه،

---

[1] ميزان العمل: أبي حامد الغزالي، (مصدر سابق)، ص5.

[2] نور الدين السافي: نقد العقل منزلة العقل النظري والعملي في فلسفة الغزالي، ط1، (مكتبة علاء الدين، تونس، 2003م)، ص33.

[3] عبد الرحمان بدوي: مؤلفات الغزالي، (مرجع سابق)، ص80.

[4] Ahmed Shahlen: Almizen. Al Ghazali (Laraison et le miracle), table ronde unesco 1985, editions Maisonneuve et la rose, Paris, p 97

[5] عبد الرحمان بدوي مؤلفات الغزالي، (مرجع سابق)، ص80.

أما منهجية موضوعه فلا يلحقه أي كتاب مما بين أيدينا من كتب الأخلاق على كثرتها، فهذا الكتاب كالذهب خالص كله، كامل في مضمونه ومرماه...".[1]

**ثالثا_ إحياء علوم الدين:**

**أ_ تعريفه:**

يعتبر كتاب الإحياء الذروة في التراث الإسلامي الأخلاقي، بل إنه يكاد يكون موسوعة إسلامية كبيرة،[2] فقد بلغ مكانة مقدسة عند بعضهم حتى قالوا عنه:"كاد الإحياء أن يكون قرآنا"، وهناك من رآه البحر المحيط فهو سبيل وطريق إلى الله وطريق رسول الله وطريق العارفين بالله وطريق العلماء،[3] فالمتدينون يعتبرونه من أقوم الكتب المدافعة عن الإسلام من شوائب الحضارة الزائفة ،كما يدعون، التي يتعرض لها كل دين في أوج النزوع المادي، ومن الفقهاء من يعتبره كتابا خطط فيه الغزالي الأصول الإسلامية وفروعها بشكل وعظي يعطي المسلم الاعتيادي زيادة من التفرس في الحقائق الدينية التي يؤمن بها، ولأهل الكلام ومن المدرسة الأشعرية الممتزجة بالأفكار الصوفية بخاصة.[4]

يضمن هذا الكتاب فكر الغزالي الأصيل وهو يغني عن جميع كتبه الأخرى فهو كتاب يشيع العلم والنور والإيمان والمعرفة ويدعوا إلى الأخلاق الفاضلة والآداب الحميدة، كما يدعو إلى تزكية النفس وترقيتها حتى تصل إلى مقام الإحسان،[5] ألفه الغزالي بعد اعتزاله التدريس في نظامية بغداد حيث حظي بقسط وافر من الشروح والاختصارات والنقد.[6]

---

[1] Ahmed Shahlen: Almizen. Al Ghazali (Laraison et le miracle). .(Op.cit).p99.

[2] عبد الأمير الأعسم: الفيلسوف الغزالي، دط، (دار قباء، مصر، 1998م)، ص87.

[3] حسن الفاتح قريب الله: دور الغزالي في الفكر، دط، (مطبعة الأمانة، مصر، 1978م) ص166.

[4] عبد الأمير الأعسم: الفيلسوف الغزالي، (مرجع سابق)، ص8.

[5] عمار النجار: نظرات في فكر الغزالي، ط2، ( دار المعارف، مصر، 1992م)، ص23.

[6] حسن الفاتح قريب الله: دور الغزالي في الفكر: دور الغزالي في الفكر، (مرجع سابق)، ص167.

**ب_أقسامه:**

يعد الكتاب موسوعة علمية في بابه، وقد أقامه مؤلفه على أربعة أقسام وهي؛ ربع العبادات، وربع العادات، وربع المهلكات، وربع المنجيات. [1]

ثم قسم كل ربع من هذه الأرباع إلى عشرة كتب، وبهذا يكون مجموع كتب الكتاب أربعين كتابا، يعد كل منها وافيا في الموضوع الذي وضع له، وكل كتاب من هذه الكتب ، مقسم بدوره إلى أبواب وفصول.[2]

**1–ربع العبادات**: وهو يشمل على كتاب العلم وكتاب قواعد العقائد وكتاب أسرار الصلاة ومهماتها، وكتاب أسرار الزكاة وكتاب أسرار الصوم، وكتاب أسرار الحج، وكتاب آداب تلاوة القرآن وكتاب الأذكار والدعوات، وترتيب الأوراد في الأوقات، وتفضيل إحياء الليل.

**2–ربع العادات**: يشتمل على كتب في الأكل وآداب الزواج وأحكام الكسب والمعاش، والحلال والحرام، وآداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق، والعزلة، وآداب السفر ، والسماع، والوجد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآداب المعيشة وأخلاق النبوة.

3–**ربع المهلكات**: ويشتمل على كتب في شرح عجائب القلب، ورياضة النفس، وتهذيب الأخلاق وآفات الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج ،وآفات اللسان، وآفات الكبر وذم الغرور.

**4–ربع المنجيات**: ويحتوي على كتب في التوبة، والصبر والشكر، والخوف والرجاء والفقر والزهد والتوحيد والتوكل، والمحبة والشوق والأنس والرضا، والنية والصدق والإخلاص، والمراقبة والحاسبة والتفكير وذكر الموت وما بعده. [3]

---

[1] عمار النجار: نظرات في فكر الغزالي،( مرجع سابق)، ص25.

[2] صالح أحمد الشامي: الإمام الغزالي، ط1،( دار القلم، سوريا، 1993م)، ص146.

[3] عمار النجار: نظرات في فكر الغزالي،( مرجع سابق)، ص26.

ومن هذا يتبين أن هذه الكتب قد تناولت أحكام العبادات والمعاملات والعادات و وسائل النجاة كالتوبة والرجاء والإخلاص والأخلاق المحمودة منها والمذمومة، وبالتالي فهي من أهم كتب الفكر الإسلامي بما تضمنه من أفكار ثرية وأبواب شملت ما يحتاجه المسلم في دينه ودنياه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## المبحث الثاني: عصر الغزالي.

سأقف على عصر الغزالي من الناحية التي كان لها أثر في فكره الأخلاقي أو إن صح التعبير معرفة الأسباب الغير المباشرة والمباشرة التي أدت وأنمت فكر الغزالي الأخلاقي.

### المطلب الأول: الجو السياسي (الدولة السلجوقية).

نشأ الغزالي في أحضان الدولة السلجوقية ، وهي من أهم الدول الإسلامية التي ظهرت على مسرح التاريخ في العصر العباسي الثاني، التي اشتبكت في قتال مع الغرب النصراني مؤدية بذلك قيام الحروب الصليبية آنذاك .

#### الفرع الأول_تعريف الدولة السلجوقية (447_1055م) –(656هـ–1258م):

يطلق مصطلح السلاجقة على مؤسسي والسلاجقة في أصلهم مجموعة من القبائل التركية تنتمي في إلى طائفة تسمى "الأوغوز"، استقرت في إقليم ما وراء النهر في أواخر القرن الرابع وأول القرن الخامس الهجريين بعد أن أسلمت وحسن إسلامها، ثم انتقلت بعد سنوات قليلة إلى خرسان وكونت جيشا قويا تمكنت به من دخول مدينة نيسابور في عام (429هـ_1027م) فأعلن زعيمها "طغرل بك" قيام دولة السلاجقة و نادى بنفسه سلطانا على هذه الدولة.[1]

وقد وصف الأصفهاني الدولة السلجوقية في كتابه تاريخ آل سلجوق بأنها:"كانت ذوي عدد وعدد وأيد ويد، لا يدينون لأحد ولا يدنون من بلد و"ميكائيل بن سلجق" زعيمهم المبجل وعظيمهم المفضل، وقد سكنوا من أعمال بخارة موضعا يقال له نور بخارة، ومازالوا في أنصر شيعة وأنصر عيشة وهم في الرعي يكلئون الكلأ، وفي الريع يملؤون الملأ، لا يذعرهم ذاعر ، ولا يردعهم داعر، والسلاطين يرعونهم للملمات ولا يرعونهم، ويدعونهم للمهمات ولا يدعونهم".[2]

[1] سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث: أطلس تاريخ الدولة العباسية، ط1، (مكتبة العبيكان، السعودية،2012م)، ص 258.

[2] عماد الدين محمد بن حامد الاصفهاني: تاريخ دولة آل سلجوق، دط،( شركة طبع الكتب العربية، مصر، 1900م)، ص5.

**الفرع الثاني_ النظام السلجوقي الإقليمي (تقسيم الأقاليم):**

أما عن النظام السلجوقي فقد كانت الدولة السلجوقية تنقسم إلى خمسة أقاليم هي:

**أولا– السلاجقة الكبرى:** و هي الدولة التي أسسها ركن الدين "أبوطالب طغرل بك" (429هـ/1039م- 522هـ/1127م) وقد انقضت دولتهم على أيدي "شاهات خوارزم".

**ثانيا_سلاجقة كرمان:** فكانوا من عشيرة "قاروت بك بن داوود بن ميكائيل بن سلجوق"، وهو أخو "ألب أرسلان" ومدة ملكهم 50 سنة وقد انقضت دولتهم على أيدي الغزو التركمان.

**ثالثا– سلاجقة العراق وكردستان:** ابتدات دولتهم سنة ( 511 هـ/1117م_ 583هـ/ 1188م) وقد انقضت دولتهم على أيدي الغزو التركمان بعد أن مكثت 79سنة .

**رابعا– سلاجقة سورية:** فكانوا من بيت "تنش بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق" ، وقد ابتدأت دولتهم سنة ( 487هـ/ 1093م_ وانتهت سنة 511هـ/ 1117م على أيدي الدولتين النورية والارتقية ، فكانت حياتها 24 سنة.

**خامسا– سلاجقة الروم:** ملوك قونية واقصرا ، فكانوا من بيت "قطامش بن اسرائيل بن سلجوق" ، وقد ابتدأت دولتهم سنة 1077م، وانتهت سنة 1307م فهي أطول دول السلاجقة حياة ، إذ مكثت 230سنة، وقد انقضت على أيدي الاتراك العثمانيين والمغول.[1]

**الفرع الثالث_ الغزالي والأوضاع السياسية:**

ونحن ما يهمنا هنا شخصية الغزالي وكيف أثر الوضع السياسي في نمط تفكيره كما أسلفنا الذكر؛ حيث أنه عاصر أكثر ملوك الدولة السلجوقية الكبرى، فقد شهد "عضد الدين أبي شجاع الب أرسلان"، و"جلال الدين أبي الفتح ملكشاه"، و"ناصر الدين محمود وركن الدين أبي المظفر برك ياروق"، و"ركن الدين ملكشاه الثاني" و"محمد بن ملكشاه" ، وقد ولد الغزالي في آخر عهد طغرل بك.[2]

[1] زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي، دط، (كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر،2002م)، ص24.

[2] المرجع نفسه، ص24.

كان الجو السياسي آنذاك يمتاز بنوع من الاضطراب، حيث لم تكن العلاقة بين السلاطين السلاجقة والخلفاء العباسيين مستقرة وثابتة ومنتظمة رغم أن السلاطين كانوا يعتبرون أنفسهم خدما وحرسا لأمير المؤمنين العباسي ولقد كان هذا شكليا لأن نفوذ الخليفة قد اقتصر على الأمور الدينية،[1] أي أن السلطان السلجوقي هو الذي يسيطر أو وزراؤه على الجيش والسياسة، في يدهم القدرة لا على تنفيذ قراراتهم فحسب بل على عزل الخليفة إن شاؤوا ، وكان معاصرو الغزالي من الخلفاء؛ المقتدى بالله*[2] 487 هـ ثم المستظهر*[3] 512هـ ، ومعاصروه من السلاطين عضد الدولة ابن أرسلان 456هـ وجلال الدين ملكشاه485 وغيرهم .[4]

وكان بعض هؤلاء السلاطين الذين عاصرهم الغزالي قد تغلب عليهم وزراؤهم فأصبحوا كالخلفاء، ألعوبة في أيديهم، لا يملكون حلا ولا ربطا، ولعل أشهر هؤلاء الوزراء وأكثرهم نفوذا وذيوع صيت هو الوزير "نظام الملك"، الذي قتل غدرا وقد كان اغتياله فاتحة اغتيالات كثيرة قام بها الباطنية للتخلص من أعدائهم في مختلف الأقطار الإسلامية مما فرض جوا إرهابيا عاما لم يأمن خاصة الناس فيه بل عامتهم على حياتهم.[5]

**المطلب الثاني: الجو الديني (الباطنية).**

انتشرت العديد من الفرق الدينية في زمن الغزالي، كان لكل واحد منها مميزات و طبائع مختلفة سواء أكانت فقهية أو فلسفية. و سأركز في هذا المطلب على الباطنية لما لها الأثر الكبير آنذاك كما أن الشيخ الغزالي اشتغل بالرد عليهم.

---

[1] أيوب دخل الله: التربية الإسلامية عند الإمام الغزالي، ط1،(المكتبة العصرية، لبنان، 1996م)، ص 27.

[2]* المقتدي الخليفة عبد الله بن محمد بن القائم، في أيامه كانت الزلازل عظيمة حتى فارق الناس ديارهم واستوطنوا الصحارى، توفي في المحرم سنة 489هـ حيث استمرت خلافته 19 سنة.( علي بن أنجب البغدادي: مختصر أخبار الخلفاء، ط1،( المطبعة الأميرية ، مصر، 1892م)، ص92).

[3]*لما مات المقتدي بويع بالخلافة ابنه المستظهر وهو أبو العباس أحمد، في أيامه احترقت المدرسة النظامية ببغداد، كما حدثت اضطرابات سياسية كثيرة في عهده، توفي سنة 512هـ عن عمر 41سنة دامت خلافته 14 سنة،( المرجع نفسه، ص93)

[4] حسن الفاتح قريب الله: دور الغزالي في الفكر،(مرجع سابق)، ص9.

[5] المرجع نفسه، ص10.

**الفرع الأول– تعريف الباطنية:**

لقب عام مشترك تندرج تحته مذاهب وطوائف عديدة، والصفة المشتركة بينها هي تأويل النص الظاهر بالمعنى الباطن تأويلا يذهب مذاهب شتى، وقد يصل التباين بينها حد التناقض الخالص، فهو يعني أن النصوص الدينية المقدسة رموز وإشارات إلى حقائق خفية وأسرار مكتوبة، وأن الطقوس والشعائر، بل والأحكام العلمية هي الأخرى رموز وأسرار، وأن عامة الناس هم الذين يقنعون بالظواهر والقشور، ولا ينفذون إلى المعاني الخفية المستورة التي هي من شأن أهل العلم الحق، علم الباطن.[1] امتاز دعاتها بالمكر والدهاء، فقد عرفوا كيف يملؤون تلك الرؤوس الجوفاء بالخرافات والوساوس والأضاليل، وأقنعوا تابعيهم، بأن الآفة التي نزلت بالأمة فشتتت شملها وفرقت جمعها، ليس لها من سبب إلا ذهاب الناس عن أئمتهم الذين يعرفون بواطن الشريعة، لأن دين محمد فيما يزعمون ليس هو ما يعرفه العامة، بل هو علم خفي غامض، ستره الله في حجبه، وعظمه عن ابتذال أسراره، فلا يطيق حمله، ولا يقوم بأعبائه إلا ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو عبد مؤمن امتحن قلبه بالتقوى.[2]

ولقد كان لهؤلاء الباطنية دولة بمصر عرفت باسم الدولة الفاطمية، وقد عاصر الغزالي من خلفائهم "المستعلى بالله" الذي لم يعترف به الحسن ابن الصباح (430هـ) فأعلن الولاء لأخيه نزار، وعاصر من حكامها كذلك "الآمر بأحكام الله علي بن المنصور بن المستعلي" (1130هـ-1097م) وعاصر من حكام الولايات الإسلامية المغربية "يوسف بن تاشفين" وابنه بعده، كما شهد الغزو الصليبي الذي استغل خلافات المسلمين فأسس عدة إمارات سميت بالإمارات اللاتينية.[3]

**الفرع الثاني– فرقهم حسب الغزالي:**

استقرى الغزالي تحت هذا الاتجاه (الباطنية بصفة عامة)ثمانية فرق وهي:

أولا– **الباطنية**( نسبة إلى التأويل بالباطن).[4]

ثانيا– **القرامطة** : والقرمطية نسبة إلى حمدان قرمط، أحد دعاتهم في الابتداء.

---

[1] عبد الرحمان بدوي: مذاهب الإسلاميين،(مرجع سابق)، ص 751.

[2] زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي، (مرجع سابق)، ص25_26.

[3] حسن الفاتح قريب الله: دور الغزالي في الفكر،(مرجع سابق)، ص11.

[4] عبد الرحمان بدوي: مذاهب الإسلاميين،(مرجع سابق)، ص 751.

ثالثا- **الخرمية** : نسبة إلى حاصل مذهبهم وزبدتهم، وهو تحصيل اللذة، فإن خرم لفظ فارسي يدل على الشيء المستلذ، وقد كان لقبا للمزدكية، وهم أهل الإباحة من المجوس.

رابعا- **البابكية**: نسبة إلى بابك الخرمي الذي خرج من بعض الجبال بناحية أذربيجان في أيام المعتصم بالله( 208_ 227هـ) الذي وجه إليه جيشا قضى على حركته في سنة 222هـ.

خامسا- **الإسماعلية**: نسبة إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصاد، سابع الأئمة ابتداء من محمد عليه الصلاة والسلام.

سادسا- **السبعية**: ولقبوا بذلك لأمرين؛ الأول اعتقادهم بأن أدوار الإمامة سبعة، والثاني قولهم إن تدابير العالم السفلي منوطة بالكواكب السبعة.

سابعا- **المحمرة**: ولقبوا بذلك لأنهم صبغوا ثيابهم بالحمرة أيام بابك، وكان ذلك شعارهم.

ثامنا- **التعليمية**: ولقبوا بذلك لأن مذهبهم يقوم على إبطال الرأي وتصرف العقل، وعلى دعوة الخلق إلى تلقي العلم من الإمام المعصوم، وعلى أنه لا مدرك للعلوم إلا التعليم من إمام معصوم.[1]

كما أن القرامطة والبابكية والاسماعلية كانت حركات سياسية لعبت أدوارا متفاوتة الأهمية في تاريخ الإسلام السياسي.[2]

## المطلب الثالث: البيئة العلمية.

### الفرع الأول_الناحية الفكرية:

بالرغم من الفساد والانحلال الذي مس الجانب السياسي والاجتماعي كما أوضحنا سابقا، إلا أن الثمار العلمية قد نضجت في ذلك العصر بفعل التنافس والتباري الذي ساد الإمارات الإسلامية المختلفة،[3] حيث اشتملت المنظمة الإسلامية الكبرى على ممكنات ثقافية غنية من الناحيتين؛ الدينية الروحية والفكرية الفلسفية.[4]

---

[1] عبد الرحمان بدوي: مذاهب الإسلاميين،(مرجع سابق)، ص 752.

[2] المرجع نفسه، ص 753.

[3] حسن الفاتح قريب الله: دور الغزالي في الفكر،(مرجع سابق)، ص14.

[4] محمد إبراهيم الفيومي: الإمام الغزالي وعلاقة اليقين بالعقل، دط، (دار الفكر العربي، مصر، دت)، ص54.

فبتزاوج الثقافة الإسلامية بالثقافة الهيلينية تولدت العديد من الاتجاهات الفكرية، يمكن توضيحها في النقاط التالية:

**أولا_الإسلاميون الهيلينيون ونظريات تقديس الفلسفة:**

أ_ومنهم الشراح الإسلاميون المشاؤون الذين قبلوا الأرجانون الأرسطي*[1]( أي مجموعة كتب أرسطو المنطقية) كوحدة فكرية كاملة واعتبروه قانون العقل الذي لا يرد، حاولوا التوفيق بين الحكمة والشريعة أو بين صريح المعقول وصحيح المنقول.

**ب–** ومنهم الشّراح الإسلاميون الرواقيون الذين قبلوا الرواقية منطقا وفلسفة، وهؤلاء الشراح الإسلاميون مشاؤون كانوا أم رواقيون ليسوا في حقيقة الواقع إلا امتدادا الهيلينية في العالم الإسلامي العقليون والافتتان بالعقل.

**ثانيا_ النظر العقلي والديني:**

هذا التيار الذي افتتن بالفلسفة وقدسها، وجعلها هي والدين سواء لم تذهب جهوده الفكرية سدى، بل أثر تأثيرا واضحا على بعض المفكرين مما جعلهم يعيدون النظر ليقرروا أن العقل هو الأحق بالتقديس، وأنه هو الميزان الذي يزن الفلسفة والدين.

فالنظرة الفلسفية حفلت بالفلسفة والدين معا، أما النظرة العقلية لم تنظر إلى الدين نظرة الخشوع والتواضع حتى يقترب من الدين، بل جعلت الدين تراثا بشريا يخضع لتعديل العقل تقويما ونقدا، فهذه النظرة تعتبر ردة فعل، فإذا كانت النظرة الفلسفية إلى الدين قد أنزلت الفلسفة منزل الدين فسادها التقديس، فإن النظرة العقيلة قد أخضعت الفلسفة للنظر العقلي والدين فساده إفساد النظر العقلي المتمرد.[2]

**الفرع الثاني_الناحية العمرانية(إنشاء المدارس):**

كان لإنشاء وتشييد المدارس العلمية الأثر الكبير في ازدهار الفكر سواء من الناحية الدينية أو العقلانية العلمية للدولة الإسلامية في كل أقطارها.

---

[1]* الأرجانوون الأرسطو Organon: مجموعة أعمال أرسطو المنطقية.(أندريه لالاند، موسوعة لالاند(مرجع سابق)، ص922).

[2]محمد إبراهيم الفيومي: الإمام الغزالي وعلاقة اليقين بالعقل، (مرجع سابق)، ص54.

ففي بغداد وغيرها من المدن الخاضعة للسلطان تبنى الوزير نظام الملك بمساعدة الخليفة المذهب الشافعي والسني وأنشأ لتدريسهما المدارس المختلفة في "بغداد" و "نيسابور" و "اصبهان" و"البصرة "وطبرستان" و"الموصل"، بل يقال إن له بكل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة تحمل لقبه وأودع هذه المدارس نفائس الكتب، وكان يشترط في بعض المدارس أنها وقف على أصحاب الشافعي أصلا وفرعا، واقتدى بنظام الملك في ذلك آخرون فبنى "شرف الملك" مدرسة للحنفية على ضريح أبي حنيفة "باب الطاق" سنة 456هـ، وبنى غيره مدارس ومكتبات خاصة، وقد قال "ابن جبير" إن المدارس ببغداد وحدها بلغت نحو الثلاثين ... وكثيرا ما كانت تعقد حلقات النقاش بين أصحاب المذاهب المختلفة من جانب وبين الباطنية الذين نشطوا في إرسال الدعاة لمذهبهم من جانب آخر.[1]

هذا ولم تخل البلاد الإسلامية بالطبع من أدعياء ومنتفعين في كل ميدان استغل بعضهم تأييد الدولة، كما استغل آخرون سذاجة الناس فادعى المهدية والتنبؤ بالغيب، وغير ذلك من الدعاوي الطويلة العريضة.[2] وقد كان الجميع بالرغم من انصرافهم للعلم يهملون أعظم جانب فيه وهو جانب العمل مما حدا بالغزالي أن يشن على جميع الطوائف هجوما عنيفا من غير استثناء عبر فيه عن استيائه لأن يبيع الناس خاصتهم وعامتهم الحياة الباقية بالحياة الفانية.[3]

**المطلب الرابع: البيئة الاجتماعية.**

لم يكن مستغربا أن تنعكس آثار الحالة السياسية على المجتمع، فتفسد أخلاق الأفراد وتتفاقم الفتن بين الجماعات؛ فالأشاعرة يكفرون ويزندقون الشيعة من جانب، والمعتزلة والفلاسفة من جانب آخر، ويكفر أو يزندق الحنابلة الشافعية من جانب وسائر أتباع المذاهب الأخرى من جانب آخر، وقد كادت أحيانا تتبع التكفير خسارات مادية ودموية، بعضها بتشجيع الحكام والبعض الآخر بتشجيع الجو العام، ولم يكن وقتها يأمن العالم على نفسه من أن يتهم بالميول إلى الباطنية فيقتل، وبالتبعية لمذهب خاص فيعاقب بالحبس أو بالطرد أو بالرجم أو بالقتل أو على الأقل الهجر.[4]

---

[1] حسن الفاتح قريب الله: دور الغزالي في الفكر،(مرجع سابق)، ص14.

[2] المرجع نفسه، ص15.

[3] المرجع نفسه، ص16.

[4] المرجع نفسه، ص12.

فقد كان ظهور الغزالي في مجتمع كثر فيه الانحلال بحيث تعدى الانحلال إلى كل جوانب الحياة، فتعددت جوانب الغزالي بتعدد الحاجات التي أملتها ظروفه المختلفة عليه" فهو فقيه، وهو متكلم وهو فيلسوف وهو صوفي، وتلك جوانب اشتهر بها شهرة لا باس فيها، بل أنها من أهم عوامل وقوعه في التناقض والغلط والتوهم، كما يبدو للباحث لأول مرة ، ولقد استطاع بذكاء أن يرتدي لكل ظرف حلة فظهر في كل مرة بمظهر المتمكن من عرضه لأفكاره وإفادته من أفكار سابقيه.[1]

ولعل هذا الانحلال الذي ميز عصره جراء الأوضاع السياسية والدينية من الأسباب التي أدت به للاهتمام بالخلق والفضيلة والسلوك.

[1] عبد الأمير الأعسم: الفيلسوف الغزالي، (مرجع سابق)، ص56.

## المبحث الثالث: مصادر الفكر الأخلاقي عند الغزالي:

سنسلط الضوء في هذا المبحث عن المصادر التي استقى وتشرب منها الغزالي، التي ساهمت في تكوين فكره الأخلاقي، حيث تعددت جوانب هذه المصادر منها الأدبي والديني والفلسفي وغيرها وسنوضح ذلك من خلال المطالب التالية.

### المطلب الأول: الأدب الفارسي والأدب العربي.

ولد الغزالي وترعرع في بيئة شرقية فارسية كان لها أثر في تكوين فكره الإيديولوجي باعتبارها لغته وثقافته الأصلية، و لا بأس بالإيحاء الطفيف حول الأخلاق الفارسية قبل مجيء الإسلام وانتشار الثقافة العربية.

#### الفرع الأول– الأدب الفارسي:

كانت الزرادشتية الدين الرسمي للدولة لحوالي أحد عشر قرنا، وقد كان الفرس يمتازون بأخلاق سامية وآداب رفيعة ويتحلون بالصراحة والكرم وحفظ الود وسخاء اليد، ويراعون آداب المجالس ويحرصون عليها، وكانوا إذا تقابل منهم شخصان متساويان في الرتبة تعانقا وقبل كل منهما الآخر، فإذا قابل أحدهم من هو أعلى منه منزلة انحنى له انحناءة كبيرة تشعر بالخضوع والاحترام، وإذا التقى من هو أقل منه قدم له خده ليقبله، وكانوا يستنكرون تناول شيء من الطعام والشراب على قارعة الطريق، كما كان يسوؤهم أن يبصق الإنسان أو أن يتمخط أمام الناس، وكانوا يعدون النظافة أكبر النعم لا تفضلها إلا الحياة نفسها، ويرون أن الأعمال الطيبة لا قيمة لها إذا صدت عن أيد قذرة، وكان من المبادئ المقررة عندهم ألا تقوم مدرسة بالقرب من السوق حتى يكون ما في هذه السوق من كذب وغش سبب في إفساد أخلاق الصغار، وهكذا كان تعليم أبناء الطبقات الموسرة.[1]

وهذه صورة مبسطة عن نوع التعاليم الأخلاقية في البلاد الفارسية قبل مجيء الإسلام ومما لاشك فيه أن الديانة الزرادشتية كان لها من الفضل الكثير في تهذيب الأخلاق والرقي بها.

#### الفرع الثاني–الأدب العربي:

[1] محمد عبد الرحمان مرحبا: المرجع في تاريخ الأخلاق (الأخلاق منذ عصر ما قبل التاريخ حتى الصين القديمة)، ط1 (جروس برس ، لبنان، 1988م)، ص234.

إن الكتابات التاريخية وما نقل عن العرب من الآداب كالشعر والنثر والقصص والأمثال والحكم تتضمن الكثير من القيم الأخلاقية التي اهتم العرب بها، ومن ذلك اعتزازهم بالفضائل والطباع النبيلة كالشجاعة والكرم والصبر والوفاء وكانت الأخلاق تنتقل من جيل لجيل لأنهم يعتبرونها أحد مصادر فخرهم وجزء من شمائلهم وأعرافهم الاجتماعية.[1]

فالأمة العربية التي ورث الغزالي وورث أساتذته آدابها القديمة، كانت تقول الشعر والنثر في تهذيب الأخلاق، فمن الواضح أن قول بعض الأعراب في وصية ابنه " المنية ولا الدنية" فيه ضرب من التهذيب الفردي،[2] كما نجد في قول "عروة الصعاليك" وصفا لجوده و كرمه وإنسانيته الرفيعة مع المساكين و الصعاليك والفقراء:

فراشي فراش الضيف والبيت بيته  و لم يلهني عنه غزال مقنع
أحدثه، إن الحديث من القرى  وتعلم نفسي أنه سوف يهجع.[3]

ونجدوا في المعلقات الكثير من الآثار التي تدل على تقدير العرب قديما للفضائل النفيسة وتمكنها من نفوسهم، ولذلك مجدوا تلك الفضائل وفخروا بها؛ كفضيلة الكرم وهي من أمهات فضائل النفس لأنها الفضيلة التي ينزل بها صاحب المال عن ماله للفقير المحتاج إليه، تلك الفضيلة كان لها شأنها في المجتمع العربي يم، فكان الواحد منهم لا يحجم عن اقتسام زاده القليل مع الغريب الجائع.[4]

**المطلب الثاني: المصدر الديني:(القرآن والسنة النبوية).**

في القرآن تحليل دقيق لنزعات النفوس، وخلجات القلوب، وفيه حل لأكثر المشاكل الأخلاقية التي شقى في حلها الحكماء، ففيه أدب الرجل مع ربه، ومع نفسه، ومع زوجه، ومع آبائه ومع أبنائه، ومع

[1] سعود بن عبد الله الحزيمي: مصادر الأخلاق باللغة العربية، دراسة ببليومترية تحليلية، دط، (مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، 2013م)، ج1، ص 176.

[2] زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي، (مرجع سابق)، ص72.

[3] ديوان عروة بن الورد و السموأل، دط،( دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، 1982م)، ص8.

[4] بدوي طبانة: معلقات العرب "دراسة نقدية تاريخية في عيون الشعر الجاهلي"، ط3، (دار الثقافة، لبنان، 1974م)، ص 25.

إخوانه، ومع أعدائه ويندر أن تجد مشكلة خلقية لم يعن بحلها القرآن،[1] "قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[2] وقوله أيضا: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[3]كما أن المفهوم الأخلاقي في القرآن الكريم يمتاز عن غيره في أنه يشتمل على روح التوفيق بين سائر النزعات الأخلاقية، ويلبي جميع مطالب الإنسان، فهو ينظر إلى الفرد كما ينظر إلى المجتمع، ويعطي لكل واحد منهما حقه،[4] ويظهر ذلك جليا في الكثير من الآيات القرآنية التي تؤكد أهمية الفعل الخلقي من خلال الأمر بالتحلي بأحسن الأخلاق وأقومها من جهة والنهي عن سيئتها ورذيلتها من جهة أخرى، بالإضافة إلى بيان جزاء الفريقين.[5] "وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ "[6]

[1] زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي، (مرجع سابق)، ص73.

[2] البقرة/83.

[3] آل عمران/133-134.

[4] عبد الأعلى السبزواري الموسوي: الأخلاق في القرآن الكريم، ط1،(دار الكتاب العربي ، لبنان، 2011م)، ص15

[5] مريم حسين علي محمد السادة: المنهج القرآني في البناء الأخلاقي للإنسان وأثره في رواد مراكز القرآن الكريم وعلومه، رسالة ماجستير، (قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قطر، 2017م)، ص16.

[6] فصلت/ 34.

ولقد كان القرآن الكريم والسنة النبوية المرجع الأخلاقي الأول للغزالي فهو كثير الاستشهاد بهما في كتبه.

## المطلب الثالث: المصدر الفلسفي:

### الفرع الأول– الفلاسفة اليونان.

درس الغزالي الفلسفة بنفسه ولم يتتلمذ لأستاذ، وقد كان غرضه من ذلك دحضها، فهو لم يتكلم عن الفلسفة إلا ليبطلها،[1] فكان ذلك داعية لهذا البغض العميق، الذي جعله ينسى الفلاسفة ولم يذكرهم إلا بسوء في كتبه، وبالرغم من ذلك لم ينجو الغزالي من محاكاة الفلاسفة حين كتب في الأخلاق، فإن نظرته في تقسيم الفضائل وطرائق كسبها، وتنويع الرذائل ووسائل الخلاص منها، تبين مبلغ محاكاته للفلاسفة الذين كتبوا في الأخلاق والآداب الاجتماعية.[2]

يقول الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال: " وأما السياسات فجميع كلامهم فيها يرجع إلى الحكم المصلحية المتعلقة بالأمور الدنيوية السلطانية، وإنما أخذوها من كتب الله المنزلة على الأنبياء، ومن الحكم المأثورة عن سلف الأولياء، وأما الخلقية فجميع كلامهم فيها يرجع إلى حصر صفات النفس وأخلاقها، وذكر أجناسها وأنواعها، وكيفية معالجتها ومجاهدتها، وإنما أخذوها من كلام الصوفية، وهم المتألهون المثابرون على ذكر الله وعلى مخالفة الأهواء، وسلوك الطريق إلى الله بالأعراض عن ملاذ الدنيا، وقد انكشف لهم في مجاهداتهم من أخلاق النفس وعيوبها وآفات أعمالها ما صرحوا به، فأخذه الفلاسفة ومزجوه بكلامهم، توسلا بالتجمل به إلى ترويج باطلهم.[3]

وينقد زكي مبارك هذه الدعوى التي وجهت إلى فلاسفة اليونان؛[4] في قول الغزالي:" ولقد كان في عصرهم، بل في كل عصر جماعة من المتألهين لا يخلى الله تعالى العالم منهم، فإنهم أوتاد الأرض ببركاتهم تنزل الرحمة إلى أهل الأرض". [5]

---

[1] عبد الأمير الأعسم: الفيلسوف الغزالي، (مرجع سابق)، ص56.

[2] زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي، (مرجع سابق)، ص76.

[3] أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، تحقيق: سعد كريم الفقي، دط، (دار ابن خلدون، مصر، دت)، ص 23.

[4] زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي، (مرجع سابق)، ص76.

[5] أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، (مصدر سابق)، ص23.

فعلى هذا لا فضل لسقراط ولا أفلاطون، ولا أرسطو طاليس فيما وقعوا إليه حين كتبوا في الأخلاق، وإنما الفضل لأولئك الأوتاد الذين شرفت بهم بلاد اليونان منذ آلاف السنين رغم ما عرف من تعدد الآلهة التي عرفها الإغريق، إنه لا شك في أن الغزالي استقى من المنابع الفلسفية، في كل ما كتب عن الأخلاق .[1]

**الفرع الثاني– الفلاسفة المسلمين:**

**أولا–مسكويه:** ( 320–421هـ) هو أحمد بن محمد بن يعقوب، أبو علي الملقب مسكويه، ويطلق عليه اسم أبي علي الخازن، أو صاحب تجارب الأمم، كان مجوسيا ثم أسلم، درس علوم الأوائل على يد أبي بكر أحمد بن كامل القاضي، وعلى يد ابن الخمار الذي كان واسع الاطلاع على هذه العلوم[2] كما أنه درس المنطق والطب حتى سمي بسقراط الثاني، ولم يكن ذا عقلية فلسفية وأنه شغل بالكيمياء عن كتب الفلسفة فدرسها وجد في طلبها مع أبي الطيب الكيميائي الرازي وجابر بن حيان، من أهم مصنفات مسكويه؛ كتاب الفوز الأكبر ( في الأخلاق)، كتاب الفوز الأصغر ( في الأخلاق)، كتاب تجارب الأمم (في التاريخ) ابتدأ فيه من الطوفان وانتهى به إلى سنة 369هـ، ترتيب العادات ( في السياسة والأخلاق)، جاويدان خرد( الحكمة الخالدة). كتاب الجامع ، كتاب تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، رسالة في اللذات والآلام في جوهر النفس و طهارة النفس.[3]

وهو من الفلاسفة الذين انتفع الغزالي بآرائهم في الأخلاق، حيث يورد "زكي مبارك" بعض الأمثلة التي تأكد تأثر الغزالي من فكر مسكويه الأخلاقي:

**أ–سذاجة الطفل:**

*قول ابن مسكويه: "إن نفس الصبي ساذجة، لم تنتقش بعد بصورة، وليس لها رأي ولا عزيمة تميلها من شيء إلى شيء"

[1] زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي، (مرجع سابق)، ص76.

[2] رحاب خضر عكاوي: موسوعة عباقرة الإسلام في الطب والجغرافيا والتاريخ والفلسفة، ط1، ( دار الفكر العربي بيروت، 1993م) ج،2 ص226.

[3] رحاب خضر عكاوي: موسوعة عباقرة الإسلام في الطب والجغرافيا والتاريخ والفلسفة، (مرجع سابق)، ص229.

*ويقول الغزالي" والطفل أمان عند والديه، وقبله الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة"

**ب–ملازمة ما يحسن الآداب:**

–يقول ابن مسكويه:" ثم يطالب بحفظ محاسن الأخيار والأشعار التي تجري مجرى ما تعوده بالادب ، ويحذر النظر في الأشعار السخيفة وما فيها ذكر العشق وأهله، وما يوهم أصحابها أنه ضرب من الظرف ورقة الطبع، فإن هذا الباب مفسدة للأخلاق".[1]

ـ ويقول الغزالي:" ثم يشتغل في الكتب؛ فيتعلم القرآن وأحاديث الأخبار ، وحكايات الأبرار، ويحفظ من الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله، ويحفظ من مخالطة الأدباء الذين يزعمون أن ذلك من الظروف ورقة الطبع، فإن ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذور الفساد[2]

**ثاني–الفرابي:**

هو أبو نصر الفارابي الملقب بالمعلم الثاني، في مقابل أرسطو طاليس الملقب بالمعلم الأول، وأبو نصر الفرابي تركي العنصر والبيئة ، ولد أبو نصر في مدينة "وسيج"، إحدى مدن "فاراب"،[3] ارتحل الفارابي عن بيئته في سن النضوج حيث انتقلت به الأسفار إلى أن وصل بغداد وهو يعرف اللسان التركي وعدة لغات غير العربي فتعلم اللسان العربي وأتقنه، ثم اشتغل بعلوم الحكمة على أبي بشر متى بن يونس المسيحي النسطوري، وعلى الطبيب المنطقي يوحنا بن حيلان ولم يذكر له المؤرخون أساتذة غيرهما،[4] ومن أهم مؤلفاته مداخل إلى فلسفة أرسطو ، عن أفلاطون، ما بعد الطبيعة، الأخلاق والسياسة، علم النفس ومتنوعات.[5]

---

[1] زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي، (مرجع سابق)، ص80.

[2] المرجع نفسه، ص81.

[3] عبد الرحمان بدوي: موسوعة الحضارة العربية الاسلامية – الفلسفة والفلاسفة في الحضارة الإسلامية،ط1، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 1987م)، ص 197.

[4] مصطفى عبد الرزاق: فيلسوف العرب والمعلم الثاني ، دط،( مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2013م)، ص43.

[5] عبد الرحمان بدوي: موسوعة الحضارة العربية الاسلامية – الفلسفة والفلاسفة في الحضارة الإسلامية،(مرجع سابق)،ص 202.

كان الفارابي أوسع الفلاسفة المسلمين اطلاعا على الفلسفة اليونانية عرف الكثير من نصوصها في ترجماتها إلى العربية، وعرف تاريخ مدارسها وكان أول مفسر مسلم لبعض مؤلفات أرسطو،[1] ويعتبر أول من عني بإحصاء العلوم وترتيبها في كتابه "إحصاء العلوم" حيث يعتبره بعض الباحثين أول واضع في العالم لنواة دوائر المعارف وقد قسم العلوم إلى قسمين كبيرين هما:

_علوم نظرية وهي تشتمل على علوم التعاليم أي العلوم الرياضية بأنواعها والعلم الطبيعي والعلم الإلهي.

_علوم عملية وقد ذكر منها العلم المدني أي علم الأخلاق وعلم سياسة المدينة.[2]

ولقد أخذ منه الغزالي الكثير من الأفكار خاصة في علم النفس وقواها وهذا ما سنقف عليه لاحقا؛ حيث يميز الفارابي بين ثلاثة أنواع من النفوس هي: أنفس الأجسام السماوية، وأنفس الحيوان الناطق وأنفس الحيوان غير الناطق.

**المطلب الرابع: إخوان الصفاء(خلان الوفاء).**

**الفرع الأول–تعريفها:**

هي عبارة عن جمعية سرية ظهرت في القرن الرابع الهجري بالبصرة في العراق؛ حيث نشأت جماعة لم يعرف منها سوى خمسة أشخاص يلفهم الغموض والشك، ويتصفون بالاستتار والاكتتام، عرفت أسماؤهم ولم تعرف حقيقتهم، ولم تحمل كتب التاريخ الكثير عن حياتهم وأحوالهم،[3] وكل ما و صل عن أفراد هذه الجماعة من خلال رسائل إخوان الصفاء هو أنهم عدة أشخاص من مختلف الفئات والطبقات، فهم يقولون في الرسالة الثامنة والأربعين:" إن لنا إخوانا وأصدقاء من كرام الناس وفضلائهم متفرقين في البلاد، فمنهم طائفة من أولاد الملوك والأمراء والوزراء والعمال والكتاب، ومنهم طائفة من أولاد الأشراف والتجار ومنهم طائفة من أولاد العلماء والأدباء والفقهاء وحملة الدين ومنهم طائفة من أولاد الصناع والمتصرفين وأمناء الناس"، كما لايحدون عدد أعضاء جمعيتهم، إلا أن أحد المؤرخين الهنود

[1] عبد الرحمان بدوي: موسوعة الحضارة العربية الاسلامية – الفلسفة والفلاسفة في الحضارة الإسلامية،(مرجع سابق)،ص 204.

[2] مصطفى عبد الرزاق: فيلسوف العرب والمعلم الثاني، (مرجع سابق)، ص 53-58.

[3] رحاب خضر عكاوي: موسوعة عباقرة الإسلام في الطب والجغرافيا والتاريخ والفلسفة، (مرجع سابق)، ص214.

ذهب إلى تحديد أعضاء جمعية إخوان الصفاء بأربعين عضو.[1]إلا أن أبو حيان التوحيدي المعاصر للإخوان كشف عن خمسة أسماء وهم: زيد الرفاعي، المقدسي، الزنجاني، أبو أحمد المهرجانين العوقي.

**الفرع الثاني–منهجهم وأهم سماتهم:**

تركت هذه الجمعية ميراثا فكريا وروحيا متميزا، بقيت آثاره فاعلة في الثقافة العربية عبر عصورها، يتمثل في اثنتين وخمسين رسالة،[2]كانت بمثابة المنهاج والنظام الداخلي لجمعيتهم،[3] تبحث في شتى معارف عصرهم من فلسفة وعلوم وإلهيات وتهدف إلى التأسيس لمذهب إسلامي ذي طابع كوني، يستغرق المذاهب كلها ويوحد بينها.[4]

يقول أبو حيان التوحيدي(922-1023م) في وصفه للسمة العامة لمذهب الإخوان الذي يعتمد على التوفيق بين الدين وفلسفات العصر وعلومه:" إن الشريعة قد دنست بالجاهلات واختلطت بالضلالات، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة، وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال".[5]

وفي حديث التوحيدي تلميحات صائبة إلى روحانية مذهب الإخوان وجنوحهم إلى السلم في نشر مذهبهم الذي يخلو من المطامح الدنيوية والسياسية، واعتناقهم لمثل اجتماعية عليا والطابع الأخوي لتنظيمهم، عندما قال:" وكانت هذه العصابة قد تآلفت بالعشرة وتصافت بالصداقة، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة" فرسالتهم أخلاقية بالدرجة الأولى، تحث على تهذيب النفس وتطهيرها من الآراء الفاسدة والاعتقادات الرديئة المؤلمة لأصحابها، والارتقاء بها فوق عالم المادة الذي يعتبرونه سجنا للنفوس الإنسانية، ولكن هذه السمة الخلاصية لمذهبهم لم تكن تعني انسحاب الفرد من العالم والانكفاء على نفسه من أجل تدبير خلاصها، لأن على الفرد في سعيه لخلاصه الفردي أن يساعد النفوس الأخرى على الخلاص أيضا، وذلك عن طريق نشاط جمعي واسع تقوم به جماعة الإخوان، التي

[1] فؤاد معصوم : إخوان الصفاء فلسفتهم وغايتهم، ط2، ( دار المدى، سوريا، 1998م)، ص45.

[2] فراس السواح: طريق إخوان الصفا (المدخل للغنوصية الإسلامية)، ط3، (التكوين للنشر والترجمة، سوريا، 2016م)، ص21.

[3] فؤاد معصوم : إخوان الصفاء فلسفتهم وغايتهم، (مرجع سابق)، ص59.

[4] فراس السواح: طريق إخوان الصفا (مرجع سابق)، ص21.

[5] المرجع نفسه، ص22.

جعلت من نفسها نموذجا للمجتمع الجديد المنشود الذي تحث تعاليمهم على بنائه، وقد وجهوا النقد اللاذع إلى الفساد السياسي والاجتماعي السائد في زمنهم، والتدهور الأخلاقي الذي يسم العلاقات الاجتماعية، وشخصوا أمراض المجتمع، وأشاروا إلى طرائق الإصلاح.[1]

**المطلب الخامس: التصوف.**

لقد بين الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال مصادر علمه في التصوف فقال:" فابتدأت تحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل قوت القلوب ل"أبي طالب المكي" رحمه الله، وكتب "الحارث المحاسبي"، والمتفرقات المأثورة عن "الجنيد" و"الشبلي"، و"أبي يزيد البسطامي"، وغير ذلك من كلام مشايخهم.[2]

**الفرع الأول– الكتب الصوفية:**

**أولا– قوت القلوب:**

أهم الكتب التي تأثر بها الغزالي من بين كتب الصوفية كتاب" قوت القلوب في معاملة المحبوب" تأليف أبي طالب المكي المتوفى سنة 386 هـ ببغداد كما انه يعد مصدرا لكتاب الإحياء، حيث أنهما يتفقان غالبا في الشواهد من الآيات والأحاديث والأخبار.[3]كما استمد الغزالي من هذا الكتاب الكثير من الأفكار والموضوعات إلا أن كتاب الإحياء تميز عن سائر الكتب التي سبقته في نفس الموضوعات بأشياء عديدة منها حسن التنظيم والتبويب، وحسن العبارة وجزالتها، ويسر الأسلوب وبساطته.[4]

**ثانيا– الرسالة القشيرية:**

هي رسالة في التصوف لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة، أبو القاسم الخراساني الصوفي[5] القريشي المتوفى في 465هـ، ولها شرح مخطوط بدار الكتب المصرية تأليف شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، ويسمى هذا الشرح:" أحكام الدلالة في شرح الرسالة".

---

[1] فراس السواح: طريق إخوان الصفا (مرجع سابق)، ص23.

[2] أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، (مصدر سابق)، ص 35.

[3] زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي، (مرجع سابق)، ص85.

[4] عمار النجار: نظرات في فكر الغزالي،( مرجع سابق)، ص23.

[5] أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، (مصدر سابق)، ص3096.

وقد كتب القشيري رسالته هذه إلى:" جماعة صوفية ببلدان الإسلام في سنة 437هـ" وقد شرح القشيري في بداية هذه الرسالة اعتقاد طائفة الصوفية في مسائل الأصول في التوحيد، ثم ذكر تراجم من مشايخ الصوفية بإيجاز،[1] ثم فسر الألفاظ التي تدور بين هذه الطائفة، وبين ما شكل فيها على المريدين، كالموت والمقام والحال والقبض والبسط والتواجد والوجود، وتمتاز هذه الرسالة بكثرة النقل عن المتقدمين من شيوخ الطريق، وقد صدق "الزبيدي" فيما رآه من أن الغزالي اعتمد عليها عند تأليف الإحياء، وإن كانت النسبة بين الكتابين بعيدة من جهة المادة، ومن السهل أن يثبت الإنسان أثر هذه الرسالة في أكثر أبواب الإحياء.[2]

**الفرع الثاني– مجموعة ممن عرفهم الغزالي من المشايخ الصوفية:**

**أولا– المحاسبي:** هو الحارث بن أسد المحاسبي صاحب كتاب المكاسب و الوصايا وغيرها ولد في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري وتوفي سنة 243هـ،[3] وهو شيخ "الجنيد" ويقول إنه سمي المحاسبي لكثرة محاسبته لنفسه، وقد ألف في الفقه والتصوف والحديث والكلام نحو 200 كتاب،[4] ومن أقواله:" جوهر الإنسان الفضل وجوهر العقل التوفيق" ، "ترك الدنيا مع ذكرها صفة الزاهدين ، وتركها مع نسيانها صفة العارفين".[5]

**ثانيا– الجنيد:** هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز، ولد ونشأ بالعراق، تعلم على يد المحاسبي ومحمد بن علي القصاب البغدادي، هو في نظر الصوفية سيد علماء الآخرة على الإطلاق، توفي سنة 298هـ.[6]ومن كلامه :" إن الله يخلص إلى القلوب من يره، على حسب ما تخلص إليه القلوب من ذكره، فانظر ماذا خالط قلبك، الغفلة عن الله تعالى أشد من دخول النار، إذا رأيت الفقير فلا تبدأه بالعلم وابدأه بالرفق، فإن العلم يوحشه والرفق يؤنسه".[7]

---

[1] زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي، (مرجع سابق)، ص82

[2] المرجع نفسه، ص86.

[3] أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، (مصدر سابق)، ص35.

[4] زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي، (مرجع سابق)، ص88.

[5] محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي : سير أعلام النبلاء، (مرجع سابق)، ص112.

[6] أبو عبد الرحمان السلمي: طبقات الصوفية، تحقيق:أحمد الشرباصي، ط2، (مؤسسة دار الشعب، مصر، 1998م)، ص49.

[7] زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي، (مرجع سابق)، ص89.

وفي كتب الغزالي عدد عظيم من الصوفية، يؤكد بكلامهم رأيه، وكان لأولئك الصوفية مصنفات معروفة، وكلمات مأثورة يتداولها الناس لعهده، وإنه لا شك في انتفاعه بتلك الآثار والرغبة في الإيجاز هي التي أرضتنا عن الاكتفاء بترجمة هذا العدد القليل.

ومما أوردناه نرى أن مصادر فكر الغزالي الأخلاقي تعددت حيث شملت العنصر الدين الإسلامي، وما تأثر به من أخلاق بيئته الفارسية وثقافته العربية، كما تشرب بالفكر الفلسفي اليوناني بشكل غير مباشر عن طريق دراسة ونقد الفلاسفة المسلمين والذي اقتبس منهم الكثير من الأفكار والآراء في الأخلاق والنفس كما سنعرف ذلك لاحقا، كذلك قد أخذ من الفكر الصوفي الذي كان كآخر محطة في تطوره الفكري.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## المبحث الرابع: الإنسان مكوناته وقواه.

في هذا المبحث سنتعرف على الإنسان و جواهره الباطنية من خلال مكوناته الأساسية التي تتمثل في العقل والقلب والروح والنفس، وسنحاول الربط بينها وبين السلوك أي معرفة مراحل تطور الفعل من مجرد إحساس وتخيل باطني إلى فعل جسماني ظاهري، وبالتالي تحديد اللبنة الرئيسية لانبعاث الفعل الخلقي، كما أننا سنتكلم عن تلك القوى الثلاثة حسب فكر الغزالي.

### المطلب الأول: مكونات الإنسان.

#### الفرع الأول_ القلب:

يعتبر القلب أهم عضو عضلي في جسم الإنسان*[1] والحيوان على حد سواء؛ وهو جوهر قائم بذاته وقد خص له الغزالي العديد من المباحث في كتبه وهذا ما سنحاول الولوج إليه.

**أولا-تعريفه:**

للقلب حسب الغزالي معنيين:

**أ-**أحدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر وفي باطنه تجويف فيه دم أسود وهو منبع الروح الحيواني ومعدنه.

**ب-**و المعنى الثاني للقلب هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان المدرك للعالم المخاطب المطالب المثاب المعاقب.[2]

---

[1]* الإنسان حسب الغزالي حيوان ناطق منتصب القامة ضحاك ، تنقسم جملته في التقسيم الكلي إلى ثلاثة أشياء؛ قلب و روح وجسم.( أبي حامد الغزالي: مجموعة رسائل الإمام الغزالي، (سر العالمين وكشف ما في الدارين)، تحقيق: إبراهيم أمين محمد، دط، ( المكتبة التوفيقية، مصر، دت)، ص56).

[2] أبو حامد الغزالي: مجموعة رسائل الإمام الغزالي،( روضة الطالبين وعمدة السالكين)، (مصدر سابق)، ص 123.

أي أنه أعطى لها تعريف مادي وتعريف معنوي، حيث أنه في تعريفه للقلب هنا ميز بين الإنسان والحيوان بإضافة صفة الإدراك التي ينفرد بها الإنسان المكلف.

والقلب موضع المعرفة والخبرة وبه تتحقق السعادة بوصفها الغاية النهائية للإنسان، فالقلب هو مستقر الروح؛ والروح هي سبيل المعرفة عند الإنسان وهي التي تستطيع معرفة الحقيقة والعلم بالله، ولكن ليتمكن القلب من تحقيق حاجات البدن بوصفه المطية التي تستخدمها الروح في رحلتها نحو هدفها فقد خلق ليستمد اللذة مما يرضي حاجات الجسم، ويستمد الألم من إهمالها، وقد خلق الغضب أيضا من القلب ليستطيع الدفاع عن البدن وعن مختلف أعضائه ضد الخطر، وليحميه من الدمار، وهكذا يكون القلب نقطة الاتصال بين أعمال الإنسان الدنيوية وأعماله الدينية، ويكتسب فيه الإنسان "المعرفة والخبرة" اللتين يصل بهما إلى سعادته، وبه يستطيع الإنسان عن طريق لذاته وغضبه السهر على بقاء البدن وصحته.[1] فالنفس مركب القلب وللقلب عساكره، والقلب مخلوق لعمل الآخرة طلبا لسعادته، وسعادته معرفة ربه عز وجل، ولا تحصل له معرفة عجائب العالم إلا عن طريق الحواس والحواس من القلب والقالب مركبه، والقالب لا يقوم إلا بالطعام والشراب والحرارة والرطوبة.[2]

**ثانيا_ جنود القلب (الإرادة، القدرة، الإدراك):**

إن جملة جنود القلب تحصره ثلاثة أصناف حسب الغزالي وهي الإرادة والقدرة والإدراك:

**أ–الإرادة:** باعث مستحث إلى جل الموافق النافع كالشهوة وإما إلى دفع المخالف الضار كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالإرادة.

**ب–القدرة:** هو المحرك للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد وقد يعبر عنه بالقدرة وهي جنود مبثوثة في سائر الأعضاء.

[1] علي عيسى عثمان: الإنسان عند الغزالي، دط، ( مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1964م) ص220.

[2] أبو حامد الغزالي: مجموعة رسائل الإمام الغزالي،(كيمياء السعادة)، (مصدر سابق)، ص447.

**ج–الإدراك**: هو المدرك المعرف بهذه الأشياء كالجواسيس وهو قوة السمع والبصر والشم والذوق واللمس. وهي مبثوثة في الأعضاء الظاهرة المركبة من اللحم والشحم والعصب والدم والعظم التي أعدت آلات لهذه الجنود، ويعبر عن عمل هذا الصنف بالعلم والإدراك، وهذا الصنف الثالث هو المدرك من هذه الجملة.[1]

**ثالثا–المحافظة على وظيفة القلب:**

يرى الغزالي أن على الإنسان أن ينظم شهواته وغضبه بطريقة لا تصرف فيها الأشياء التي يحتاجها لإرضاء قلبه إلى الحد الذي يحول بينه وبين طلب المعرفة، وهو الهدف الرئيسي من خلق الإنسان، وهو يحث في ذلك على رياضة النفس لتحقيق السعادة(وسنتكلم عن هذا لاحقا)، إذ بدونها تستبد شهوات الإنسان وغضبه ورغبته في السيادة بقلبه وتطوره في طريق البحث عما يشبع رغباتها من أشياء فتستعبده، والقلب الذي يصبح عبدا لهذه النواحي من الطبيعة الإنسانية تثبت فيه الصفات التي يحتاج إليها في خدمة هذه النواحي، وهذه الصفات هي" الكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء، وحب التكاثر والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة.[2]

**رابعا_عالم القلب وحقيقته:**

يقول الغزالي:" أن للقلب بابين، بابا مفتوحا إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة، وبابا مفتوحا إلى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الملك والشهادة، وعالم الشهادة يحاكي عالم الملكوت نوعا من المحاكاة، فأما انفتاح القلب إلى الاقتباس من عالم الحواس فلا يخفى عليك، وأما انفتاح باب إلى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فيه، فتعلمه علما يقينا بالتأمل في عجائب الرؤيا، واطلاع القلب في النوم على ما سيكون، أو كان في الماضي، من غير اقتباس من جهة الحواس، وإنما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى.[3]

---

[1] أبو حامد الغزالي: مجموعة رسائل الإمام الغزالي،( روضة الطالبين وعمدة السالكين)، (مصدر سابق)، ص124.

[2] علي عيسى عثمان: الإنسان عند الغزالي، (مرجع سابق)، ص220.

[3] أنور الزعبي: مسألة المعرفة ومنهج البحث عند الغزالي، ط1، (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، 2000م)، ص277.

يقول الغزالي" وأما حقيقة القلب فليس من هذا العالم، لكنه من عالم الغيب، فهو في هذا العالم غريب وهو الملك، والتكليف عليه والخطاب معه، وله الثواب وعليه العقاب... ومعرفة صفاته مفتاح معرفة الله سبحانه وتعالى، فعليك بالمجاهدة حتى تعرف بأنه جوهر عزيز من جنس جوهر الملائكة، وأصل معدنه من الحضرة الإلهية، من ذلك المكان جاء، وإلى ذلك المكان يعود وكما تستعين هذه النفس بقوى مختلفة في إدراكها الخارج، فكذلك هي تستعين بقواها الداخلي، كالتذكر والوهم والخيال، فتشاهد الحقائق الباطنة كما هي عليها أيضا، سواء كانت هذه الحقائق أمثلة لعالم الشهادة أو أمثلة لعالم الغيب. [1]

**خامسا–علاقة القلب بالأخلاق:**

ربط الغزالي بين حال القلب و الفعل الخلقي حيث يرى أن للقلب مع عسكره أحوالا وصفات بعضها يسمى أخلاق السوء، وبعضها أخلاق الحسن، فبالأخلاق الحسنة يبلغ درجة السعادة، والأخلاق السيئة هلاكه وخروجه للشقاء، وهذه كلها تبلغ أربع أجناس؛ أخلاق الشياطين، وأخلاق البهائم، وأخلاق السباع، وأخلاق الملائكة، فأعمال السوء من الأكل والشرب والنوم والنكاح هي أخلاق البهائم، وكذلك أعمال الغضب من الضرب والقتل والخصومة هي أخلاق السباع، وكذلك أعمال النفس وهي المكر والحيلة والغش وغير ذلك هي أخلاق الشياطين، وكذلك أعمال العقل التي هي الرحمة والعلم والخير هي أخلاق الملائكة. [2]

يرى الغزالي لأن هناك علاقة بين حال القلب والخلق والسعادة والشقاء، حيث قسم الأخلاق بحسب حال القلب إلى أربعة أجناس فهناك ما ترتبط بأخلاق السباع وهناك ما لها أثر بأخلاق الملائكة، وما تتعلق بأخلاق الشياطين، وما تتعلق بأفعال البهائم، فمن تخلق بالأخلاق الحسنة نال السعادة ومن خالف ذلك و أخذ من سوء الخلق نال الحزن والشقاوة.

**الفرع الثاني– الروح:**

[1] أنور الزعبي: مسألة المعرفة ومنهج البحث عند الغزالي، (مرجع سابق)، ص277.

[2] أبو حامد الغزالي: مجموعة رسائل الإمام الغزالي،(كيمياء السعادة)، (مصدر سابق )، ص452.

تعتبر الروح من المفاهيم الغامضة التي استعصت على كثير من العلماء والفلاسفة في تحديد ماهيتها، وكغيره من الباحثين اهتم الغزالي بمسالة الروح؛ حيث قدم لها تعريفا مبينا حقيقتها وعلاقتها بالنفس والعقل.

**أولا– تعريف الروح:**

للروح أيضا معنيين حسب الغزالي:

**أ–** أحدهما جسم لطيف بخاري حامله دم أسود منبعه تجويف القلب الجسماني،[1] وهو الجاري في العروق الضوارب والشرايين،[2] إلى سائر أجزاء البدن وجريانها في البدن وفيضان أنوار الحياة، والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها يضاهي فيضان النور من السراج في زوايا البيت، فالحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثاله السراج، وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحرك محركه فالأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب.[3]

**ب–**المعنى الثاني؛ هو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان،[4] الذي هو أحد معيني القلب وهو الذي أراده الله تعالى بقوله :" وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى " [5] وهو أمر عجيب رباني يعجز أكثر العقول والأفهام عن درك فهم حقيقته؛[6] حيث يؤكد أنها نتيجة النفخ الإلهي عند تمام الجسد و نفخت فيه من روحي، و ينطلق الغزالي في معالجته هذه النقطة من الوحي باعتباره أوثق دليل يمكن الاعتماد عليه في مثل هذه المسائل.[7]

---

[1] أبو حامد الغزالي: مجموعة رسائل الإمام الغزالي،( روضة الطالبين وعمدة السالكين)، (مصدر سابق)، ص 123.

[2] أبو حامد الغزالي: مجموعة رسائل الإمام الغزالي،( سر العالمين وكشف ما في الدارين)، (مصدر سابق)، ص56.

[3] أبو حامد الغزالي: مجموعة رسائل الإمام الغزالي،( روضة الطالبين وعمدة السالكين)، (مصدر سابق)، ص123.

[4] أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ربع المهلكات، ط1، (دار المنهاج، السعودية، 2011م)، مج5، ص16.

[5] الإسراء/85

[6] أبو حامد الغزالي: مجموعة رسائل الإمام الغزالي، ( روضة الطالبين وعمدة السالكين)، (مصدر سابق)، ص123.

[7] نور الدين السافي: نقد العقل منزلة العقل النظري والعملي في فلسفة الغزالي، (مرجع سابق)، ص52.

**ثانيا– حقيقة الروح:**

حقيقة الروح الحرارة الغريزية المنبعثة في الأعصاب والعضلات وهي موجودة للبهيمة وبها حياتها، والفصل بين الآدمي والبهيمة هي النفس التي أضافها الله تعالى إليه في قوله :" فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى "[1] فلو كانت للآدمي هذه النفس دون الروح المخلوقة للبهيمة لقصر عن أفعال البهيمة في الأكل والجماع والتصرف، ولو أن البهيمة أعطت النفس التي أعطيها الإنسان لكانت عاقلة مكلفة فخرج من الجملة أن للإنسان روحا ونفسا وجسما، وللبهيمة جسما وروحا لا غير، فأما آدم عليه السلام، فمخلوق من التراب والماء والهواء والنار، وذلك في قوله تعالى :"وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ "[2]. وفي قولهّ تعالى:" وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۚ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ "،[3] وأما النار فقوله تعالى:" خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ "،[4] فأول الدرجات التراب، فإذا مسه الماء قيل له طين فإذا مرت عليه دهور بكرور الشمس واكتسب منها يبسا وجفافا قيل له صلصال كالفخار.[5]

مما سبق نستنتج أن الغزالي ربط بين الروح والنفس والعقل وفرق بين الروح البشرية والبهيمية رغم اشتراكهما في العلة الواحدة، فللحيوان جسدا وروحا غير الإنسان الذي تميز عنه بالنفس العاقلة بمعنى أن الروح الإنسانية تأخذ منحى النفس ومنحى العقل وهذا ما يتفق فيه الغزالي مع أوغسطين.

---

[1] الحجر/29

[2] المؤمنون/12.

[3] الأنبياء/ 30

[4] الرحمان/ 14

[5] أبو حامد الغزالي: مجموعة رسائل الإمام الغزالي،( سر العالمين وكشف ما في الدارين)، (مصدر سابق)، ص56.

**ثالثا– علاقة الروح بالسلوك:**

لم يتكلم الغزالي صراحة عن ذلك لكن مما سبق يمكننا استنتاج أن الروح باستقلالها عن النفس والعقل والإدراك تحمل الصفات البهيمية الغريزية، أي أن تصرفات الإنسان والحيوان ستكون واحدة إن تجرد الإنسان من النفس والعقل، أي ستكون مرتبطة بأفعال الشهوة فقط.

**الفرع الثالث_ النفس:**

تعد مسألة النفس من أقدم المسائل الفلسفية التي ظهرت في الحضارات الشرقية القديمة وذلك من خلال اهتمامها بالإنسان سلوكا وفكرا كما وضحنا ذلك سابقا، ثم تطورت هذه القضية لتحتل موقعا هاما عند فلاسفة اليونان خاصة أفلاطون وأرسطو.

حيث اهتم كل منهما بالنفس فأفردا في الحديث عنها أبوابا مستقلة تدل على صعوبة الموضوع و أهميته وفي نفس الوقت على دقته وهذا ما بيناه سابقا.[1] حيث ذهب أرسطو وأكثر الفلاسفة والمتكلمين إلى أن النفس حادثة، وأن وجودها مقارن لوجود البدن[2] على عكس أفلاطون الذي يذهب إلى أن النفس قديمة غير محدثة،وقد تكلمنا ذلك عنه مسبقا، وذهبت فرقة ثالثة إلى أنها محدثة عند حدوث البدن وهي مع ذلك لا تفنى.[3]

**أولا– تعريف النفس:**

يعني الغزالي بالنفس حقيقة الآدمي وذاته فإن نفس كل شيء حقيقته وهو الجوهر الذي هو محل المعقولات؛[4] ذلك الجوهر الكامل الفردي الذي ليس من شأنه إلا التذكر والتحفظ والتفكر والتمييز والروية، ويقبل جميع العلوم ولا يمل من قبول الصور المجردة المعراة عن المواد وهذا الجوهر رئيس الأرواح وأمير القوى، الكل يخدمونه ويمتثلون أمره وللنفس الناطقة عند كل قوم اسم خاص، فالحكماء يسمونه هذا الجوهر النفس الناطقة، والقرآن يسميه النفس المطمئنة، والمتصوفة تسميه القلب، والخلاف في

[1] نور الدين الساقي: نقد العقل منزلة العقل النظري والعملي في فلسفة الغزالي، (مرجع سابق)، ص50.

[2] محمد جواد مغنية: معالم الفلسفة الإسلامية ،ط3 ( مكتبة الهلال، لبنان، 1982م)، ص73.

[3] أبو حامد الغزالي: مجموعة رسائل الإمام الغزالي،( سر العالمين وكشف ما في الدارين)، (مصدر سابق)، ص61.

[4] أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة، ط2، (دار الآفاق الجديدة، لبنان، 1975م)، ص 10.

الأسامي والمعنى واحد لا خلاف فيه، والنفس الناطقة، هي الجوهر الحي الفعال المدرك، وحيثما نقول الروح المطلق أو القلب فإنما نعني به هذا الجوهر،[1] وهي تدرك بطريقتين الأولى بالعقل والثانية بآثارها وأفعالها.[2]

فالنفس عند الغزالي ذو طبيعة جوهرية روحانية مستقلة بذاتها، ليست جسما ولا عرضا، وليس لها مساحة أو مقدار،*[3] ولا وضع لها ولا أين فيشار إليه، بل وجودها وجود عقلي، منزه عن المادة والصور الجسمانية.

**ثانيا–أنواع و أقسام الأنفس حسب مبادئ أفعالها:**

**أ–حسب مبادئ أفعالها:**

يميز الغزالي بين خمسة أقسام تحدد مبادئ الفعل في الأشياء:

1–ما ليس له شعور وفعله متحد.

2_وما ليس له شعور وفعله مختلف.

3_وما له شعور ولم يكن له تعقل.

4_ وما له شعور وتعقل وفعله متحد.

5_ وماله شعور وتعقل وفعله مختلف[4].

[1] أبو حامد الغزالي: مجموعة رسائل الإمام الغزالي،( الرسالة اللدنية)، (مصدر سابق )، ص 241.

[2] نور الدين السافي: نقد العقل منزلة العقل النظري والعملي في فلسفة الغزالي، (مرجع سابق)، ص53.

[3] * النفس ليست عرضا، لأن الأعراض يجوز أن تتبدل، في حين أن الحقيقة بعينها باقية، فإن الحقائق لا تتبدل" وعليه ، فإن ما هو ثابت فيك مذ كنت فهو نفسك، وما يطرأ عليك ويزول فهو الأعراض". (أنور الزعبي: مسألة المعرفة ومنهج البحث عند الغزالي، (مرجع سابق)، ص276).

[4] أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، (مصدر سابق)، ص16.

**ب_ أنواع النفس:**

وحسب هذه المبادئ تقسم النفس إلى ثلاثة أنواع هي:

1– **النفس النباتية**: هي الكمال الأول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يتغذى وينمو ويولد المثل.

2– **النفس الحيوانية**: هي الكمال الأول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يدرك الجزئيات ويتحرك بالإرادة .

**3–النفس الإنسانية**: وهي الكمال الأول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يفعل الأفاعيل بالاختيار العقلي والاستنباط بالرأي ، ومن جهة ما يدرك الأمور الكلية. [1]

والذي يهمنا من هذا النفس الإنسانية فلها شعور وتعقل وفعلها قائم على الاختيار فكأن حد النفس الإنسانية يقوم على ثلاثة معاني : الشعور والتعقل والإرادة أو الاختيار.[2]

ويربط كثير من الباحثين بين وصف الغزالي للنفس بأنها الكمال الأول لجسم طبيعي آلي ووصف أرسطو طاليس لها بقوله:" إن النفس كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة،[3] بما قد يفيد تأثر الغزالي بفكر أرسطو طاليس عن طريق الفارابي وابن سينا ومسكوه وغيرهم من الفلاسفة كما تطرقنا لذلك سابقا.

يعني أن الإنسان حسب الغزالي له من صفات النبات والحيوان إلا أنه يتميز بالتعقل والإرادة والشعور والاختيار، وهذا لا يعني أن للغزالي آراء مستقلة بذاته بل هي مستوحاة من الفلاسفة الذين نقدهم.

[1] عارف المفضي البرجس: التوجيه الإسلامي للنشء في فلسفة الغزالي، ط2، (دار الأندلس، لبنان، 1983م)، ص156.

[2] نور الدين الساقي: نقد العقل منزلة العقل النظري والعملي في فلسفة الغزالي، (مرجع سابق)، ص64.

[3] عارف المفضي البرجس: التوجيه الإسلامي للنشء في فلسفة الغزالي،(مرجع سابق)، ص157.

## ثالثا– معرفة النفس وعلاقتها بالسلوك والأخلاق:

### أ–معرفة النفس:

يرى الغزالي أنه من الضروري معرفة باطن كل منا، باعتبار أن الإنسان قد جمع بين صفات الإنسان والبهائم والملائكة حيث يقول:"وقد جمعت في باطنك صفات، منها صفات البهائم، ومنها صفات السباع، ومنها صفات الملائكة؛ فالروح حقيقة جوهرك وغيرها غريب منك وعارية عندك، فالواجب عليك أن تعرف أن لكل واحد من هؤلاء غذاء وسعادة؛ فإن سعادة البهائم في الأكل والشرب والنوم والنكاح، فإن كنت منهم فاجتهد في إعمال الجوف والفرج. وسعادة السباع في الضرب والفتك، وسعادة الشياطين في المكر والشر والحيل، فإن كنت منهم فاشتغل باشتغالهم، وسعادة الملائكة في مشاهدة جمال الحضرة الربوبية وليس للغضب والشهوة إليهم طريق، فإن كنت من جوهر الملائكة فاجتهد في معرفة أصلك حتى تعرف الطريق إلى الحضرة الإلهية، وتبلغ إلى مشاهدة الجلال والجمال، وتخلص نفسك من قيد الشهوة والغضب،[1] وتعلم أن هذه الصفات لأي شيء ركبت فيك، فما خلقها الله تعالى لتكون أسيرها ولكن خلقها حتى تكون أسراك، وتجعل إحداها مركبك والأخرى سلاحك حتى تصيد بها سعادتك، فإذا بلغت غرضك فقاوم بها تحت قدميك".[2]

### ب–علاقة النفس بالسلوك والأخلاق:

وسنبين ذلك من خلال أنواع النفس الثلاث الحيوانية والنباتية والإنسانية وتوضيح آلية تحويل القوة الباطنة إلى قوة ظاهرة وسلوك، ومما لا شك فيه أن الغزالي قد تأثر كثيرا في هذه النقطة بالفلسفة الإغريقية عن طريق ابن سينا في حديثه عن النفس وقواها تقسيما وترتيبا.[3]

### 1_ النفس الحيوانية:

إن للنفس الحيوانية قوتين؛ إحداهما محركة والأخرى مدركة، والمحركة قسمان: باعثة ومباشرة للحركة.

---

[1] أبو حامد الغزالي: مجموعة رسائل الإمام الغزالي،(كيمياء السعادة)، (مصدر سابق )، ص449.

[2] المصدر نفسه، ص450.

[3] محمد عرقسوسي وحسين ملا عثمان: ابن سينا والنفس الإنسانية، ط1، ( مؤسسة الرسالة ، لبنان ، 1982م) ص 122-129.

**-المباشرة للحركة:** هي القوة التي تنبعث في الأعصاب والعضلات، ومن شأنها أن تشنج العضلات، فتجذب الأوتار والرباطات المتصلة بالأعصاب إلى نحو جهة المبدأ، أو ترخيه فتصير الأعصاب والرباطات إلى خلاف جهة المبدأ، وهذه خادمة للمحركة الباعثة. [1]

**-القوة الباعثة:** هي القوة النزوعية الشوقية ومتى رأت أمرا يترغب فيه أو يترهب منه بعثت القوة المحركة المباشرة على الفعل، فتنبعث في الأعصاب والعضلات والرباطات من القلب، إما ببسط عن جهة المبدأ وإما بقبض إليه إذ هي إذا فرحت نشرت الدماء في العروق فكان الفرح، وإذا حزنت انجذبت، فانجذبت الروح الحيواني إلى القلب فاغتنم وحزن، ثم من شأن النفس إدراك المعلومات المغيبية،[2] ولهذه الباعثة شعبتان:

**-شعبة تسمى شهوانية:** وهي تبعث على تحريك يقرب من الأشياء التي يعتقدها صاحبها ضرورية أو نافعة، طلبا للذة.

**-والأخرى تسمى غضبية:** وهي قوة تبعث على تحريك يدفع به الشيء الذي يعتقد فيه انه ضار أو مفسد، طلبا للغلبة[3]

وأما المدركة فقسمان أيضا ظاهرة وباطنة:[4]

-**أما الظاهرة:** فهي الحواس الخمس.

-**وأما الباطنة؛** فخمسة:

*1- الخيالية وهي التي تبقى في صور الأشياء المحسوسة بعد غيبيتها؛ فإن صورة المرئي، تبقى في الخيال، بعد تغميض العين.

[1] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص201.

[2] أبو حامد الغزالي: مجموعة رسائل الإمام الغزالي،(كيمياء السعادة)، (مصدر سابق )، ص449.

[3] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص201.

[4] المصدر نفسه، ص202.

*2-الحافظة لذلك؛ فإن ما يمسك الشخص به صورة الشيء غير ما يقبله به.والشمع يمسك النقش ببيوسته، ويقبله برطوبته، والماء يقبله ولا يمسكه، وهذه القوى أي القابلة لمدركات الحواس الخمس، والحافظة لها-في التجويف الأول، من مقدم الدماغ، فهو مسكنها وبحلول آفة فيه، تختل هذه القوى.

*3- القوة الثالثة هي الوهمية وهي قوة مترتبة في نهاية التجويف الأوسط من الدماغ يدرك معاني غير محسوسة من المحوسات الجزئية كالقوة الحاكمة في الشاة بأن الذئب مهروب عنه، وأن الولد معطوف عليه.

*4- والرابعة هي الحافظة لهذه المعاني التي ليست محسوسة، كما كانت الثانية حافظة للصور، فهي حافظة للمعاني وتسمى(ذاكرة) ومسكنها التجويف المؤخر من الدماغ.

*5- القوة المفكرة، وهو مسكن الدماغ الأوسط ، وهي مرتبة بين خزانة الصور وخزانة المعاني، وشأنها أن تركب بعض ما في الخيال مع بعض، وتفصل بعضها عن بعض، بحسب الاختيار، والعادة جارية بذكر هذا في القوى المدركة.

وهذه القوى يشارك فيها الحيوان الإنسان، إلا (المفكرة) فإن في الحيوان شيئا يقاربه، يسمى( المتخيلة) ولا تنتهي قوته إلى حد قوة المتفكرة في الإنسان،[1] ويمكن تلخيص أقسام القوة الحيوانية في هذا المخطط البسيط:

[1] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص203.

**المخطط رقم4: أقسام القوى للنفس الحيوانية.**

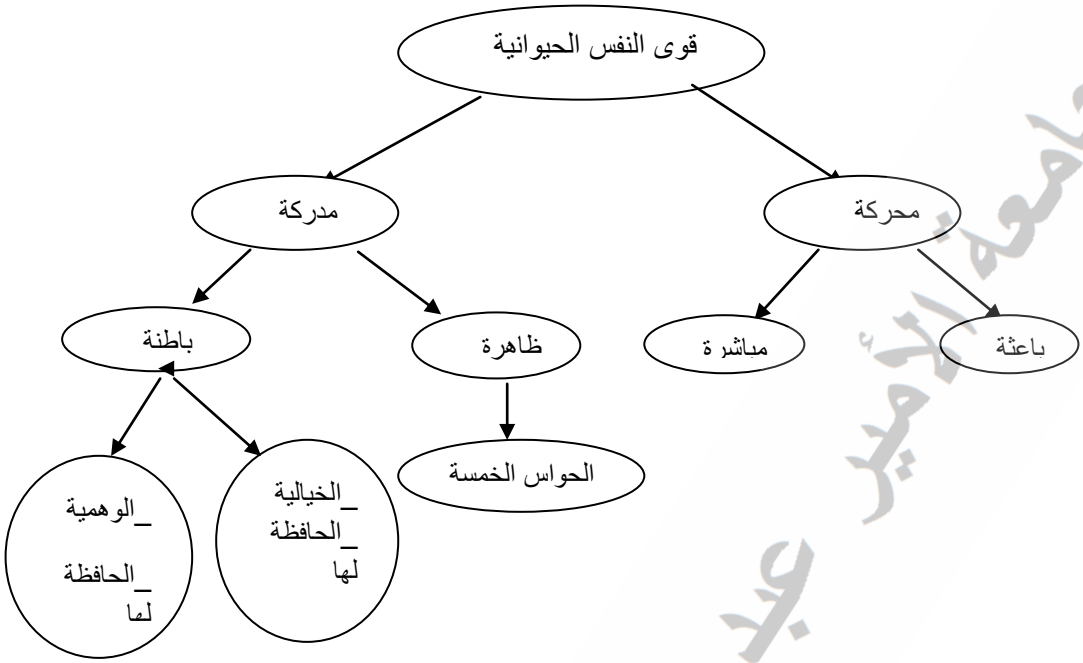


**المصدر**: من إعداد الطالبة اعتمادا على ما سبق.

**رابعا_ النفس الإنسانية:**

قسم الغزالي النفس الإنسانية إلى قوتين؛ إحداهما عالمة والأخرى عاملة:

**أ–القوة العالمة:** فهي المدركة لحقائق العلوم مجردة عن المادة والصورة، وهي القضايا الكلية المجردة وهي للعقل و بهذه القوة تتلقف عن الملائكة العلوم،[1] و تنقسم إلى؛ القوة النظرية كالعلم بأن الله تعالى واحد، وإلى القوة العملية وهي التي تفيد علما يتعلق بأعمالنا، مثل العلم بأن الظلم قبيح، ولا ينبغي أن يفعل.[2]

**ب–أما القوة العاملة:** تصلح ما وكلت به من الأمور الجسمانية،[3] وهي التي تنبعث بإشارة القوة العلمية التي هي نظرية متعلقة بالعمل، وتسمى العاملة أيضا "عقلا عمليا"، ولكن تسميتها عقلا بالاشتراك، فإنها لا إدراك لها وإنما لها الحركة، وكما أن القوة المحركة الحيوانية ليست إلا لطلب أو هرب، فكذا القوة

[1] أبو حامد الغزالي: مجموعة رسائل الغزالي،( سر العالمين وكشف ما في الدارين)،(مصدر سابق)، ص62.

[2] عارف المفضي البرجس: التوجيه الإسلامي للنشء في فلسفة الغزالي، (مرجع سابق)، ص159.

[3] أبو حامد الغزالي: مجموعة رسائل الغزالي،( سر العالمين وكشف ما في الدارين)،(مصدر سابق)، ص62.

العاملة في الإنسان، إلا أن مطلبها عقلي وهو الخير و الثواب، ويتفق الغزالي في آرائه تماما مع ابن سينا والفارابي، الذين بدورهم قد اتبعوا أرسطو في هذه الآراء.[1]

وينبغي أن تكون سائر قوى البدن ممنوعة مغلوبة دون هذه القوى العملية بحيث لا تنفعل هذه القوى عنها .وتلك القوى تسكن وتتحرك بحسب تأديب هذه القوة وإشارتها.فإن صارت مقهورة، حدثت فيها هيئات انقيادية للشهوات، تسمى تلك الهيئات أخلاقا رديئة، وإن كانت متسلطة حصلت لها هيئة استيلائية تسمى فضيلة وخلقا حسنا، ولا يبعد أن يجعل الخلق اسما لما يحصل في سائر الشهوات والقوى، من الانقياد والتأدب.

ولا يبعد أن يكون الخلق واحدا، وله نسبتان؛ إذ هيئة الاستيلاء من هذه القوة، يلازمها هيأة الانقياد من سائر القوى، وهو المراد بالخلق المحمود، وبالتالي فالنفس أعز من أن تدرك بالحواس الخمس، بل تدرك بالعقل، أو يستدل عليها بآثارها وأفعالها.[2]

**الشكل رقم 5: مخطط يوضح أقسام قوة النفس الإنسانية.**

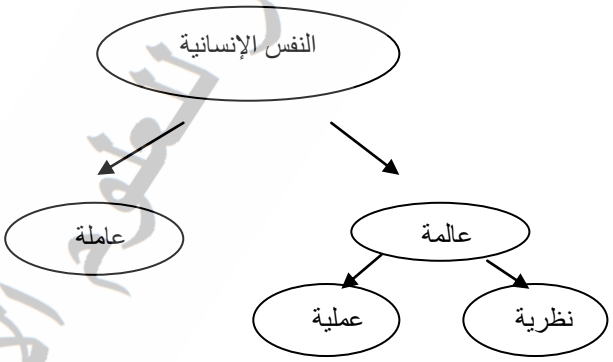


**المصدر**: من إعداد الطالبة اعتمادا على ما سبق.

**خامسا_القوى النباتية:**

والقوى الحيوانية بالجملة تخدمها النباتية، والنباتية ثلاث أصناف؛ المولدة والمربية والغاذية، ورأسها المولدة وتخدمها المربية، والغاذية تخدمها. ثم يخدم هذه قوى أربعة أمور وهي؛ الجاذبة، والماسكة،

[1] عارف المفضي البرجس: التوجيه الإسلامي للنشء في فلسفة الغزالي، (مرجع سابق)، ص159.

[2] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص205.

والهاضمة، والدافعة، إذ لابد في النبات من قوة جاذبة للغذاء إليه ثم ماسكة، ثم هاضمة تهضم ما أمسكته الماسكة، ثم دافعة تدفع فضلته والدافعة هي الخادمة التي لا خادم لها، وكأنها الكناس في نظام أمر البلد، ثم الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، تخدم القوى وهذه آخر درجات القوى في الأجسام. [1]

**الشكل رقم6: مخطط يوضح القوة النباتية**

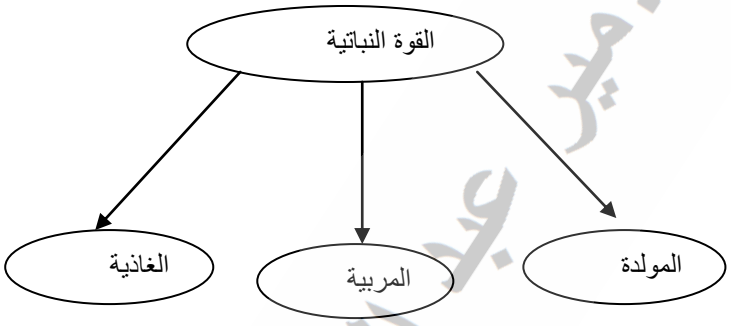


**المصدر:** من إعداد الطالبة اعتمادا على ما سبق.

## المطلب الثاني: قوى النفس الإنسانية.

يرى الغزالي أن للإنسان ثلاث قوى هي قوة التفكير وقوة الشهوة والقوة الغضبية، وهو نفس التقسيم الذي تحدث عنه أفلاطون سابقا في جمهوريته؛ فالنفس الإنسانية شأنها شأن الدولة تنقسم إلى ثلاث قوى تناسبها ثلاث لذات، فقوة عاقلة لذتها الفكر والمعرفة وقوة غضبية تثور للكرامة وقوة شهوية تسعى إلى كافة اللذات المادية.[2] ومما لاشك فيه أن الغزالي قد أخذ عنه كما قلنا سابقا عن طريق ابن سينا و الفرابي.

وقبل تطرقنا لهذه القوى كان لابد علينا من الوقوف على كيفية نشأة هاته القوى مشكلة ما يعرف بالجهاز النفسي الذي يرجع إليه الغزالي كل الفعاليات النفسية الشعورية وغير الشعورية والإرادية واللاإرادية وغيرها.

---

[1] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص212.

[2] أميرة حلمي مطر: جمهورية أفلاطون، دط، ( الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1994م)، ص44.

**الفرع الأول– مراحل ظهور قوى الإنسان:**

ينشأ الجهاز النفسي للفرد مع الولادة وعلى مراحل حسب الدرجة التي يمر بها، و أول ما يظهر في الإنسان قوة الشهوة؛ فإنها أقدم القوى وجودا وأشدها تشبثا والتصاقا فإنها توجد معه في أول الأمر كما أنها توجد في الحيوان الذي هو جنسه، وثاني ما يظهر في الإنسان قوة الحمية والغضب وثالثا و أخيرا قوة الفكر،[1] إذ الصبي في مبدأ الفطرة تخلق له الشهوة، ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب، وبعد ذلك يخلق له قوة التمييز[2].

إن هذا الترتيب في الوجود يقر بشيئين أساسين أن قوة الشهوة أقدم القوى ولذلك فهي أقواها وأعصاها على التغيير،[3]وقوة التفكير هي آخرها وأضعفها، الشيء الثاني أن العمل عند الإنسان سابق في الوجود عن التفكير ولذلك فأثره في النفس والسلوك أقوى ومقاومته وتغييره إن أردنا تغييره أصعب ولذلك فالاهتمام بالعمل واجب بل إن الاهتمام بالتفكير لا يخرج عن كونه اهتماما بوجه من وجوه العمل فالتفكير عمل ولكنه أسمى عمل يمكن أن يطمح إليه الإنسان ، وتتجلى مظاهر العمل عند الغزالي وفي هذا المستوى في ظاهرة التربية والتي تثير بدورها مشكلة الاختيار والإرادة والدوافع والبواعث.[4]

وإذا عدنا لتلك القوى يمكن تفسيرها بأنها تحمل طرف بهيمي وطرف ملائكي وطرف إنساني وهو الأكثر وطبيعته قائمة على الصراع وبالتالي فسلوكه ترجمان لطبيعة الصراع الذي تعيشه نفسه.

فملاحظة السلوك يمكن أن تبوح بحقيقة الصراع وقوته وبالتالي يمكن تفسير السلوك وإرجاعه إلى شروطه وأسبابه واقتراح العلاج الممكن له.[5]

---

[1] نور الدين السافي: نقد العقل منزلة العقل النظري والعملي في فلسفة الغزالي، (مرجع سابق)، ص137.

[2] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ربع المهلكات، (مصدر سابق)، مج5، ص201.

[3] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ربع المهلكات، (مصدر سابق)، مج5، ص 201.

[4] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص209.

[5] نور الدين السافي: نقد العقل منزلة العقل النظري والعملي في فلسفة الغزالي، (مرجع سابق)، ص138.

**الفرع الثاني– قوة التفكير:**

**أولا– تعريفها:**

وتسمى القوى الناطقة أو القوة الملكية وهي القوة التي يكون بها الفكر والتمييز والنظر في حقائق الأشياء وخواصها،[1] وغايتها حصول الحكمة التي تحدث عنها الله تعالى في قوله:" يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ "،[2] وثمرتها أن يتيسر له الفرق بين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الصدق والكذب في المقال، وبين الجميل والقبيح في الأفعال.[3]

فمن سلم نفسه للقوة العاقلة كان سعيه دائما وراء الحق فتصبح لذتها الكبرى في المعرفة وفي الفكر، وبالتالي فاللذات التي يطلبها الحكيم من نوع اللذات العقلية التي تهب النفس ائتلافا ونظاما يكسبها الفضيلة ويخضع قواها لتوجيه العقل وإدراك الخير في النهاية.[4]

**ثانيا– علاقتها بالفضيلة والرذيلة:**

إن للعقل العملي ( القوة الناطقة) عند الغزالي له مملكة خاصة به، هي الشهوة والغضب، وأنه تارة يكون فاعلا في هذه المملكة، وتارة يكون منفعلا، فإذا كان فاعلا نشأ عن ذلك الفضائل، وأنه إذا كان منفعلا، نشأت الرذائل.

فليس دائما عند الغزالي كلما كان العقل العملي فاعلا، تنشأ الفضائل إذ ربما يكون فاعلا، وتنشأ عن ذلك رذائل وذلك لأن الخالق عز وجل، خلق قوتي الشهوة والغضب لحكمة، فلو أن العقل العملي أمعن في قسوته وجبروته حتى أماتهما أو كاد؛ ضاعت هذه الحكمة كما أنه إذا استسلم لهما، فجاوزا

---

[1] سلطان بك محمد: الفلسفة العربية والأخلاق، دط، (، مطبعة المعارف مصر ، دت)، ج1، ص3.

[2] البقرة /269.

[3] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص233.

[4] أميرة حلمي مطر:جمهورية أفلاطون، ( مرجع سابق)، ص44-45.

حدهما ضاعت تلك الحكمة، فكل شيء جاوز حده انقلب إلى ضده، فكمال العقل العملي في أن يقف من هاتين القوتين موقفا وسطا، ولذلك قيل: الفضيلة وسط بين رذيلتين[1].

وفي قول الغزالي ما يدل على أن الشهوة والغضب قد خلقا لحكمة، وأن في محاولة إخمادهما وإماتتهما إضاعة لتلك الحكمة، قال:" أما القوة الشهوية، ففيها مضرة ومنفعة وهي أصعب إصلاحا من سائر القوى، لأنها أقدم القوى وجودا في الإنسان، وأشدها به تشبثا وأكثرها منه تمكنا، فإنه تولد معه وتوجد فيه، وفي الحيوان الذي هو جنسه، بل في النبات الذي هو كجنس جنسه، ثم توجد فيه قوة الحمية، ثم آخر ا توجد فيه قوة الفكر والنطق والتمييز".[2]

**الفرع الثالث_القوة الغضبية:**

**أولا_تعريفها:**

تسمى أيضا بالقوة السبعية وهي القوة التي يكون بها الغضب والنجدة والإقدام على عظائم الأمور والشوق إلى التسلط والترفع وأنواع الكرامات،[3] ويعرفها الغزالي ب" أنها شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة، وإنها المستكنة في ضمن الفؤاد، استكنان النار تحت الرماد، ويستخرجها الكبر الدفين من قلب كل جبار عنيد، كما تستخرج النار من الحديد، وقد انكشف لأولى الأبصار بنور اليقين، أن الإنسان ينزع منه عرق إلى الشيطان الرجيم اللعين[4].

فمن استفزته نار الغضب، فقد قويت فيه قرابة الشيطان، حيث قال خلقتني من نار ، وخلقته من طين، في قوله تعالى:" قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ "؛[5] فإن شأن الطين السكون والرقاد وقبول النار، وشان النار التلظى والاشتعال، والحركة والاضطراب، والصعود وعدم قبول الآثار.

---

[1] نور الدين السافي: نقد العقل منزلة العقل النظري والعملي في فلسفة الغزالي، (مرجع سابق)، ص138-142.

[2] أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، (مصدر سابق)، ص79.

[3] سلطان بك محمد: الفلسفة العربية والأخلاق، (مرجع سابق)، ج1، ص3.

[4] سليمان دنيا: الحقيقة في نظر الغزالي، دط، (دار المعارف، مصر، 1965م)، ص330.

[5] ص/75-76.

وحسن هاته القوة في أن يصير انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة،[1]فعند إصلاحها يحصل الحلم، وهو كظم الغيظ وكف النفس، عن التشقي وتحصل الشجاعة، وهي كف النفس عن الخوف، والحرص المذمومين في كتاب الله تعالى. [2]

**ثانيا_أهمية القوة الغضبية:**

تعتبر قوة الغضب من القوى النزوعية الشوقية الباعثة على الحركة مثلها في ذلك مثل قوة الشهوة أي إنهما من القوى الجسدية في الإنسان والمسماة الحيوانية ولذلك فهي ضرورية وتلعب دورا مهما للبقاء وللحفاظ على النفس، وتكمن فضيلة القوة الغضبية في كمالها الذي يتحقق بالعقل و الشرع؛ و كمالها يتجسد في معاني سامية وإيجابية تجعل الفرد ذا شخصية قوية مؤمنة بذاتها قادرة على تحقيق أهدافها ذلك أن هذه الفضائل تحقق الثقة بالنفس وتؤهلها للأمور الجليلة وتجعلها تواقة للجمال لا تضع نفسها إلا موضع استحقاقها[3].

**ثالثا– علاقتها بالسلوك والأخلاق:**

نقصد الأفعال الناتجة عن هاته القوة إن تركت دون تثبيط والأفعال التي ستترتب عنها إن خضعت للحكمة أي قوة التفكير.

**أ– الآثار السلبية:**

من نتائج الغضب الحقد والحسد وكثير من أخلاق السوء، ومقتضيها ومنشؤها مضغة إذا صلحت صلح بها سائر الجسد ويقصد هنا القلب كما اشرنا آنفا، وفي هذه القوة إفراط واستيلاء، يجذب إلى المهالك والمعاطب.

[1] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ربع المهلكات، (مصدر سابق)، مج5، ص 193.

[2] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص233.

[3] نور الدين السافي: نقد العقل منزلة العقل النظري والعملي في فلسفة الغزالي، (مرجع سابق)، ص165.

**ب– الآثار الإيجابية:**

أما عن أفعالها المستحنة إن بلغت كمالها وفضيلتها فتتمثل في الكرم والنجدة وكبر النفس والاحتمال والحلم والثبات والنبل والشهامة والوقار وكل واحدة من هذه الفضائل تحتل وسطا بين رذيلتين، وسنوضح ذلك لاحقا.[1]

**الفرع الرابع_القوة الشهوية:**

**أولا–تعريفها**: هي أقدم القوى وجودا في الإنسان كما أشرنا، وأشدها به تشبثا وأكثرها منه تمكنا، فإنها تولد معه و توجد فيه وفي الحيوان الذي هو جنسه، و فيها مضرة ومنفعة، وهي أصعب إصلاحا من سائر القوى،[2] وبها تكون الشهوة إلى طلب الغذاء وملاذ المآكل والمشارب وغيرها من ضروب اللذات البدنية.[3]

و هي من القوى المحركة وبالتالي فدورها أساسي بالنسبة إلى الذات وبالنسبة إلى العلاقة القائمة بين الذوات وهذا الدور قد يؤدي بها إلى كمالها الذاتي، فيحقق فضيلتها أي العفة ويؤدي إلى رذيلتها وأي الشره والخمود[4]؛ أي أن غايتها حصول العفة وثمرتها ابتعاد النفس عن الفواحش والانقياد إلى المواساة والإيثار المحمود، بقدر الطاقة[5]. و حسنها وصلاحها في أن تكون تحت إشارة الحكمة.[6]

**ثانيا– الحكمة من قوة الشهوة:**

لا سبيل إلى العبادة إلا بالحياة الدنيوية، ولا سبيل إلى الحياة الدنيوية إلا بحفظ البدن، ولا سبيل لحفظه إلا بإعادة ما يتحلل منه، ولا سبيل إلى إعادة ما يتحلل منه إلا بتناول الأغذية، و لا يمكن تناول الأغذية إلا بالشهوة .

---

[1] المصدر نفسه، ص165.

[2] أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، (مصدر سابق)، ص79.

[3] سلطان بك: الفلسفة العربية والأخلاق، (مرجع سابق)، ص3.

[4] نور الدين السافي: نقد العقل منزلة العقل النظري والعملي في فلسفة الغزالي، (مرجع سابق)، ص167.

[5] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص 233.

[6] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ربع المهلكات، (مصدر سابق)، مج5، ص 193.

وأيضا فإن الدنيا مزرعة الآخرة وقوام عمارة الأرض، واستمرارية المعاش بهذه الشهوة، فلو تصورت مرتفعة لاختل نظام الدين والدنيا، وارتفعت المعاملات من بين الناس وارتفعت الشريعة والسياسة، وأما منفعتها فهي أن هذه الشهوة مهما أدبت فهي المبلغة للسعادة وجوار رب العزة،[1]فبإصلاحها تحصل العفة، حتى تنزجر النفس عن الفواحش وتنقاد للمواساة، والإيثار المحمود بقدر الطاقة.[2] (وسنعرج عن ذلك في المبحث الخامس أثناء حديثنا عن الفضائل).

والعقل العملي في استفادته من العقل النظري يدرك دور الشهوة وأهميتها، ويدرك أيضا أهمية الضبط والتحكم والتوجيه،[3] فالشهوة سبب يربط بالحياة وطلبها واجب بمقتضى إبقاء الشخص بالغذاء والنوع بالحرث؛[4] أي أن توجيه هذه القوة نحو غايتها الخاصة يؤدي إلى تحقيق البقاء الذاتي والنوعي،[5]كما أنها ترغب الخلق في السعادات الأخروية، فإنهم ما لم يحسوا بهذه اللذات والآلام لم يرغبوا في الجنة ولم يحذروا النار ولو وعدو بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لما أثر ذلك بمجرده في نفوسهم هذا حد العفة.[6]

**ثالثا– علاقة القوة الشهوية بالأخلاق:**

يرى الغزالي أن شهوة الطعام أصل الشهوات وأقدمها لذا فتقويم السلوك لا يبدأ إلا بها كما ورد ذلك عن الرسول عليه الصلاة والسلام " **فالبطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء**"؛ والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات، ومنبت الدواء والآفات، إذ تتبعها شهوة الفرج وشدة الرغبة في المال والجاه اللذين هما الوسيلة إلى التوسع في المطموعات والمنكوحات، ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات، وضروب المنافسات والمحاسدات، ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء، ثم يتداعى ذلك إلى

[1] سليمان دنيا: الحقيقة في نظر الغزالي، (مرجع سابق)، ص 330.

[2] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص233.

[3] نور الدين الساقي: نقد العقل منزلة العقل النظري والعملي في فلسفة الغزالي، (مرجع سابق)، ص168.

[4] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق )، ص371.

[5] نور الدين الساقي: نقد العقل منزلة العقل النظري والعملي في فلسفة الغزالي، (مرجع سابق)، ص168.

[6] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص371.

الحسد والحقد، والعداوة والبغضاء، ثم يفضي ذلك إلى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة، وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء.[1]

أما شأن شهوة الفرج فكشأن شهوة البطن لأن أفعالها تنقسم إلى محمود ومكروه ومحضور أما المحمود فهو المقدار الذي لابد منه،[2] لحفظ النوع والنكاح من هذا الوجه من جملة العبادات، وأما المحظور فهو الزنا وهو مقرون بالشرك واللواط و شأن هذا قائم على جعل العقل خادما للشهوة محتالا لأجلها وهو مرض نفس فارغة لا همة لها، أما المكروه فهو المواظبة على الشهوة قصد التمتع فقط أي إن الكراهية متأتية من المبالغة والإفراط وتحويل القوة عن قصدها وغايتها.[3]

وهذا يعني أن للشهوة فائدتين عظيمتين دنيوية والأخرى أخروية؛ فالدنيوية تتمثل في حفظ الإنسان من الموت بواسطة شهوة البطن، وحفظ النسل بواسطة شهوة الفرج، أما الأخروية فهي الطمع في الجنة لما فيها من ملذات وشهوات، كما أن الاعتدال والوسطية هما الميزان الذي يقي السلوك وبالتالي النفس شر الإفراط أو التفريط.

[1] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ربع المهلكات، (مصدر سابق)، مج5، ص 284.

[2] نور الدين السافي: نقد العقل منزلة العقل النظري والعملي في فلسفة الغزالي، (مرجع سابق)، ص170

[3] المرجع نفسه، ص171.

## المبحث الخامس: الخلق والفضيلة عند الغزالي.

قسمنا هذا المبحث إلى مطلبين كما فعلنا مع الفصل الخاص بأوغسطين؛ حيث خصصنا الأول للحديث عن الأخلاق بصفة مباشرة عند الغزالي؛ والذي من خلاله سنعرف ماهية الخلق وعلاقته بالسلوك كما عرجنا على منهجية الغزالي في تعديل الفعل الأخلاقي، أما المطلب الثاني فهو تكملة للمطلب الأول لأننا تكلمنا فيه عن الفضيلة وأنواعها.

### المطلب الأول: الأخلاق.

#### الفرع الأول– ماهية الأخلاق عند الغزالي:

**أولا_ تعريف الأخلاق:**

إن الخلق في نظر الغزالي ليس الفعل إنما هو هيئة النفس وصورتها الباطنة، فالخلق الحسن عنده يقوم على توازن القوى الثلاث السابق ذكرها على قاعدة أن المحمود ما يوافق معيار العقل و الشرع، والخلق السيئ يقوم على عدم اعتدال تلك القوى،[1] وقد قدم لنا تعريف للأخلاق بأنه:" عبارة عن هيئة في النفس راسخة، تصدر عنها الأفعال بسهولة من غير حاجة إلى فكر وروية،[2] كأنه يصدر منه وهو في غفلته،[3] فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا؛ سميت تلك الهيئة خلقا حسنا وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا،[4] وهذا يعني:

أ–القدرة على أداء الفعل سواء كان جيدا أو سيئا.

ب–السيطرة على الفعل (تطويع الفعل).

---

[1] نور الدين الساقي: نقد العقل منزلة العقل النظري والعملي في فلسفة الغزالي، (مرجع سابق)، ص135.

[2] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ربع المهلكات، (مصدر سابق)، مج5، ص190.

[3] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص256.

[4] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ربع المهلكات، (مصدر سابق)، مج5، ص 191.

ج-معرفة الأفعال وحالة الذات التي تؤدي إلى الخير أو الشر.[1]

إذن فالأخلاق عند الغزالي تتعلق بالطبيعة الداخلية للإنسان دون تكلف أو اجتهاد، كما أنه حدد مقياس خيريتها وشرها استنادا على مصدرين هما العقل و الشرع .

**ثانيا- ماهية الأخلاق وعلاقتها بالسلوك:**

**أ- ماهيتها:**

يرى الغزالي أن الخلق ليس عبارة عن "فعل" فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل،[2] إما لفقد المال أو لمانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل إما لباعث أو لرياء، كما أنه ليس عبارة عن "قوة" لأن نسبة القوة إلى الإمساك و الإعطاء بل إلى الضدين واحد، وكل إنسان بالفطرة قادرا على الإعطاء والإمساك، وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء، وليس عبارة عن "معرفة" لأنها تتعلق بالجميل و القبيح جميعا على وجه واحد.

بل الخلق هو "الهيئة" التي بها تستعد النفس لأن يصدر منها الإمساك أو البذل،[3] كما أن الفعل والمعرفة أمر أساسي لفعل الخلق، والخلق لا يعبر دائما عن نفسه في الفعل؛ ويشرح الغزالي لنا ذلك بأن هناك العديد من الناس من يملكون فضيلة الكرم ولكن الفقر يمنعهم من ممارسة هذه الفضيلة بالمقابل يوجد من بطبعهم البخل والجشع و لكن لموقف ما لا ينفقون أموالهم، فالخلق يكون متأصل في الذات وبالتالي فهي دائمة وليست عرضية أو لحظية فالخلق الحسن هو في الحقيقة جمال الروح وهو كجمال الجسم المتناسق المتناغم ما بين عناصره،[4] فالخلق إذا عبارة عن هيئة النفس وصوتها الباطني.

---

[1] M.Omarudin, The ethical philosophy of Al-Ghazzali, Adam publishers and distributers, Delhi, India,1996, p 196.

[2] أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ربع المهلكات، (مصدر سابق)، مج5، ص191.

[3] المصدر نفسه، ص 192.

[4] M.Omarudin, The ethical philosophy of Al-Ghazzali, .(Op.cit). p 196

والخلق لا يكون خلقا حسنا إلا بحسن قوى النفس الثلاث وكمالها وتحقيق العدالة والانسجام بينها، فمن استوت هذه القوى كلها واعتدلت كان حسن الخلق مطلقا ومن كمل عنده البعض دون البعض كان حسن الحلق نسبيا.[1]

ب_**علاقتها بالسلوك**:

كان تحديد أبي حامد للأخلاق قائم على أساس فهمه للسلوك البشري ذلك أن الهيئة التي يكون عليها السلوك هي المحددة للأخلاق، فإن كانت هناك هيآت انقيادية للشهوات تسمى تلك الهيآت أخلاقا رديئة وإن كانت هناك هيئات استيلائية سميت تلك خلقا حسنا؛ فالخلق هو الهيآت سواء كانت استيلائية أو انقيادية أي بحسب فعل القوى فالأخلاق مرتبطة بالهيئة أي أنها ظاهرة سلوكية تنتج عن العلاقة القائمة بين القوى الباطنية التي تسكن الإنسان أي قوى البدن والقوة العملية من جهة والقوة العملية والقوة النظرية من جهة أخرى[2]، ولقد ناقشنا ذلك مسبقا، فإذا خدمت القوة العاملة القوة النظرية أمكن للقوة العملية الاستيلاء على قوى البدن وهذا الاستيلاء ينحت هيئة يكون عليها الإنسان تسمى خلقا حسنا، والعكس كذلك يولد هيأة تسمى خلقا مذموما ، إن الخلق إذن هو الهيأة أي السلوك، كما أن العلم هو المحرك الأول لكل أنواع السلوك حيث يستجيب العقل العملي فيأتمر البدن بأمره ويترجم السلوك هذه الحالة :"إن العلم يورث الحال ويثمر الأعمال.

إن تحليل طبيعة السلوك وإرجاعه إلى أصوله دليل واضح على أن الغزالي لم يكن في دراساته الأخلاقية صانعا للوعظ أو لقواعد الأخلاق مثلما تذهب إلى ذلك جل فلسفات الأخلاق القديمة والحديثة، وإنما كان محللا للأخلاق باعتبارها سلوكا نابعا عن قوى عقلية وجسدية مشتركة إن كل واحد من النفس والبدن متأثر بسبب صاحبه فإن النفس إن كملت وكانت زاكية حسنت أفعال البدن وكانت جميلة وكذا البدن إن جملت آثاره حدث منها في النفس هيآت حسنة وأخلاق مرضية.[3]

---

[1] كفاح يحي صالح العسكري: الغزالي وجون ديوي (نظرتهما للطبيعة الإنسانية، (لجنة البحث والدراسة في التراث النفسي ، سلسلة الراسخون عدد2، 2013م)،www.arabpsy found.com، التاريخ 2020/09/29، الساعة12:30.

[2] نور الدين السافي: نقد العقل منزلة العقل النظري والعملي في فلسفة الغزالي، (مرجع سابق)، ص135.

[3] المرجع نفسه، ص136.

وهذا ما يميز فلسفة الغزالي الأخلاقية عن غيره من الفلاسفة، وبالتالي فحسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوة العقل، وكمال الحكمة، وإلى اعتدال قوة الغضب والشهوة، وكونها مطيعة للعقل و الشرع أيضا، وسوء الخلق يكون بسبب اعتلال هذه القوى و استلاء قوة الشهوة والغضب على القوة الفكر.

**الفرع الثاني– مكارم الأخلاق:**

نقصد بمكارم الأخلاق جملة الأفعال النبيلة والآداب الحسنة التي تصدر من الإنسان على شكل سلوك مستقيم وفق ما تكلمت عنه نصوص القرآن و ما جاء في سنة النبي عليه الصلاة والسلام باعتبارهما المصدر الأول لفلسفة الغزالي الأخلاقية.

و تطرقنا لمكارم الأخلاق التي تكلم عنها الغزالي لا يعني أننا سنخوض في كل الأفعال الخلقية لأنها كثيرة ومتشعبة، سواء على المستوى الفردي أو الاجتماعي، فحين دراستنا لكتبه الأخلاقية وجدناه وضع أبواب كثيرة يشرح لنا ذلك كآداب المتعلم وعلاقته بمعلمه، أدب العبد مع ربه آدابه مع والديه بصفة خاصة ومع الناس بصفة عامة، ولقد اخترنا نموذجين من ذلك:

**أولا– آداب الولد مع والديه:**

وذلك بأن يسمع كلامهما ويقوم لقيامهما، ويمتثل لأمرهما ولا يمشي أمامهما، ولا يرفع صوته فوق أصواتهما ويلبي دعوتهما، ويحرص على مرضاتهما، ويخفض لهما جناح الذل، ولا يمن عليهما بالبر ولا بالقيام لأمرهما، ولا ينظر إليهما اشمئزازا، ولا يقطب وجهه في وجههما، ولا يسافر إلا بإذنهما.[1]

**ثانيا– آداب العالم والمتعلم:**

ويكون ببدئه بالسلام، ويقل بين يديه الكلام ويقوم له إذا قام، ولا يقول له: قال فلان خلاف ما قلت، ولا يسأل جليسه في مجلسه ولا يبتسم عند مخاطبته، ولا يشير عليه بخلاف رأيه ولا يأخذ بثوبه إذا قام، ولا يستفهمه عن مسألة في طريقه حتى يبلغ إلى منزله، ولا يكثر عليه عند مله.[2]

[1] أبو حامد الغزالي: بداية الهداية، تحقيق: محمد عزب، ط1، (مكتبة مدبولي، مصرن 1993م)، ص64.

[2] المصدر نفسه، ص64.

**الفرع الثالث– منهجية الغزالي في دراسة الأخلاق:**

سنحاول إعطاء نموذجين؛ إحداهما عن الخلق الحسن والآخر عن الخلق السيئ كما فعلنا مع أوغسطين، ومن خلالهما سنعطي صورة توضيحية عامة عن منهجية الغزالي في دراسته للفكر الأخلاقي.

**أولا– الخلق الحسن:" العفو".**

**أ–القرآن:** قَالَ تَعَالَى:﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩ ﴾، [1] معناه تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعرض عمن جهل عليك، وتحسن إلى من أساء إليك.

**ب–السنة:** كان صلى الله عليه وسلم، مبعوثا بمكارم الأخلاق حيث يقول:" **أدبني رب فأحسن تأديبي**" ، وكان يحث على فضيلة العفو بقوله _صلى الله عليه وسلم_:" **اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون** " كما أن النبي عليه الصلاة والسلام يحث على جملة من الأخلاق الحسنة أجمل شطرها الغزالي في خلق العفو و السخاء الذي هو تقديم حظوظ الإخوان على حظك مطلقا دنيويا وأخرويا والمبادرة إلى الإعطاء قبل السؤال وترك الامتنان بما أعطى وتعجيله وتصغيره وستره، بل بذل النفس والروح والمال على الخلق إلى غاية الحياء، وأن يكره أن يرى ذل السؤال في وجوه المسلمين وسخاء النفس بما في أيدي الناس أكبر من سخائها وبالبذل ومروءة القناعة، والرضا أكبر من مروءة العطاء وأكبر من ذلك كله السخاء بالحكمة.[2]

[1] الأعراف /199

[2] أبو حامد الغزالي: مجموعة رسائل الإمام الغزالي،( روضة الطالبين وعمدة السالكين)، (مصدر سابق)، ص170.

**ثانيا– الخلق السيئ:"الغيبة".**

**أ–القرآن:** قَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ ﴾.[1]

**ب–السنة وما جاء في الأثر:** وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن رجلا كان عند رسول الله عليه الصلاة والسلام فقام النبي عليه الصلاة والسلام ولم يقم الرجل فقال بعض القوم: ما أعجز فلانا، فقال :" **أكلتم لحم أخيكم واغتبتموه**". وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمرا عليه السلام:" **من مات تائبا من الغيبة فهو آخر رجل يدخل الجنة، ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار**"، وقيل مثل الذي يغتاب الناس كمثل من نصب منجنيقا يرمي به حسناته شرقا وغربا.[2]

**ج–معناها وسببها:**ومعنى الغيبة أن تذكر إنسانا بما يكرهه لو سمعه، فأنت مغتاب ظالم وإن كنت صادقا،[3] وقد أرجع الغزالي الأسباب الباعثة على الغيبة إلى ما يخص بالعامة، وما يخص بأهل الدين؛ فأما ما يخص بالعامة فهو الغضب والحقد والحسد وموافقة الرفقاء في الهزل واللعب والاستهانة والاستحقار.

وأما ما يختص بأهل الدين والخاصة من العلماء فهو الغضب لله تعالى على فاعل المنكر والتعجب من فعله والشفقة عليه والرحمة فهذه من أغمض الأسباب وأخفاها، لأن الشيطان يخيل للجهلة من العلماء أن الغضب و التخيل إذا كانت لله تعالى كانت عذرا مرخصا في ذكر الاسم بالغيبة حاجات مخصوصة لا مندرجة عنها في ذكر الاسم بالغيبة، وهي التظلم إلى الحكام والاستفتاء والاستعانة على إزالة المنكر والتحذير والنصيحة والتعريف باللقب، فهذه ثلاثة أمور هي المستثناة في الشرع من الغيبة للضرورة.

---

[1] الحجرات/ 12.

[2] أبو حامد الغزالي: مجموعة رسائل الإمام الغزالي،( روضة الطالبين وعمدة السالكين)، (مصدر سابق)، ص168.

[3] أبو حامد الغزالي: بداية الهداية، (مصدر سابق)، ص54.

**د– المعالجة**: وأما معالجة مرضها فهو أن تعلم أنك متعرض لسخط الله تعالى بغيبة أخيك المسلم ومحبط لحسناتك بنقلها إلى صحائف من استغبته، وأما أركان التوبة منها فهي العلم والندم والإقلاع والعزم واستحلال من استغبته بذكر ما اغتبته إلا أن يتعذر عليك _فتدعو له.[1]

**ثالثا– منهجيته في دراسته للفعل الخلقي:**

من النموذجين السابقين يمكننا تحديد المعالم الأساسية لمنهجية الغزالي في دراسته الأخلاقية؛ فعند وقوفه على خلق معين سواء مكروه أو مذموم يبدأ بذكر الاستدلالات الدينية من القرآن ثم السنة باعتبارهما المصدر الأول والأصدق، ثم ذكر ما جاء في الأثر سواء أكانت إسرائيليات أو مرويات إسلامية.

ويضيف زكي مبارك أثناء حديثه عن منهجية الغزالي بأنه بعد ذلك ينطلق في ذكر القصص والحكايات التي تستولي على قلب القارئ وترسم في نفسه أثر ذلك الخلق، وما لها من مقام محمود أو مذموم، وهو في هذا الباب لا يعتبر مبتكرا، فقد سبقه القصاص، وهو مثل منهج سميلر في الإكثار من الأقاصيص للترغيب في مكارم الأخلاق.[2]

ونحن نرى أن الغزالي لم يكتفي بمجرد الذكر والنقل بل أننا كثيرا ما نجده يعطي لنا تعريفا للخلق خارج المفهوم النصي والديني بل يذكر الأسباب الباطنية الباعثة للسلوك الخلقي، ثم بعد ذلك يضع حلا إما في الترغيب في حالة الخلق الحسن أو في التوبة في حالة الخلق السيئ.

**الفرع الرابع– التربية الأخلاقية والاجتماعية:**

عمل الغزالي على تقديم منظومة تربوية كاملة في الأخلاقية سواء على المستوى الداخلي النفسي أو المستوى الخارجي العضوي، وقبل ذلك سنتناول طرق معرفة المرء عيوبه وأخلاقه المذمومة كي يسهل عليه علاجها.

[1] أبو حامد الغزالي: مجموعة رسائل الإمام الغزالي،( روضة الطالبين وعمدة السالكين)، (مصدر سابق)، ص150.

[2] مبارك زكي: الأخلاق عند الغزالي، (مرجع سابق)، ص102.

**أولا– معرفة المرء عيوب نفسه:**

قبل إعطاء العلاج لابد علينا معرفة أصل العلة وهذا ما فعله الغزالي بتقديمه طرق معرفة عيوب النفس قبل علاجها، واقتصارها في أربعة طرق هي:

**أ–**أن يجلس المرء بين يدي" شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ، ويحكمه في نفسه ، ويتبع أشارته في مجاهدتها.[1]

**ب–**أن ينصب صديقا صدوقا بصيرا رقيبا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله، فما ذكره من أخلاقه وأفعاله، وعيوبه الباطنة والظاهرة نبهه إليها.

**ج–** أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه، فإن عين السخط تبدي المساوئ، ولعل انتفاع الإنسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يخفي عنه عيوبه.

**د–**أن يخالط الناس ، فكل ما رآه مذموما عند الخلق اتهم نفسه به.[2]

وهذه الطرق الأربعة التي قدمها لنا الغزالي تنفع من أراد بنفسه خيرا وحرص على تقويمها وفق الشرع والعقل.

**ثانيا– التربية الداخلية:(معالجة النفس):**

إن الطريق إلى تربية الخلق فيما يرى الغزالي تبدأ برياضة النفس على ما يرغب المرء فيه من مكارم الأخلاق،[3] من خلال علاجها بمحو الرذائل عنها وكسبها الفضائل.[4]

والمقصود من رياضة النفس الاجتهاد بالأعمال الصالحة لتكميل النفس وتزكيتها وتصفيتها،[5] والأصل والمهم في المجاهدة الوفاء بالعزم،[6]فإن كملت وكانت زاكية حسنت أفعال البدن وكانت جميلة، وكذا البدن إن جملت آثاره حدث منها في النفس هيئات حسنة، وأخلاق مرضية، وكمال النفس وسعادتها ،

---

[1] أبو حامد الغزالي: أيها الولد، تحقيق: جميل إبراهيم حبيب، دط، ( دار الحكمة، لبنان، 1986م)،ص32.

[2] زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي، (مرجع سابق)، ص 155.

[3] طه عبد الرحمان: سؤال الأخلاق، ط1،( المركز الثقافي العربي، المغرب، 2000م)، ص100.

[4] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص260.

[5] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص195.

[6] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ربع المهلكات، (مصدر سابق)، مج5، ص 221.

في وصولها إلى كمالها الخاص بها[1]، و هي متعطشة إليه وبالفطرة مستعدة له، وإنما يصرفها عن ذلك اشتغالها بشهوات البدن وعوارضه، لذا فعند كسر الشهوة وقهرها و التخلص من رقها، واستعبادها إياه، والاشتغال بالتفكير والنظر، على مطالعة ملكوت السموات والأرض، بل على مطالعة النفس، وما خلق فيها من العجائب، فقد وصل إلى كماله الخاص. [2]

ولا يكون ذلك إلا عن طريق اعتياد الأفعال الصادرة من النفوس الزاكية الكاملة، حتى إذا صار ذلك معتادا، بالتكرر مع تقارب الزمان، حدث منها هيئة للنفس راسخة تقتضي تلك الأفعال وتتقاضاها، بحيث يصير ذلك له بالعادة كالطبع، فيخف عليه ما كان يستثقله من الخير.[3]

ويوضح الغزالي أن أهم عائق في تربية النفس هي الشهوات، ولترويضها علينا بالعمل الذي يعني به الغزالي" رياضة الشهوات النفسانية وضبط الغضب وكسر هذه الصفات، لتصير مذعنة للعقل، غير مستولية عليه ومستسخرة له، في ترتيب الحيل الموصلة إلى قضاء الأوطار، فإن من قهر شهوته فهو الحر على التحقيق، وتقليل الشهوات تقليل لأسباب الغموم، ولا سبيل إلى إماطتها إلا بالرياضة والمجاهدة،[4] كما أن التحكم في الغرائز والاعتدال في تلبيتها هو وسيلة أيضا للصحة النفسية والتحكم في شهوات النفس بقوة العقل، أما إذا حدث العكس فهو فقدان للإرادة وسيطرة الأهواء على النفس ومن استولت عليه النفس صار أسيرا لشهوتها فيحدث بسبب ذلك غشاوة على القلب فيمنع من فوائده.[5]

**ثالثا– التربية البدنية:(حفظ أعضاء الجسم السبعة).**[6]

أدرجت في هذا الجدول أهم أعضاء الجسم التي تكلم عنها الغزالي و المسؤولة عن الأخلاق أو بالأحرى الأعضاء التي تترجم على مستواها الفعل الخلقي.

---

[1] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص195.

[2] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص 196.

[3] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص251.

[4] المصدر نفسه، ص192.

[5] ميلود ميدات، خديجة بن السايح: تحليل النفس التشخيصي والعلاج عند الغزالي (دراسة تحليلية مقارنة)، (مجلة العلوم الاجتماعية، عدد2،مجلد8، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر، 2019م)، ج2،ص252.

[6] أبو حامد الغزالي: بداية الهداية، (مصدر سابق)، ص 54-58.

**الجدول رقم6: العلاقة بين العضو الحسي والفعل الخلقي.**

| العضو | الحكمة من خلقه | قبيحه وكيفية حفظه |
|---|---|---|
| **العين** | _الهدي في الظلمات<br>-الاستعانة بها في الحاجات<br>-النظر إلى عجائب ملكوت السموات والاعتبار من آيات الكون. | تحفظ من أربع:<br>_النظر بها إلى غير محرم.<br>_أو إلى صورة مليحة بشهوة.<br>_النظر إلى الآخر بعين الاحتقار.<br>_الإطلاع بها على عيب مسلم. |
| **الأذن** | خلقت لسماع كلام الله وسنة رسوله وحكمة أوليائه، وتتوصل باستفادة العلم بها إلى الملك المقيم والنعيم الدائم في جوار رب العالمين. | تحفظ من:<br>الإصغاء إلى البدعة أو الغيبة أو النميمة أو الفحش أو الخوض في الباطل أو ذكر مساوئ الناس. |
| **اللسان** | خلقت لتكثر به ذكر الله تعالى وتلاوة كتابه وترشد به خلق الله تعالى إلى طريقه، وتظهر به ما في ضميرك من حاجات دينك ودنياك. | أن تحفظ من:<br>الكذب والخلف في الوعد.<br>والغيبة والمراء والجدال ومناقشة الناس في الكلام.<br>وتزكية النفس واللعن والدعاء على الخلق و المزاح والسخرية والاستهزاء بالناس[1] |
| **البطن** | خلقت لتبعث على تناول ال الغذاء حتى يبقى البدن حيا، والح والحواس سليمة، ليتوصل بها | أن يحفظ من:<br>تناول الحرام وكل مشبوه ، والحرص على طلب الحلال، وأن يقتصر منه على ما دون الشبع لأنه |

[1] أبو حامد الغزالي: منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين، تحقيق: محمود مصطفى حلاوي، ط1، ( مؤسسة الرسالة، لبنان، 1989م)، ص184

| | | |
|---|---|---|
| | إلى الإنسان لنيل العلوم، ودرك حقا حقائق الأمور[1]. | يقسي القلب ويفسد الذهن ويبطل الحفظ ويزيد الشهوة. |
| **الفرج** | الحفاظ على النسل وهي أيضا مرتبطة بالشهوة المنقادة للعقل. | يحفظ عن كل ما حرم الله تعالى ويكون ذلك بحفظ العين عن النظر وحفظ القلب عن الفكر وحفظ البطن عن الشبهة والشبعة. |
| **اليدان** | العمل لكسب الحلال دون الحرام.( لم يذكر ذلك الغزالي لفظا) | أن تحفظ من: بطش المسلمين أو تناول بهما مالا حراما أو إيذاء بهما أحدا من الخلق أو خيانة أمانة أو تكتب بهما مالا يجوز النطق به لأن القلم أحد اللسانين. |
| **الرجلان** | هي قوام جسم الإنسان وبهما تيسر له العبادة وطلب الرزق ( لم يذكر الغزالي الحكمة من خلقهما في سياق حديثه حول الأعضاء السبعة. | أن تحفظا من المشي إلى الحرام. |
| **القلب** | صلاحها بصلاح الجسد كله | أن تحفظ من أمهات الخبائث الحسد الرياء والعجب |

**المصدر**: من إعداد الطالبة اعتمادا على كتابي أبي حامد الغزالي: ميزان العمل، ومنهاج العابدين.

لقد قدم الغزالي هنا أهم أعضاء جسم الإنسان التي لها أثر في الأخلاق وحصر جملتها في سبعة هي العين والأذن والفرج والبطن واليدان والقدمان والقلب، كما ربط الحكمة من خلق كل عضو بحكمة دينية، ثم بين لنا كيفية الحفاظ على كل عضو من هذه الأعضاء.

[1] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص271

**رابعا– طريقة التّتطبع بالخلق:**

يرى الغزالي إن كسب الخلق بسبب التخلق هو من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح فكل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح فإنه قد يرتفع منه أثر إلى القلب.[1]

بمعنى أن هناك علاقة وطيدة بين القلب والنفس والبدن، وما الجوارح إلا مترجم عما في القلب فيظهر ذلك على شكل سلوك خلقي، ولقد بين لنا الغزالي طريقتين لكسب فضيلة من الفضائل أو لردع رذيلة من الرذائل وهما:

**أ– اكتساب خلق محمود:** بين الغزالي ذلك عن طريق نماذج فعالة وعملية فمن أراد مثلا أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطى فعل الجود، وهو بذل المال ولا يزال يواظب عليه حتى يتيسر عليه، فيصير بنفسه جودا، وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع، فطريقه في المجاهدة أن يواظب على أفعال المتواضعين، مواضبة دائمة على التكرر مع تقارب الأوقات،[2]فبين النفس والبدن دور إذ بأفعال البدن تكلفا يحصل للنفس صفة، فإذا حصلت الصفة فاضت على البدن و اقتضت وقوع الفعل الذي تعوده، طبعا بعد أن كان يتعاطاه تكلفا. فيصدر منه بالآخرة بالطبع، ما كان يتكلفه ابتداء بالتصنع،[3]كما أنه لابد من احتمال مرارة الدواء، وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الأبدان المريضة، فكذلك لابد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب.[4]

والمقصود أنه بالتعليم والاعتياد تكتسب الأخلاق، حيث يشترط الغزالي هنا أيضا التقارب الزمني بين كل فعل وآخر حتى تتعود النفس والصبر على احتمال مرارة المجاهدة، على ذلك كما أشرنا سابقا.

**ب–اقتلاع خلق مذموم:** ويكون ذلك بالعلاج المضاد إن صح قولنا؛ فإن العلة المغيرة للاعتدال و الموجبة للمرض لا تعالج إلا بضدها إن كانت من حرارة فبالبرودة وبالعكس، فكذا الرذيلة الموجبة لنقصان النفس، علاجها بضدها فعلاج الجهل بالتعلم، والبخل بالتسخي تكلفا، والكبر بالتواضع تكلفا، وقد أعطى الغزالي جملة من الأمثلة حول مفهوم التخلق حيث ذكر أن بعضهم كان يعالج قوة

---

[1] طه عبد الرحمان سؤال الأخلاق، (مرجع سابق)، ص100.

[2] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ربع المهلكات، (مصدر سابق)، مج5، ص 207.

[3] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص252.

[4] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ، ص 217.

الغضب ويتكلف صفة الحلم، فكان يعطي السفهاء الأجرة لكي يشتموه في المحافل فيتعود احتماله، فصار بحيث يضرب به المثل في الحلم، وكان آخر يدرج نفسه في الشجاعة فيركب البحر في الشتاء،[1] وآخر كان يهيئ المآكل الطيبة، ويطعمها غيره بحضرته وهو يقتصر على خبز الشعير لكسر الشهوة.[2]

ولا يقصد الغزالي هنا بإبادة كلية للتلك الشهوات التي تنبع منها كل تلك الأخلاق الذميمة بل هو يدعو للاعتدال والوسطية؛ فرد الغضب والشهوة إلى حد الاعتدال، بحيث لا يقهر واحدا منهما العقل ولا يغلبه، بل يكون العقل هو الضابط لهما والغالب عليهما ممكن، وهو المراد بتغيير الخلق، فإنه ربما تستولي الشهوة على الإنسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط إلى الفواحش، وبالرياضة تعود إلى حد الاعتدال، فدل أن ذلك ممكن، والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها. [3]

فالغزالي يرى أنه يمكن للإنسان أن يصل إلى الكمال من خلال اكتساب الصفات الملائكية الخالية من الرغبات والشهوات ولا يكون ذلك إلا بإخضاع حياة الشهوة إلى حياة العقل ، وعندما يبلغ تلك المرحلة(حياة العقل) يبدأ في مرحلة جديدة وهي رؤية نموذجه المثالي وبعد ذلك يسلم نفسه لله يعيش به وفيه.[4]

**خامسا– الكرم الإلهي:**

تتحقق عندما يهب الله هدية الفضيلة عند المرء أثناء الولادة كما في حال سيدنا عيسى ويحي وأنبياء آخرين. وبهذا فإن الغزالي ألفت الانتباه إلى إمكانية أن يولد المرء فاضلا وهو احتمال أدخله التعليم الديني في التقليد النبوي.[5]

---

[1] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص 220.

[2] المصدر نفسه، ص261 .

[3] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ربع المهلكات، (مصدر سابق)، مج5، ص 204.

[4] M.Omarudin, The ethical philosophy of Al-Ghazzali, .(Op.cit) p 195

[5] Mohamed Ahmed Sherif: Ghazali's theory of virtue, Fst edition, published by the state University of New York Press, U.S.A. 1975.P31

وبالتالي لاكتساب الأخلاق الفاضلة وترك الأخلاق الذميمة لابد من المجاهدة والرياضة و حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب حتى يصير الفعل الصادر من النفس مسترسلا بكل سهولة دون تكلف أو عناء، أي أن الغزالي يقر أن الأخلاق يمكن اكتسابها فهي ليست فطرية إطلاقا.

**المطلب الثاني– الفضائل:**

سنتعرف في هذا المطلب على الفضيلة وأنواعها عند الغزالي وعلاقة كل فضيلة بالسلوك باعتبار الفضيلة كمال الخلق.

**الفرع الأول– تعرف الفضيلة:**

إذا كانت النفس تخلق ناقصة وتكتمل بالتزكية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم فإن الفضيلة هي عنوان كمال النفس وأداة تحقيق السعادة إذ أن سعادة كل شيء ولذته وراحته في وصوله إلى كماله الخاص به، و الفضيلة عند الغزالي هي الكمال الخاص بكل من القوة الغضبية والقوة الشهوية والقوة المفكرة،[1] وهي مجمعة في أربعة فضائل كبرى؛ الحكمة و الشجاعة و العفة و العدالة: [2]

_فالحكمة فضيلة القوة العقلية.

_والشجاعة فضيلة القوة الغضبية.

_والعفة فضيلة القوة الشهوية.

_ والعدالة عبارة عن وقوع هذه القوى على الترتيب الواجب فيها تتم جميع الأمور؛ ولذلك قيل بالعدل قامت السموات والأرض .[3]

وهذه الفضائل كما يرى الغزالي محصورة في فن نظري وفي فن عملي، يحصل كل واحد منها على وجهين أحدهما بتعلم بشري، وتكلف اختياري يحتاج فيه إلى زمان وتدرب وممارسة والثاني يحصل بجود إلهي.[4] وهذا ما بيناه في منظومة الغزالي الأخلاقية سابقا.

---

[1] نور الدين الساقي: نقد العقل منزلة العقل النظري والعملي في فلسفة الغزالي، (مرجع سابق)، ص160.

[2] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص264.

[3] سليمان دنيا: الحقيقة في نظر الغزالي، دط، (دار المعارف، مصر، 1965م)، ص332.

[4] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص 257.

**الفرع الثاني– الحكمة:**

**أولا_تعريفها:**

لقد عظم الله تعالى الحكمة في قوله: " يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ "،[1] و هو ما أراده رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، حيث قال:" **الحكمة ضالة المؤمن**" وهي منسوبة إلى القوة العقيلة وهي فضيلتها،[2] و وضيفتها جعل كل من القوة الغضبية والشهوية في حالة من الاعتدال فهي لا تناقضهما ولكن تستعملها على مقتضى الحكمة أي تصنع منهما فضيلتين فضيلة الشجاعة وفضيلة العفة،[3]وتندرج تحت هذه فضيلة الحكمة حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الرأي وصواب الظن.[4]

**أ–أما حسن التدبير:** فهو جودة الرواية في استنباط ما هو الأصلح، والأفضل في تحصيل الخيرات العظيمة والغايات الشريفة، مما يتعلق بالمرء أو تشير به على غيرك، في تدبير منزل أو مدينة، أو مقاومة عدو، ودفع شر.

**ب–وأما جودة الذهن:** فهو القدرة على صواب الحكم عند اشتباه الآراء، وثوران النزاع فيها.

**ج–وأما نقاية الرأي:** فهو سرعة الوقوف على الأسباب الموصلة في الأمور إلى العواقب المحمودة.

**د–وأما صواب الظن:** فهو موافقة الحق لما تقتضيه المشاهدات من غير استعانة بتأمل الأدلة.[5]

**ثانيا_ أنواع الحكمة:**

وبما أن للنفس قوتين قوة نظرية وقوة عملية فإن لكل قوة حكمتها.[6]

---

[1] البقرة/ 269

[2] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص265.

[3] نور الدين الساقي: نقد العقل منزلة العقل النظري والعملي في فلسفة الغزالي، (مرجع سابق)، ص164.

[4] أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، (مصدر سابق)، ص89.

[5] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص274.

[6] نور الدين الساقي: نقد العقل منزلة العقل النظري والعملي في فلسفة الغزالي، (مرجع سابق)، ص161.

**أ- الحكمة العملية النظرية:**

وهذه الحكمة تابعة لقوة النفس التي تلي جهة فوق وهي التي تتلقى حقائق العلوم الكلية الضرورية والنظرية من الملأ الأعلى، وهي العلوم اليقينية الصادقة أزلا وأبدا لا تختلف باختلاف الأعصار والأمم،[1] وهي الحكمة الحقيقية المجسدة في العلم بالله وصفاته وجملة العلوم الكلية والأولية كمبادئ العقل.[2]

**ب- الحكمة الخلقية:**

مصدرها القوة التي تلي جهة تحت، أي جهة البدن وتدبيره، وسياسته، وبها تدرك النفس الخيرات في الأعمال، وتسمى العقل العملي ، وبها يسوس الإنسان قوى نفسه ويسوس أهل منزله وأهل بلده،[3] أي أنها العلم بصواب الأفعال.[4]

والحكمة الخلقية حالة وفضيلة النفس العاقلة، فبها تسوس القوة الغضبية والشهوية، وتقدر حركاتهما على الحد الواجب، في الانقباض والانبساط وهي العلم بصواب الأفعال، وتدبير أحوال هذا العالم، مستمد من العقل النظري، فالعقل النظري يستمد من الملائكة الكليات، والعقلي العملي يستمد من العقل النظري الجزئيات ، ويسوس البدن بواجب الشرع.، فيتولد منها الأخلاق الجميلة.[5]

**ثالثا- رذيلتي فضيلة الحكمة:**

وهذه الفضيلة تكتنفها رذيلتان؛ وهما الحب والبله، فهما طرفا إفراطها وتفريطها.[6]

**أ- الخب:** هو طرف إفراطها وزيادتها، وهو حالة يكون الإنسان بها ذا مكر وحيلة، بإطلاق الغضبية والشهوية لتتحركا إلى المطلوب، حركة زائدة على قدر الواجب، ويندرج تحتها الدهاء والجربزة.[7]

---

[1] سليمان دنيا: الحقيقة في نظر الغزالي، (مرجع سابق)، ص332.

[2] نور الدين السافي: نقد العقل منزلة العقل النظري والعملي في فلسفة الغزالي، (مرجع سابق)، ص161.

[3] سليمان دنيا: الحقيقة في نظر الغزالي، (مرجع سابق)، ص332.

[4] نور الدين السافي: نقد العقل منزلة العقل النظري والعملي في فلسفة الغزالي، (مرجع سابق)، ص162

[5] سليمان دنيا: الحقيقة في نظر الغزالي، (مرجع سابق)، ص333.

[6] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص266.

[7] أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، (مصدر سابق)، ص87.

ب- **وأما البله:** فهو طرف تفريطها ونقصانها عن الاعتدال، وهو حالة للنفس تقصر بالغضبية والشهوية، عن القدر الواجب، ومنشؤه بطء الفهم، وقلة الإحاطة بصواب الأفعال، ويندرج تحتها الغمارة والحمق والجنون.[1]

**الشكل رقم7 : فضائل ورذائل الحكمة.**

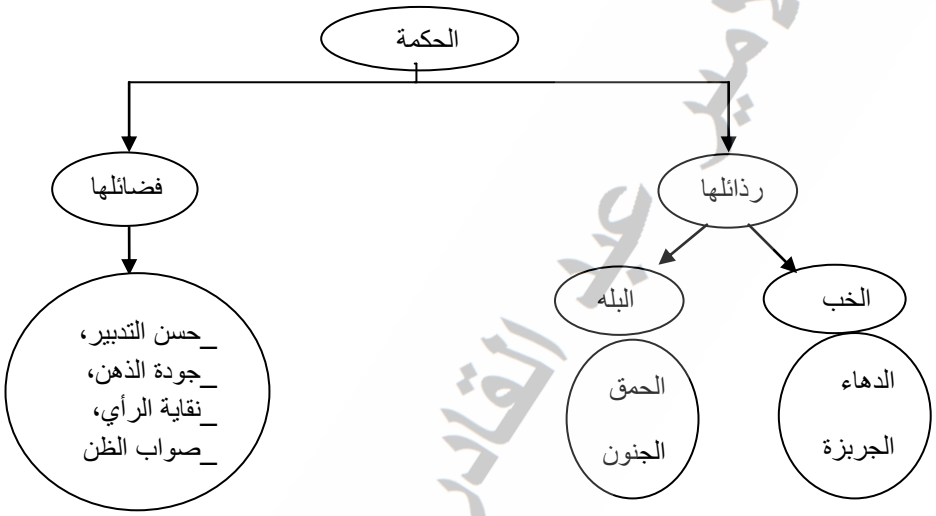


**المصدر:** من إعداد الطالبة اعتمادا على ما سبق.

**الفرع الثالث- الشجاعة:**

**أولا- تعريفها:**

يعرف الغزالي الشجاعة بأنها فضيلة القوة الغضبية بكونها قوية الحمية، ومع قوة الحمية هي منقادة للعقل المتأدب بالشرع،[2]في إقدامها وإحجامها [3]. وقد أيد الغزالي حقيقة هذه الفضيلة بالآية القرآنية؛ في قوله تعالى: " أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ "،[4] فمن هذه الفضيلة يصدر الإقدام والإحجام حيث يجب، وكما يجب وهو الخلق الحسن المحمود، فلا الشدة في كل مقام محمود ولا الرحمة، بل المحمود ما

[1] سليمان دنيا: الحقيقة في نظر الغزالي، (مرجع سابق)، ص333.

[2] أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، (مصدر سابق)، ص87.

[3] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ربع المهلكات، (مصدر سابق)، مج5، ص 195.

[4] الفتح/ 29.

يوافق معيار العقل و الشرع.[1] إذ أن أفعال الغضب تنقسم إلى ثلاث أحكام هي المحظورة والمكروهة والمحمودة؛ والمحمودة عند الغزالي توجد في موضعين أحدهما المسمى الغيرة والثاني الغضب عند مشاهدة المنكرات والفواحش أي غيرة على الدين، فالأولى فلحفظ الأنساب وأما الثانية فلحفظ الدين وهما ما يستدعيان فعل الشجاعة.[2]

**ثانيا– رذيلتي فضيلة الشجاعة:**

الشجاعة وسط بين رذيلتين هما التهور والجبن:

**أ–فالتهور:** لطرف الزيادة على الاعتدال، وهي الحالة التي بها يقدم الإنسان على الأمور المخطرة التي يجب في العقل الإحجام عنها.[3] فليشعر نفسه بعواقب الأمور و بعظم أخطارها، وليتكلف الإحجام إلى أن يعود إلى الاعتدال، أو ما يقرب منه فإن الوقوف على حقيقة حد الاعتدال شديد.[4]

ب–**وأما الجبن:** فطرف النقصان، وهو الحالة التي بها تنقبض حركة القوة الغضبية، عن القدر الواجب فتصرف عن الإقدام، حيث يجب الإقدام.[5] وهنا لابد من أن يتعاطف أفعال الشجعان تكلفا ومواظبة عليها، حتى يصير له بالاعتياد طبعا وخلقا، فيفيض منه أفعال الشجعان بعد ذلك طبعا.[6]

فقد وضح لنا الغزالي هنا كيفية اكتساب فضيلة الشجاعة، ويكون ذلك بالحمل على النفس لتنقص منها إن كانت زائدة، ولتستزيد منها إن كانت ناقصة.

---

[1] سليمان دنيا: الحقيقة في نظر الغزالي، (مرجع سابق)، ص335.

[2] نور الدين السافي: نقد العقل منزلة العقل النظري والعملي في فلسفة الغزالي، (مرجع سابق)، ص165.

[3] أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، (مصدر سابق)، ص87.

[4] سليمان دنيا: الحقيقة في نظر الغزالي، (مرجع سابق)، ص335.

[5] أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، (مصدر سابق)، ص87

[6] سليمان دنيا: الحقيقة في نظر الغزالي، (مرجع سابق)، ص335.

**الشكل رقم8 : فضائل ورذائل فضيلة الشجاعة.**

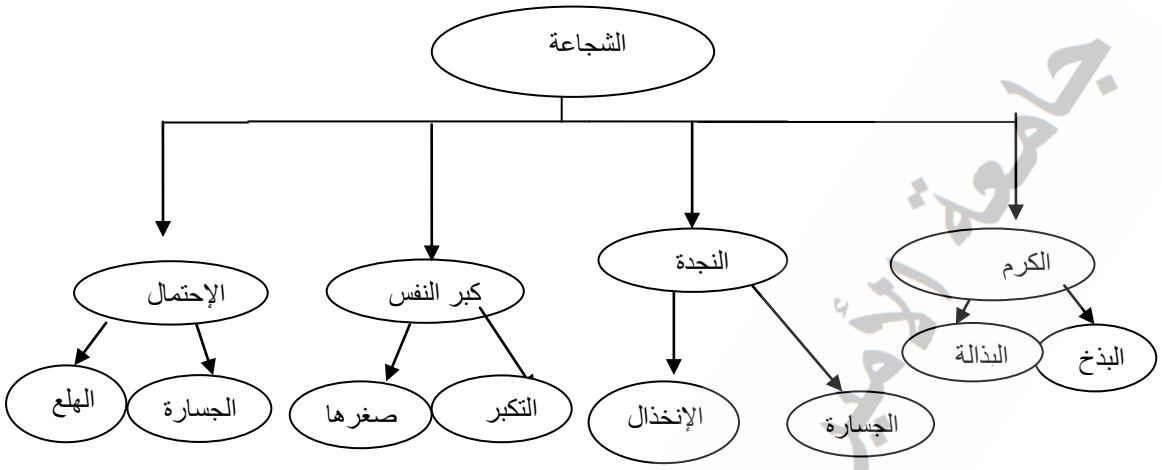


**المصدر**: من إعداد الطالبة اعتمادا على ما سبق.

**الفرع الرابع– العفة:**

**أولا– تعريفها:**

يعرفها الغزالي بقوله" وأما العفة فهي فضيلة القوة الشهوانية وهي انقيادها على يسر وسهولة للقوة العقلية حتى يكون انقباضها وانبساطها بحسب إشارتها ويكتنفها رذيلتان الشره والخمود".[1]

وهذه الفضيلة من أصعب الفضائل تحقيقا، خصوصا إذا اعتادت النفس الإفراط في الشهوة وذلك لأن قوة الشهوة أقدم القوى وجودا وأقواها فعلا وتأثيرا بل يمكن اعتبارها المحرك الأكثر قوة لكامل الإنسان. وبما أن غاية كمال القوة الشهوانية هي تحقيق العفة فإن كمال العفة في تحقيق الورع أي إن الورع من أبرز الفضائل التي تندرج تحت فضيلة العفة إلى جانب فضائل أخرى،[2] من أهمها الحياء والخجل والمسامحة والصبر والسخاء وحسن التقدير والانبساط والدماثة وغيرها.[3]

**ثانيا– رذيلتي فضيلة العفة:**

**أ–الشره:** هو إفراط الشهوة إلى المبالغة في اللذات، التي تستقبحها القوة العقلية وتنهى عنها.

[1] أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، (مصدر سابق)، ص89.

[2] نور الدين السافي: نقد العقل منزلة العقل النظري والعملي في فلسفة الغزالي، (مرجع سابق)، ص168.

[3] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص284.

**ب–والخمود:** هو قصور الشهوة عن الانبعاث إلى ما يقتضي العقل تحصيله وهما مذمومان، كما أن العفة التي هي الوسط، محمودة[1].

وتندرج تحت رذيلتي العفة الكثير من الرذائل من بينها الشهوة والوقاحة والتخنث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والكزازة والمجانة والعبث والتحاشي وغيرها،[2]وجملة هذه الرذائل ناتجة عن تحويل القوة الشهوانية عن غايتها فتسقط إما في إفراط وإما في تفريط، و من أبرز نتائجه فساد العلاقات بين الناس من جهة وفساد الحال عند صاحبها من جهة ثانية.[3]

لذا على الإنسان أن يراقب شهوته، فالغالب عليها الإفراط لاسيما إلى الفرج والبطن وإلى المال والرياسة وحب الثناء، و الإفراط في ذلك نقصان، وإنما الكمال في الاعتدال ومعيار الاعتدال العقل و الشرع.[4]

**الشكل رقم9: فضائل ورذائل فضيلة العفة.**

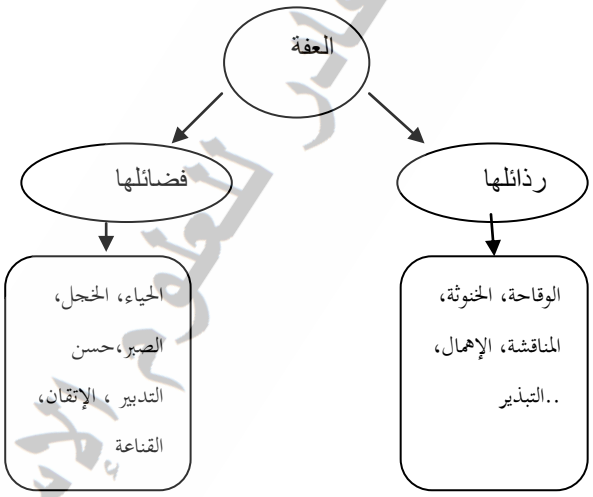


**المصدر:** من إعداد الطالبة اعتمادا على ما سبق.

[1] أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، (مصدر سابق)، ص89.

[2] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص285.

[3] نور الدين السافي: نقد العقل منزلة العقل النظري والعملي في فلسفة الغزالي، (مرجع سابق)، ص169.

[4] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص269.

**الفرع الخامس– العدالة:**

**أولا– تعريفها:**

إن العدل ليس جزء من الفضائل فقط بل هو عبارة عن جملة الفضائل،[1]فهو حالة للقوى الثلاث، في انتظامها على التناسب تحت الترتيب الواجب في الاستعلاء مع الانقياد،[2] ويعرف الغزالي العدالة بأنها:" حالة للنفس وقوة تسوس الغضب والشهوة وتحملها على مقتضى الحكمة، وتضبطها في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها".[3]

ويعني الغزالي بالترتيب العلاقة الموجودة بين العقل وبقية القوى الغضبية والشهوانية وأن يكون العقل غالبا فيحقق فضيلة الحكمة وأن تكون القوة الغضبية والقوة الشهوانية مطيعتين فتتحقق فضيلة العفة وفضيلة الشجاعة ، ونتاج هذه الفضائل مجتمعة تظهر في أخلاق النفس في كليتها أي تحقيق فضيلة العدل.[4]

**ثانيا– أنواعها:**

والعدل في أخلاق النفس يتبعه لا محالة العدل في المعاملة والسياسة ويكون كالمتفرع منه:

**أ–العدل في المعاملة:** وهو وسط بين رذيلتي الغبن والتغابن، و هو أن يأخذ ما له أخذه، ويعطى ما عليه إعطاؤه. فالغبن أن يأخذ ما ليس له، والتغابن أن يعطى في المعاملة، ما ليس عليه حمد ولا أجر.[5]

ب _**والعدل في السياسة:** أن يرتب أجزاء المدينة الترتيب المشاكل لترتيب أجزاء النفس، حتى تكون المدينة في ائتلافها، وتناسب أجزائها وتعاون أركانها كالشخص الواحد؛[6] فيوضع كل شيء موضعه وينقسم سكانه إلى مخدوم لا يخدم وإلى خادم ليس بمخدوم، وإلى طبقة يخدمون من وجه، ويخدمون من

[1] نور الدين السافي: نقد العقل منزلة العقل النظري والعملي في فلسفة الغزالي، (مرجع سابق)، ص171.

[2] أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، (مصدر سابق)، 73

[3] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ربع المهلكات، (مصدر سابق)، مج5، ص 195.

[4] نور الدين السافي: نقد العقل منزلة العقل النظري والعملي في فلسفة الغزالي، (مرجع سابق)، ص171.

[5] أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، (مصدر سابق)، ص90.

[6] سليمان دنيا: الحقيقة في نظر الغزالي، (مرجع سابق)، ص337.

وجه، كما يكون في قوى النفس فإن بعضها مخدوم لا يخدم،[1] كالعقل المستفاد وبعضها خادم لا يخدم كالقوة الدافعة للعضلات، وبعضها خادم من وجه ومخدوم من وجه كالمشاعر الباطنة.[2]

ولا يكتنف العدل رذيلتان كالفضائل السابقة، بل تقابله رذيلة الجور؛ إذ ليس بين الترتيب وعدم الترتيب وسط،[3] فالعدالة جامعة لجميع الفضائل، والجور المقابل لها جامع لجميع الرذائل، و الإنسان مخير بين أن ينال الكمال، فيلتحق في القرب من الله، بأفق الملائكة وذلك سعادته، أو يقبل على ما هو مشترك بينه وبين البهائم، من رذائل الشهوة والغضب، فينحط إلى درجة البهائم، ويهلك هلاكا مؤبدا وهو شقاوته.[4]

**الفرع السادس– الفضيلة عند الغزالي بين الفلسفة والدين.**

إن تأمل الغزالي للفضائل قائم على تأمله لأصول الدين الإسلامي والفلسفة اليونانية حيث يرى أن الفضائل النفسية التي حصر جملتها في أربعة أمور العقل وكماله العلم، والعفة وكمالها الورع، والشجاعة وكمالها المجاهدة، والعدالة وكمالها الإنصاف، هي على التحقيق أصول الدين، ولذلك فإن ارتباطها بالحكمة اليونانية ليس مباشرا حسب رأي الغزالي، وبالتالي يمكن القول إن الحكمة اليونانية (أرسطو) والحكمة الإسلامية (الغزالي) في اتفاق عام حول أمهات الفضائل وأصولها وغاياتها وهذا راجع إلى وحدة المصدر.[5]

ولكن الغزالي في تحديده هذا لم يقدم شيئا جديدا ذلك أن التراث الفلسفي اليوناني و الإسلامي كان قد اعتمد هذا التقسيم، أي أن الفروق الموجودة بين الفلاسفة في هذا المجال لم تصل حد التناقض والاختلاف الجذري وإنما هي فروق في التحليل تشهد بأن الفلاسفة في معالجتهم للقضية الأخلاقية انتهوا إلى إشكالية الفضيلة وعلاقتها بقوى النفس.[6]

---

[1] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص273.

[2] سليمان دنيا: الحقيقة في نظر الغزالي، (مرجع سابق)، ص338.

[3] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص272.

[4] سليمان دنيا: الحقيقة في نظر الغزالي، (مرجع سابق)، ص338.

[5] نور الدين السافي: نقد العقل منزلة العقل النظري والعملي في فلسفة الغزالي، (مرجع سابق)، ص 173.

[6] نور الدين السافي: نقد العقل منزلة العقل النظري والعملي في فلسفة الغزالي، (مرجع سابق)، ص160.

مما لاشك فيه أن الغزالي قد أخذ هو أيضا نظرية أفلاطون في الفضائل الأربعة (عدالة حكمة شجاعة عفة ورأى في هذه الفضائل الغذاء الحقيقي للحياة الأخلاقية ولحياة المجتمعات التي لا تستطيع العيش إلا بالخضوع لهذه القوانين الأخلاقية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**خلاصة الفصل:**

لم يقصر الغزالي هو الآخر في تقديم فكره الإيتيقي التي اعتمد فيه على عدة مصادر منها الأدبي (العربي والفارسي)، والديني (القرآن والسنة)، والفلسفي الأفلاطوني و الصدر الصوفي، فربط بين النفس والسلوك واعتبر أن الخلق ما هو إلا سجية وطبع في النفس تصدر منها الأفعال بكل يسر ومرونة، كما تعرفنا على منظومته التربوية التي شملت الجانب الداخلي والجانب الخارجي العضوي سواء على المستوى الفردي أو الجماعي.

أما في ما يخص الفضائل سنورد عدة فرضيات نحاول من خلالها تفسر هذا التمازج والتناسق والتشابه بين الفلسفة الأخلاقية عند الغزالي و غيره مما سبقوه من الفلاسفة، خاصة بعد معرفتنا لموقفه النقدي والهجومي اتجاه الفلسفة، فليس من المعقول تفنيد جماعة بمكوناتها الإيديولوجية ككل ثم الأخذ بآرائهم مما يجعل الغزالي في موقف متناقض؛ ولقد قدمنا هنا ثلاث نظريات استنتاجيه وهي كالآتي:

_أخذه بالفلسفة اليونانية وهذا محتمل وارد جدا، حيث يدعم هذا الرأي عدة عوامل منها أن الغزالي كان كثير الاهتمام بالفلاسفة سواء الإغريق أو المسلمين، كذلك حركة الترجمة التي شهدتها الحركة العلمية آنذاك.

_اعتماده على الأصول الدينية أي القرآن والسنة النبوية وما جاء في سير الأولين وهذا ما لاحظناه أثناء عرضه وتحليله للفضيلة، فنجده كثير الاستشهاد والاستنباط من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وأن هذا التشابه أنما يدل على وحدة المصدر المستنقاة منه هذه العلوم و هو المصدر الغيبي كما فسر هو ذلك.

_تأثره بالإيديولوجيات الشرقية أثناء إقامته بمصر وهذا وارد أيضا، إذ أن الحضارة المصرية كما تحدثنا عنها في الفصل التمهيدي كانت السباقة مع الحضارة البابلية في حديثها عن الحكمة والأخلاق والفضيلة والنفس وغيرها.

_كان حديثه عن الفضيلة إنما هو مزيج بين كل هذا وذاك أي الديني والفلسفي .

وبالرغم من ذلك إلا أن الغزالي استحق ببحوثه العميقة في الأخلاق، أن يوضع في الصف الأول من علماء الأخلاق، وأن يكون موضع دراسة وعناية من الباحثين في علم الأخلاق وعلم النفس.

# الفصل الثالث:

# قضية الخير والشر وفاعلية الفضيلة في خلاص ونجاة الإنسان عند كل من أوغسطين والغزالي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**تمهيد:**

يعد هذا الفصل الجانب التطبيقي من بحثنا حيث اعتمدنا فيه على قضية الخير والشر عند كل من فيلسوفينا، باعتبار أن الخير والشر مفاهيم وتقييمات معنوية لسلوكيات وأفعال اندرجت تحت مسمى الفعل الخلقي، أي ان الخير والشر هي الحكم على الفعل ونوعه لذاته أو ما ينجر عنهما، فالخير يرتبط بالسعادة وتحقيق مصلحة وغاية جزئية أو كلية؛ والشر يرتبط بالألم والحزن أو عرض يوقفنا للوصول لغايتنا المرجوة.

وعلى إثر ذلك (حكم الفعل خير أو شر) سنحاول استخراج القواعد التي اعتمدها كل من الغزالي و أوغسطين في معرفة نوع السلوك وتطبيق ذلك على بعض الظواهر الأخلاقية، كما أن هذا الفصل سيجيب على الإشكالية التي تنص على العلاقة ما بين الأخلاق والخلاص والنجاة وعلاقة الفضيلة بالسعادة وسيكون ذلك وفق المخطط التالي:

**هيكلة الفصل:**

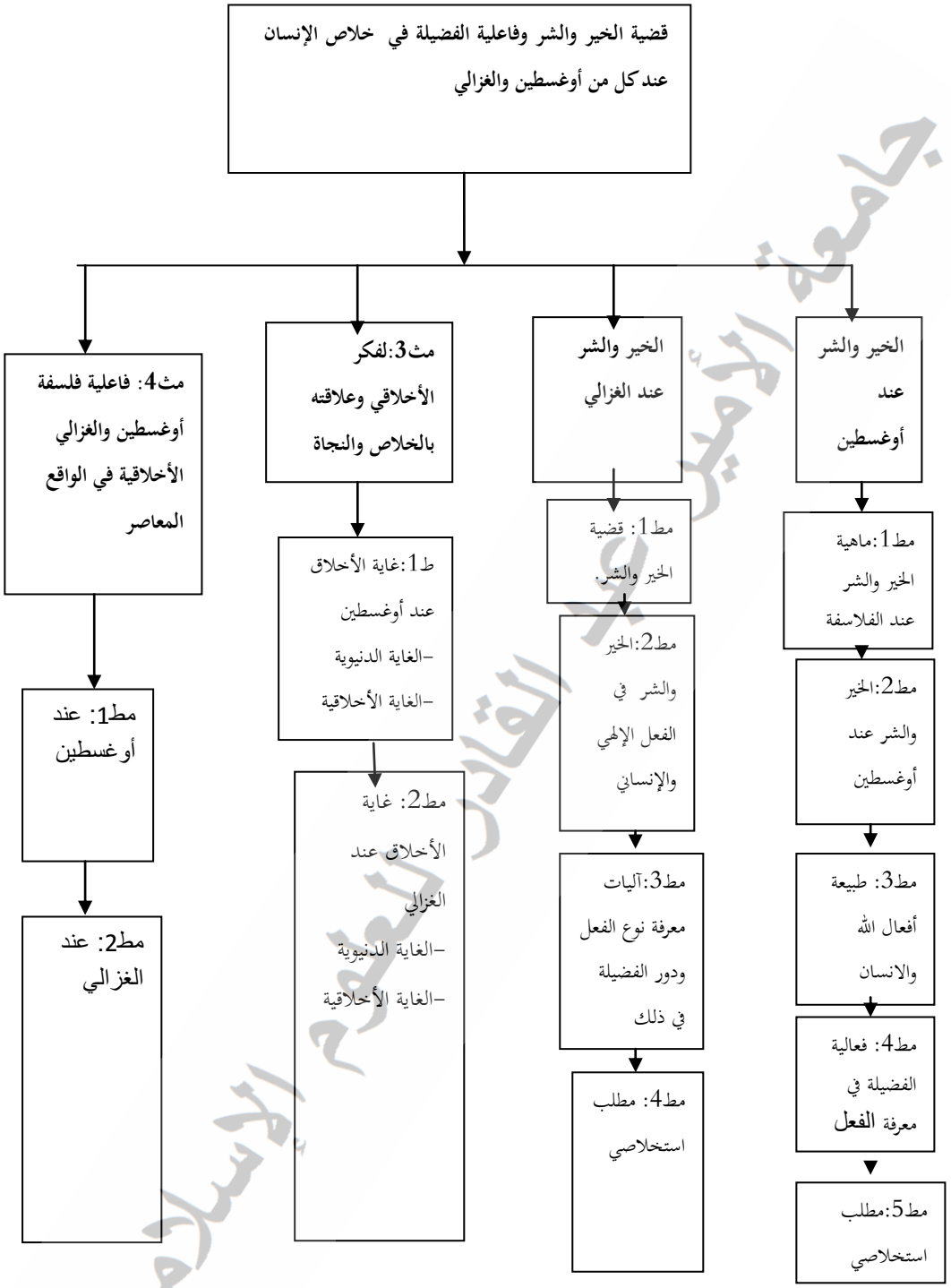
قضية الخير والشر وفاعلية الفضيلة في خلاص الإنسان عند كل من أوغسطين والغزالي
الخير والشر عند أوغسطين
مط1:ماهية الخير والشر عند الفلاسفة
مط2:الخير والشر عند أوغسطين
مط3: طبيعة أفعال الله والانسان
مط4: فعالية الفضيلة في معرفة الفعل
مط5:مطلب استخلاصي
الخير والشر عند الغزالي
مط1: قضية الخير والشر.
مط2:الخير والشر في الفعل الإلهي والإنساني
مط3:آليات معرفة نوع الفعل ودور الفضيلة في ذلك
مط4: مطلب استخلاصي
مث3:لفكر الأخلاقي وعلاقته بالخلاص والنجاة
ط1:غاية الأخلاق عند أوغسطين
–الغاية الدنيوية
–الغاية الأخلاقية
مط2: غاية الأخلاق عند الغزالي
–الغاية الدنيوية
–الغاية الأخلاقية
مث4: فاعلية فلسفة أوغسطين والغزالي الأخلاقية في الواقع المعاصر
مط1: عند أوغسطين
مط2: عند الغزالي

## المبحث الأول: الخير والشر عند أوغسطين.

إن مسألة الخير والشر من المسائل المركزية التي شغلت الفكر الفلسفي والفكر الديني منذ القدم، فثنائية الخير والشر عبارة عن مفاهيم وتقييمات معنوية للفعل والسلوك حيث بدأت كغيرها من المتضادات مع المراحل الأولى من وعي الإنسان عن طريق التجربة(الصواب والخطأ)، ونحن ما يعنينا هنا نظرة أوغسطين لهذه القضية لما لها علاقة مباشرة بالفكر الأخلاقي، لذا سنتعرف على ماهية الخير والشر عنده كما سنقوم باستخراج آلية أو منهجية أوغسطينية تمكننا من معرفة الفعل ونوعه (شر أو خير) ونحاول تطبيق ذلك.

### المطلب الأول: ماهية الخير والشر عند الفلاسفة.

كان لزاما علينا التطرق لمفهوم الخير والشر، وتبيين الاتجاهات الخلقية عند الفلاسفة استنادا لقيمة الفعل، من حيث الفائدة( الغائية أو الذاتية ).

#### الفرع الأول– تعريف الخير والشر:

تحمل كلمة خير في أصلها الاشتقاقي معنى الاختبار والانتقاء بمعنى أن يتخير الإنسان من الأفعال ما يعود عليه بالنفع ويتجنب ما يعود عليه بالضرر، فيقال: اخترت الشيء وتخيرته واستخرته واستخرت الله أي طلبت منه خير الأمرين.[1]

ويعتبر الخير أحد القيم الثلاث في مبحث الأكسيولوجيا(علم القيم)، وهو في رأي المثاليين*[2] صفة كامنة في طبيعة الأفعال، ومن ثم تكون في طبيعة الأفعال وهي ثابتة لا تتغير، بينما يعدها الطبيعيون*[1]

[1] محمد السيد الجليند: قضية الخير والشر لدى مفكري الإسلام، دط، (دار قباء، مصر، 2006م )، ص37.

[2] *المثالية: يعود لأفلاطون؛ و يرى هذا المذهب أن الأفكار از المثل موجودة وجودا هو أسمى من الوجود المحسوس، فمثالية أفلاطون مطلقة تتجه إلى ما هو بذاته لأنها ترى في الفكرة او المثال موجودا متميزا متعاليا هو عنصر المعرفة المطلقة التي هي الموجود المطلق ذاته ذلك الموجود الذي لا يتغير.( عثمان أمين: رواد المثالية في الفلسفة الغربية، دط، (دار المعارف، مصر، 1967م)، ص 8-9).

صفة يضفيها العقل على الأفعال وفاقا للظروف المتغيرة، أي أنها تختلف باختلاف الظروف والأحوال، والخير ضد الشر،[2] و الشر هو كل ما كان موضوعا للاستهجان أو الذم فترفضه الإرادة الحرة وهو ثلاثة أنواع طبيعي كالمرض وأخلاقي كالكذب، وميتافيزيقي وهو نقصان كل شيء عن كماله.[3]

إذن فقد اختلفت الآراء حول مسألة الخير والشر فهناك من يراهما صفات ذاتية كامنة للفعل، وهناك من يراهما صفات يختص بها العقل في حكمه على طبيعة الفعل حسب الظروف المتغيرة.

**الفرع الثاني– الاتجاهات الخلقية عند فلاسفة اليونان:**

انقسمت المذاهب الخلقية في الفكر اليوناني إلى اتجاهين مميزين:

**أولا–الاتجاه الأول:** ويسمى باتجاه الدوافع والبواعث، حيث يستمد الفعل قيمته الخلقية من الباعث الداخلي الذي يدفع الإنسان إلى القيام بالفعل الخلقي، فقيمة الفعل كامنة فيه وليست خارجية عنه ولا يهم نتائج الفعل، وأصحابه هو سقراط وأفلاطون، الرواقيون أرسطو ويختلف هؤلاء جميعا حول تحديد طبيعة هذا الباعث الخلقي.[4]

أي أن قيمة الفعل الخلقي نابعة من الفعل ذاته وليست قائمة خارجه أو متمثلة في نتائجه وغاياته.

**ثانيا– الاتجاه الثاني:** يسمى الاتجاه الغائي، وهو الذي يستمد القيمة الخلقية للفعل من نتيجته الحاصلة عنه، والتي هي سابقة في ذهن الشخص على وجود الفعل، لكنها متأخرة عن الفعل في الوقوع، ويندرج تحت هذا الاتجاه أصحاب مذهب اللذة .[5]

---

[1] *الطبيعيون: يطلق هذا المصطلح على الفلاسفة ما قبل سقراط وهم الذين اهتموا بدراسة الطبيعة ونشأة الكون، واعتمدوا في تفسيرها على العناصر الطبيعية نفسها كبحثهم عن أصل الكون؛ ومن بينهم "طاليس"؛ الذي يرى أن أصل الكون هو الماء،" و أنكسمندرس" الذي اهتم بقضايا الحياة والانسان وكان أول من رسم خريطة للأرض؛ و" أناكسيمنس" الذي يرجع أصل الكون للهواء.( مجموعة من المؤلفين: موجز تاريخ الفلسفة، ترجمة: توفيق سلوم، ط1،( دار الفرابي، لبنان، 1989م)، ص44-46).

[2] إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي،(مرجع سابق)، ج 2، ص 81_82.

[3] المرجع نفسه، ص101.

[4] محمد السيد الجليند: قضية الخير والشر لدى مفكري الإسلام، (مرجع سابق)، ص20.

[5] محمد السيد الجليند: قضية الخير والشر لدى مفكري الإسلام، (مرجع سابق)، ص23.

أي أن الاتجاه الثاني يجعل قيمة الفعل في المنفعة الحاصلة عنه والتي تمثل الغاية منه فإن كانت نتيجة الفعل نافعة أو ملذة أو سارة كان الفعل خيرا.

## المطلب الثاني: قضية الخير والشر عند أوغسطين.

كما أشرنا سابقا لقد شغلت قضية الخير والشر حيزا كبيرا في فكر أوغسطين، خاصة معضلة الشر التي سعى في إيجاد تفسير وحل لها لأن يتدبرها لدى المانويين، ولدى أفلوطين وغيره من الفلاسفة، بحيث يجعلها تنسجم مع معتقده العام، ونظرته التفاؤلية للعالم.

### الفرع الأول– التصور الأوغسطيني للخير.

لو بحثنا عن أصل الخير أو بعبارة أخرى عن جوهر الخير وماهيته لرأيناه في الاعتدال والشكل والنظام؛ فأوغسطين يؤكد أن الله قد منح لكل مخلوق الاعتدال والشكل والنظام، ومن ثمة فإن كل طبيعة هي بحكم التعريف حسنة.[1]

أي أن الخير هو الأصل وهو موجود في كل طبيعة أي أن الخير وجدت في كمالات ثلاثة الاعتدال والنظام و الصورة.

كما أن الأشياء إذا أخذت بحد ذاتها هي حسنة، إنها خيرات وهذه الخيرات التي أعطاها الخالق كلها خير، إن اليد بحد ذاتها نافعة وحسنة، إلا أن من يرتكب بها شيئا كعمل إجرامي أو مخجل فإنه يكون قد استعملها استعمالا غير حسن، استعمالا سيئا، كذلك القدم والعين والإرادة.[2]

ويرى أوغسطين أن سعي الإنسان للخير له غاية لابد من بلوغها، وتجنبه للشر أيضا له غاية حيث يقول:" إن الغاية من خيرنا هو ما يجب أن يسعى إليه الإنسان بكليته وبحد ذاته، والغاية من الشر ما يجب أن يتجنبه بكليته وبحد ذاته، وعلى هذا النحو أننا نعني بالخير ما يحققه ولوصوله إلى كماله لا ما يقضي عليه نهائيا، كما أن غاية الشر لا ما يقضي عليه نهائيا بل ما يوصله من الأذى إلى الذروة؛

[1] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص161.

[2] المرجع نفسه، ص175.

هاتان الغايتان هما الخير الأسمى والشر الأقصى اللذين استهلكا في هذا العالم الزائل دارسي الحكمة الذين لم تسمح لهم على ما في ضلالهم من تنوع غريزتهم الطبيعية، بالتخلي إلى حد كبير عن طريق الحقيقة، فوضعوا في النفس غاية الخيور والشرور وأولئك وضعوها في الجسد، وآخرون في الاثنين معا.[1]

ويفرق أوغسطين ما بين الخير الأسمى أو المطلق والذي يعني به الله، والخير النسبي الذي يتعلق بالطبيعة الإنسانية وربط بينها وبين الوجود وهذا ما يؤكده بقوله:" بما أن الله ديمومة واستمرار فهو الكائن الكامل، هو الخير المطلق والثابت والطبيعة الإنسانية التي خلقت من عدم ليست خيرة إلا بمقدار اشتراكها بالوجود، هكذا يصبح الخير نسبيا بالمقارنة مع الكائن الموجود"، وينتج عن ذلك أن عكس الخير أي الشر لا يمكن أن يعتبر كائنا موجودا، الشر ليس موجودا إذا وما نسميه تحت هذا الاسم ما هو إلا غياب خير ما في الطبيعة الذي كان يجب أن تتحلى به وهذا ما نعبر عنه عندما نقول إن الشر هو حرمان".[2]

إذن فالخير يتعلق بالوجود والكينونة أي أنه كلما اقتربت الطبيعة الإنسانية واشتركت بالوجود أي الحقيقة التي يراها أوغسطين والتي تتجلى في الله كان هناك خير والعكس كلما ابتعدت عن الوجود تولد الشر، أي أن هناك علاقة عكسية بين الوجود والخير والشر، لذا من الضرورة التوقف على الخير المطلق وبالضبط على أفعاله(الله) ومعرفة طبيعتها أهي خيرية أو شر؟ وكذلك بالنسبة لطبيعة أفعال الإنسان.

**الفرع الثاني– التصور الأوغسطيني للشر.**

إذا كان الله كائنا كاملا وكل أفعاله خيرة، وهو المسؤول عن كل ما خلق كما رأينا، فكيف ينشأ الشر الذي يعبر عن النقصان ؟

**أولا– ماهية الشر عند أوغسطين:**

[1] القديس أوغسطين: مدينة الله ، (مصدر سابق)، ج3، ص102.

[2] شارل الحلو: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب،ط1، (دار الكتب العلمية، لبنان، 1992م)، ج1، ص158.

إن كل طبيعة هي خيرة بحكم تعريفها، والطبيعة السيئة هي التي تكون فيها الكمالات الثلاثة(اعتدال، صورة، نظام) فاسدة، وتكون سيئة فاسدة بمقدار درجة فساد هذه الكمالات التي منحها الله لكل جوهر ماديا كان أم روحانيا، وإذا لم تكن الكمالات فاسدة فإن الطبيعة(أي الكائن) تكون عندئذ اعتدالا وصورة ونظاما، أي أن الكائن يكون جيدا خيرا حسنا، الشر إذن هو نقص الخير،[1] و حيدان حر عن النظام يقوم به الإنسان بموجب الإرادة لا بموجب الضرورة،[2] ويكون بفساد إحدى خصائص الموجود، ويتفاوت بمقدار هذا الفساد، إنه خلل فيها أو في ترتيبها، أو في بعضها، إنه نقص في خير كان يجب أن يحوزه الكائن، فالشر إذن عدم محض أو غياب أو عدم وجود، وليس هو كائنا، موجودا قائما أو وجودا كما يعتبره المانويون، فالشر لا يفهم بمعزل عن الخير، ولا خارجا عنه، لكي يكون الشر يجب ألا يكون الخير موجودا، وليس للشر صفات فما هو إلا عدم وغير موجود لا يمكن أن يكون له صفات.[3]

وبالتالي فما الشر سوى فساد واحد من هذه الكمالات الثلاثة الممنوحة في النظام والصورة والاعتدال، أي أنه ليس سوى الحرمان من وجود بعضها أو كلها، وهو نقص للخير وهو ليس جوهرا موجودا ، فالشر هو عدم خالص بحت إنه عدم وجود.

**ثانيا– مصدر الشر:**

البحث في أصل الشر بمثابة القاعدة الأخلاقية في بحث أوغسطين، حيث أعطى عدة تفسيرات لمصدر الشر منها ما تعود للمعتقد المانوي ومنها إلى الأفلاطونية.

**أ–** في البدء تبنى أوغسطين الحل المانوي للشر؛ حيث تعتبر المانوية أن الشر هو وجود يتحدد في مقابل الخير،[4] أي أن هناك مبدأين أساسين و متعارضين كما لمحنا ذلك سابقا؛ فالخير مبدأ واضح في النور ومبدأ الشر يتجلى في الظلام كل منهما مادي كما هو العالم نفسه وصراعها يعطي العالم هيكلها

[1] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق) ، ص173.

[2] معز مديوني: مقدمة لقراءة فكر أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص102.

[3] المرجع نفسه، ص173.

[4] معز مديوني: مقدمة لقراءة فكر أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص97_98.

والبشر هم أنفسهم نتاج النور ولكن الظلام أفسدها بشكل تدريجي ونتيجة لذلك ينتمون بشكل صحيح إلى النور، لذا يجب على الإنسان أن يسعى جاهدا للعودة إليه من خلال التطهير الأخلاقي؛ فالبشر هم ساحة المعركة النموذجية لصراع النور والظلام، وهي حقيقة تنعكس في حضور كل من الخير والشر داخل النفس البشرية فالصراع الكوني يبين تصادم النور والظلام في صورة مصغرة داخل كل إنسان لأن النفس البشرية هي مادية كباقي مكونات الكون، وبالتالي يمكن أن يتأثر بالمبادئ الأساسية "النور" كونها جسيمات دقيقة والظلام جسيمات خشنة، لكن في النهاية أصبح أوغسطين محبطا من النزعة المانوية بسبب تقديم ادعاءات كاذبة في علم الفلك وقصورها على حل مشكلة الشر.[1]

**ب–** ثم أخذ بالفكر الأفلاطوني الذي يعتبر أنه لا أحد شرير عن طواعية، فالشر هو نتيجة طبيعية للعلاقة التي تربط النفس بالعالم الحسي و بالجسد، إنه انزياح في غير مقام النفس الأصلي، وبالتالي فهو مشكل معرفي يعود إلى الجهل أو النسيان وهكذا يصبح الشر حالة غير جوهرية أو لا أصلية من وجود النفس.[2] يعني أن تأصيل الشر يرجع للمادة؛ و النفس البشرية ستكون أسعد عندما تتحرر من الجسد، ولكن هذه النظرة هي نظرة تشويهية للجسد وهذا ما يخالف المسيحية خاصة عقيدة التجسد، ويصر أوغسطين على أنه بعيدا عن مساواة الإنسان بالروح فالبشر يتجسدون بطبيعتهم و أن الله خلقنا بهذه الطريقة لذلك لا يجب اعتبار أجسامنا سجون أو عقوبات فتجسيد المسيح كمعلم والخلاص بدونه لا يمكن أن ينجح أبدا في تحقيق السعادة.[3]

لكن أوغسطين تخلى عن الرأيين السابقين مقدما نظريته الخاصة به، فليس الشر جوهرا أبديا أزليا كما يزعم المانويون، فالله لا يخلقه بل يقف ضده، إنه نقص حرمان، وهو بالتالي ليس ضروريا، ورغم بشاعته وما يحدثه من ألام وآثام فإنه يساهم في إظهار نظام العالم، والشر قائم بسبب ضلال الإرادة

---

[1]Augustine: On the free choice of the will, on grace and free choice, and other writings, translated by Peter King, (the United states of America by Coambridge University Press, N.Y. 2010 ) P13.

[2] معز مديوني: مقدمة لقراءة فكر أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص96

[3]Bonne Kent: Augustine's ethics, Combridge University, Press 2006, p210.

البشرية وعندما يتساءل أوغسطين عن سبب زيغ هذه الإرادة يرد قائلا بسبب الخطيئة الأصلية(خطيئة آدم)،*[1] وإن هذه الخطيئة نجمت عن سوء استعمال الحرية، أما لماذا كانت هذه الحرية عرضة للخطأ، أو لماذا لم تخلق ذات طبيعة متوجهة ذات صوب الخير فهو سر من الأسرار.[2]

يقول أوغسطين:" وسعيت جهدي كي أتفهم تفهما صحيحا الرأي القائل أن حرية الاختيار في إرادتنا هي علة شرورنا وأن الإنصاف المرعي في إحكامك هو سبب آلامنا، ولكنني لم أتوصل إلى إدراكه بوضوح وإذا حاولت النهوض ببصيرتي من اللجة غصت أكثر فأكثر بالرغم من جهودي المتزايدة... ولما تيقنت بأن حياتي وإرادتي سواسية ارتفعت قليلا إلى نورك وعليه فحين كنت أريد شيئا أو لا أريده كنت أثق من أني أنا أريد وأنا لا أريد، لا شخصا آخر، ومنذئذ أدركت أن أصل الشر كامن فيّ، أما الأعمال التي أتيتها مرغما فقد شعرت بنفسي أني منفعل بها لا فاعل واستنتجت أن لا وجود فيها للخطيئة بل هي عقاب عادل تنزله في، وهذا ما كنت أعترف به حالا لنفسي.. ثم استدرك قائلا:" من خلقني ؟ أليس إلهي الصالح، الصلاح عينه هو الذي خلقني؟ ومن أين أتتني إرادتي الشريرة وامتناعي عن الخير؟".[3]

ويرجع أوغسطين إرادة الإنسان المضطربة للشيطان؛ فالشياطين والملائكة المتمردون خلقوا ذو طبيعة خيرة ولكنهم أصبحوا أشرارا بإرادتهم السيئة وهذا التحول طوعيا وليس ضروريا، وبداية الخطيئة كما يرى أوغسطين هي الكبرياء.[4] كما أن الشيطان ليس المسؤول عن شر الإنسان وتمرده فهو فقط أخذ دور تفجير المكبوت داخل الإنسان، فأخرج ما يريده ويخاف من عواقبه فالشيطان فتح الإمكانات أمام الإنسان ووجه نظره أمام رغبات كانت مخبوءة بين الخوف من الله وحبه؛ حب الله يمنعني من القيام بما

---

[1]* الخطيئة الأصلية تعبر على الإنسان الأول الذي سقط في عثرة العصيان وبسقوطه هذا أصبح واقعا تحت حكم الموت الذي أنذره به الله تعالى عندما وضعه في جنة عدن، مقضي به عليه كما أنه قد خسر كماله الأدبي الذي خلقه الله عليه، وأصبح خاضعا لناموس الفساد وسلطان الخطية.( إبراهيم لوقا: المسيحية في الإسلام، ط1، ( المطبعة المسيحية، 1983م ، 159).

[2] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق) ،ص178.

[3] القديس أوغسطين: اعترافات،(مصدر سابق)، ص124.

[4] John Paschal Bane: The moral theory and applied ethics of Saint Augustine, sub mitted for the degree of MA to the University of Durham Department of theology, 1998.) p 58.

أحبه لنفسي والشيطان وضع حب الله جانبا وقال اختر الآن ما تريد بكل حرية ودون قيد ، الحب قيد نعم هو كذلك مادام أنه فوق إرادتي،[1] وهذا لا يعني أن إرادة الإنسان سبب في فعل الشر دائما فأوغسطين كثيرا ما يستشهد بشهادات الكتاب المقدس التي تتحدث عن حرية إرادة الإنسان والتي تمكنه من العيش بشكل صحيح ومستقيم.[2]

ثم توصل أوغسطين لأصل الشر أنه في اضطراب الروح فضعف الروح بالنسبة إليه العلة المباشرة، إن لم تكن العلة الكافية بضرورة الحال للخطيئة لكنه رأى هذا الاضطراب للروح متأصلا في حقيقة أن الروح تنشأ من لا شيء ومن ثم فهي طارئة و عرضة لأن تحيد عن مسارها.[3]

نرى أن قضية الشر لا تطرح فحسب إشكاليات تتعلق بالمجال الأخلاقي وإنما يظل كذلك مشكلا عالقا بقضايا الفلسفة الدينية واللاهوت والفكر الإنساني بشكل عام، لقد توصل أوغسطين لمبدأ أتاح له تفسير وجود الشر في عالم خلقه إله خير حيث تكون الطبيعة شريرة عندما تتشوه بالخطيئة ولكن جوهرها خير، إنها ذلك الخير الذي فيه يوجد الشر.

**ثالثا_ أنواع الشر:**

الشر نوعان خلقي وطبيعي:

**أ–الشر الخلقي:** أو الخطيئة وهو عدم النظام في الإرادة، ولم يكن آدم وحواء ليخطئا لو لم يبدآ بالاغتباط بنفسهما حين وسوس لهما الشيطان بأنهما إن أكلا من الشجرة المحرمة صارا كإلهين، فالإرادة علة الخطيئة، و الخطيئة عدم محبة الله في إرادتنا، بعكس الخير فإنه وجود، يتطلب علة ثبوتية يوجهنا الله إليه، وتستطيع الإرادة أن تقبل هذا التوجيه، وحينئذ يفعل الخير بالشركة مع الله مصدر كل فعل، و إن سأل سائل: كيف أعطانا الله حرية تخطئ؟ أو ليس هو المسؤول عن الشرور؟ كانت الإجابة أن الإرادة

[1] نسيبة مزواد: مفهوم تفاهة الشر عند القديس أوغسطين، (مجلة المعيار، عدد 48، مجلد23، قسنطينة، الجزائر، 2019م)، ص105

[2] Augustin Aureluis, A treatise on Grace and free will, translated by Peter Holmes and Robert Ernest.W,(Buffalo,NY: Christian Literature Publishing Co, 1887), p8.

[3] هنري تشادويك: أغسطينوس، (مرجع سابق)، ص45.

خير من حيث هي قدرة على الاختيار، وهي رديئة شريرة حين تكون على غير ما ينبغي أن تكون، فهنا أيضا لا يوجد الشر خارج الخير، إنه لكمال أن نقدر على العمل باختيارنا، وأن نراعي بإرادتنا الحرة النظام الموضوع من الله فنساهم على نحو ما في فعل الخالق، فكيف كان يمكن أن يحرمنا الله إياها؟

**ب–الشر الطبيعي**: فهو في الماديات فساد كيانها أو زواله، وهو ليس شرا بمعنى الكلمة، لأن في فساد البعض كون البعض، وفي فساد العناصر كون المركبات منها، وفي فساد مركب كون العناصر المؤلف منها، أو كون مركب آخر، فالفساد هنا داخل في العام الناتج من تنوع الكائنات وترتيبها بعضها بالإضافة إلى بعض، والشر الطبيعي الذي يحسه الإنسان في ذاته أثر الخطيئة وعقاب عليها، لأن الخطيئة تمرد على النظام، وأثرها اضطراب في كيان الإنسان.[1]

ولكن في الحالين أي الخير الطبيعي والخير الخلقي لا ينسبان إلى الله، ولكن الله يسمح به، ثم يستخرج منه الخير، ومادام الشر عدما فليس البحث عن علته بحثا عن مصدر وجود، بل عن مبدأ نقص، ولا يكون مبدأ النقص إلا في المخلوق.

## المطلب الثالث: طبيعة أفعال الله وأفعال الإنسان بين الخير والشر.

### الفرع الأول–أفعال الله:

يؤمن أوغسطين بأنه لا يصدر عن الله إلا ما هو من طبيعته، أي ما هو حسن وخير، فالله كامل وخير محض ولم يخلق الشر، إلا أن الشر والسيئ لابد منه ولا يمكن تجنبه، ذلك أن الله وإن هو يخلق من عدم فإن ما يأتي من عدم يكون قابلا للفساد، يعني أن الخلق من عدم يتضمن، حكما وبالضرورة الشر.[2]فالله لا يخلق إلا الصلاح يقول أوغسطين:"تقواي العمياء ترغمني على الاعتقاد بأن الله الصالح لا يخلق طبيعة شريرة".[3]

[1] يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، (مرجع سابق) ،ص46.

[2] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص174.

[3] القديس أوغسطين: اعترافات، (مصدر سابق)، ص92.

فالخير الأسمى هو الله؛ يقول أوغسطين:" إنه لا يمكن لنفس أن تتصور ما هو أفضل منك أيها الخير الأفضل والأسمى وكما أن مالا يفسد يفضل حقا ولا شك، على ما يفسد وهذا الرأي بدأت آخذ به كذلك، كان بوسعي أن أدرك ما هو أفضل منك لو لم تكن غير قابل للفساد، وحيثما أجد أنه يجب تفضيل مالا يفسد على ما يفسد، يلزمني أن أبحث عن مصدر الشر فأتحراه، وبكلمة أخرى عن مصدر الفساد الذي لا يقوى البتة على تشويه جوهرك إذ لا يعرف الفساد سبيلا إلى إلهنا، أيّا كان مصدره، أمن الإرادة أم من الضرورة أم من الصدف غير المنتظرة لكونه إلها يريد الخير وهو ذاته ذاك الخير والمصاب بالفساد لا يستطيع أن يكون خيرا، لا ترغم يا إلهي على القيام بعمل لأن إرادتك ليست أعظم من قدرتك، وقد تكون أعظم لو أنك أنت أعظم من ذاتك، والإرادة والقدرة في الله هما الله بالذات، وأي شيء يخفى عليك يا من تعرف كل شيء؟ وما من جوهر إلا وأنت عالم به؟ ولم كثرة الكلام عن سبب عدم فساد جوهر الله بحيث لو أنه قبلت الفساد لما كان الله؟[1]

ويؤكد أوغسطين أيضا أن الخلق راجع أيضا لخيرية الله ثم إلى إرادته ثم إلى عقله، فالعالم لم يوجد تبعا لضرورة قاهرة وإنما وجد لأن الله خير، والخير لا يفعل إلا الخير والوجود خير من العدم ولهذا أوجد العالم من حيث وجوده فيض من خيره، إن العالم بهذا المعنى ليس راجعا إلى الضرورة في خلقه، وإنما راجع إلى المقام الأول في خيرية الله لأنه لا يفعل إلا الخير وفي هذا الصدد نجد أوغسطين يقول:" على أن الدافع الرئيسي لخلق كل الخيرات هو صلاح الله وهو دافع في غاية الدقة".[2]

فالخير إذن بالمعنى الدقيق ليس شيئا سوى الله ذاته وحب الخير هو حب الله، فالله هو الخير المطلق والكامل ، ومن حيث المبدأ فهو معيار كل الخيرات الأخرى ، إنه الموضوع النهائي لكل صورة من صور الحب طالما أنه هو الحب نفسه، وبشكل عام فإن الخير هو مبدأ النظام أما حب الخير فهو حب

[1] المصدر نفسه، ص125

[2] عبد الرحمان بدوي: فلسفة العصور الوسطى وكالة المطبوعات، ط3،( دار القلم، لبنان، 1979م) ،ص 28-30.

ما هو جدير بالحب أي حب ما يقودنا إلى حب الله،[1] وهنا تبينت لنا العلاقة بين فضيلة الحب والخير والله.

فقد سلم أوغسطين بخيرية الله المطلقة وبخيرية أفعاله وجوهره الثابت، كما أكد أن الشر يخص ما هو قابل للفساد، أي أن الله كلي الخير والصلاح وهذا يعني أن الخير والصلاح ذاته من الأزل، وأن خلق العالم لم يكن لضرورة بل يعود فقط لخيرية الله.

**الفرع الثاني–طبيعة أفعال الإنسان:**

وما نقصده هنا بالضبط فطرة الإنسان التي يولد عليها أهي خيرة أم شريرة وهنا نقف عند عدة احتمالات أو أراء فلسفية؛ حيث انقسمت أراء الفلاسفة إلى اتجاهات عديدة حول حقيقة الطبيعة الإنسانية من حيث الخير والشر:

**1–**هناك من ذهب إلى أن الناس جميعا أخيارا بالطبع، ويصيرون أشرارا بمجالسة أهل الشر أي أن الطبيعة الإنسانية ذو طبيعة خيرة وان الشر طارئ عليه، ونجد من بينهم رأي سقراط والرواقيون، فالطفل بطبيعته ذو جوهر خير ونقي وطاهر والمجتمع هو المسؤول عن غرس الشر فيه.

2– وهناك من ذهب إلى حيادية الطبيعة الإنسانية ومن أبرزهم أرسطو، أي أن الطفل منذ ولادته إلى سن معينة ليس له حياة أدبية فلا تنسب فطرته إلى الخير ولا إلى الشر، فأرسطو يرى أن قضية التوجه إلى الخير بسبب طبيعة في الإنسان، فالطبيعي فيه وجود الاستعدادات والقوى التي تساعده على اكتساب الفضيلة.[2]

[1] كحول سعودي: الحدس الصوفي ونظرية الأخلاق عند القديس أوغسطين، (مجلة مفاهيم للدراسات الفلسفية والإنسانية المعمقة، عدد8، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر،2020م)، ص121.

[2] حراثي ليلى ومانع بسمة: فلسفة التربية عند الإمام الغزالي، (مذكرة تخرج ماستر، جامعة8 ماي1945، قالمة، الجزائر، 2017م) ص70

**3-** وهناك من رأى أن الإنسان بفطرته يميز بين الحق والباطل ويميز بين الخير والشر والرذيلة والفضيلة لأن فطرته تميل إلى فعل الخير ويطمئن إليه وإذا خطر له فعل الشر شعر بالتردد وعدم الاطمئنان ويمكن ربط ذلك بما قدمناه في الفصل التمهيدي حين حديثنا عن الشعور وعلاقته بالأخلاق.[1]

أما أوغسطين وهو الذي يعنينا في دراستنا فقد أخذ برأي اللاهوت المسيحي القائل بالخطيئة والتي تعني التعدي على شريعة الله وأحكامه أو عدم الامتثال لشريعة الله،[2]فالطفل يولد وارثا للخطيئة التي اقترفها أبو البشرية آدم عليه السلام، وقد ذكرت القصة بالتفصيل في سفر التكوين مفادها عصيان آدم وزوجته أوامر الله،[3] ويرى أوغسطين أنه لو خضع كل منهما للواجب الطاعة لانتقلا إلى السعادة التي لا نهاية لها، الأبدية، دون تدخل الموت بينما في العصيان فسيحكم عليهم بعقاب الموت،[4] فاستسلام آدم لإغواء الشيطان كان سبب انتقال آدم من مملكة النور إلى عالم الظلام عالم الشيطان، وهكذا فقد آدم الخير والحقيقة والجمال الذي خلق ونزل فيه، فالعصيان والجهل والعجز هذه الطبيعة السيئة هي كل ما تركه آدم لتوريثه أبناءه،[5]يقول أوغسطين:" سقوط الإنسان الأول أو بالأحرى سقوط الناس الأولين عنيت به أصل الموت وانتقاله إلى البشرية، وهذا ما يفرضه على نظام العمل الذي أتبعه، علما بأن الله لم يخلق الإنسان في البدء مساويا للملاك الذي لم تقدر الخطيئة أن توجهه إلى الموت، لو أطاع وبقي أمينا لانتقل كالملاك إلى حالة لا يعرف فيها الموت شبيهة بحال الملاك، ومن ثم إلى الخلود والسعادة الأبدية لكنه عصى فأنزل فيه قرار الموت.[6]

فالخطيئة الأولى هي التي حرمت آدم من نعمة الخلود تلك النعمة التي كان الله قد منّ بها عليه عند خلقه؛ يقول أوغسطين:" بعد أن نفى آدم من هذا المكان أي الجنة بعد خطيئته فرض الله عليه وعلى

---

[1] ميسون محمد عبد القادر: التفكير الأخلاقي وعلاقته بالمسؤولية الاجتماعية وبعض المتغيرات لدى طلبة الجامعة الإسلامية بغزة، (مرجع سابق)، ص51.

[2] أحمد علي عجيبة: الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه، ط1، (دار الآفاق العربية، مصر،2006م) ،ص171.

[3] التكوين 3/1-24.

[4] John Paschal Bane: The moral theory and applied ethics of Saint Augustine, (Op.Cit), p60

[5] John P.B, Ibid,p63.

[6] القديس أوغسطين: مدينة الله، ترجمة: يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، 2006م)، مج2، ص109.

ذريته التي لوث بذورها بالرذيلة، عقوبة الموت وهكذا فإن كل إنسان ينحدر منه ومن زوجته الملعونة بدورها لأنها كانت أداة خطيئته، ستلحق به الخطيئة الأصلية".[1]

فالخطيئة في حقيقتها هي عصيان لإرادة الله وبالتالي فهي قد وصمت كل أبناء مقترفها أي ذرية آدم، وقد اعتبر أوغسطين الإنسانية كلها مخطئة وبالتالي فهي كتلة ملعونة أو جماعة ملوثة، وبسبب الخطيئة الأولى أصبح كل الجنس البشري يعاني في الحياة الدنيا من الجهل، والعبودية للشهوة وضعف الإرادة، وضرورة المعاناة في الحياة وذوق الموت،[2]ويقول أوغسطين أن تمجيد آدم من نفسه على الله أدى إلى بعض الخطيئة المفتوحة والواضحة فالكبرياء يؤدي حتما إلى العصيان.[3]

ومما سبق نستنتج أن فطرة الإنسان مرت بمرحلتين؛ الأولى مفادها أنه ولد على فطرة خيرة مشابهة للملاك وهي تخص آدم، أما المرحلة الثانية مفادها أنه ولد حامل للخطيئة الأصلية الموروثة وهي عصيان آدم وزوجته لأوامر الله وبسبب هذا العصيان عوقبت البشرية جمعاء بالموت والشقاء والألم عكس فطرته الأولى، وهذا الرأي مشابه إلى ما ذهب إليه أفلاطون ومن وافقه إلى أن الناس مطبوعون على الشر.

## المطلب الرابع: فعالية الفضيلة في معرفة طبيعة الفعل(بين الخير والشر).

يرى أوغسطين أنه لابد من تفعيل الفضيلة لمعرفة خيرية الفعل أو شره، فبالرغم من أن البشر يميزون بين الخير والشر، ولكنهم لا يفعلون الخير دائما فأغلبهم يرغب في ذلك ولكنه لا ينجح، وعدد قليل فحسب هو الذي يفعل الخير، وفسر ذلك بأن الأهواء هي التي تعوق تحقيق الإنسان لإرادته وهي التي تكبل حريته.[4]

يقول:" وتلك الفضيلة المسماة فطنة ألا تستعمل وعيها لتميز الخير من الشر، كيلا تقع في ضلال في سعيها إلى الخير وهروبا من الشر؟ ومع ذلك فإنها تشهد بأن الشر فينا، أو بأننا في الشر وهي نفسها تعلمنا بأن القبول بالخطيئة شر، وأن مقاومة الميل إلى الخطيئة خير، مع أن هذا الشر الذي تبعدنا عنه

[1] زينب محمود الخضيري: لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين، دط، (دار قباء، مصر، 1998م)، ص83.

[2] زينب محمود الخضيري: لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين، (مرجع سابق)، ص84.

[3] John.P.B. The moral theory and applied ethics of Saint Augustine.(Op.Cit)p 60.

[4] زينب محود الخضيري، لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين، (مرجع سابق)، ص90.

الفطنة والذي يقاومه الاعتدال فلا الفطنة ترفعه عن حياتنا ولا الاعتدال والعدالة التي مارسناها تعطي كل ذي حق حقه، ( ففي كل إنسان يقوم نظام عادل وطبيعي به تخضع النفس لله والجسد للنفس، وانطلاقا منه تخضع النفس والجسد لله)، أليست العدالة قائمة بوضوح في ضيق العمل أكثر مما هي، آخر النهار ...كلما كانت النفس متخلية عن الله في تفكيرها ابتعدت عنه والجسد يبتعد عن إرادة النفس كلما غذى فيه شهوات مضادة للروح، وطالما نحتمل في أجسادنا ذاك المرض، وتلك القروح و الأوهان فلسنا نجرؤ على المجاهرة بخلاصنا، وإن كان خلاصنا غير مضمون فهل نقول بجرأة أن سعادتنا النهائية مضمونة؟ والفضيلة تلك التي تسمى بالقوة، وإن واكبتها الحكمة أليست شاهدا على شرور الإنسان، وتضطر إلى قبولها بالصبر على أن شهادتها نافذة ولا مرد لها".[1]

فدور الفضيلة إذن يأتي كمعيار وأساس لتمييز الفعل والسلوك أهو خير يجب فعله أو شر يجب اجتنابه، لذا فأوغسطين يرى أن الفطنة أو الحكمة كما تطرقنا لها سابقا هي وسيلة لتمييز الخير عن الشر.

**المطلب الخامس: مطلب استخلاصي.**

سيكون هذا المطلب بمثابة عمل استخلاصي تطبيقي؛ وذلك من خلال إعادة صياغ قضية الخير والشر كما تناولها أوغسطين ثم ربطها بطبيعة فعل الإنسان لتوضيح علاقة الخير والشر بالفضيلة والأخلاق ثم سنحاول تطبيق منهجية أو آلية أوغسطين التي تميز ما بين الخير والشر على بعض السلوكيات العامة المعروفة.

**الفرع الأول– مصدرية الخير والشر:**

لقد تبين لنا مما سبق أن الخير حسب أوغسطين هو جوهر موجود ذو خصائص ثلاث وهي الاعتدال والشكل والنظام، كما اعتبر أن طبيعة كل الأشياء المخلوقة هي خيرة حسنة ما لم تستعمل استعمالا منحرفا أي أن ذاتية الأشياء خيرة، فالخير عنده يطلب لذاته وهذا يعني أن أوغسطين أخذ

[1] القديس أوغسطين: مدينة الله، (مصدر سابق)، مج3، ص117.

بالمذهب الفلسفي الذي يربط الفعل الخلقي بالدوافع والبواعث، حيث يستمد الفعل قيمته من ذاته إذ أن الباعث على الفعل يكون من داخل الإنسان.

كما أن الخير يتعلق بالوجود والكينونة وبما أن الله هو دائم موجود وكامل فهو إذن الخير الأسمى والمطلق كما سماه أوغسطين وأفعاله خيرة كاملة، فلا يصدر عن الله إلا ما هو من طبيعته أي الصلاح والخير، وهو ليس مسؤول عن الشر ولم يخلقه، فإذا لم يكن الله قد خلق الشر فمن هو المسؤول عنه ومن مصدر؟

فهذا التساؤل كما فهمنا كان أكبر معضلة واجهتها الديانة المسيحية باعتبارها اتهام مباشر لخيرية الله لذا كان لزاما على أوغسطين البحث عن حل لهذا الأشكال ومعرفة مصدر الشر.

**أولا– المانوية:** تبنى أوغسطين في مراحل تفكيره الأولى الرأي المانوي الذي يقول أن الشر هو جوهر سرمدي مساوي لجوهر الخير ولكن سرعان ما تخلى عنه لما فيه من قصور وتعارضه مع الإيمان المسيحي.

ويمكننا تلخيص ما حلله أوغسطين في التلازمية التالي:

**مصدر الخير والشر حسب فكر المانوي.**

- الله خير كلي ⟸ – الشر غير موجود.
- الله مصدر كل موجود – الشر موجود من مصدر ثاني غير الله(الحل المانوي)

**المصدر:** من إعداد الطالبة اعتمادا على مقالة "مفهوم تفاهة الشر عند القديس أوغسطين" لمزواد نسيبة ص98.

**ثانيا– الأفلاطوني:** أما الحل الآخر الذي التجأ إليه أوغسطين هو الحل الأفلاطوني الذي يقول أن الشر ليس جوهرا وهو مرتبط بالمادة والعالم الحسي وهو نتيجة ارتباط النفس بالجسد ونسيان النفس وجهلها لمكانتها الأولى في عالم المثل لأن المادة هي مصدر الشر، ولكن المادة موجودة وهذا يستلزم وجود الشر كما أن الله مصدر كل موجود يعني الله خلق الشر.

## مصدر الخير والشر في الفكر الأفلاطوني

-المادة مصدر الشر

-والمادة موجودة ⟸ - الله مصدر الشر( نفس الحل المانوي).

-والله مصدر كل موجود.

**المصدر**: من إعداد الطالبة اعتمادا على على مقالة "مفهوم تفاهة الشر عند القديس أوغسطين" لمزواد نسيبة ص99.

**ثالثا– الأوغسطيني اعتمادا على الفكر المسيحي**: والحل الذي انتهى إليه أوغسطين في تفسر الشر؛ أنه نتيجة ظلال الإرادة وانحرافها وسوء استعمال الحرية في الاختيار، ويربطها بالخطيئة الأولى المتوارثة فهو عدم النظام في الإرادة، أما السبب المباشر فيعود لضعف الروح لأن الروح تنشأ من لا شيء ومن ثم فهي طارئة وعرضة لأن تحيد عن مسارها، لذا شدد أوغسطين على ربط العلاقة ما بين الروح والله، فعلاقتهما علاقة طردية كلما اتصلت الروح بالله زاد الخير وقل نقائصها وظهور الشر.

فالشر إذن عند أوغسطين ما هو سوى فساد في الكمالات الثلاث التي منحها الله لكل جوهر ماديا كان أو روحيا، أي أنه نقص أو فساد في الخير وهو عدم محض أو غياب وجود.

**الفرع الثاني– التطبيقي:**

علمنا سابقا أن أوغسطين استند على الفضيلة للتمييز ما بين الفعل الحسن والفعل السيئ، وهذا ما سنقوم به كمحاولة لتطبيق هذه المنهجية على بعض السلوكيات.

فآلية أوغسطين تعتمد على كل من الفضائل التالية؛ الحكمة( الفطنة) والقوة والعدالة، وهذه الفضائل تناولنا مفاهيمها في الفصل الأول حيث أن:

**أولا–الحكمة أو الفطنة**: هي مقياس العقل وبها يتمكن الإنسان من الاتزان والاعتدال كما أن الحكمة تتضمن السعادة والسعادة تتضمن الله بمعنى أن الحكمة تقيس الفعل بمنظور العقل وتختار الخير منه للوصول للسعادة التي تتضمن الله باعتباره الخير الأسمى، كما أن الفطنة هي القدرة على قراءة الأحداث

وفهمها وهي معرفة وتمييز ما يجري، وللوصول لهذه الفضيلة لابد من العقل و القوة و المعرفة وهذا ما يؤكده في خواطره بأن طريق الحكمة العقل وطريق العقل المشورة وطريق المشورة القوة المعرفة وطريق المعرفة تقوى الله ومخافته.

**ثانيا_ أما فضيلة العدالة:** التي يجب أن تواكب الحكمة فهي بمثابة القياس التي تعني الاعتدال لا زيادة ولا نقصان لأنه إذا زاد الشيء في الحاجة المطلوبة يبطل القياس وكذلك عندما يزيد الشيء في الحاجة يبطل القياس، فالعدالة تعمل على كبح جماح الرغبات والشهوات بمعنى أنه من الحكمة إعطاء رغبات النفس دون الزيادة أو النقصان لحفضها وحفظ نسلها لتصل قوى النفس لحد التوازن فيما بينها، كما أن الاعتدال لا يعني الاستغناء عن اللذة الجسدية لأنها الشرط الضروري لحفظ النفس والنسل.

**ثالثا–وفضيلة القوة:** التي وظفها أوغسطين في آليته هي التي تأتي بمعنى الحب المتصل بالله لكبح جماح رغبات الإنسان اتجاه خيرات الأرض فحتى وإن خسرها كان قويا في تجاوز ألم فقدانها، لأن القوة وحدها دون تلاحمها بالحب والحكمة لولدت ما يسمى بشهوة التسلط فالفضيلة تحتاج من القوة فضيلتها وهي الصبر والشجاعة، وتكمن وظيفة القوة في الحفاظ على اللذة على النحو المعتدل وذلك باتصالها بممارسة العدالة وبالتالي تحقيق الخير فهي تجعل من المرء قادر على العيش يصنع الخير في كل الظروف.

**رابعا: أمثلة تطبيقية:**

**الجدول رقم 07: جدول يبين منهجية أوغسطين في الحكم على الفعل من خلال بعض الأمثلة.**

| الفعل | اعتدال | صورة | نظام |
|---|---|---|---|
| القتل | | | نقص في النظام |
| السرقة | نقص اعتدال واغتصاب حق | | |
| الكذب | | تبديل صورة وإخفاء الحقيقة | |
| الأكل والشرب بشراهة | نقص في الاعتدال. | | |

**المصدر:** من إعداد الطالبة.

**أ– القتل:** شر في ذاته لأنه نقص في النظام الذي يتمثل في الجماعة البشرية، فبتوظيف الحكمة؛ القتل هو عبارة عن فعل يؤدي إلى إنقاص لإمكانيات الجماعة وبالتالي نقص قوتها وتخلخل تماسكها، وهو ليس فعل حكيم لأن الحكمة تؤدي للسعادة عكس القتل الذي يترك ألم وحزن في فقد وخسارة أحد ما، فإن كان القتل بسبب فرض السيطرة أو التعدي أو حتى المتعة في ذلك لابد من تدخل أيضا فضيلة القوة المقترنة بالحب لتأخذ منها النفس فضيلة الصبر على كبح فعل الشر.

**ب–السرقة:** بتوظيف الحكمة يتبين لنا أنها علاقة غاصب ومغتصب حيث يتعدى الغاصب على المغتصب وأخذ منه ما ليس له دون وجه حق، فهو نقص في الاعتدال لذا لابد من العدالة التي تعطي لكل ذي حق حقه.

**ج–الكذب:** وهو نقص في الصورة لأنه عبارة عن تبديل في شكل الحقيقة أو إخفاءها كما أنه يعبر عن اختلال في فضيلة القوة لإظهار من هو حق.

**د– الأكل والشرب:** فمن وجه الحكمة لابد منهما للحفاظ على النفس والجسد والنسل ولكن يجب أن يكونا على وجه الاعتدال لا فرط ولا تفريط لأن بذلك تتولد الشهوة وتتسبب في الشره لذا لابد من تدخل فضيلة الصبر المستمدة من القوة لكبح شهوات النفس.

## المبحث الثاني: الخير والشر عند الغزالي.

تعتبر قضية الخير والشر من المحاور الأخلاقية الكبرى التي شغلت الفكر الإسلامي باعتبارهما الحكم على الفعل والسلوك(مقبول وحسن أو مرفوض وقبيح)، فلم يقصر الغزالي هو الآخر في تناوله لهذه المسألة وهذا ما سيتبين لنا في هذا المبحث، كما أننا سنقوم باستخراج منهجية أو آلية معرفة الخير والشر عند الغزالي كما فعلنا ذلك من قبل مع أوغسطين.

### المطلب الأول: قضية الخير والشر.

#### الفرع الأول– تعريف الخير والشر عند الغزالي:

يرى الغزالي أن النافع الحقيقي واللذيذ الحقيقي والجميل الحقيقي هو الخير؛ أو هو الخلق المحمود وتحديده بالعلم الحقيقي العارف بطبيعة النفس البشرية وقواها، وكل ضار أو ما يثمر الهموم والغموم والحزن والجزع فهو الشر أو هو الخلق المذموم. فالهوى المحمود من فعل الله تعالى وهو قوة جعلت في الإنسان لتنبعث بها النفس لنيل ما فيه صلاح بدنه إما بإبقاء بدنه أو بإبقاء نوعه وإصلاحهما جميعا.[1]فالعمل الضار شر مطلقا عند الغزالي، لأن القاعدة عنده أن العمل ليس شرا، إلا لأنه ضار وليس خيرا إلا لأنه نافع؛ فالكذب مثلا ليس حراما لعينه، بل لما فيه الضرر على المخاطب أو على غيره.[2]

ويرادف مصطلحي الخير والشر لفظتي الحسن والقبيح عند الغزالي وهناك ثلاث اصطلاحات لهما وهي:

**الاصطلاح الأول–** إن الأفعال تنقسم إلى ما يوافق غرض الفاعل وإلى ما يخالفه، وإلى ملا يوافق ولا يخالف؛ فالموافق يسمى حسنا، والمخالف يسمى قبيحا والثالث يسمى عبثا.

[1] نور الدين السافي: نقد العقل، (مرجع سابق)، ص152.

[2] زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي، (مرجع سابق)، ص126.

فإذا كان الفعل موافقا لشخص مخالفا لآخر، فهو حسن في حق من يوافقه قبيح في حق من يخالفه، حتى إن قتل الملك الكبير يكون حسنا في حق أعدائه، قبيحا في حق أوليائه.[1]

**الاصطلاح الثاني**- التعبير بالحسن عما حسنه الشرع بالثناء على فاعله، فيكون فعل الله تعالى حسنا في كل حال، خالف الغرض أو وافقه، ويكون المأمور به شرعا، ندبا كان أو إيجابا حسنا والمباح لا يكون حسنا.

**الاصطلاح الثالث**- التعبير بالحسن عن كل ما لفاعله أن يفعله فيكون المباح حسنا مع المأمورات، وفعل الله يكون حسنا بكل حال.[2]

والمقصود من هذه الاصطلاحات الثلاثة هو ما حسنه الشرع أو قبحه، وهنا يجزم الغزالي بأن العمل لا يكون حسنا ولا قبيحا لذاته، فيخالف المعتزلة الذين يقولون بأن من الأعمال ما يدر حسنه بضرورة العقل، فمن استوي عنده الصدق والكذب آثر الصدق ومال إليه إن كان عاقلا، وليس ذلك إلا لحسنه، وإن القوي إذا رأى ضعيفا مشرفا على الهلاك يميل إلى إنقاذه وإن كان لا يعتقد أصل الدين فينتظر ثوابا، ولا يوافق ذلك غرضه فقد يتعب به، بل يحكم العقلاء بحسن الصبر على السيف إذا أكره المرء إفشاء السر أو نقض العهد، ويجيب الغزالي بأنه لا ينكر اشتهار هذه القضايا بين الخلق وكونها محمودة ولكنه يصر على أن مستندها إما التدين بالشرائع وإما بالأغراض.[3]

فقد فسر لنا الغزالي هنا أن الخلق المحمود هو عبارة عن هوى محمود، وهو من الله يهبها ويبثها في النفس لتعمل الخير، كما أن الفعل يكون حسنا وقبيحا على حساب الغرض و الشرع، فحسب الغرض؛ يعني أن القبيح هو الذي يعود بالضر على صاحبه والحسن هو الذي يعود بالنفع على صاحبه، أما حسب الشرع هو أن ما وافق الشرع فهو خير وما خالفه فهو شر.

---

[1] أبو حامد محمد الغزالي: المستصفى من علم الأصول، تحقيق: حمزة بن زهير حافظ، دط، (شركة المدينة المنورة، السعودية، 1993م)، ج1، ص180.

[2] أبو حامد محمد الغزالي: المستصفى من علم الأصول، (مصدر سابق)، ص181.

[3] زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي، (مرجع سابق)، ص122.

**الفرع الثاني– مثارات الغلط:**

بعد تبيين الغزالي للاصطلاحات التي تطلق على القبح والحسن تكلم عن الثغرات والأغلاط التي يقع فيها المرء وتوهمه بصلاح فكره ورأيه وهي ثلاثة:

**الأولى–** أن الإنسان يطلق اسم القبح على ما يخالف غرضه، وإن كان يوافق غرض غيره، من حيث إنه لا يلتفت إلى الغير، فإن كل طبع مشغوف بنفسه، ومستحقر لغيره فيقضي بالقبح مطلقا، وربما يضيف القبح إلى ذات الشيء، ويقول: هو بنفسه قبيح، فيكون قد قضى بثلاثة أمور، هو مصيب في واحد منها، وهو أصل الاستقباح، ومخطئ في أمرين؛ أحدهما إضافة القبح إلى ذاته، إذ غفل عن كونه قبيحا لمخالفة غرضه، الثاني حكمه بالقبح مطلقا، ومنشؤه عدم الالتفات إلى غيره، بل عدم الالتفات إلى بعض أحوال نفسه، فإنه قد يستحسن في بعض الأحوال عين ما يستقبحه إذا اختلف الغرض.[1]

أي أن المرء يرى أن كل ما يخالف غرضه ومصلحته فهو قبيح بل ويضيف صفة القبح لذات الفعل مطلقا وإن كان لدى الغير حسن وخير، وبالتالي فهو محق في أصل الاستقباح(ما وافق غرضه) ومخطئ في جعل الفعل شر بحد ذاته بل وجعله شر في كل أحواله بصفة مطلقة.

**–الثانية:** أن ما هو مخالف للغرض في جميع الأحوال إلا في حالة واحدة نادرة، قد لا يلتفت الوهم إلى تلك الحالة النادرة بل لا تخطر بالبال، فيراه مخالفا في كل الأحوال فيقضي بالقبح مطلقا، لاستيلاء أحوال قبحه على قلبه، وذهاب الحالة النادرة عن ذكره، كحكمه على الكذب بأنه قبيح مطلقا، وغفلته عن الكذب الذي تستفاد به عصمة دم نبي أو ولي، وإذا قضي بالقبح مطلقا واستمر عليه مدة، وتكرر ذلك على سمعه ولسانه انغرس في نفسه استقباح منفر.[2]

وهذا يعني أن كل فعل يخالف الغرض في أغلب الأحيان إلا حالات نادرة فهو قبيح مطلقا.

**_الغلطة الثالثة:** سبق الوهم إلى العكس فإن ما يرى مقرونا بالشيء يظن أن الشيء أيضا مقرون به مطلقا لا محالة، ومثاله نفرة من نهشته الحية من الحبل المبرقش اللون.[3]لأنه وجد الأذى مقرونا بهذه

---

[1] أبو حامد محمد الغزالي: المستصفى من علم الأصول، (مصدر سابق)، ص187.

[2] المصدر نفسه، ص188.

[3] زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي، (مرجع سابق)، ص122.

الصورة فتوهم أن هذه الصورة مقرونة بالأذى، فإن الوهم عظيم الاستيلاء على النفس، ولذلك ينفر طبع الإنسان من المبيت في بيت فيه ميت مع قطعه بأنه لا يتحرك، ولكنه يتوهم في كل ساعة حركته ونطقه.[1]

وبعد تبيين الغزالي لهذه الأغلاط والوهم الذي يقع فيه الإنسان رجع ووضح المسائل التي لابد من عمل العقل كما تقول المعتزلة فيقول:" إنما يترجح الإنقاذ على الإهمال في حق من لا يعتقد الشرائع لدفع الأذى الذي يلحق الإنسان من رقة الجنسية وهو طبع يستحيل الانفكاك عنه وسببه أن الإنسان يقدر نفسه في تلك البلية ويقدر غيره معرضا عنه وعن إنقاذه فيستقبحه منه لمخالفة غرضه فيعود ويقدر ذلك الاستقباح من المشرف على الهلاك في حق نفسه فيدفع عن نفسه ذلك القبح المتوهم، فالمقرون باللذيذ لذيذ والمقرون بالمكروه مكروه.[2]

وعلى كل فالحكم على الفعل باعتبار نتيجته وغايته التي تعود منه على الفاعل، فإذا كانت نتيجة الفعل نافعة لصاحبها قيل أن هذا الفعل حصل منه خير لصاحبه، وإن كانت نتيجة الفعل ضارة قيل أن هذا الفعل شر.

## المطلب الثاني: الخير والشر في الفعل الإنساني والإلهي.

### الفرع الأول– أفعال الله:

ينبغي التفريق بين الفعل الإلهي و الفعل الإنساني، فإن الفعل الإلهي لا يكون إلا حسنا ولا يكون إلا خيرا، فهذه الأحكام الأخلاقية من الحسن والقبح لا تصدق إلا على الفعل الإنساني فقط، حتى وإن فعل الله الشر والقبيح فهذا لا يسمى شرا، بل كل ما يصدر عنه فهو خير وحسن وإن بدا في نظر العقل شرا وقبحا، ويرجع هذا معنى كونه ربا لا يخضع لشريعة من هو فوقه ولا يسأل عما يفعل وفعال لما يشاء.[3]

---

[1] زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي، (مرجع سابق)، ص123.

[2] أبو حامد محمد الغزالي: المستصفى من علم الأصول، (مصدر سابق)، ص191-190.

[3] زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي، (مرجع سابق)، ص55.

فمعاني الحسن والقبيح ليست من الصفات الذاتية في الفعل وإنما يرجع إلى أمور خارجية عنه، كما أن حجة الحسن والقبح ليست كاملة في الفعل، بل ترجع أحيانا إلى الفاعل ككونه ربا وإلها فتكون أفعاله كلها حسنة، وأحيانا ترجع إلى أمور تتعلق بالإنسان مثل كونه مربوبا مأمورا منهيا.[1]

والفعل الإلهي لا يخضع لقاعدة استحسان العقل أو استقباحه، لأنه لا يخضع لغرض أو يهدف إلى غاية فالله قادر على أن يصب على عباده أنواع العذاب ويبتليهم بضروب الآلام و الأوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن قبيحا ولا ظالما، وأنه يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق.[2]

فأفعال الله حسب الغزالي كلها حسنة خيرة لأنه منزه لا يخضع لقاعدة الخير والشر.

**الفرع الثاني– طبيعة أفعال الإنسان:**

ذهب الغزالي إلى أن الطبيعة الإنسانية محايدة ليست خيرية ولا شريرة، وفي نفس الوقت فهي على استعداد لأن تكون خيرية أو شريرة على حساب التربية، وظروف البيئة، ولا يوجد في الإنسان خير بالفطرة أو شر بالفطرة على الإطلاق، فهو يقول:" إنّ الصبي بجوهره خلق قابلا للخير والشر وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين،" أي جانب الشر أو جانب الخير، وعلى هذا الأساس أعطى الغزالي الوسط الاجتماعي دورا كبير في تكوين الإنسان من حيث اتصافه بالخير أو الشر، وهنا يبدأ دور التربية في تنشئة الطفل وتهذيبه وتوجيهه نحو الخير وإبعاده عن الشر، ويشير الغزالي إلى العلاقة بين التربية والبيئة في زرع الخير في نفس الطفل، فالطبيعة الإنسانية في رأي الغزالي طبيعة محايدة وبالتربية يمكن جعل هذه الطبيعة طبيعة خيرة وذلك من خلال اعتياد الأفعال الجميلة ومصاحبة قرناء الخير وإخوان الصلاح.[3]

فالطفل يأتي إلى الحياة ونفسه صفحة بيضاء خالية من كل صورة، و إن المربي أبا ومعلما هو الذي ينقش على هذه الصحيفة ما يشاء من خير وشر، والصبي بدوره قابل لكل ما ينقش عليه، ومائل إلى

---

[1] زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي، (مرجع سابق)، ص88.

[2] محمد السيد الجليند: قضية الخير والشر لدى مفكري الإسلام، (مرجع سابق)،ص92.

[3] علي عيسى: الإنسان عند الغزالي، ترجمة: خيري حمادة، دط، (مكتبة الانجلو مصري، القاهرة، دت،)، ص93.

كل ما يمال به،[1] فبالاعتياد والألفة قد تكتسب الرذائل وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملا، وإنما يكمل ويقوى بالنشوء والغذاء، كذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال، فتكمل بالتربية، وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم، ويرى الغزالي أن الصبي إذا أهمل في بدء نشوئه خرج غالبا رديء الأخلاق، وبهذا فإن الميل إلى الخير حسب الغزالي من الفطرة البشرية، كما أن النفس توجه بمقتضى الظروف فهي تميل إلى الخير حيث توجد موجب الخير، ويظهر ميلها إلى الشر حين توجد موجب لشر، ولو لا صلاح الفطرة للخير ما احتجنا للتربية.[2] وهذا ما يؤكده عالم النفس "ألفريد آدلر" في كتابه الطبيعة البشرية بأن المرحلة الأولى من نمو الطفل هي أهم مرحلة حيث تبدأ شخصيته بالتشكل وتبدأ صفاته بالظهور، والمجتمع الذي نشأ به هو المسؤول عن هذه الصفات وأعطى لنا مثل الطفل الذي ينشأ في بيئة خالية من الحب والحنان ولا يعبر أعضاؤها عما بداخلهم سيكون من الصعب عليه التعبير عن مشاعره وسيكون قاسيا.[3]

وقد بين لنا الغزالي الأطوار التي يمر بها إدراك الإنسان منذ ولادته لغاية تعقله، فهو يرى أن جوهر الإنسان في أصل الفطرة، ويصف خلقة الإنسان الأولى بالسذاجة:" خلق خاليا ساذجا لا خبر معه من عوالم الله عز وجل، والعوالم كثيرة لا يحصيها إلا الله عز وجل، وإنما أخبره عن العوالم بواسطة الإدراك، وكل إدراك من الإدراكات خلق ليطلع الإنسان به على عالم من الموجودات؛ فأول ما يخلق في الإنسان حاسة اللمس، فيدرك بها أجناسا من الموجودات: كالحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة، واللين والخشونة، وغيرها واللمس قاصر عن إدراك الألوان والأصوات قطعا، بل هي المعدومة في حق اللمس. ثم يخلق له حاسة البصر، فيدرك بها الألوان والإشكال وهي أوسع عالم المحسوسات، ثم ينفتح السمع، يسمع الأصوات والنعمات.

[1] علي عيسى: الإنسان عند الغزالي، (مرجع سابق)، ص95.

[2] حراثي ليلى ومانع بسمة: فلسفة التربية عند الإمام الغزالي،( مرجع سابق)، ص72.

[3] ألفريد آدلر: الطبيعة البشرية، ترجمة: عادل نجيب بشرى، ط1، (المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2005م)، ص49.

ثم يخلق له الذوق كذلك إلى أن يجاوز عالم المحسوسات، فيخلق فيه التمييز، وهو قريب من سبع سنين، وهو طور آخر من أطوار وجوده فيدرك فيه أمورا زائدة على عالم المحسوسات ، لا يوجد منها شيء في عالم الحس.[1]

ثم يترقى إلى طور آخر، فيخلق له العقل، فيدرك الواجبات والجائزات والمستحيلات، وأمورا لا توجد في الأطوار التي قبله. ووراء العقل طور آخر تنفتح فيه عين أخرى يبصر بها الغيب، وما سيكون في المستقبل، وأمور أخرى العقل معزول عنها كعزل قوة التمييز عن إدراك المعقولات، وكعزل قوة الحس عن مدركات التمييز.[2]

ففطرة الإنسان الأولى لا تكون خيرة ولا شريرة بل تكون على حسب نوع التربية والبيئة، فإن نشأ في بيئة ذو طبيعة سيئة تسودها الأخلاق السيئة كان سيئا شريرا، وإن نشأة في بيئة طيبة صالحة تتطبع عليها وكان إنسانا خيرا ذو أخلاق حميدة، أي أن الأخلاق هي بفعل الاكتساب والعادة لا بفعل الفطرة.

## المطلب الثالث:آليات معرفة نوع الفعل وبيان دور الفضيلة في ذلك (خير أم شر).

أعطى الغزالي آلية متفرقة لمعرفة نوعية السلوك أهو خير أم شر، وهذه الآلية استنتجناها من سياق ما قد تناولناه سابقا، على إثر ما قمنا به مع أوغسطين.

### الفرع الأول– الشرع:

أسبقنا الشّرع عن أي آلية أخرى لما له سلطة كبيرة في الحكم على الفعل عند الغزالي و الذي أخذ به عن الأشاعرة.

فالأشاعرة ترى أن كل ما أمر به الشرع فهو حسن، وما نهى عنه فهو قبيح لمجرد الأمر والنهي وليس ذلك لعلة أخرى، ولو ورد الشرع بخلاف ما قضي به العقل لكان ذلك منه حسنا، فلو أمر بالظلم

[1] أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، تحقيق: سعد كريم الفقي، دط،( دار ابن خلدون، صر، دت)، ص42.

[2] المصدر نفسه، ص43.

والكذب ونهى عن العدل والصدق لحسن منه ذلك، حيث لا معنى للحسن والقبح إلا ورود الشرع بذلك أمرا ونهيا. [1]وهذا ما تبناه الغزالي؛ فقد رفض تقديم العقل وجعله حاكما على الفعل بأنه حسن أو قبيح، [2] يقول الغزالي:" العقل لا يحسن ولا يقبح ولا يوجب شكر المنعم ولا حكم للأفعال قبل ورود الشرع". [3]

فرغم اهتمام الغزالي بالعقل وحرصه الشديد على بيان أهميته إلا أنه قد عزله تماما عن معرفة الحسن والقبيح وتمييز الخير من الشر، ولم يجعل هناك قاعدة معينة أو ضابطا للحسن والقبيح يمكن معرفتها بالعقل، وإنما ارجع ذلك إلى الأمر والنهي الشرعيين، فالشرع إذن هو مدرك الحسن والقبح في الأفعال وليس ذلك من اختصاص العقل.

**الفرع الثاني– الغرض:**

يرجع الغزالي الحكم بحسن أو قبح الفعل للغرض أو ما كان موافق للأغراض وهذا ما تتطرقنا له من قبل، و الحكم فيه ثلاثة أقسام:

**أولا–**أن توافق و تلاءم غرضه( أي الفاعل).والذي يسمى حسنا خيرا

**الثاني–** أن ينافر غرضه وسماه القبيح والشر.

**الثالث–** أن لا يكون له في فعله ولا في تركه غرض. وهو العبث. [4]

فحكم الغزالي للقبيح بأنه ما لا يوافق الغرض؛ يجعل العلة في قبح الفعل مترتبة على غايته ونتيجته، وكذلك نفس الحكم بالنسبة للحسن فهو ما يوافق الغرض.

[1] محمد السيد الجليند: قضية الخير والشر لدى مفكري الإسلام،(مرجع سابق)، ص89.

[2] المرجع نفسه، ص32.

[3] أبو حامد محمد الغزالي: المستصفى من علم الأصول، (مصدر سابق)، ص177.

[4] نور الدين السافي: نقد العقل، (مرجع سابق)، ص181.

**الفرع الثالث– تفعيل الفضيلة في معرفة الخير والشر:**

وظّف الغزالي أيضا آلية أخرى بعيدة عن الشرع والغرض، والتي تكمن في الفضيلة مبينا دورها في معرفة وتمييز بين الخير والشر وهذه الفضيلة هي الحكمة وملكة الإنسان العقلية؛ يقول الغزالي:"ومهما هذبت قوة الفكر وأصلحت كما ينبغي حصلت بها الحكمة التي أخبر الله عنها..وبها يتيسر له الفرق بين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الصدق والكذب في المقال وبين الجميل والقبيح في الأفعال".

فإذا رأت حكمة العقل أن شيئا ما حسنا فليس لأنه أدرك ذات الشيء وأنه حسن في ذاته وإنما لأنه وجد في ذلك الشيء ما ينسجم مع أغراضه وأهدافه أو منافعه ومغانمه، والنافع قد يكون من وجه آخر ضارا وكذلك العكس "فرب نافع مؤلم ورب نافع من وجه، ضار من وجه كإلقاء المال في البحر عند خوف الغرق، فإنه ضار للمال ونافع في نجاة النفس، فالقيم بهذا المعنى مجرد معان قائمة بالعقل يصف بها الناس إذا كانت في نظرهم قيّمة ولهم فيها غرض أو غاية ولا توجد إلا حيث توجد هذه الغاية.[1]

يعني أن فضيلة الحكمة عند الغزالي تؤدي إلى القدرة الفائقة على التمييز، كالتمييز بين الجميل والقبيح في الأفعال و الحكمة هي فضيلة القوة العقلية فيكون العقل عند الغزالي هو أداة التمييز وأداة الحكم، ولكن هذا يناقض ما قدمناه سابقا بأن الشرع هو الذي يحكم بين ما هو خير وما هو صالح؛ ولكن الغزالي أزال هذا اللبس فالحكمة وملكة العقل تخدم الآلية الثانية أي الغرض.

**المطلب الرابع: مطلب استخلاصي.**

قسمنا هذا المطلب إلى فرعين بالضبط كما فعلنا ذلك مع المطلب الاستخلاصي الخاص بأوغسطين، حيث قمنا بإفراد الفرع الأول لاستخلاص نظرة الغزالي لقضية الخير والشر أو كما يسميه الحسن والقبيح، والفرع الثاني هو فرع تطبيقي لمنهجية الغزالي في معرفة نوع الفعل والسلوك.

**الفرع الأول– الحسن والقبيح:**

[1] نور الدين الشافي: نقد العقل،(مرجع سابق)، ص178.

**أولا–**إن الخير والشر أو ما يسميه الحسن والقبيح يكون على حسب الغرض والفائدة وحسب الشرع وهذا المخطط يلخص لنا قول الغزالي في ذلك:

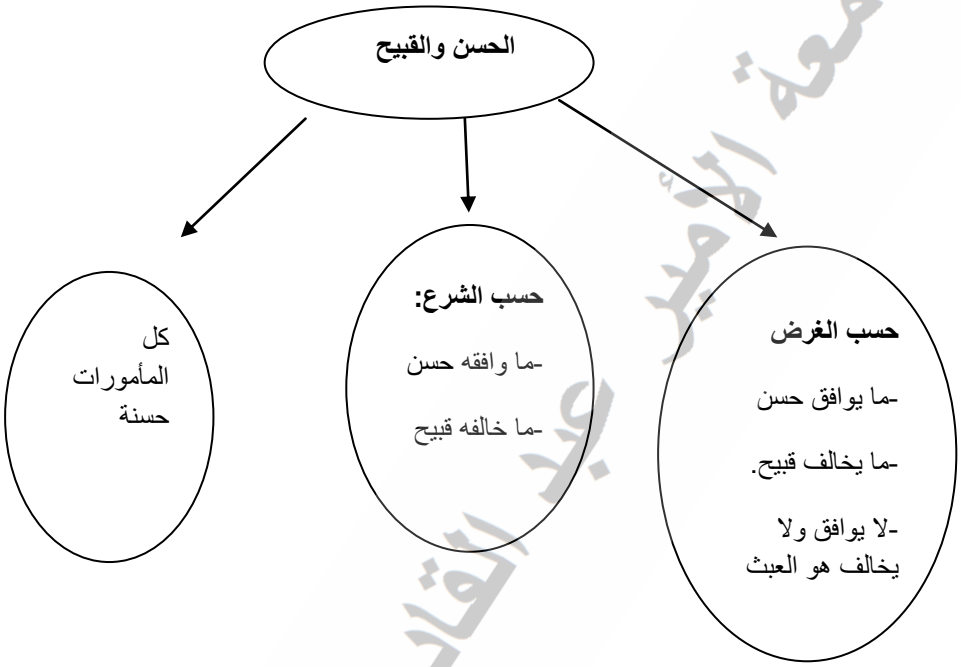


**ثانيا–** ثم تكلم على ما يقع فيه الإنسان من أوهام وأخطاء في هذه الاصطلاحات وقد أجملها في ثلاثة وسماها الأغلاط وهي:

**أ–** إن القبيح هو كل ما يخالف غرضه وإن وافق غرض غيره فيضيف صفة القبح لذات الفعل مطلقا.

**ب–** المخالف للغرض قبيح في كل الأحوال حتى ولو كانت حالات شاذة يتحسن فيها هذا الفعل.

**ج–** اقتران الصورة والأذى بالفعل واستقباح الفعل .

**ثالثا–** كما أنه أيضا تكلم عن طبيعة أفعال الله، كتفسيره لظهور الخلق المحمود وربطه بالله باعتبار أن الخلق المحمود هو هوى محمود من فعل الله يبثها في النفس لينبعث منه الفعل الحسن، حيث يقارب الغزالي هنا قول أوغسطين في أن مصدر الفعل الحسن هو الله، فالله منزه عن الغرض والعلة والحاجة فلا يتصور القبيح في حقه تعالى. لأن الحكم على الفعل بالخير أو الشر هو خاص بفعل الإنسان فقط دون

الله لأن كل ما صدر من الله هو فعل حسن وخير وهذا أيضا من النقاط التي يتفق فيها الغزالي مع أوغسطين.

فالإنسان حسب الغزالي يلد بفطرة محايدة لا هي خيرة ولا شريرة بل أنها تكسب صفتها على حساب التربية لأن الطفل كجوهر يلد قابل للخير أو أنه قابل للتطبع بالشر، لذا شدد الغزالي على دور التربية وفاعليتها في تنشئة الطفل تنشئة سوية خيرة، وقد أفلح الغزالي في تشبيه تنشئة الجسد بتنشئة النفس والأخلاق، فالبدن لا يخلق كاملا وإنما يكمل ويقوى بالنشوء والغذاء كذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال فتكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم.

وفي هذا يخالف الغزالي أوغسطين في قوله بالخطيئة الموروثة فالغزالي يرى أن الإنسان يلد صفحة بيضاء وهو المسؤول فقط عن أفعاله.

**الفرع الثاني– التطبيقي:**

اعتمد الغزالي على كل من الشرع والغرض والحكمة في آليته للحكم على الفعل والسلوك.

أولا–**الشرع:** فما قبحه الشرع فهو قبيح حتى ولو كان في عين العقل حسن، وما حسنه الشرع فهو حسن وإن قبحه العقل، فالعقل لا يحسن ولا يقبح ولا يوجب الشكر المنعم قبل ورود الشرع فالعقل يأتي بعد الشرع.

**ثانيا–الغرض:** بعد حكم الشرع في الفعل يأتي دور الغرض في تحديد نوعية الفعل؛ فما وافق الغرض سمي حسن وما خالف سمي قبيح وإذا لم يوافق أو يخالف سمي عبثا.

**ثالثا– تفعيل الفضيلة في معرفة الخير والشر:** حيث وظّف الغزالي فضيلة الحكمة التي يراها أنها تجمع ما بين التدبير وحسن الرأي، وصواب الظن والقدرة على صواب الحكم عند تنازع الآراء وبها تدرك النفس الخيرات في الأعمال فهي العلم بصواب الأمور، فالغزالي أكد أن فضيلة الحكمة تفرق بين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الصدق والكذب في المقال وبين الجميل والقبيح في الأفعال وهذا ما تناولناه في الفصل الثاني.

**رابعا– أمثلة تطبيقية:**

**الجدول رقم08: جدول يبين تطبيق آلية ومنهجية الغزالي في معرفة نوع الفعل.**

| الفعل | الشرع | الغرض | الحكمة |
|---|---|---|---|
| الكذب | فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ"[1] فهو قبيح | إذا كان الغرض منه النجاة أو دفع بلاء أو إصلاح فهو حسن. | فمن وجه الحكمة حسن التدبير وثقابة الرأي القضاء على سبب الهلاك أو الفساد |
| الصدق | "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ "[2]فهو حسن | -إذا كان فيه هلاك فهو قبيح.<br>_إذا كان فيه نجاة حسن. | يمكن التمييز في نتائج الصدق بين خير وشره فإن كان الصدق يؤدي على سبيل المثال إلى تشتت أسرة أو إلى جرم آخر أكثر شرا من الكذب كالقتل بسبب الغضب |
| الأكل والشرب | " كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى [3] | _لسد الحاجة الضرورية فهو حسن.<br>-بسبب الشره الزائد فهو قبيح. | لابد من الحكمة والاعتدال لأن شهوة البطن هي رأس كل الشهوات كما أكد لنا ذلك الغزالي. |

**المصدر:** من إعداد الطالبة اعتمادا على ما سبق.

[1] الزمر/ 32.

[2] التوبة/119

[3] طه/81.

## المبحث الثالث: الفكر الأخلاقي وعلاقته بالخلاص والنجاة.

سنتناول في هذا المبحث الغاية من دراسة فلسفة الأخلاق عند كل من الغزالي و أوغسطين وما الفائدة التي تعود على الإنسان دنيويا ودينيا، كما أننا سنحاول الإجابة على التساؤل الذي طرحناه سابقا فيما يخص علاقة الأخلاق بالخلاص.

### المطلب الأول: غاية الأخلاق عند أوغسطين.

#### الفرع الأول– الغاية الدنيوية:

**أولا–السعادة:**

تجاوزت نظرة أوغسطين نظرة الفلاسفة اليونان للسعادة وعلاقتها بالفضيلة والأخلاق وفرق بينها وبين اللذة، باعتبار السعادة غاية الفضيلة والحياة الصالحة.

وحد أوغسطين بين الحكمة والسعادة، وهذا منذ بدء تفكيره الفلسفي الأخلاقي حتى نهايته، فالسعادة هي تلك اللذة التي لا لذة بعدها أي أنها دائمة، وهي تشبع عن كل لذة، ثم تمنح السلام الداخلي أي أن هدف القديس كان عمليا فمذهبه يرنو للسعادة(سعادوي)، ومصير الإنسان يقلقه في البحث عن السعادة فالكل يبحث عنها ويرغب بها، فالرغبة في السعادة هي غريزة فطرية مستقرة في أعماق الذاكرة يمنحها الله للإنسان،[1] والفرح والسعادة هي الغاية المرجوة للجميع يقول أوغسطين:" كلهم يريدون هذه الحياة السعيدة، هذه الحياة وحدها السعيدة، كلهم يريدونها وهذا الفرح كلهم يريدونه". [2]

فالسعادة تستلزم ممارسة الفضيلة، التي تتدرج من أدنى إلى أعلى في أربع مجموعات: الفضائل السياسية( الحذر القوة، الاعتدال، العدل)، والفضائل المطهرة التي تخلص الروح مما يبعدها عن التأمل، وفضائل التعقل القادر على التأمل، ثم الفضائل المثالية الباطنة في العقل الإلهي كنماذج للأشياء

[1] علي زيعور: أغسطينوس، (مرجع سابق)، ص219.

[2] القديس أوغسطين: اعترافات، ط4، (مرجع سابق)، ص215.

المخلوقة، تمكن الإنسان بفضل ملكته العقلية أن يحتفظ بمعرفة الله ويتحد معه وبالتالي حصوله على السعادة الدائمة.[1]

أي أن الفضيلة سبب لحصول الإنسان على الخيرات وبلوغه السعادة الذاتية، فالسعيد ليس من هو يملك ما يريد لا بل السعيد هو الذي لا يحتاج،[2] ذاك أن الفضيلة تعرف أن تفيد من ذاتها ومن سائر الخيور التي تجعل الإنسان سعيد ولكن حيث لا وجود لها، فسائر الخيور وإن كانت كثيرة ليست لمصلحة من يمتلكها ومن ثم فليست خيورا لمالكها، أو أن استعماله السيئ لها يقضي على الإفادة منها، وعليه تكون حياة الإنسان سعيدة.[3]

لذا لابد أن تكون رغبة الإنسان وسعادته في شيء دائم وهو الله، يقول أوغسطين:" يجب أن تكون رغبتنا دائمة غير مرتبطة بالصدفة وبالحظ، وبما أنه ليس هناك سوى الله، فأن نرغب الله هو الرغبة الحقيقية والطريق الحقيقي المؤدي للسعادة، وهكذا فإن الشكّاك الأكاديميون لا يستطيعون أن يكونوا سعداء لأنهم لا يملكون الحقيقة؛ الحكمة تتضمن السعادة، والسعادة هذه تتضمن الله، لذلك فإن الشكاك لا يستطيعون حيازة الله، ولا من ثمة للسعادة والحكمة.[4]

أي أن السعادة الأوغسطينية لاصقة بالحقيقة غير منفصلة عنها و أنها استيعاب الحقيقة وبلوغ جوهرها وتملكها، يعني ذلك أن الإنسان إذا تعمق في رغبته في السعادة، فإنه سيتجاوز النظرة الرواقية والنظرة الأبيقورية لها في سبيل البحث في الله نفسه.

**ثانيا–كمال الإنسان(الامتلاء):**

الفضيلة هي تلك اللذة أو ذلك الخير للنفس وهي كمالها وتجعلها سعيدة هذه السعادة هي خير روحي لا تهدمه خسارة جميع الخيرات المادية، لكنها بحاجة للامتلاء Plénitude الذي هو ضد

[1] حسن حنفي: نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، (مرجع سابق)، ص6.

[2] القديس أوغسطين: تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحي في الحياة السعيدة، (مصدر سابق)، ص 111.

[3] القديس أوغسطين: مدينة الله، (مصدر سابق)، مج3، ص111.

[4] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص219.

النقص والتعاسة، وليس هو امتلاء حقيقيا إلا إذا قام على العدالة بلا زيادة ولا نقصان، وحافظ على التوسط والموقف المعتدل، بذلك فإن الامتلاء أي الاعتدال هو الحكمة ويعني ذلك أيضا السعادة.

كما أن جميع الناس ينشدون السعادة التي هي امتلاك ما هو خير الأشياء لهم، وخير ما هو للإنسان هو الإنسان نفسه، أو ما هو ارفع منه، وعدا ذلك فهو دون الإنسان لا يمكن لهذا أن يتمنى ما هو دونه، والنفس هي الأرفع من الجسم وما هو خير رفيع لا يمكن أن يكون إلا للرفيع أي لهذه النفس التي هي أرفع ما في الإنسان.[1]

يقول أوغسطين:" إن أعوزتك الفطنة فلا مجال لسواها من الفضائل، إن كان الله خير الإنسان الأسمى فلا ريب إن كل من تاق إلى الخير الأسمى عاش عيشة صالحة، ومن عاش بصلاح أحب الله من كل قلبه ونفسه وضميره فيحفظ الاعتدال هذا الحب من كل فساد، والقوة تحفظه من التحطم أمام التجارب، والبر يخضع كل شيء لله وحده، أما الفطنة فتحول قواها لتمييز الأشياء لئلا يقع الإنسان شيئا فشيئا فريسة الغش والخداع، ذاك هو كمال الإنسان الذي يؤهله لأن يتمتع بالحقيقة عن طريق الصدق".[2]

وهذا يعني أن الخير الكامل يكمن في أن تتجه النفس نحو طبيعة عليا تضيء بنورها هذه النفس، وتمنحها السعادة الأضمن و والأخصب، فرغائب الإنسان لا تجد إشباعها إلا في الله، ولا يكن ذلك إلا بممارسة الفضيلة لبلوغ الإنسان كماله الذي يكمن في اتحاده مع الله.

**الفرع الثاني– الغاية الدينية:**

**أولا–معاينة الله:**

يؤكد أوغسطين أن كمال الفضيلة في وصول العقل إلى غايته وحصوله على السعادة الحقة وتتحقق مشاهدة الله ومعاينته لأنه غاية النظر.[3]فالسعيد هو الذي يملك الله وهو من كان نقي الفكر، هكذا عبر

[1] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص219.

[2] القديس أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، (مصدر سابق)، ص368.

[3] المصدر نفسه، ص372.

أوغسطين عن السعادة، ورأى أن السعادة التي تتعلق بما يملك الإنسان من خيرات ليست سعادة لأنها ستكون متلازمة مع الخوف من ذهابها[1]

أي أن السعادة التي ترتبط بالخوف من زوال سبب السعادة ليست سعادة، لذا لابد على الإنسان أن يحصل على الخير الأسمى وأن تكون العلاقة بينهما علاقة حب.

يقول أوغسطين في ذلك:" إن الخلافات حول خير الجسد وحول خير الروح أو حول خير الجسد والروح معا لا تعد ولا تحصى، على الجميع أن يقبلوا برأي الفلاسفة القائلين إن الإنسان السعيد هو من يتمتع بالله لا كما يتمتع الإنسان بجسده أو بروحه ولا كما يتمتع الروح بالجسد أو بذاته أو كما يتمتع صديق بصديقه بل كما تتمتع العين بالنور،[2]وقد أخذ بهذا القول أفلاطون الذي يرى السعادة الحقيقية في الله وهذا ما يؤكده قوله:" أن أفلاطون يضع الخير الأسمى في أن يعيش الإنسان بموجب الفضيلة، ويرى أن هذه الحياة لا يمكن أن تتحقق إلا في الإنسان الذي يعرف الله ويقتدي به، وذاك هو الينبوع الوحيد لسعادته، ولهذا لا يخاف من أن يقول إن الفلسفة تعني محبة الله ذي السعادة إلا إذا بدأ يتمتع بالله، وفي الواقع وإن لم يكن الإنسان حتما سعيدا في سعيه إلى ما يحب فهناك كثيرون تعساء لأنهم يحبون ما ليس قابلا للحب، ويزيدون تعاسة أيضا لكونهم يتمتعون به، على أنه ما من إنسان يسعد إن لم يتمتع بما يحب، فالذين يتمسكون بما ليس قابلا للمحبة لا يجدون أنفسهم سعداء بالمحبة بل بالتمتع، وعليه فإن الذي يتمتع بما يحب ويحب الخير الحقيقي والأسمى أليس سعيدا؟ وإن أنكره أليس فيه ذروة الشقاء؟ إن ذاك الخير الأسمى والحقيقي هو الله بالذات...فالتمتع بالله ومحبة الله هي السعادة".[3] فلكي يعيش الإنسان بسعادة لابد أن يحيى كما يحيى الله ولتحقيق ذلك لا ينبغي أن يكون عقلنا مكتفيا ذاتيا بل يجب الخضوع لله.[4]

[1] القديس أوغسطين: تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحي في الحياة السعيدة، (مصدر سابق)، 100-101.

[2] القديس أوغسطين: مدينة الله، (مصدر سابق)، مج1، ص378.

[3] المصدر نفسه، ص379.

[4]Bonne Kent: Augustine's ethics, Op.Cit) , p209.

**ثانيا_ الخلاص الإسخاتولوجي (الغاية من الأخلاق الأخروية):**

تكمن غاية الإنسان المثلى في الخلود والمشاركة في الحياة الأبدية والتمتع بملكوت السموات، ولا يكون ذلك على حسب رأي أوغسطين إلا بحياة صالحة يسودها الأخلاق والفضيلة فهو يقول:"وإذا سئلنا عن جواب كنيسة الله على كل سؤال من تلك الأسئلة وعن رأيها في غايات الخيور والشرور لأجابت أن الحياة الأبدية هي الخير الأسمى والموت الأبدي هو الشر الأقصى، وعلى هذا النحو فكل من أراد اجتناب هذا والحصول على الآخر وجب عليه أن يحيا حياة صالحة ولهذا فقد كتب" **البار يحيا بالإيمان**".[1]

كما أن أوغسطين قد ربط بين الحياة الفاضلة والإيمان لأجل الخلاص الأخروي وهذا واضح من خلال قوله:" إننا لا نرى حتى الآن ما هو خير لنا، ويجب علينا أن نسعى إليه بالإيمان، وليست لدينا القدرة الذاتية على أن نحيا حياة صالحة إن لم يساعدنا على أن نؤمن ونصلي ذاك الذي أعطانا أن نؤمن بمساعدته، أما الذين يظنون أنهم يجدون في هذه الحياة غايات الخيور والشرور واضعين خيرهم الأسمى في الجسد أو في الروح أو في الروح والجسد معا وبتعبير آخر في اللذة أو في الفضيلة أو في كلتيهما،[2]أو في الخيور الأولى للطبيعة، فإنهم باطلا يسعون إلى السعادة ها هنا وبخاصة إذ يجعلون أنفسهم مبدأ سعادتهم".[3]

فالفضيلة وحدها دون الإيمان لا تحقق سوى الغايات والسعادة الدنيوية من لذة وخيرات دنيوية، لذا لابد من اقتران الإيمان بالحياة الصالحة.

والحياة الصالحة التي اتخذت من الفضيلة سبيلها لا يعني أنها حياة مسالمة بلا تعب أو ألم؛ يقول أوغسطين:" الفضائل لا تعد أي إنسان بالعصمة من كل ألم وسط كل عذاب في خضم شقاواتنا فالفضائل الحقيقية لا تعرف الكذب بل إنها تعد هذه الحياة، المحتم عليها أن تشقى، بسبب التجارب

---

[1] روم17/1.

[2] القديس أوغسطين: مدينة الله، (مصدر سابق)، مج3، ص113.

[3] المصدر نفسه، ص114.

العديدة والقاسية في هذا العالم، بالسعادة والخلاص بالرجاء في العالم الآتي، آه وكيف لها أن تسعد طالما أنها لم تنعم بالخلاص؟ ويقول القديس بولس الرسول عن هؤلاء الذين يحيون حياة التقوى الصحيحة ويملكون حقا فضائلهم لا عن أولئك الذين تنقصهم الحكمة والصبر والاعتدال والعدالة: "**لأننا نلنا الخلاص ولكن في الرجاء فإذا شوهد ما يرجى بطل الرجاء، وكيف يرجو المرء ما يشاهده؟ ولكن إذا كنا نرجو مالا نشاهده فبالصبر ننتظره**"،[1] وكما أن خلاصنا هو بالرجاء فسعادتنا أيضا بالرجاء، وسعادتنا كما هو خلاصنا ليس في حوزتنا الآن، ليدلنا عليه مستقبلا رجاؤنا وأننا ننتظره بصبر، لأننا نعيش في خضم الشرور التي يجب علينا أن نقبلها حتى اليوم الذي لن يكون فيه سوى خيور ومسرات لا وصف ولا ألم ولا عذاب نقاسيه، الخلاص في العالم الآتي سيكون أيضا السعادة الأخيرة سعادة يرفض الفلاسفة تصديقها لأنها لا تقع تحت لحاظهم ويخلقون لأنفسهم بدلا منها شبحا خياليا استنبطته فضيلتهم المتعجرفة والكاذبة".[2]

يبين أوغسطين لنا أن السعادة الحقيقية تكمن في الخلاص الذي يكون مقرون بفضيلتي الرجاء والصبر على المشقات الدنيوية والألم الناتج عنها.

ومن ابتعد عن حياة الفضيلة فقد رمى نفسه للهلاك والشقاء والحزن، يقول أوغسطين:" إن من استسلم إلى شهواته ففسد في الدعارة وسعى من خلالها إلى سعادته، يعتبر نفسه شقيا إذا لم يشبع رغباته منها، وإذا حصل عليها، فلن يتردد في المباهاة بما وصل إليه من سعادة؛ إن الذي يسوده البخل فيكدس الآن الثروات، سعيا وراء السعادة،[3] والذي يتوق إلى سفك دماء أعدائه، والذي يطمح إلى الاستئثار بالسلطة، والذي يروي غليل شراسته من مصائب الآخرين، هؤلاء كلهم يبحثون من خلال جرائمهم عن سعادتهم.، إن هؤلاء الضالين الباحثين عن سعادة كاذبة من خلال شقاء حقيقي يهتدون إلى الطريق الصالح إذا سمعوا الصوت الإلهي القائل"[4]:" **طوبى للأزكياء في الطريق للسائرين في شريعة**

---

[1] روم8/24.

[2] أوغسطين: مدينة الله، (مصدر سابق)، مج3، ص120.

[3] أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، (مصدر سابق)، ص16.

[4] المصدر نفسه، ص18.

**الرب**"[1] وكأني بالله يقول لهم:" أين تذهبون ؟ تهلكون ولا تدرون، ليس هذا هو الطريق إلى الغاية التي تنشدون، رغبتكم في السعادة أكيدة، إنما الطرق التي تسلكونها، محففة بالمخاطر، وتؤدي بكم إلى شقاء ما بعده شقاء، لا تعتمدوا تلك السبل الشريرة بحثا عن ذاك الخير العظيم.[2]

إن الذين يتدنسون في ضلالهم سائرين في شر هذا العالم، ليسوا سعداء، إنما "**طوبى للأزكياء في الطريق، للسائرين في شريعة الرب، وطوبى للذين يرعون شهاداته ويلتمسونه بكل قلوبهم**"،[3]"**هؤلاء يسعدون بالرجاء وليس بالواقع، نظير المضطهدين على البر**"[4]وليسوا سعداء بالعذابات التي يقاسونها الآن، بل لأنهم يعلمون إن لهم ملكوت السماوات".[5]

فمن كان رجاؤه في الحصول على ملكوت السموات والخلاص ونيل السعادة الخالدة لابد له من حياة الفضيلة الصالحة والابتعاد عن ملذات وشهوات النفس والجسد، فما هي إلا شقاء وهلاك ولن ينال به المرء إلا الملذات الوقتية.

**المطلب الثاني: غاية الأخلاق عند الغزالي.**

وسنتكلم هنا عن الغاية من حياة الفضيلة عند الغزالي سواء في الحياة الدنيا أو الحياة الآخرة.

**الفرع الأول– الغاية الدنيوية:**

**أولا–السعادة:**

السعادة عند الغزالي هي أسمى حالات الوجود المتاحة للقلب، وليست هذه الحالة إلا واحدة من احتمالات عدة في نمو القلب، ويتطلب تحقيقها التحكم في جميع نشاطات القلب أثناء عملية النمو، ويمكن تقسيم هذه النشاطات بصورة عامة إلى نوعين؛ نوع يخص هذه الدنيا، ونوع يخص الدين وهي

[1] مز118/1.

[2] أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، (مصدر سابق)، ص18.

[3] مزمور 118/1_2.

[4] مت10/5

[5] أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، (مصدر سابق)، ص18.

تلك النشاطات التي تستهدف تحصيل المعرفة والخبرة وتحقيق الفضائل والخيرات،[1] ويرى الغزالي أن الخيرات في هذه الدنيا أربعة أنواع وهي:

1-خيرات النفس؛ وهي العلم والحكمة والفقه و الشجاعة والعدالة.

2-خيرات البدن؛ وهي الصحة والقوة والجمال وطول العمر.

3-خيرات خارجية؛ وهي المال والأهل والعز والكرم.

4-الخيرات أو الفضائل التوفيقية؛ وهي هداية الله ورشده وتسديده وتأييده.[2]

وأعلى هذه الخيرات أو السعادات الدنيوية، العزة، والكرامة، والمكانة، والقدرة، والسلامة من الغموم والهموم، ودوام الراحة والسرور، وهذا أيضا لا يفوز به الإنسان إلا بالعلم والعمل؛[3] فطلب العلم مثلا، هو الوسيلة لاكتساب السعادة وتقريب طالبه من الله ولكنه يكافئ صاحبه أيضا، بالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك، ولزوم الاحترام في الطباع، وكلها من عوائد الدنيا وغاياتها، وعلى هذا يصبح من الضروري إقامة سلم متسلسل للقيم لتقرير أهمية النشاطات المختلفة بالنسبة إلى السعادة التي هي الغاية النهائية لها.[4] لأن النفس إذا ارتعت في معاصيها ورذائلها، فإنها تحجب عن التواصل مع عالم الغيب، وتبقى محرومة من العلم النافع، مستوحشة ومتعسرا عليها أمرها.... ومظلمة حائرة، فيدخل إليها الوهن، وتورث الحرمان، ومحق بركة العمر، والذل، وفساد العقل ، فتزول النعم[5]

لذا لابد من الإنسان للمجاهدة لإزالة هذا المانع، وأن يرد النوازع والشهوات إلى حد الاعتدال، وهو رأس الفضائل والتقيد بالشريعة، لأن أنوار العلوم لم تحجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوا كبيرا، ولكن حجبت لخبث وكدورة من جهة القلوب.[6]

---

[1] علي عيسى: الإنسان عند الغزالي، (مرجع سابق)، ص212.

[2] محمد خليل محسن الديسي: التربية الاجتماعية في فكر الإمام الغزالي، ط1، (دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، 2001م)،ص50.

[3] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص190.

[4] علي عيسى: الإنسان عند الغزالي، (مرجع سابق)، ص212.

[5] أنور الزعبي: مسألة المعرفة ومنهج البحث عند الغزالي،(مرجع سابق)، ص279.

[6] المرجع نفسه، ص242.

إذن هناك علاقة غير مباشرة ما بين الأخلاق والسعادة التي لا يحظى بها المرء إلا بطريق العلم الذي يقرب الإنسان من الله؛ فالنفس إذا عاشت بموجب الرذيلة والمعاصي حجبت عن التواصل مع عالم الغيب وبالتالي تحرم من العلم النافع كما تحرم أيضا من السعادة لذا لابد من التقيد بالفضائل للحد من الشهوات.

**ثانيا–كمال الإنسان:**

إن كل ما به يكون الإنسان إنسانا ويحقق كماله فهو مطلوب، وهو الخلق المحمود، وكل ما به يخرج الإنسان من إنسانيته ويدعم نقصه، فهو مرفوض وهو الخلق المذموم، فمن استعمل جميع قواه على وجه التوصل بها إلى العلم والعمل، فقد تشبه بالملائكة، فحقيق بأن يلحق بهم وجدير بأن يسمى ملكا وربانيا، ومن صرف همته على إتباع اللذات البدنية يأكل كما يأكل الأنعام فقد نزل إلى أفق البهائم. فعندما نقول عن شخص إن له أخلاقا حميدة فإننا نعني أولا وحسب ما تقدم إنه شخص سوي، وعندما نقول عن شخص إن له أخلاقا مذمومة فإننا نعني أيضا أنه شخص لا سوي وفيه علامات مرضيّة، فالاعتدال صحة نفسية وكل ما خالف مرض وخلل يصيب النفس، بعضه يمكن علاجه وبعضه يصعب، فالغزالي أراد أن يحلل طبيعة النفس كما هي قائمة وحيّة وواعية بذاتها وبالعالم، تسكنها قوى وتصنعها قوى وتهدف إلى غايات، فكل ما انسجم مع كمال الإنسان الذاتي والموضوعي فهو المحمود، وكل ما تعارض معه فهو المذموم.[1]

ولوصول إلى كمال الإنسان وإلى النفس المطمئنة يرى الغزالي أنه لابد من خضوع الإنسان إلى ما يسمى بالتجربة الحياتية وهي المسؤولة عن الربح أو الخسران، وهذه التجربة تجعل النفس مطمئنة، أو لوامة، أو أمارة بالسوء، وباعتبار أن النفس في الأساس جوهرا قائما بذاته، فهي مهيأة لان توصف وفقا لسيرتها بأي صفة من هذه الصفات، ونحن ما يهمنا صفة الكمال أي النفس المطمئنة، وهي التي أخذت من الفضيلة سبيلها فجاهدت لتصل إلى تنقية ذاتها من المعاصي والرذائل، ونجحت في تجاوز الحجب، سواء أكانت من نور أم من ظلمة، فتصل من خلال ذلك إلى كمالها وهو معرفة بارئها ومنشئها. وأما اللوامة فهي المترددة أبدا بين الإدراكات والأفعال، فتارة تنجح في إزالة الحجاب، وبهذا

[1] نور الدين السافي: نقد العقل، (مرجع سابق)، ص153.

فهي تجاهد دون الوصول، وهذا ديدنها، فتحتاج إلى الهمة والعزيمة والإخلاص لتنتقل إلى كمالها أو تقرب منه. وأما الأمارة بالسوء، فهي الغافلة الراتعة في المعاصي فتتراكم عليها الحجب، دون أن تتكلف عناء رفعها بل تزداد منها فتبوء بالخسران المبين. [1]

من هنا نلاحظ أن للأخلاق دورا مهمة في الدخول في الطريق الذوقي ونيل السعادة، والوصول إلى كمال الإنسان وبلوغ مرتبة النفس المطمئنة.

**الفرع الثاني– الغاية الدينية:**

**أولا–حب الله:**

ومن غايات الأخلاق أيضا أن ينقلع عن النفس حب الدنيا، ويرسخ فيها حب الله تعالى، فلا يكون شيء أحب إليه من لقاء الله تعالى،[2]لأن لذات وشهوات الدنيا المتعلقة بالنفس تحول دون المرء ومعرفته لربه الذي هو لذة القلب وهذا ما يؤكده الغزالي:" اعلم أن سعادة كل شيء لذته وراحته، ولذة كل شيء تكون بمقتضى طبعه، وطبع كل شيء ما خلق له فلذة العين في الصور الحسنة، ولذة الأذن في الأصوات الطيبة، وكذلك سائر الجوارح بهذه الصفة، ولذة القلب الخاصة بمعرفة الله سبحانه وتعالى، لأنه مخلوق لها، وكل ما لم يعرفه ابن آدم إذا عرفه فرح به، فإذا وقع في معرفة الله سبحانه وتعالى فرح به ولم يصبر عن المشاهدة لأن لذة القلب المعرفة، وكلما كانت المعرفة أكبر كانت اللذة أكبر، ولذلك فإن الإنسان إذا عرف الوزير فرح، ولو عرف الملك لكان أعظم فرحا، وليس موجود أشرف من الله سبحانه وتعالى لأن شرف كل موجود به ومنه، وكل عجائب العالم أثر من آثار صنعته فلا معرفة أعز من معرفته، ولا لذة أعظم من لذة معرفته وليس منظرا أحسن من منظر حضرته، وكل لذات وشهوات الدنيا متعلقة بالنفس وهي تبطل بالموت ولذة معرفة الربوبية متعلقة بالقلب، فلا تبطل بالموت لأن القلب لا يهلك بالموت، بل تكون لذته أكثر وضوءه الأكبر، لأنه خرج من الظلمة إلى الضوء". [3]

---

[1] أنور الزعبي: مسألة المعرفة ومنهج البحث عند الغزالي،(مرجع سابق)، ص242.

[2] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ربع المهلكات، (مصدر سابق)، مج5، ص 209.

[3] عمار النجار: نظرات في فكر الغزالي، ط2، (دار المعارف، مصر، 1992م)، ص68 .

لذا لابد من طهارة القلب من كل شيء سوى الله، فإذا وجدت من القلب هذه الطهارة الصافية الكاملة صار القلب محلا للفيض الرباني للعلوم اللدنية الإلهية، وكشف أغطية الأسرار، وترقى العقل من حضيض الشهوات إلى سماء الخاصة ومعارفها.[1]

فعين القلب تستطيع معرفة الله ليس فقط في حال الموت أو في حال النوم، وإنما أيضا تستطيع عين القلب أن تنفتح في حال اليقضة وذلك عند من جاهد نفسه بالرياضة الروحية وتخلص من سائر الأخلاق المذمومة فإذا خلا العبد إلى نفسه، وعطل طريق الحواس، وفتح عين باطنه وسمعه، ودأب على ذكر الله بقلبه لا بلسانه، حتى يصبح ولا خير له من نفسه ولا من العالم، ولا شيء يملك عليه باطنه غير مشاهدة الذات الإلهية فهناك عين القلب.

وإن السعادة العظمى تتحقق حينما يفرغ الإنسان من الاشتغال بالمادة واللذات الحسية الزائلة وينشغل في ذكر الله وعبادته، وحين يتخلى عن الأخلاق المذمومة ويتحلى بالصفات المحمودة، وحين يخلع عن قلبه الهوى والدنيا ويطهر نفسه من أدران الحقد والحسد والغل وسائر الأخلاق السيئة ، وقتها يشعر الإنسان بالسعادة الروحية الحقيقية الخالصة،[2]وهذه السعادة التي تحصل للإنسان، تقربه إلى الله تعالى تقريبا لا بالمكان والمسافة ولكن بالمعنى والحقيقة.[3]

**ثانيا– النجاة في الآخرة:**

يرى الغزالي أن السعادة هي الخير الأعلى، الذي يقصد به السعادة الأخروية و هي السعادة الحقيقية،[4] وهو نفس الرأي الذي ذهب إليه أوغسطين، يقول الغزال:" اعلم أن السعادة الحقيقية هي الأخروية، وما عداها سميت سعادة إما مجازا أو غلطا كالسعادة التي لا تعين على الآخرة وإما صدقا، ولكن الاسم على الأخروية أصدق، وذلك كل ما يوصل إلى السعادة الأخروية، ويعين عليه، فإن

[1] أبو حامد الغزالي: مجموعة رسائل الإمام الغزالي،( سر العالمين وكشف ا في الدارين)، (مصدر سابق)، ص512.

[2] عمار النجار: نظرات في فكر الغزالي، (مرجع سابق)، ص68.

[3] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)، ص207.

[4] محمد خليل محسن الديسي التربية الاجتماعية في فكر الإمام الغزالي ،(مرجع سابق)، ص50.

الموصل إلى الخير والسعادة، قد يسمى خيرا وسعادة.[1] كما أن السعادة الأبدية أو الأخروية هي أعظم الأشياء رتبة في حق الآدمي،[2] وهي تعني بقاء بلا فناء، ولذة بلا عناء، وسر بلا حزن، وغنى بلا فقر، وكمال بلا نقصان، وعز بلا ذل؛ وبالجملة كل ما يتصور أن يكون مطلوب، ومرغوب راغب، وذلك أبد الآباد، على وجه لا تنقصه تصرم الأحقاب، والآجال.[3]

ولا تكون إلا بالأخلاق وحياة الفضيلة أيضا وهذا ما يؤكده الغزالي:" كان قد ظهر عندي أنه لا مطمع لي في سعادة الآخرة إلا بالتقوى وكف النفس عن الهوى، وأن رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، وأن ذلك لا يتم إلا بالإعراض عن الجاه والمال والهرب من الشواغل والعلائق".[4]

إن من غايات الأخلاق في فكر الغزالي أيضا النجاة من النار والعقوبة الأخروية والحصول على السعادة الأبدية.

[1] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)،ص 305.

[2] أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين،(ربع العبادات)، ط1،(دار المنهاج، السعودية، 2011م)، مج2، ص 48.

[3] أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، (مصدر سابق)،ص180.

[4] أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، (مصدر سابق)، ص43.

## المبحث الرابع: فاعلية فلسفة أوغسطين والغزالي الأخلاقية في الواقع المعاصر:

في هذا المبحث سنسلط الضوء على بعض الأخلاق والسلوكيات الاجتماعية التي عالجها كل من أوغسطين والغزالي والتي يمكن أن تفيدنا في حياتنا الآنية باعتبار أن الفضيلة والأخلاق نقطة وصل ما بين عصري أوغسطين والغزالي وعصرنا، فالفضيلة لا تتم إلا في الحياة الاجتماعية ودون ذلك لا تسمى فضيلة.

### المطلب الأول: فاعلية فلسفة أخلاق أوغسطين في حياتنا الاجتماعية المعاصرة.

إن ما قلناه أن الفضيلة لابد لها أن تكون في حياة اجتماعية هو ما يؤكده أوغسطين بقوله :"إن حياة عادية قد تكون بلا فضيلة في حين أنه لا يمكن أن تكون فضيلة بلا حياة".[1]لذا فقد حرص أوغسطين على مجموعة من هذه الفضائل والأخلاق ولعل أهمها ما يلي:

#### الفرع الأول–الحب والتعايش السلمي:

إن ما نحتاج إليه حقا في ظل هاته الظروف الصعبة التي يسودها الحقد والكره و الأنانية هو "الحب" نعم الحب تلك القيمة المقدسة السامية، فهي قيمة ضرورية في الحياة المدنية، يقول أوغسطين:" ويوجد أيضا السعادة في هذه الحياة المدنية، حيث يحب الإنسان الخير لأصدقائه الخير بذاته كخيره الشخصي، ويريد لهم ما يريد لنفسه".[2]

الحب إذن هو الرابطة الاجتماعية والصلة بين الأفراد والمؤسس للمجتمع، يعني ذلك أن مجموع الناس الذين يشتركون في حب واحد يجمعهم فيما بينهم يشكلون "مدينة"، لأن الحب لشيء ما يولد عفويا مجتمعا مؤلفا من جميع الأفراد الذين يشتركون في حبه ويبتعدون عن من لا يحبونه ومن يحب الله فإنه يجد

[1] القديس أوغسطين: مدينة الله، (مصدر سابق)، مج3، ص112.

[2] المصدر نفسه، ص113.

نفسه،[1] وبحكم هذا الأمر فإنه في علاقة مجتمعية مع سائر من يحبه، وبتعدد أنواع الحب المشترك تتعدد أنواع المدن، أي أن عدد المدن يساوي عدد أنواع الحب، ولكل مجتمع غاية واضحة يشترك فيها كل أعضائه ذلك أن ما يحبه الأفراد هي السلام وما الحروب إلا لإقامة السلام وليست هي للحروب، والسلام الحقيقي هو الذي يشبع مشيئات كل أفراد المجتمع".[2]

فالحب رابطة مقدسة وهو جوهر نجاح الحياة المدنية وهو من أقوى القيم التي تجمع ما بين البشر، بغض النظر عن اللون أو الجنس أو حتى الديانة، فحقيقة إن ما نحتاج إليه في حياتنا هو الحب وما يتولد عنه من سلام وأمان وتآلف.

**الفرع الثاني– الحث على فضيلة العمل:**

تكلم أوغسطين بإيجابية أكبر عن فضائل المهن والتي سماها المهن العلمانية في العالم حيث قال:" إن المسيحيين يستطيعون القيام بأمور العالم العلماني والحفاظ على عجلة التجارة العالمية دائرة بطرق يمكن تسخيرها لخدمة الرب، ولقد أكد بقوة على أن المسيحي الذي سنحت له الفرصة لأن يصبح قاضيا كان عليه واجبا أن يفعل ذلك.

فجميع الوظائف والأعمال هي جيدة في نظر أوغسطين، بمعزل عن مدى كونها مربحة، أو مدى الاحترام الذي يكنه لها الناس، كما أنه شدد على العمل الشريف والإنسان هو المسؤول عن اختيار طبيعة عمله ويقول في ذلك:" لا تنتقد شغلك أو تجارتك، بل بالأحرى انتقد نفسك وحدها، انتقد قلبك الجشع للكمال والذي لا يخاف الله"، كما أكد أنه لا يوجد أعمال حقيرة بل فقط عمال حقيرون فالمسيحي الحقيقي أيا كان ومهما كان مركزه، يعمل كل ما في وسعه ليكون نافعا للجميع وليتصرف معهم بالعدل.[3]

ولقد ضرب لنا أوغسطين مثلا بالتعامل بالربا وهي من أهم الأمور التي شدد أوغسطين البخس فيها، حيث عارض بشدة عملة قرض المال بالربا التي كانت شائعة في أيامه حيث جلبت خرابا على

[1] علي زيعور: أوغسطينوس، (مرجع سابق)، ص227.

[2] المرجع نفسه، ص228.

[3] هنري تشادويك: أوغسطينوس،(مرجع سابق)، ص66.

بعضهم وثروة لآخرين، ومن أجل هذا اعتبر أوغسطينوس أنه من الأفضل بكثير الوثوق بالله لسد الاحتياجات و ألا يسعى المرء للحصول إلا على الأشياء التي يتوافر عنده المال الكافي لشرائها، وأن يتجنب بأي ثمن جميع الأساليب التي لها علاقة بالمقامرة، ويتوجب على المسيحي أن يقرض المال من دون مقابل ومن دون أن يرجوا شيئا لكن عليه بالمقابل أن يتجنب الاقتراض والتدين بالربا.[1]

نستخلص مما قدمناه أن جميع المهن العملية في الحياة الاجتماعية مطلوبة ومستحبة عند أوغسطين، إلا تلك الأعمال والنشاطات التي يظهر عليها بكل وضوح أنها ملتوية وغير شريفة وهذا نوع من الأخلاق المهنية التي ناشد بها أوغسطين، كما استنكر التعامل بالربا باعتباره نقص في الاعتدال والنظام من أخذ مال دون وجه حق لأنه سيؤدي إلى ظهور ما يسمى بالطبقية وبالتالي اختلال في توازن بنية المجتمع.

**الفرع الثالث– الاغتصاب والإكراه:**

لعل من بين الأمور التي لازال المجتمع المعاصر شديد الحساسية منها هو موضوع الشرف والعفة خاصة مجتمعنا الشرقي الذي يحمل فيه المظلوم كل الجرم والمسؤولية.

فأوغسطين لا يربط ما بين فقدان فضيلة العفة والتعدي على حرمة الجسد كما هو ذائع في عصرنا فهو يقول:" من ذا الذي يكون على هذا القدر من الحماقة ليظن نفسه خاسرا لعفته لأن الجسد وقع ضحية شهوات الآخرين؟ إن فقدت العفة على هذا النحو فليست حقا فضيلة في النفس ولا تعد من الخيرات التي تجعل الحياة صالحة، بل من الخيرات الزمنية كالقوة والجمال والصحة وما شابهها التي إذا فقدت لا تؤثر لا في الحكمة ولا في طهارة الأخلاق، إن لم تكن العفة تزيد بشيء عن تلك الخيرات الواهية فلماذا يعمل الإنسان على رعايتها حتى المغامرة بحياته؟ إن كانت خيرا للنفس فهل تبقى تحت رحمة العنف الذي يمارس على الجسد؟ ماذا أقول؟ عندما تقاوم العفة هجمات الشهوة الجسدية يتقدس الجسد ويثبت في قداسته إن استمرت النية على ثباتها لأن الجسد، بقدر ما هو متعلق به، يسلم الإرادة السلطان عليه ولا تقوم قداسة الجسد في الإبقاء على أعضائه بعيدة عن كل اتصال لأنها تتعرض في

[1] ربيين دانيال: التراث المسيحي في شمال إفريقيا، (مرجع سابق)، ص330.

ظروف عدة إلى أعمال عنف وتجريح وتفرض عليها سلامتها عمليات تخفيف الناظر إليها، وأحيانا تشوه فتاة إما عن قصد أو جهل أو صدفة، إذ ذاك ألا يعتبر من الحماقة القول إن قداسة جسدها قد انتهكت، فمادامت النفس ثابتة وعازمة على تقديس الجسد فلا تقوى أية شهوة خارجية شرسة على أن تنال من قداسة ترعاها عفة مواظبة على السهر واليقظة، أما إن استسلمت الإرادة إلى إغراء معين واستقلت بين أيدي فاتنها فهل يا ترى لا تزال تحتفظ بقداستها الخارجية وقد فقدت وخنقت قداستها الداخلية التي كانت تقدسها بكليتها؟ حاشا لنا الوقوع في هذا الخطأ، إننا نستنتج بخلاف ذلك أن الجسد الذي يتعرض للعنف لا يفقد شيئا من قداسته ما دامت النفس نقية، لكنه وإن حافظ على سلامته وفقدت النفس قداستها يفقدها هو أيضا، ليس على امرأة أن تعاقب ذاتها بميتة اختيارية.[1]

ولقد استشهد أوغسطين بقصة أحد النساء تدعى "لوكريس" التي انتهكت حرمتها وعفتها فانتحرت خوفا من العار، ويرى أوغسطين أن ما فعلته من قتل نفسها ليس حبا للعفة بل الخوف من العار، كما أنه ذم كثيرا الفكر الروماني وعدالة قضاته وهي قصة جاءت في صياغ أولائك الراهبات اللواتي دنست عفتهن أيام الحكم الرومان، [2] لأن هناك نساء قديسات في زمن الاضطهاد قد قبلن الغرق في النهر الموت، هروبا من العار، حيث هلكن.[3]

فجريمة الاغتصاب إذن إحدى أشد جرائم الاعتداء على شرف وحرية الآخر وما يلحقه من أذى جسدي ونفسي وحتى عقلي وهو جرم يؤدي إلى نوع من النّبوذ والظلم الاجتماعي وقد أفلح أوغسطين في مناقشة ومعالجة لهذه القضية بشكل منطقي وبين أن العفة تتعلق بالنفس والقلب دون الجسد على وجه الإكراه.

[1] القديس أوغسطين: مدينة الله،(مصدر سابق)، مج1، ص37.

[2] المصدر نفسه، ص38_39.

[3] المصدر نفسه، ص47.

## المطلب الثاني: فاعلية فلسفة أخلاق الغزالي في حياتنا الاجتماعية المعاصرة.

لم يقصر الغزالي هو الآخر في تناوله لقضايا اجتماعية ودراستها من الناحية الأخلاقية ولقد اخترنا أهمها لما يخدم عصرنا خاصة قضية التكفير.

### الفرع الأول– بث روح التعاون:

أول ما يبرر وجود المجتمع عند الغزالي هو ضمان بقاء الفرد وسلامته، إذ أن بقاءه وسلامته شرطان لسعادته، كما أن حاجات البدن الضرورية من المأكل والمشرب والملبس والمسكن، لضمان بقاء الإنسان تتحتم عليه سدها وتوفيرها ولا يمكنه ذلك وحده، لذا يتحتم التعاون بين الناس على سد هذه الحاجات، بتوزيع الأعمال الضرورية لتوفير متطلبات الإنسان، فنشوء المجتمع الإنساني هو نتيجة حتمية لعجز الفرد عن توفير العيش لنفسه وحده، ولا ريب في أن الضرورة لوجود هذا المجتمع تدل على حكمة الله في خلقه هذه الحاجات من ناحية، وفي جعله الإنسان عاجزا وحده عن سدها من الناحية الأخرى، وكذلك فقد خلق الله في كل إنسان رغبة في التجمع، ليجعل وجود المجتمع أمرا حتميا، ويمكن القول بعبارة أخرى أن الله تعالى فرض حتمية المجتمع في خلقه للطبيعة الإنسانية كما هي.[1]

فقيمة التعاون قيمة أخلاقية تتمثل في بحثها عن تكافل وقوة دعم للمجتمع فهي ذات بعد نفعي.

### الفرع الثاني– الحث على فضيلة العمل وتحقيق الاكتفاء الذاتي:

اهتم الغزالي أيضا بالحياة المهنية كما فعل أوغسطين باعتبارها عبادة وواجب اجتماعي، كما يرى أنه لابد على كل بلد من بلدان المسلمين، أن تتوفر فيه الحاجات الضرورية في كل القطاعات، ولذا كان وجود من يقوم بهذه الخدمات من فروض الكفايات، وقد أعطى لنا الغزالي أمثلة؛ كمهنة الطب إذ هي ضرورية في حاجة بقاء الأبدان، وكالحساب فهو ضروري في المعاملات، وقسمة الوصايا والمواريث

[1] علي عيسى: الإنسان عند الغزالي، (مرجع سابق)، ص222.

وغيرها. وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج لأهل البلد، وإذا قام بها واحد كفى، وسقط الفرض على الآخرين.

ويقدر الغزالي أن الناس سوف يتعجبون من قوله أن الطب والحساب من فروض الكفايات، وذلك أمر لم يطرق أسماعهم من قبل، وكل ما سمعوه عن أمثلة فروض الكفايات أنما يتعلق بأمور العبادات كصلاة العيدين، وصلاة الجنازة، فإذا قام به البعض سقط الإثم عن الآخرين.

ويوضح الغزالي ذلك بقوله:" فلا يتعجب من قولنا : إن الطب والحساب من فروض الكفايات، فإن أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات: كالفلاحة ، والحياكة، والسياسة، بل والحجامة والخياطة، وبين أن الفرضية لا تسري إلى كل الأعمال ، فما كان من الصناعات زيادة على القدر المحتاج إليه فهو من باب الفضيلة لا الفريضة.

فما كان من العلوم والصناعات و به قوام أمور الدنيا وهو ضروري في حاجة بقاء الأبدان فهو من فروض الكفايات، وما كان منها متعلقا بما هو زائد على الضروري فهو من باب الفضيلة كالتعمق في دقائق الطب ودقائق الحساب وغير ذلك. ومن هذا المنطلق كان نكيره على العلماء الذين انكبوا على تعلم العلوم الشرعية، وذهبوا يضيعون وقتهم بتفريعات لا طائل تحتها. ثم تركوا ميادين أخرى _كميدان الطب_ لغير المسلمين.[1]واعتبر ذلك تركا لفرض كفاية، وكل بلد ليس فيها طبيب مسلم، فجميع القادرين على تعلم الطب آثمون، وفي هذه الحالة يكون تعلم الطب أفضل عند الله من تعلم الفقه إذا كان في البلد من يفي بحاجة الفقه.[2]

تميّز الغزالي عن أقرانه من العلماء بتأكيده على ضرورة العمل والتّمهن في مختلف المجالات باعتباره فرض كفائي لتحقيق ما يسمى بالاكتفاء الذاتي.

[1] صالح الشامي: الإمام الغزالي، (مرجع سابق)، ص251.

[2] المرجع نفسه، ص252.

**الفرع الثالث– قضية الظلم:**

اهتم الغزالي بقضية الظلم لأنه يسبب الأذى للآخرين فهو انتهاك لحقوق الغير وهو نوع من تجسيد للشر لذا يجب الرد على الحكم الظالم وسعي الأفراد جاهدين لإنكار الظلم معنويا وماديا لأن السكوت عنه يعتبر اشتراك في الظلم،[1] وقد ميز الغزالي مابين نوعين من الظلم حيث يقول:"الظلم نوعان؛ أحدهما ظلم السلطان لرعيته وجور القوي على الضعيف والغني على الفقير، والثاني ظلمك لنفسك، وذلك من شؤم معصيتك، فلا تظلم ليرفع عنك الظلم".[2]

لقد ركز الغزالي على الحكماء لما لهم الأثر الكبير في تبعية رعيتهم لهم حيث قال الحكماء إن طباع الرعية نتيجة طباع الملوك؛ لأن العامة إنما ينتحلون ويركبون الفساد وتضيق أعينهم اقتداء بالكبراء، فإنهم يتعلمون منهم ويلزمون طباعهم، ألا ترى أنه قد ذكر في التواريخ أن الوليد بن عبد الملك من بني أمية كان مصروف الهمة إلى العمارة وإلى الزراعة؛ وكان سليمان بن عبد الملك كان مصروف في كثرة الأكل وطيب المطعم وقضاء الأوطار وبلوغ الشهوات؛ وكانت همة عمر بن عبد العزيز في العبادة والزهادة. وهكذا كانت رعيتهم.[3] كما انتقد علماء الدين الذين يستخدمونهم الحكام كأداة لالتزام أفعالهم الظالمة كجسر عبور لأعمالهم القبيحة، فالأخلاق هي رفض أن تكون شريكا في فعل الشر وظلم الآخرين.[4]

**الفرع الرابع–معالجة مسالة التكفير:**

لعله من أهم السلوكيات التي تهدم تماسك المجتمع هو ما يسمى بالتكفير وهو من الأخلاق الذميمة بحكم مخالفته لأحكام الشريعة وغرضها التي تدعو للوحدة والتعاون.

---

[1] Mohamed Khair Eiadat: Community of one : Al-Gazali's Ethical tyeory Revisited ,( dirasat ,human and social sciences , University of Jordan, 2014) volume 41, N1 p312

[2] أبو حامد الغزالي: التبر المسبوك في نصيحة الملوك، ط1، (دار الكتب العلمية، لبنان، 1988م)، ص47.

[3] أبو حامد الغزالي: التبر المسبوك في نصيحة الملوك، ص150-151.

[4] Mohamed Khair Eiadat: Community of one .( Op.Cit). p312.

لقد وقف الغزالي ضد تيار الغلو في التكفير الذي كان يسود مناخ الفرق الإسلامية في عصره، وقبل عصره، وحتى عصرنا اليوم فكل فرقة تكفر من يخالفها في الرأي، وتعتقده مكذبا لله ولرسوله، ومعنى هذا إهدار دمه وماله، واعتقاد استحقاقه الخلود في النار، ولكن الغزالي عارض هذا الإسراف بقوة.

يقول الغزالي في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد:" وللفرق في هذا مبالغات وتعصبات فكل طائفة تنتهي أحيانا إلى تكفير كل فرقة سوى الفرقة التي تنتسب إليها"،[1] وقد وصفهم بالضلال كما يقول في فيصل التفرقة ما بين الإسلام والزندقة:" فخاطب نفسك وصاحبك وطالبه بحد الكفر فإن زعم أن حد الكفر ما يخالف مذهب الأشعري أو مذهب المعتزلي أو مذهب الحنبلي أو غيرهم فأعلم أنه غير بليد، قد قيّده التعليم الأعمى من العميان".[2] ويحدد الغزالي أن التكفير لمجرد المخالفة أو بموجب الظن فهو خطأ يقول الغزالي:" والمفروض أن يكون هناك أصول يأتي عليها التكفير وبناء عليها يكون الحكم، لا أن يكون بموجب الظن"،[3] لأنه من الخطأ في التأويل موجب للتكفير، فلابد من دليل عليه، وثبت أن العصمة مستفادة من قول( لا إله إلا الله) قطعا، فلا يدفع ذلك إلا بقاطع وهذا القدر كاف في التنبيه على أن إسراف من بالغ في التفكير ليس عن برهان، فإن البرهان إما أصل، أو قياس على أصل، والأصل هو التكذيب الصريح، ومن ليس بمكذب فليس في معنى الكذب أصلا، فيبقى تحت عموم العصمة بكلمة الشهادة.[4]

إن هذه المسألة التي عالجها الغزالي من أخطر المسائل التي تواجهنا اليوم، إذ أن كل فرقة تتدعي العصمة والفكر الملائكي وأحقيتها في الجنة دون الأخرى، وبالتالي ظهور فرق و أحزاب متفاوتة متنافرة الرأي بدل التعاون والتكافل وهذا بالضبط ما هو سائر في مجتمعاتنا فالكل يدعي الحقيقة والمخالف صار في هامش التطرف والتغليط والتكفير.

[1] أبو حامد الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد محمد، تحقيق: إنصاف رمضان، ط1،( دار قتيبة، لبنان، 2003م)، ص175.

[2] أبو حامد الغزالي: مجموعة رسائل الإمام الغزالي،( فيصل التفرقة)، (مصدر سابق)، ص255.

[3] أبو حامد الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد محمد، (مصدر سابق)، ص178.

[4] يوسف القرضاوي: الغزالي بين مادحيه وناقديه، ط4، (مؤسسة الرسالة، لبنان، 1994م)، ص72.

**خلاصة الفصل:**

إن مفهوم الخير والشر عبارة عن نقطة مركزية في الفكر الأخلاقي بوجه عام، وفي فكر كل من أوغسطين اللاهوتي والغزالي بشكل خاص، حيث قدم لنا كل منهما نظرتهما لقضية الخير والشر وبيّنا لنا الحكم على السلوك (خيري أو شري) اعتمادا على تفعيل الفضيلة، كما تعرفنا من خلال فلسفتها الإيتيقية على العلاقة بين الأخلاق والخلاص في المسيحية والاخلاق والنجاة في الاسلام، ووصول الإنسان لغايته المنشودة والمتمثلة في اللذة الآنية الدنيوية والأبدية الأخروية معا.

ذلك أن من أهم الغايات التي تنشدها الفضيلة المقرونة بالإيديوجيات الدينية خاصة الإسلام والمسيحية هي السعادة الأبدية، وذاك يكون في اليوم الآخر وهو يوم الجزاء حيث يجزى كل إنسان على حسب إيمانه وعمله المرتبط بالأخلاق فمن عمل صالحا كان له الثواب وهو النعيم الأبدي والسعادة الحقيقية، ومن أساء فله العقاب والشقاء الأبدي.

كما أن الوصول إلى السعادة المرتبطة بالله من صور الفكر الصوفي للغزالي باعتباره غاية كل اللذات خاصة لذة القلب التي كلما زاد معرفته بالله زادت تلك اللذة، وللوصول لهذه المرحلة الذوقية لابد من؛ طهارة القلب التي تجب بترك المعاصي والذنوب وسوء الخلق والشهوات والتخلق بالفعل الحسن وإتباع النفس لله، حتى تصبح فاضلة وتصبح سعيدة ببلوغه، ففي الله تلتقي السعادة والفضيلة ويبلغ الإنسان كل رغباته.

أما أوغسطين فلقد ربط بين السعادة والخير الأسمى المطلق (الله) والتي لا تكون إلا بالحب وممارسة الفضيلة، ففلسفة السعادة الحقيقية الدائمة هي التمتع بالله وحبه ووصاله.

كما تطرقنا لمجموعة من القضايا الاجتماعية التي ناقشاها بطريقة عقلانية قدما فيها مجموعة من الحلول الصالحة لقضايا عصرنا. كقضية الشرف والاغتصاب التي تناولها أغوسطين والتي يتحمل فيها المغصوب كل المسؤولية، وقضية التكفير التي عرج عنها الغزالي باعتبارها من أهم الأساليب الهدامة لرابطة المجتمع ووحدة الأمة.

# خاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**خاتمة**

حاولنا في هذا البحث تسليط الضوء على فلسفة الأخلاق لكل من القديس أوغسطين ومناظره أبي حامد الغزالي واستنباط المنظومة التربوية الأخلاقية لكل منهما مع تحديد مميزات وعناصر كل منظومة، كما تبين لنا من خلال هذا البحث مدى وفعالية نجاح كل من أوغسطين والغزالي في تقديم فكرهما الأخلاقي التربوي الصالحة لمتطلبات عصرنا المادي.

فلقد تمكن أوغسطين من تشريع لمفهوم جديد في الفلسفة الأخلاقية وهو مفهوم الانسان الباطني مقر الحقيقة والجوهر الثابت الغير متغير، وأن الحقيقة الموجودة في الذات (الله) لا يمكن الوصول غليها إلا بالإيمان و العقل، كما أنه تميز عن معلميه من فلاسفة الإغريق في مسألتين؛ أولها سلطة العقل واحتلاله أعلى سلطة، بينما يرى أوغسطين أن هناك سلطة أعلى منه وهي سلطة الكتاب المقدس وهنا يتفق أوغسطين مع الغزالي (سلطة الشريعة على العقل). وثانيها في تقسيمه لقوى النفس وهي عنده قوة واحدة ولكنها تختلف في الافعال وهي النفس العاقلة والتي بدورها تنقسم إلى ثلاث أنواع وهي الذاكرة والعاقلة والإرادة.

كما أن نظرته للخير هو أن يجد كل شيء كمالاته اللائقة به والشر هو فقدان ونقص، كما اتفق مع الغزالي على أن الله هو كلي الخير والصلاح، والخير الاسمى هو توجه النفس لطبيعة عليا تمنحها السعادة الخالدة الأبدية وهي الله؛ بمعنى أنه تجاوز النظرة الرواقية في ذلك، فالخير الاسمى عنده هو الامتلاء والتشبع فوق كل لذة وهو الله.

أما بالنسبة لأبي حامد الغزالي وما ميزه عن غيره من فلاسفة الأخلاق هو تمكنه من مزج الفكر الفلسفي مع علم النفس والشريعة في دراساته الأخلاقية، وذلك من خلال تحليله لطبيعة السلوك وإرجاعه لأصله، وهذا دليل واضح أن الغزالي لم يكن صانع للوعظ ولا لقواعد أخلاقية مثلما ذهبت جل الفلسفات الأخلاقية قديما وحديثا، وإنما كان محللا للأخلاق، باعتبارها سلوكا ناتجة عن قوى عقلية وجسدية مشتركة، فإن النفس إن كملت وكانت زكية حسنت أفعال البدن، وكذا البدن إن جملت آثاره حدث منها في النفس وتولد هيئات حسنة، وأما النقطة التي يتفق فيها مع غيره هو؛ أن حسن

الخلق يرجع إلى اعتدال قوة العقل وكمال الحكمة أي اعتدال كل من القوى الشهوانية والغضبية وكونهما مطيعتان للعقل والشرع وسوء الخلق يكون باعتلال هذه القوى.

**ومن أهم نتائج البحث أيضا ما يلي:**

- بين لنا كل من أوغسطين و الغزالي وظيفة الدين الاجتماعية التي تهدف للتأثير في جوهر الإنسان وباطنه إذ أن العقوبة التي يحددها القانون الوضعي أو المجتمع قد تؤدي إلى ظلم وخلل في الحكم بمعنى أن تلك العقوبة قد يتحملها بريء وهنا يتدخل الضمير والدين (الثواب والعقاب).
- يمثل الغزالي الذي يسير مع الفلاسفة في دراسة الأخلاق الاتجاه الروحي العقلي وذلك بإخضاع قوى النفس لحكم العقل وسلطانه، وحصر الفضائل الأخلاقية تحت أمهاتها الأربعة.
- تمكن الغزالي من خلال تحليلاته النفسية والروحية الدقيقة في طرق تطهير الباطن وتصفية الروح.
- اعتمد الغزالي على منهجية التدرج في تربية النفس وذلك بالاجتهاد والعزم بالعمل، بإعادة الفعل وتكراره في فترات زمنية متقاربة حيث يولد في النفس هيئة راسخة تيسر صدور الفعل بعدما كان يستثقل عليها.
- إن النفس عند كل من الغزالي و أوغسطين هي مركز الصدارة والأولوية لفعل الأخلاق.
- تبين لنا علاقة علم النفس بالأخلاق حيث أن الخلق هو سلوك إنساني ناشئ عن عوامل داخلية من انفعالات وميول وإرادة.
- تتعلق السعادة بالخير والسعادة المطلقة بالخير الأسمى فينال الإنسان من ورائها الرضا الروحي والخلاص الأبدي.
- يعتبر الخير صورة للفضيلة والسعادة نتيجة حتمية لممارسة الفضيلة عند كل من اوغسطين والغزالي وهذا ما يتفقان فيه مع الفلسفة الرواقية.
- بين كل منهما أن دور الفضيلة يكمن في توجيه الإنسان لفعل الخير.
- غاص كل من أوغسطين والغزالي في أعماق المجتمع، ورصدا كثيرا من الظواهر الاجتماعية والأخلاقية، التي نشأت عن سوء فهم حقيقة الدين، كما طرحا بعض القضايا الأخلاقية التي عالجاها حيث كان لها علاقة بالواقع المعاصر .

**التوصيات:**

وفي ظل هذه النتائج التي توصلنا لها نرى أن نقدم بعض التوصيات منها:

- التركيز على الأخلاق وجعلها من المحاور الأساسية في جميع المؤسسات التعليمية، والاهتمام بالتربية الأخلاقية من قبل المسؤولين في التربية والتعليم بطرق تطبيقية.
- إنشاء نوادي علمية تدريبية لتطبيق منهجية كل من أوغسطين والغزالي التربوية في تنشئة الطفل، وحتى منهجية المعالجة البسيكولوجية للشباب المدمن.
- توجيه اهتمام وسائل الإعلام للأفكار الأخلاقية من خلال تخصيص برامج تهدف لزيادة الوعي بأهمية الأخلاق في واقعنا المعاش.
- التنسيق ما بين التعليم العالي والمؤسسات التربوية لإيجاد حلول عصرية لاستغلال طاقات الشباب بشكل إيجابي وحمايتهم من الانحراف.

**آفاق البحث المستقبلية:**

وإن ما توصلت إليه هذه الدراسة من نتائج فإننا نقترح عدد من الدراسات والبحوث الخاصة بمجال الفلسفة الأخلاقية:

- إعداد دراسات مستقبلية حول شخصيات تاريخية أخرى لها توجهات فلسفية دينية وأخلاقية.
- دراسات ميدانية تبين العلاقة بين التفكير الأخلاقي والتدين وفاعليتهما في ردع الجريمة.
- دراسات ميدانية لمعرفة عراقيل وصعوبات تقبل النشء للفكر الأخلاقي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الملخصات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**الملخص:**

تعد الإيتيقية فلسفة فكرية ممزوجة ما بين المعتقدات و المثاليات الموجهة، تهدف لحياة خيرة سعيدة ضمن مجموعات بشرية وذلك بالنظر في غايات الوجود البشري التي ترنو للسعادة والاستقرار، فهي ذي بعد اجتماعي فردي تهتم بالسلوك وحكم ماذا ينبغي أن يكون وما هو قائم لتصحيحه وفق معايير معينة، أي أنها لا تقتصر على وصف وقائع السلوك دون الحديث عن المعيار أو المثل الأعلى. ولقد بات هذا العلم من ضروريات العصر الذي غرق في المادية وسيمّ بمظاهر الانحطاط وانفكاك تلك الروابط التي سعى الإنسان منذ بداياته الأولى لترسيمها كقواعد وقوانين للحفاظ على وحدته، وهذا ما دعا للكثير من الباحثين الغوص في منابع الفكر الإنساني التي كان لها بعد أخلاقي بطابع ديني وفلسفي ولعل أهمها شخصية كل من أوغسطين وأبي حامد الغزالي، فهما أكثر الفلاسفة تأثيرا ليس فقط في الإطار الديني وإنما أيضا في تاريخ الفكر الإنساني عامة.

فكل منهما اهتما بتلك القيم النبيلة التي ترفع من المفهوم الإنساني من خلال ثنائية الخير والشر ضمن دائرة المنظومة الأخلاقية المستمدة من الفلسفة والدين أي نتاج تراكمي إلهي بشري. وبالرغم من اختلاف العقائد والمذهب والإيمان بينهما إلا أنهما يتقاسمون ركائز ومبادئ مشتركة تتمثل في تلك القيم الأخلاقية والسلوكيات الإنسانية التي تحافظ على كرامة الفرد واحترام الإنسانية بوجه كلي.

فلقد كان أوغسطين تجسيدا حقيقيا لذروة الفلسفة المسيحية حيث كانت حياته الفكرية والأخلاقية انعكاس لاضطرابات عصره بشكل غير مباشر، حيث سعى لربط القيمة الأخلاقية بالفعل الإرادي الحر فقامت فلسفته الأخلاقية على فضيلة الحب باعتبارها رأس الفضائل التي تصدر من الخير الكلي أو الله، وأن اللذة تشارك في الفضيلة عندما لا يطلب غاية أخرى بل حين يطلبها بحد ذاتها ولذاتها، وأن لذة الفضيلة الكاملة هي معاينة الله وبها يتحقق خلاصه.

أما الأخلاق عند الغزالي فهي غاية لا نصل إليها إلا بفهم آلة السلوك وكيفية تكونه ثم تطوره بتدخل القلب والنفس، وهي كذلك ما به يحقق الإنسان كماله الذاتي والنوعي، فهي ليست أمرا زائدا أو إضافيا أو قيمة من القيم المسقطة، وإنما هي نتاج السلوك ذاته الذي يخضع للتعديل والتصحيح.

**كلمات مفتاحية:** فلسفة الأخلاق؛ القديس أوغسطين؛ أبي حامد الغزالي.

**Résumé:**

L'éthique est une philosophie intellectuelle mêlant les croyances et les idéaux orientés. Elle Vise une vie heureuse et prospère au sein d'un groupe en tenant compte des objectifs de l'existence humaine qui recherchent le bonheur et la stabilité. Elle possède une dimension sociale et individuelle. Elle s'intéresse au comportement et au jugement de ce qui devrait être et de ce qui est en place pour le corriger selon des critères précis. Elle n'est pas limitée à décrire les faits du comportement sans parler d'une norme ou d'un idéal. Cette science est devenue l'une des nécessités de l'époque qui a plongé dans le matérialisme, et qui est distingué par les manifestations de la décadence et de la rupture des liens que l'homme a cherchés depuis ses débuts pour les délimiter en tant que règles et lois pour préserver son unité. Tout cela a poussé beaucoup de chercheurs à plonger dans les fontaines de la pensée humaine qui avait une dimension morale à caractère religieux et philosophique, dont Augustin et Abou Hamid al-Ghazali, sont les plus importants d'entre eux car ils sont les philosophes les plus influents non seulement dans le cadre religieux, mais aussi dans l'histoire de la pensée humaine en général.

Les deux se sont intéressés à ces nobles valeurs qui élèvent le concept humain à travers la dichotomie du bien et du mal dans le cercle du système moral qui dérive de la philosophie et de la religion, c'est-à-dire un produit divin, humain et accumulatif. Malgré les différences de croyances et de doctrines entre eux, ils partagent des fondements et des principes communs représentés dans les valeurs morales et les comportements humains qui préservent la dignité de l'individu et le respect de l'humanité de manière globale.

Augustin était une véritable incarnation de l'apogée de la philosophie chrétienne dont sa vie intellectuelle et morale reflétait indirectement les troubles de son temps. Là où il cherchait à lier la valeur morale à l'acte volontaire libre, dont sa philosophie morale est fondée sur la vertu de l'amour comme il est le chef des vertus qui émanent du bien total ou de Dieu, et que le plaisir participe à la vertu quand on ne cherche pas un autre but mais quand il le demande en lui-même et pour lui-même, et

que le plaisir de la vertu parfaite est de voir Dieu, et grâce à ça son salut est atteint.

En ce qui concerne l'éthique, selon Al-Ghazali, c'es un objectif que l'on ne peut atteindre qu'en comprenant la machine du comportement et comment elle s'est formée, puis son développement par l'intervention du cœur et de l'âme. C'est le moyen par lequel l'homme réalise sa perfection personnelle et qualificative. Elle n'est pas un plus ajouté ou une valeur des valeurs projetées. Au contraire, il est le produit du comportement lui-même qui est soumis à la modification et la correction.

***Mots clés:*** la philosophie de l'éthique; Saint Augustin; Abi Hamid Al-Ghazali

**Abstract:**

Ethics is an intellectual philosophy combining beliefs and oriented ideals. It aims to realize happy and prosperous life within a group taking into consideration the objectives of human existence which seek happiness and stability. It has a social and an individual dimension. It is interested in the behavior and the judgment of what should be and what is in place to correct it according to precise criteria. It is not limited to describe the facts of the behavior without talking about a standard or an ideal. This science has become one of the necessities of the age which plunged into the materialism, and which is distinguished by the manifestations of decadence and the breaking of

The links that man has sought since his beginnings to delimit them as rules and laws to preserve his unity. All this has driven many researchers to dive into the fountains of human thought which had a moral dimension of a religious and philosophical nature, and the most important of them is the personality of Augustine and Abu Hamid al-Ghazali, because they are the most influential philosophers not only in the religious framework, but also in the history of human thought in general. Both were interested in those noble values that elevate the human concept through the dichotomy of good and evil in the circle of the moral system that derives from philosophy and religion. That is to say a divine, human and accumulative product. In spite of the differences in beliefs and doctrines between them, they share common foundations and principles represented in the moral values and the human behaviors which preserve the dignity of the individual and the respect for humanity as a whole.

Augustine was a true incarnation of the climax of Christian philosophy whose his intellectual and moral life indirectly reflected the problems of his time. There where he sought to link moral value to the free voluntary act, where his moral philosophy is based on the virtue of love as it is the head of the virtues which emanate from the total good or from God, and that the pleasure participates in the virtue when another goal is not required, but when it asks itself and for itself, and the

pleasure of the perfect virtue is to see God, and thanks to this his salvation is achieved.

Regarding the ethics, as for Al-Ghazali, it is an objective that we can reach only by understanding the machine of the behavior and how it was formed, then its development through the intervention of both, heart and soul. It is the means by which the man realizes his personal and qualifying perfection. It is not an added plus or a value of the projected values. Rather, it is the product of the behavior itself that is subject to the modification and the correction.

**Keywords:** the philosophy of the ethics; Saint Augustin; Abi Hamid Al-Ghazali

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الفهارس:

فهرس القرآن الكريم.

فقرات الكتاب المقدس

قائمة المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# فهرس القرآن الكريم

| السورة | الآية | رقم الآية | الصفحة |
|---|---|---|---|
| البقرة | " وَإِذْ أَخَذْنَا ....وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ" | 83 | 222 |
| فصلت | " وَلَا تَسْتَوِي .... وَلِيٌّ حَمِيمٌ " | 34 | 222 |
| الإسراء | " وَيَسْـَٔلُونَكَ ..... إِلَّا قَلِيلًا " | 85 | 235 |
| الحجر | " فَإِذَا .....لَهُۥ سَٰجِدِينَ" | 29 | 236 |
| المؤمنون | " وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ .... مِّن طِينٍ " | 12 | 236 |
| الأنبياء | " وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ .... أَفَلَا يُؤْمِنُونَ" | 30 | 236 |
| الرحمن | " خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ " | 14 | 236 |
| الأعراف | " خُذِ ٱلْعَفْوَ .....عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ " | 199 | 257 |
| الحجرات | " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ..... تَوَّابٌ رَّحِيمٌ" | 12 | 259 |
| البقرة | " يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ ....أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ " | 269 | 267 |
| ص | قَالَ يَا إِبْلِيسُ ..(75) ..وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (76) | 76-75 | 248 |
| الفتح | "....وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ....." | 29 | 269 |
| الزمر | "فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ... مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ " | 32 | 309 |
| التوبة | "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ....مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ " | 119 | 309 |
| طه | " كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ ....غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ " | 81 | 309 |

# فهرس الكتاب المقدس

| الإصحاح | اسم السفر | الإصحاح/الفقرة | الصفحة |
|---|---|---|---|
| "قد قيل بك أمجاد يا مدينة الله" | مزمور | 87/3 | 102 |
| "حتى ما تظل قلوبكم.....وتبتغون الكذب" | مزمور | 2/4 | 122 |
| "اسخطوا ولا تخطأوا" | مزمور | 4/4 | 122 |
| "لا تقتل ومن قتل يكون ....مستوجب الحكم" | متى | 22-21/5 | 123 |
| "سمعتم أنه قيل .... أجل الذين يسيئون إليكم" | متى | 28-27/5 | 123 |
| "وقد جبله الله ...في أنفه نسمة حياة" | التكوين | 7/2 | 131 |
| "خلقه الله على صورته" | التكوين | 27- 26/1 | 131 |
| "وقد أعطى الإنسان سلطانا على الحيوانات" | التكوين | 28-26/1 | 131 |
| "توكلوا عليه ...قلوبكم الله ملجأ لنا" | مزمور | 8/62 | 133 |
| فبيننا السور واتصل ..... .. قلب في العمل | نحميا | 6/4 | 133 |
| "قلب معوج ...ومنتفخ القلب لا أحتمله | مزمور | .5- 4/101 | 133 |
| "أحمدك باستقامة قلب عند ... أحكام عدلك" | مزمور | 7/119 | 133 |
| "هذا شر كل ..... يذهبون إلى الأموات" | الجامعة | 3/9 | 133 |
| "القلب أخدع من كل شيء ... من يعرفه" | ارميا | 9/17 | 133 |
| "لأن القلب يؤمن ...والفم يعترف به للخلاص" | روميا | 10/10 | 133 |
| "لأن الإنسان ينظر إلى العينين ...إلى القلب" | رسالة صموائيل الأول | 1 صم 7/16 | 133 |
| "تحب الرب إلهك من كل قلبك" | متى | 37/22 | 133 |
| "هنيئا لك .... إليه مرتاحا" | متى | 8/5 | 134 |
| "الله روح والذين ... ينبغي أن يسجدوا" | يوحنا | 24/4 | 136 |
| "أليس جميعهم ... يرثوا الخلاص" | العبرانيين | 14/1 | 136 |
| "ولتحفظ .....وجسدكم كاملة بلا ألم" | تسالونيكي الأولى | 1تس 23/5. | 136 |
| "يرجع .... إلى الله الذي أعطاها | الجامعة | 7/12 | 136 |
| "وقال الله.... .....أرض كأجناسها" | التكوين | تك1/24. | 137 |
| "لأن نفس .... لأن الدم يكفر عن النفوس" | اللاويين | 11/17و14. | 137 |
| "وجبل الرّب الإله ... فصار آدم نفسا حية" | التكوين | 7/2 | 139 |

| | | | |
|---|---|---|---|
| "لأنّه ماذا..... .... الإنسان فداء عن نفسه | متى | 26/16 | 139 |
| وقال الله..... .. على وجه جلد السماء" | التكوين | .20/1 | 139 |
| "طوبى للمساكين... شريرة من أجلي كاذبين" | متى | 11-3 /5 | 164 |
| "اغفروا يغفر لكم، أعطوا تعطوا" | لوقا | 37/6 | 166 |
| "أتريد السلام اعمل ....والبر تعانقا" | مزمور | 11/134 | 167 |
| "يا رب كم مرة .... سبعين مرة سبع مرات" | متى | 22-21/18 | 168 |
| "إن قلت لأخيك يا أحمق استحققت نار جهنم" | متى | 22/5 | 168 |
| "توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات" | متى | 17/4 | 173 |
| "ملكوت السموات في داخلكم" | لوقا | 21/17 | 173 |
| "لا تكن تابعا لشهواتك بل عاص أهواءك" | يشوع | 30/18 | 175 |
| كيف تقدرون ... المجد الذي من عند الله وحده" | يوحنا | 44/5 | 175 |
| "إن أكلنا لم نزدد وإن لم نأكل لم ننقص" | رسالة كرونثس الأولى | 1كور8/8 | 176 |
| "تعلمت أن أكون ... كل شيء في من يقويني" | فيليب | 4/11 | 176 |
| "يا بني إن ....البر فيهبها لك الرب" | يشوع | 33/1 | 183 |
| "فعرفت كل ما .... شيء علمتني وهي الحكمة" | الحكمة | .21/7 | 183 |
| "ومع ذلك فإننا بحكمة ... ومصيرهم للزوال" | رسالة كرونثس الأولى | 1كرو 6/2 | 183 |
| "امشوا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام" | يوحنا | 35/12 | 184 |
| "إن الذي يحتقر اليسير يسقط شيئا فشيئا" | يشوع | 1/19 | 184 |
| "ويحل روح الرب ...يقضي بالعدل للمساكين" | إشعيا | 4_2/11 | 184 |
| "البار يحيا بالإيمان" | روما | 17/1 | 314 |
| "لأننا نلنا الخلاص... فبالصبر ننتظره" | روما | .24/8 | 315 |
| "طوبى ... ويلتمسونه | مزمور | .2_1/118 | 316 |

# فهرس الجداول


| الرقم | العنوان | الصفحة |
|---|---|---|
| 1 | الجدل الصاعد والجدل الهابط. | 32 |
| 2 | جدول يبين عقوبة بعض الجرائم. | 60-59 |
| 3 | جدول توضيحي لبعض مؤلفات أوغسطين. | 100 |
| 4 | جدول يبين وظيفة كل عضو والشهوة المتعلقة به وكيفية المحافظة عليه.عند أوغسطين | 177 |
| 5 | جدول توضيحي لمراحل تدوين الكتب حسب فترات زمنية متسلسلة-الغزالي | 204 |
| 6 | العلاقة بين العضو الحسي والفعل الخلقي.-الغزالي- | 262 |
| 7 | جدول يبين منهجية أوغسطين في الحكم على الفعل من خلال بعض الأمثلة | 296 |
| 8 | جدول يبين منهجية الغزالي في الحكم على الفعل من خلال بعض الأمثلة | 309 |

# فهرس الأشكال


| الرقم | العنوان | الصفحة |
|---|---|---|
| 1 | أنواع الشعور | 49 |
| 2 | مخطط يوضح منهجية أوغسطين. | 172 |
| 3 | المنظومة الأخلاقية الأوغسطينية | 180 |
| 4 | أقسام القوى للنفس الحيوانية.-الغزالي- | 243 |
| 5 | مخطط يوضح أقسام قوة النفس الإنسانية- الغزالي- | 244 |
| 6 | مخطط يوضح القوة النباتية —الغزالي- | 245 |
| 7 | فضائل ورذائل الحكمة. | 269 |
| 8 | فضائل ورذائل فضيلة الشجاعة. | 271 |
| 9 | فضائل ورذائل فضيلة العفة. | 272 |


جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# قائمة المصادر و المراجع:

## أولا_ قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية:

### أ-المصادر:


1- القرآن الكريم. مصحف المدينة برواية حفص عن عاصم الكوفي.

2- الكتاب المقدس. نسخة الملك جيمس، (اصدار 1992م)

3- الدّامابادا: كتاب بوذا المقدس، ترجمة:سعدي يوسف،ط1، (دار التكوين، سوريا، 2010م).

4- ابن مسكويه ، أحمد بن محمد: تهذيب الأخلاق، تحر: عبد العليم صالح، دط( مطبعة الترقي، مصر، 1900م).

5- أبو البقاء أيوب الكفوي: الكليات، ط2، 5مؤسسة الرسالة، لبنان، 1998م ).

6- أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد بن علي الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط1،(دار الكتب العلمية، لبنان،1359هـ)، ج8.

7- أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي: تبيين المفتري فيما نسب إلى الإمام الحسن الأشعري، دط، (مكتبة القدسي، مصر، 1929هـ).

8- أبو حامد الغزالي: (روضة الطالبين وعمدة السالكين)، مجموعة رسائل الإمام الغزالي.

9- أبو حامد الغزالي: (فيصل التفرقة) مجموعة رسائل الإمام الغزالي.

10- أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ربع المهلكات، ط1، (دار المنهاج، السعودية، 2011م)، مج5.

11- أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ربع المهلكات، ط1، (دار المنهاج، السعودية، 2011م)، مج5.

12- أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين،(ربع العبادات)، ط1،(دار المنهاج، السعودية، 2011م)، مج2.

13- أبو حامد الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد محمد، تحقيق: إنصاف رمضان، ط1،( دار قتيبة، لبنان، 2003م).

14- أبو حامد الغزالي: التبر المسبوك في نصيحة الملوك، ط1، (دار الكتب العلمية، لبنان، 1988م).

15- أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، تحقيق: سعد كريم الفقي، دط،( دار ابن خلدون، صر، دت).

16- أبو حامد الغزالي: أيها الولد، تحقيق: جميل إبراهيم حبيب، دط، ( دار الحكمة، لبنان، 1986م).

17- أبو حامد الغزالي: بداية الهداية، تحقيق: محمد عزب، ط1، (مكتبة مدبولي، مصرن 1993م).

18- أبو حامد الغزالي: مجموعة رسائل الإمام الغزالي، (سر العالمين وكشف ما في الدارين)، تحقيق: إبراهيم أمين محمد، دط، ( المكتبة التوفيقية، مصر، دت).

19- أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة، ط2، (دار الآفاق الجديدة، لبنان، 1975م).

20- أبو حامد الغزالي: منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين، تحقيق: محمود مصطفى حلاوي، ط1، ( مؤسسة الرسالة، لبنان، 1989م).

21- أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، ط1،(دار المعارف، مصر، 1964م).

22- أبو حامد الغزالي:( الرسالة اللدنية)، مجموعة رسائل الإمام الغزالي.

23- أبو حامد محمد الغزالي: المستصفى من علم الأصول، تحقيق: حمزة بن زهير حافظ، دط، (شركة المدينة المنورة، السعودية، 1993م)، ج1.

24- أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، تقديم: حسان عبد المنان، دط،( دار الأفكار الدولية، لبنان، 2004م)، ج1.

25- أفلاطون: جمهورية أفلاطون ،ترجمة: حنا خباز،ط1(مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة القاهرة،2017م).

26- أوغسطين: اعترافات، ترجمة: الخوري يوحنا الحلو ط4، (دار المشرق ، لبنان، 1991م).

27- أوغسطين: تعليم المبتدئين أصول الدين المسيحي في الحياة السعيدة (في الكذب)، ترجمة: يوحنا الحلو، ط1، (دار المشرق، لبنان، 2007م).

28- أوغسطين: خواطر فيلسوف في الحياة الروحية، ترجمة: يوحنا الحلو، ط7 (دار المشرق، لبنان، 1970م).

29- أوغسطين: في شرح الموعظة على الجبل، تقديم: بيشوي كامل ط1،(مطبعة الكرنك، مصر، 1962م)،

30- أوغسطين: مدينة الله، ترجمة: يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، 2006م)، مج3.

31- أوغسطين: مدينة الله، ترجمة: يوحنا الحلو، ط2 (دار المشرق، لبنان، 2007م)، مج2.

32- أوغسطين: مدينة الله، ترجمة: يوحنا الحلو، ط2، (دار المشرق، لبنان، 2006م)، مج1.

33- تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، ط1،( مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه، مصر، 1968م)، ج6.

34- خير الدين الزركلي الدمشقي: الأعلام، ط5،( دار العلم للملايين ، لبنان، 2002م).

35- شيشرون: علم الغيب في العالم القديم، ترجمة: توفيق الطويل، دط، (مكتبة الآداب بالجماميز، مصر، دت).

36- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي: الوافي بالوفيات، ط2، (النشرات الإسلامية "جمعية المستشرقين الألمانية"، لبنان، 1962م)، ج1.

37- علي بن أنجب البغدادي: مختصر أخبار الخلفاء، ط1،( المطبعة الأميرية ، مصر، 1892م).

38- علي بن محمد الشريف الجرجاني :التعريفات ،دط ( مكتبة لبنان بيروت، 2000م).

39- عماد الدين محمد بن حامد الاصفهاني: تاريخ دولة آل سلجوق، دط،( شركة طبع الكتب العربية، مصر، 1900م).

40- متى المسكين: الفضائل المسيحية بحسب الإنجيل، دط،( دير القديس أنبا مقار، مصر 1992م).

**ب-الموسوعات**

41- إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي : دط،( الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، مصر، 1983م).

42- أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري، لسان العرب،مادة خلق، ط3(دار صادر ، بيروت ،2004م)مج 5.

43- أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تر:خليل أحمد خليل،ع مج :3، ط2، (دار عويدات للنشر، لبنان، 2001م)، مج1.

44- جميل صليبا :المعجم الفلسفي (ط-ي)(دار الكتاب اللبناني ،لبنان،1982 م)ج2 .

45- جميل صليبا :المعجم الفلسفي، ، دط، (دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982م). ج1.

46- جورج طرابيش: معجم الفلاسفة، ط3، (دار الطبيعة، لبنان، 2006م).

47- شارل الحلو: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ط1، ، (دار الكتب العلمية، لبنان، 1992م)، ج1

48- عادل فرج عبد المسيح: موسوعة آباء الكنيسة، دط، ( دار الثقافة، مصر دت)، ج2.

49- عادل فرج عبد المسيح: موسوعة آباء الكنيسة، ط2، (دار الثقافة، مصر، 2006 م)، ج1.

50- عبد الرحمان بدوي: موسوعة الحضارة العربية الاسلامية – الفلسفة والفلاسفة في الحضارة الإسلامية،ط1، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، 1987م).

51- فرج عبد القادر طه و شاكر عطية قنديل وآخرون: معجم علم النفس والتحليل النفسي، ط1، (دار النهضة ، لبنان، دت).

52- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، إشراف: شوقي ضيف، ط4(مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004م).

53- مجموعة من المؤلفين: قاموس الكتاب المقدس، ط10، ( دار الثقافة ، 1995م).

54- مختار حساني: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، دط، ( دار الحكمة، الجزائر، 2007 م)، ج3

55- معن زيادة زياد : الموسوعة الفلسفية العربية، ط1(معهد الإنماء العربي، بيروت، 1986م)ج 1.

## ج- المراجع:

56-

57- إبراهيم لوقا: المسيحية في الإسلام، ط1، ( المطبعة المسيحية، 1983م).

58- إبراهيم محمد إبراهيم: الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها، ط1، (مطبعة الأمانة، مصر، 1985م).

59- أبو ضيف المدني: الأخلاق في الأديان السماوية، ط1، (دار الشروق، مصر ، 1988م).

60- أبو عمران الشيخ: أوغسطين العنابي ومقاومة الحركة الدوناتية، مجلة الأصالة(عن تاريخ وحضارة عنابة عبر العصور) جامعة الجزائر، العدد 35/34، 1976م.

61- أبي حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، تحقيق: سعد كريم الفقي، دط، (دار ابن خلدون، مصر، دت).

62- أبي عبد الرحمان السلمي: طبقات الصوفية، تحقيق:أحمد الشرباصي، ط2، (مؤسسة دار الشعب، مصر، 1998م).

63- إتين هنري جلسون: الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، ط3، (مكتبة مدبولي، الكويت ، 1996م).

64- أحمد المنياوي: جمهورية أفلاطون(المدينة الفاضلة)، ط1(دار الكتاب العربي، القاهرة، 2010م).

65- أحمد علي عجيبة: الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه، ط1، (دار الآفاق العربية، مصر،2006م).

66- أدريه كريسون: المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، ترجمة: عبد الحليم محمود وأبو بكر ذكرى، دط، (دار الشعب، مصر، 1979م).

67- أرنيست كاسيدر: مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية (مقال في الإنسان)، ترجمة: إحسان عبّاس، دط، ( دار الأندلس ،لبنان، 1991م).

68- إسماعيل مظهر: فلسفة اللذة والألم، دط، ( مطبوعات مكتبة النهضة المصرية، مصر،1936م).

69- ألفريد آدلر: الطبيعة البشرية، ترجمة: عادل نجيب بشرى، ط1، (المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2005م).

70- ألن شورتر: الحياة اليومية في مصر القديمة، ترجمة:نجيب ميخائيل إبراهيم، دط، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1997م).

71- إمام عبد الفتاح إمام: المنهج الجدلي عند هيجل، ط3، (دار التنوير، لبنان، 2007م).

72- إمانويل كانت: تأسيس متافيزيقيا الأخلاق، تر:عبد الغفار مكاوي، ط2، ( الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1963م).

73- أميرة حلمي مطر: الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها، ط1،(دار قباء، مصر، 1998م).

74- أميرة حلمي مطر: فلسفة الجمال (أعلامها ومذاهبها)، دط، (دار قباء، مصر، 1998م).

75- أميرة حلمي مطر: جمهورية أفلاطون، دط، ( الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1994م).

76- أندريه جيد: اللاأخلاقي ، ترجمة: محمود قاسم، ط2، (الدار المصرية اللبنانية، مصر، 2004م).

77- أنور الزعبي: مسألة المعرفة ومنهج البحث عند الغزالي، ط1، (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، 2000م).

78- أيوب دخل الله: التربية الإسلامية عند الإمام الغزالي، ط1،(المكتبة العصرية، لبنان، 1996م).

79- بدوي طبانة: معلقات العرب "دراسة نقدية تاريخية في عيون الشعر الجاهلي"، ط3، (دار الثقافة، لبنان، 1974م).

80- برت إم هرو: كتاب الموتى الفرعوني، ترجمة: فيليب عطية، ط1،(مكتبة مدبولي، مصر، 1988م).

81- بيتر سينجر: هيجل، ترجمة: محمد إبلاهيم السيد، دط، ( مؤسسة هنداوي، مصر، 2017م).

82- ت.ج.جيمز: الحياة أيام الفراعنة، ترجمة: أحمد زهيرامين، دط، (الهيئة المصرية العامة للكتب، مصر، 1997م).

83- تشارلس داروين: نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي، ترجمة، مجدي محمود المليجي، ج2، ط1، (المجلس الأعلى للثقافة، مصر 2005م)،

84- جفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، دط، (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1993م).

85- جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، ط3، ( دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، 2006م).

86- جورج يلدا: التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، دط، (طباعة الكنيسة الكلدانية، بريطانيا، 2012م)، ج1.

87- حسن الباش: القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان، دط، (دار قتيبة، سوريا، دت)، ج2.

88- حسن الفاتح قريب الله: دور الغزالي في الفكر، دط، (مطبعة الأمانة، مصر، 1978م) .

89- حسن الفاتح قريب الله: دور الغزالي في الفكر، دط،( مطبعة الأمانة، مصر، 1978م).

90- حسن حنفي: نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ط2، ( 1978 مكتبة الأنجيلو المصرية، مصر).

91- حسن محمد مكي العاملي: المدخل إلى العلم والفلسفة والإلهيات، ط1، (الدار الإسلامية، لبنان، 1990م).

92- حلمي محروس إسماعيل: الشرق العربي القديم وحضارته، دط، (مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1997م).

93- حمد ضياء الرحمان الأعظمي: دراسات في الأديان اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ط2،( مكتبة الرشد، السعودية، 2003م).

94- حنا الفاخوري: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، ط1، (منشورات المكتبة البوليسية، لبنان، 2001 م).

95- ختار السويفي: أم الحضارات، ط1، ( الدار المصرية اللبنانية، مصر، 1999م)،ج2.

96- خزعل الماجدي: إنجيل بابل، ط1،( الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 1998م).

97- د.ت.سوزوكي: التصوف البوذي والتحليل النفسي، ترجمة: ثائر ديب، ط2،( دار الحوار، سوريا، 2007م).

## د-الرسائل:

98- ديوان عروة بن الورد و السموأل، دط،( دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، 1982م).

99- رأفت عبد الحميد: الإمبراطورية البيزنطية العقيدة والسياسة، دط ، (دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2000م)، ج1.

**100-** رأفت عبد الحميد: الإمبراطورية البيزنطية العقيدة والسياسة، دط، (دار قباء، مصر، 2000م)، ج1.

**101-** راوية عبد المنعم عباس: مالبرانش والفلسفة الإلهية، دط، (دار النهضة العربية، لبنان، 1996م).

**102-** ربيين دانيال: كتاب التراث المسيحي في شمال إفريقيا، ترجمة: سمير مالك، (دار منهل الحياة، لبنان، 1999م).

**103-** رحاب خضر عكاوي: موسوعة عباقرة الإسلام في الطب والجغرافيا والتاريخ والفلسفة، ط1، ( دار الفكر العربي بيروت، 1993م) ج2.

**104-** ريمون بولان: الإسلام والسياسة، ترجمة: عادل العوّا، ط2، ( دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، سوريا، 1988).

**105-** زكي مبارك: الأخلاق عند الغزالي، دط، (كلمات عربية للترجمة والنشر، مصر،2002م).

**106-** زينب محمود الخضيري: لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين، دط، (دار قباء، مصر، 1998م).

**107-** سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث: أطلس تاريخ الدولة العباسية، ط1، (مكتبة العبيكان، السعودية،2012م).

**108-** سعود بن عبد الله الحزيمي: مصادر الأخلاق باللغة العربية، دراسة ببليومترية تحليلية، دط، (مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، 2013م)، ج1.

**109-** سلطان بك محمد: الفلسفة العربية والأخلاق، دط، (، مطبعة المعارف مصر ، دت)، ج1.

**110-** سليمان دنيا: الحقيقة في نظر الغزالي، دط، (دار المعارف، مصر، 1965م).

**111-** سليمان دنيا: الحقيقة في نظر الغزالي، دط، (دار المعارف، مصر، 1965م).

**112-** سمر سمير أنور محمد: الانقطاعات المعرفية في الفكر اليوناني، رسالة ماجستار، جامعة عين شمس، مصر، 2002م).

**113-** سمير ديب: تاريخ وحضارة مصر القديمة، دط، (مكتبة الإسكندرية، مصر، 1997م).

**114-** السيد الباز العريني: تاريخ أوربا "العصور الوسطى"، دط، (دار النهضة العربية، لبنان، 1968م).

**115-** السيد الباز العريني: تاريخ أوربا "العصور الوسطى"، دط،( دار النهضة العربية، لبنان، 1968م).

**116-** سيد عويس: الخلود في التراث الثقافي المصري، دط، ( الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دت).

**117–** سير و.م.فلندرزيتري: الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، ترجمة: حسن محمد جوهر ، عبد المنعم عبد الحليم، دط،( الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1975م).

**118–** صالح أحمد الشامي: الإمام الغزالي، ط1،( دار القلم، سوريا، 1993م).

**119–** طه عبد الرحمان: سؤال الأخلاق، ط1،( المركز الثقافي العربي، المغرب، 2000م).

**120–** عارف المفضي البرجس: التوجيه الإسلامي للنشء في فلسفة الغزالي، ط2، (دار الأندلس، لبنان، 1983م).

**121–** عبد الأعلى السبزواري الموسوي: الأخلاق في القرآن الكريم، ط1،(دار الكتاب العربي ، لبنان، 2011م).

**122–** عبد الأمير الأعسم: الفيلسوف الغزالي، دط، (دار قباء، مصر، 1998م).

**123–** عبد الحي محمد قابيل: المذاهب الاخلاقية في الاسلام، دط، (دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، دت).

**124–** عبد الرحمان بدوي: فلسفة العصور الوسطى، ط3،( دار القلم، لبنان، 1979م).

**125–** عبد الرحمان بدوي: مذاهب الإسلاميين، دط، (دار العلم للملايين، لبنان، 1997م).

**126–** عبد الرحمان بدوي: مؤلفات الغزالي، ط2، (وكالة المطبوعات،الكويت، 1977م).

**127–** عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، دط، (ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1975م)، ج1.

**128–** عبد الرحمان حنبكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها،ج1، ط5 (دار القلم، سوريا، 1999م).

**129–** عبد الرزاق بن عبد المجيد ألارو: مصادر النصرانية، ط1، ( دار التوحيد والتبشير، السعودية ،2007م)ج1.

**130–** عبد العزيز بن عبد الله: الفلسفة و الاخلاق عند ابن الخطيب،ط2، (دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م).

**131–** عبد العزيز بن عبد الله: الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب، ط2، (دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م).

**132–** عبد الكريم العثمان: سيرة الغزالي وأقوال المتقدمين فيه، دط،( دار الفكر، سوريا، دت).

**133–** عثمان أمين: رواد المثالية في الفلسفة الغربية، دط، (دار المعارف، مصر، 1967م).

**134–** عزيزة محمد السيد: إمكانات العقل البشري، دط، (دار النشر للجامعات، مصر، 2014 م).

**135–** علي زيعور: الفلسفة في الهند، ط1، (عز الدين للطباعة والنشر، لبنان، 1993م).

**136–** علي زيعور: أوغسطينوس، ط1 دار إقرأ ، لبنان، 1983م).

**137–** علي عيسى عثمان: الإنسان عند الغزالي، دط، ( مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1964م).

**138–** علي عيسى: الإنسان عند الغزالي، ترجمة: خيري حمادة، دط، (مكتبة الانجلو مصري، القاهرة، دت،).

**139–** عمار النجار: نظرات في فكر الغزالي، ط2، ( دار المعارف، مصر، 1992م).

**140–** عمار النجار: نظرات في فكر الغزالي، ط2، (دار المعارف، مصر، 1992م).

**141–** عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية1962، ط1، (دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997م).

**142–** ف.دياكوف وس.كوفاليف: الحضارات القديمة، ترجمة: نسيم واكيم اليازجي، ط1،(دار علاء الدين، سوريا، 2000م)،ج1.

**143–** فايز فارس: علم الأخلاق المسيحية ،ج1، ط1( دار الثقافة، مصر، دت).

**144–** فراس السواح: طريق إخوان الصفا (المدخل للغنوصية الإسلامية)، ط3، (التكوين للنشر والترجمة، سوريا، 2016م).

**145–** فريدريك نيتشه: أصل الأخلاق وفصلها، ترجمة:حسن قبيسي، دط، ( المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان، دت).

**146–** فؤاد معصوم : اخوان الصفاء فلسفتهم وغايتهم، ط2، ( دار المدى، سوريا، 1998م).

**147–** ك.ماتفيف و أ.سازونوف: حضارة ما بين النهرين العريقة، ترجمة: حنا آدم، دط، ( دار المجسد، سوريا، 1991م).

**148–** كارلو ماريا مرتيني اليسوعي: الفضائل، ط1، (دار المشرق، لبنان، ،2011م) .

**149–** كامل سعفان: معتقدات آسيوية، ط،1 (دار الندى، مصر، 1999 م).

**150–** كايد قرعوش، خالد القضاة، نصر البنا وآخرون: الأخلاق في الإسلام، ج2، ط2، ( دار المناهج، الأردن، 2002م).

**151–** كحول سعودي: الحدس الصوفي ونظرية الأخلاق عند القديس أوغسطين، (مجلة مفاهيم للدراسات الفلسفية والإنسانية المعمقة، عدد8، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر،2020م).

**152–** كريستيان نادو: المفردات والأسلوب عند القديس أوغسطين،ترجمة: شادي رباح نصر، ط1، (النايا للدراسات والنشر، سوريا، 2014م).

**153–** كلشكوف: الحياة الروحية في بابل، ترجمة: عدنان عاكف حمودي، ط1،( دار المدى للثقافة والنشر، سوريا، 1995م).

**154–** كلود ب. لفنسون: البوذية، ترجمة: محمد علي مقلّد، ط1، (دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، 2008م).

**155–** ليفي برويل: الأخلاق وعلم العادات الأخلاقية، ترجمة: محمود قاسم، دط، (مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، دت).

**156–** ليوشتراوس و جوزيف كروبسي: تاريخ الفلسفة السياسية، محمود سيد أحمد، دط، (المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2005م)، ج1.

**157–** ماسينيون ومصفى عبد الرزاق: التصوف، ط1،(دار الكتاب اللبناني ، لبنان، 1984م).

**158–** مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دط، (المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1976م)، ج1.

**159–** مجموعة من المؤلفين: الإسلام ومكارم الأخلاق، ط1،( دار الكتاب العربي، مصر، 1992م).

**160–** مجموعة من المؤلفين: شريعة حمورابي وأصل التشريع في بلاد الشرق الأدنى، ترجمة: أسامة سراس، ط2، (دار علاء الدين، سوريا، 1993م).

**161–** مجموعة من المؤلفين: موجز تاريخ الفلسفة، ترجمة: توفيق سلوم، ط1،( دار الفرابي، لبنان، 1989م).

**162–** محرم كمال: الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء، ط2،( الهيئة العامة للمكتبة الإسكندرية، مصر، 1998م).

**163–** محفوظ علي عزام:الاخلاق في الاسلام بين النظري والتطبيق، ط1 (دار الهداية، مصر، 1986م).

**164–** محفوظ قداش: تاريخ الجزائر في العصور القديمة، ترجمة: صالح عباد، دط، ( المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993م).

**165–** محفوظ قداش: تاريخ الجزائر في العصور القديمة، ترجمة: صالح عباد،دط، ( المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دت).

**166–** محمد إبراهيم الفيومي: الإمام الغزالي وعلاقة العقل باليقين، دط،( دار الفكر العربي، مصر، دت).

**167–** محمد إبراهيم الفيومي: الإمام الغزالي وعلاقة اليقين بالعقل، دط، (دار الفكر العربي، مصر، دت).

**168–** محمد أبو زهرة: مقارنة الأديان (الديانات القديمة )، دط،( معهد الدراسات الإسلامية، مصر، 1965م).

**169–** محمد إسماعيل الندوي: الهند القديمة ديانتها وحضارتها، دط، ( دار الشعب، مصر، 1970م).

**170–** محمد الجبر: الرؤية المنهجية لدراسة الأخلاق، ط1، (الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، 1988م).

**171–** محمد السيد الجليند: قضية الخير والشر لدى مفكري الإسلام، دط، (دار قباء، مصر، 2006م ).

**172–** محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري "منذ فجر التاريخ إلى الفتح الاسلامي"، دط، ( المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1992م).

**173–** محمد بدوي: الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، دط، (دار المعرفة الجامعية، مصر،2000م).

**174–** محمد بيومي مهران: الحضارة المصرية القديمة، دط، ( دار المعرفة الجامعية، مصر، 1989م)، ج1.

**175–** محمد بيومي مهران: الحضارة المصرية القديمة، ط4، ( دار المعرفة الجامعية، مصر، 1989م)، ج2 .

**176–** محمد جواد مغنية: معالم الفلسفة الإسلامية ،ط3 ( مكتبة الهلال، لبنان، 1982م).

**177–** محمد خليل محسن الديسي: التربية الاجتماعية في فكر الإمام الغزالي، ط1، (دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، 2001م).

**178–** محمد صادق صبور: موجز تطور الحضارات الإنسانية، ط1، (دار الأمين، مصر، 1998م).

**179–** محمد عبد الرحمان مرحبا: المرجع في تاريخ الأخلاق (الأخلاق منذ عصر ما قبل التاريخ حتى الصين القديمة)، ط1 (جروس برس ، لبنان، 1988م).

**180–** محمد عبد الرحمان مرحبا: المرجع في تاريخ الأخلاق، ط1،(جروس برس، لبنان، 1988م)، ج1.

**181–** محمد عبد الله الشرقاوي: الفكر الأخلاقي "دراسة مقارنة"، ط1،( دار الجيل، لبنان، 1990م).

**182–** محمد عبد الله الشرقاوي: الفكر الأخلاقي دراسة مقارنة، ط1،(دار الجيل، لبنان، 1990م).

**183–** محمد عرقسوسي وحسين ملا عثمان: ابن سينا والنفس الإنسانية، ط1، ( مؤسسة الرسالة ، لبنان ، 1982م).

**184–** محمد عزيز: قراءات في علم الجمال حول الاستطيقا النظرية والتطبيقية، ج1، دط، ( مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1995م).

**185–** محمد عفيان: المدينة والأخلاق عند القديس أوغسطين، (مجلة الراصد العلمي، عدد10، مجلد6، وهران1 أحمد بن بلة، الجزائر،2019م).

**186–** محمد فتحي عبد الله: الجدل بين أرسطو وكنط، ط1،( المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 1995م).

**187–** محمد فيصل شيخاني: القيم والأعراف الأخلاقية في الحضارة الاسلامية، دط، ( مطبعة اليمامة، سوريا، 1998م).

**188–** محمد مهران رشوان: تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، دط، (دار قباء، مصر، 1998م).

**189–** المخلصي منصور: أوغسطين الإفريقي، دط،( مطبعة المشرق، العراق، 1994م)

**190–** مريم حسين علي محمد السادة: المنهج القرآني في البناء الأخلاقي للإنسان وأثره في رواد مراكز القرآن الكريم وعلومه، رسالة ماجستير، (قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قطر، 2017م).

**191–** مصطفى عبد الرزاق: فيلسوف العرب والمعلم الثاني ، دط،( مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2013م).

**192–** مصطفى عبده: فلسفة الأخلاق، ط2، (مكتبة مديولي، مصر، 1998م).

**193–** معز مديوني: مقدمة لقراءة فكر أغسطينوس، ط1، ( جداول للنشر، لبنان، 2011م).

**194–** معز مديوني: مقدمة لقراءة فكر أوغسطينوس، ط1، (جداول، الكويت، 2011م).

**195–** ميسون محمد عبد القادر: التفكير الأخلاقي وعلاقته بالمسؤولية الاجتماعية وبعض المتغيرات لدى طلبة الجامعة الإسلامية بغزة، (رسالة ماجستير، كلية التربية ،علم النفس، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين، 2009م).

**196–** ميلود ميدات، خديجة بن السايح: تحليل النفس التشخيصي والعلاج عند الغزالي (دراسة تحليلية مقارنة)، (مجلة العلوم الاجتماعية، عدد2،مجلد8، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر، 2019م)، ج2.

**197–** نبيلة محمد عبد الحليم: معالم التاريخ الحضاري والسياسي في مصر الفرعونية، دط، (منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، 1977م).

**198–** نبيلة محمد عبد الحليم: ملامح العصر التاريخي في العراق القديم، دط، ( دار المعارف، مصر، 1983م).

**199–** نسيبة مزواد: مفهوم تفاهة الشر عند القديس أوغسطين، (مجلة المعيار، عدد 48، مجلد23، قسنطينة، الجزائر، 2019م).

**200–** نور الدين السافي: نقد العقل منزلة العقل النظري والعملي في فلسفة الغزالي، ط1، (مكتبة علاء الدين، تونس، 2003م).

**201–** نور الدين هالي: المعرفة والمنهج الجدلي في فلسفة أفلاطون، (مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، مجلد3، عدد3 جوان 2014)

**202–** نورمان ف. كانتور: التاريخ الوسيط قصة حضارة :البداية والنهاية، ترجمة: قاسم عبده قاسم، ط5، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1997 م)، ج1.

**203–** هنري تشادويك: أوغسطينوس ( مقدمة قصيرة جدا)، ترجمة: أحمد الروبي، ط1، (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر ، 2016 م).

**204–** والبولا راهولا: بوذا، ترجمة: يوسف شلب الشام، ط1، (دار ورد للنشر والتوزيع، سوريا، 2001م).

**205–** وليام ليلى: المدخل الى علم الأخلاق، تر:علي عبد المعطي محمد، دط، (منشأة المعارف، مصر، 2000م).

**206–** وولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دط، (دار الثقافة، مصر، 1984م).

**207–** ويل ديورانت: قصة الحضارة (عصر الإيمان)، ترجمة: محمد بدران، دط،( دار الجيل، لبنان ) مج 4.

**208–** ياروسلاف تشرني: الديانة المصرية القديمة، ترجمة: أحمد قدري، ط1، ( دار الشروق، مصر، 1996م).

**209–** يسار عابدين و بيير نانو: الفضيلة في مفهوم المدينة، (مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، سوريا، 2012م)، عدد1 مج28.

**210–** يعقوب المليجي: الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية مع مقارنة بالديانات السماوية، دط،(مؤسسة الثقافة الجامعة، مصر، 1985م).

**211–** يوسف القرضاوي: الغزالي بين مادحيه وناقديه، ط4، (مؤسسة الرسالة، لبنان، 1994م).

**212–** يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، دط، (لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، 1936م).

**213–** يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، ط1،(دار العالم العربي، مصر، 2010م).

## هـ– المواقع الإلكترونية:

**214–** كفاح يحي صالح العسكري: الغزالي وجون ديوي (نظرتهما للطبيعة الإنسانية، (لجنة البحث والدراسة في التراث النفسي ، سلسلة الراسخون عدد2، 2013م)، www.arabpsy found.com، التاريخ 2020/09/29، الساعة12:30.

## ثانيا_المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:


215- Ahmed Shahlen: Almizen, Ghazali (Laraison et le miracle), table ronde unesco 1985, editions Maisonneuve et la rose, Paris,احمد شحلان الميزان بين المفاهيم الاسلامة والتقاليد اليهودية .

216- Augustin Aureluis, A treatise on Grace and free will, translated by Peter Holmes and Robert Ernest.W,(Buffalo,NY: Christian Literature Publishing Co, 1887).

217- Augustine: On the free choice of the will, on grace and free choice, and other writings, translated by Peter King, (the United states of America by Coambridge University Press, N.Y. 2010 ) .

218- Augustine: On the free choice of the will, on grace and free choice, and other writings, translated by Peter King, (the United states of America by Coambridge University Press, N.Y. 2010 ) .

219- Bonne Kent: Augustine's ethics, Combridge University, Press 2006.

220- John Paschal Bane: The moral theory and applied ethics of Saint Augustine, sub mitted for the degree of MA to the University of Durham Department of theology, 1998.

221- Jonn Deigh: An introduction to ethics, Cambridge introduction to philosophy, first published,published in the

United states of America by Cambridge University Press,N.Y. 2010).

222- M.Omarudin, The ethical philosophy of Al-Ghazzali, Adam publishers and distributers, Delhi, India,1996.

223- Mohamed Ahmed Sherif: Ghazali's theory of virtue, Fst edition, published by the state University of New York Press, U.S.A. 1975.

224- Mohamed Khair Eiadat: Community of one : Al-Gazali's Ethical tyeory Revisited ,( dirasat ,human and social sciences , University of Jordan, 2014) volume 41, N1

## فهرس الموضوعات


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| كلمة شكر وتقدير | |
| الإهداء | |
| مقدمة | أ-ن |
| **الفصل التمهيدي: لمحة عامة عن علم الأخلاق وتطوره** | |
| **تمهيد:** | **15** |
| **المبحث الأول: تحديد المفاهيم وضبط متغيرات الدراسة** | 16 |
| **المطلب الأول:** تعريف الأخلاق. | 16 |
| الفرع الأول-لغة. | 16 |
| الفرع الثاني- اصطلاحا. | 17 |
| الفرع الثالث- مصطلحات متعلقة بلفظة الأخلاق. | 22 |
| **المطلب الثاني:** تعريف المساءلة. | 29 |
| الفرع الأول-لغة. | 29 |
| الفرع الثاني- اصطلاحا. | 29 |
| **المطلب الثالث:** تعريف المجادلة:Eristique. | 31 |
| الفرع الأول-لغة. | 31 |
| الفرع الثاني-اصطلاحا. | 31 |
| الفرع الثالث-مفهوم المجادلة عند الفلاسفة. | 31 |
| الفرع الرابع-مصطلحات متعلقة بالجدل. | 36 |
| المطلب الرابع:التعريف الإجرائي "المساءلة الإيتيقية ضمن جدلية الاسلام والمسيحية" | 37 |
| **المبحث الثاني: أهمية وأسس علم الأخلاق.** | 38 |
| **المطلب الأول:** أهمية علم الأخلاق. | 38 |
| الفرع الأول- من حيث الموضوع. | 38 |
| الفرع الثاني- من حيث الغاية. | 40 |
| الفرع الثالث-الحاجة إليه. | 42 |

| | |
|---|---|
| **المطلب الثاني**: أسس علم الأخلاق. | 47 |
| الفرع الأول- الضمير و الشعور. | 47 |
| الفرع الثاني- الإرادة. | 53 |
| الفرع الثالث- المسؤولية. | 54 |
| **المبحث الثالث: نشأة وتطور الفكر الأخلاقي تاريخيا.** | 56 |
| **المطلب الأول**: حضارة ما بين الرافدين. | 56 |
| الفرع الأول- لمحة عامة عن المنطقة. | 56 |
| الفرع الثاني- حامورابي وشريعته( 1792-1850 ق م). | 57 |
| الفرع الثالث- النصوص الأدبية. | 61 |
| **المطلب الثاني**: الحضارة المصرية. | 62 |
| الفرع الأول- نبذة عامة عن الحضارة المصرية. | 63 |
| الفرع الثاني- الفكر الأخلاقي في المجتمع المصري القديم. | 64 |
| الفرع الثالث-كتب الحكمة. | 66 |
| **المطلب الثالث**: البوذية. | 70 |
| الفرع الأول- لمحة عامة عن الهند والديانة البوذية. | 70 |
| الفرع الثاني- الفكر الأخلاقي في الديانة البوذية. | 72 |
| الفرع الثالث- الفضائل والرذائل عند بوذا. | 75 |
| **المطلب الرابع**: الأخلاق في الفلسفة اليونانية. | 76 |
| الفرع الأول- نبذة عامة عن الحضارة اليونانية. | 76 |
| الفرع الثاني- سقراط. | 77 |
| الفرع الثالث- أفلاطون. | 83 |
| **خلاصة الفصل:** | 89 |
| **الفصل الأول: الفلسفة الأخلاقية عند القديس أوغسطين** | |
| **تمهيد:** | 91 |
| **المبحث الأول: ترجمة القديس أوغسطين.** | 92 |
| **المطلب الأول**: نسبه وولادته. | 92 |
| الفرع الأول- نسبه. | 92 |

| | |
|---|---|
| الفرع الثاني- ولادته. | 93 |
| **المطلب الثاني**: نشأة أوغسطين الفكرية وأثره في الساحة العلمية. | 96 |
| الفرع الأول- نشأته العلمية. | 96 |
| الفرع الثاني- أثره في الساحة الفكرية. | 98 |
| **المطلب الثالث**: مصنفات أوغسطين. | 99 |
| الفرع الأول- مؤلفاته. | 99 |
| الفرع الثاني- مصنفات أوغسطين الأخلاقية. | 101 |
| المبحث الثاني: عصر أوغسطين | 107 |
| **المطلب الأول**: الجو السياسي(الدولة الرومانية 27ق.م_476م). | 107 |
| الفرع الأول- تعريف الدولة الرومانية في شمال إفريقيا.(تاريخها). | 107 |
| الفرع الثاني- النظام الروماني في شمال إفريقيا. | 109 |
| الفرع الثالث- أوغسطين والأوضاع السياسية. | 110 |
| **المطلب الثاني**: الجو الديني (أوغسطين والحالة الدينية). | 111 |
| الفرع الأول- الوثنية. | 111 |
| الفرع الثاني- المسيحية. | 112 |
| الفرع الثالث- الدّوناتية: | 114 |
| **المطلب الثالث**: البيئة العلمية. | 117 |
| الفرع الأول- اللغة و الفلسفة اليونانية. | 117 |
| الفرع الثاني- التعليم وإنشاء المدارس. | 117 |
| **المطلب الرابع**: الجو الاجتماعي. | 119 |
| **المبحث الثالث_مصادر الفكر الأخلاقي عند أوغسطين.** | 120 |
| **المطلب الأول**: بيئته. | 120 |
| الفرع الأول- والدته"مونكا". | 120 |
| الفرع الثاني- أمبروسيوس(340م-397م). | 121 |
| **المطلب الثاني**: المصدر الديني. | 122 |
| الفرع الأول- العهد القديم. | 122 |
| الفرع الثاني- العهد الجديد. | 123 |

| | |
|---|---|
| **المطلب الثالث**: المصدر الفلسفي. | 124 |
| الفرع الأول- فلسفة أفلوطين( الأفلاطونية الجديدة). | 124 |
| الفرع الثاني- تأثره بشيشرون( 106_43 ق م). | 125 |
| الفرع الثالث- تأثره بأفلاطون. | 125 |
| **المطلب الرابع**: المانوية. | 127 |
| الفرع الأول- تعريفها. | 127 |
| الفرع الثاني: اعتناق أوغسطين للمانوية | 128 |
| الفرع الثالث-تأثره بالمانوية: | 129 |
| **المبحث الرابع: الإنسان ومكوناته وقواه.** | 131 |
| **المطلب الأول**: مكونات الإنسان. | 131 |
| الفرع الأول-تعريف الإنسان. | 131 |
| الفرع الثاني_ القلب. | 132 |
| الفرع الثالث- الروح. | 136 |
| الفرع الرابع- النفس. | 137 |
| **المطلب الثاني**: قوى النفس. | 145 |
| الفرع الأول- قوى النفس عند أوغسطين ومراحل ظهورها. | 145 |
| الفرع الثاني- الذاكرة. | 147 |
| الفرع الثالث- الإرادة. | 153 |
| الفرع الرابع- القوة العاقلة. | 157 |
| **المبحث الخامس: الخلق والفضيلة عند أوغسطين.** | **155** |
| **المطلب الأول**: الأخلاق. | 162 |
| الفرع الأول- ماهية الأخلاق عند أوغسطين | 162 |
| الفرع الثاني- مكارم الأخلاق (التطويبات). | 164 |
| الفرع الثالث- منهجية أوغسطين في دراسة الأخلاق. | 167 |
| الفرع الرابع- التربية الأخلاقية والاجتماعية. | 172 |
| **المطلب الثاني**: الفضائل. | 180 |
| الفرع الأول- تعريف الفضيلة(Vertu ). | 180 |
| الفرع الثاني- الفضائل الأخلاقية. | 182 |

| | |
|---|---|
| الفرع الثالث- الفضائل اللاهوتية: | 189 |
| **خلاصة الفصل:** | 196 |
| **الفصل الثاني: الفلسفة الأخلاقية عند أبي حامد الغزالي.** | |
| **تمهيد:** | 198 |
| **المبحث الأول: ترجمة الغزالي.** | 199 |
| **المطلب الأول:** نسبه وولادته. | 199 |
| الفرع الأول- نسبه(اسمه). | 199 |
| الفرع الثاني- ولادته. | 199 |
| **المطلب الثاني:** نشأة الغزالي الفكرية وأثره في الساحة العلمية. | 200 |
| الفرع الأول- نشأته العلمية. | 201 |
| الفرع الثاني- أثره في الساحة العلمية. | 202 |
| **المطلب الثالث:** مصنفات الغزالي. | 203 |
| الفرع الأول- مؤلفات الغزالي. | 203 |
| الفرع الثاني- مصنفات الغزالي الأخلاقية. | 206 |
| **المبحث الثاني: عصر الغزالي.** | 212 |
| **المطلب الأول:** الجو السياسي (الدولة السلجوقية). | 212 |
| الفرع الأول_تعريف الدولة السلجوقية. | 212 |
| الفرع الثاني_ النظام السلجوقي الإقليمي. | 213 |
| الفرع الثالث_ الغزالي والأوضاع السياسية. | 213 |
| **المطلب الثاني:** الجو الديني (الباطنية). | 214 |
| الفرع الأول- تعريف الباطنية. | 215 |
| الفرع الثاني- فرقهم حسب الغزالي. | 215 |
| **المطلب الثالث:** البيئة العلمية. | 216 |
| الفرع الأول- الناحية الفكرية. | 216 |
| الفرع الثاني- الناحية العمرانية(إنشاء المدارس). | 217 |
| **المطلب الرابع:** البيئة الاجتماعية. | 218 |
| **المبحث الثالث: مصادر الفكر الأخلاقي عند الغزالي.** | 220 |


جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

| | |
|---|---|
| **المطلب الأول**: الأدب الفارسي والأدب العربي. | 220 |
| الفرع الأول- الأدب الفارسي. | 220 |
| الفرع الثاني-الأدب العربي. | 221 |
| المطلب الثاني: المصدر الديني (القرآن والسنة النبوية). | 213 |
| **المطلب الثالث**: المصدر الفلسفي. | 223 |
| الفرع الأول- الفلاسفة اليونان. | 223 |
| الفرع الثاني- الفلاسفة المسلمين. | 224 |
| **المطلب الرابع**: إخوان الصفاء(خلان الوفاء). | 226 |
| الفرع الأول- تعريفها. | 226 |
| الفرع الثاني- منهجهم وأهم سماتهم. | 227 |
| **المطلب الخامس**: التصوف. | 228 |
| الفرع الأول- الكتب الصوفية. | 228 |
| الفرع الثاني- مجموعة ممن عرفهم الغزالي من المشايخ الصوفية. | 229 |
| **المبحث الرابع: الإنسان مكوناته وقواه.** | 223 |
| **المطلب الأول**: مكونات الإنسان. | 231 |
| الفرع الأول- القلب. | 231 |
| الفرع الثاني- الروح: | 234 |
| الفرع الثالث_ النفس: | 237 |
| **المطلب الثاني**: قوى النفس الإنسانية. | 245 |
| الفرع الأول- مراحل ظهور قوى الإنسان. | 246 |
| الفرع الثاني- قوة التفكير. | 247 |
| الفرع الثالث- القوة الغضبية. | 248 |
| الفرع الرابع- القوة الشهوية. | 250 |
| **المبحث الخامس: الخلق والفضيلة عند الغزالي.** | 253 |
| **المطلب الأول**: الأخلاق. | 253 |
| الفرع الأول- ماهية الأخلاق عند الغزالي. | 253 |
| الفرع الثاني- مكارم الأخلاق. | 256 |
| الفرع الثالث- منهجية الغزالي في دراسة الأخلاق. | 257 |

| | |
|---|---|
| الفرع الرابع- التربية الأخلاقية والاجتماعية. | 259 |
| المطلب الثاني- الفضائل. | 266 |
| الفرع الأول- تعرف الفضيلة. | 266 |
| الفرع الثاني- الحكمة. | 267 |
| الفرع الثالث- الشجاعة. | 269 |
| الفرع الرابع- العفة. | 271 |
| الفرع الخامس- العدالة. | 273 |
| الفرع السادس- الفضيلة عند الغزالي بين الفلسفة والدين. | 274 |
| **خلاصة الفصل:** | 276 |
| **الفصل الرابع: قضية الخير والشر وفاعلية الفضيلة في خلاص الإنسان عند كل من أوغسطين والغزالي** | |
| **تمهيد:** | 278 |
| **المبحث الأول: الخير والشر عند أوغسطين.** | 280 |
| **المطلب الأول:** ماهية الخير والشر عند الفلاسفة. | 280 |
| الفرع الأول- تعريف الخير والشر. | 280 |
| الفرع الثاني- الاتجاهات الخلقية عند فلاسفة اليونان. | 281 |
| **المطلب الثاني:** قضية الخير والشر عند أوغسطين. | 282 |
| الفرع الأول- التصور الأوغسطيني للخير. | 282 |
| الفرع الثاني- التصور الأوغسطيني للشر. | 283 |
| **المطلب الثالث:** طبيعة أفعال الله وأفعال الإنسان بين الخير والشر. | 288 |
| الفرع الأول-أفعال الله. | 288 |
| الفرع الثاني-طبيعة أفعال الإنسان. | 290 |
| **المطلب الرابع:** فعالية الفضيلة في معرفة طبيعة الفعل(بين الخير والشر). | 292 |
| **المطلب الخامس:** مطلب استخلاصي. | 293 |
| الفرع الأول- مصدرية الخير والشر. | 293 |
| الفرع الثاني- التطبيقي. | 295 |
| **المبحث الثاني: الخير والشر عند الغزالي.** | 298 |

| | |
|---|---|
| **المطلب الأول:** قضية الخير والشر. | 298 |
| الفرع الأول- تعريف الخير والشر عند الغزالي. | 298 |
| الفرع الثاني- مثارات الغلط. | 300 |
| **المطلب الثاني:**الخير والشر في الفعل الإنساني والإلهي. | 301 |
| الفرع الأول- أفعال الله. | 301 |
| الفرع الثاني- طبيعة أفعال الإنسان. | 302 |
| **المطلب الثالث:**آليات معرفة نوع الفعل وبيان دور الفضيلة في ذلك (خير أم شر). | 304 |
| الفرع الأول- الشرع. | 304 |
| الفرع الثاني- الغرض. | 305 |
| الفرع الثالث- تفعيل الفضيلة في معرفة الخير والشر: | 306 |
| **المطلب الرابع:** مطلب استخلاصي. | 306 |
| الفرع الأول- الحسن والقبيح | 306 |
| الفرع الثاني- التطبيقي: | 308 |
| **المبحث الثالث: الفكر الأخلاقي وعلاقته بالخلاص والنجاة.** | 310 |
| **المطلب الأول:** غاية الأخلاق عند أوغسطين. | 310 |
| الفرع الأول- الغاية الدنيوية. | 310 |
| الفرع الثاني- الغاية الدينية. | 312 |
| **المطلب الثاني:** غاية الأخلاق عند الغزالي. | 316 |
| الفرع الأول- الغاية الدنيوية. | 316 |
| الفرع الثاني- الغاية الدينية: | 319 |
| **المبحث الرابع: فاعلية فلسفة أوغسطين والغزالي الأخلاقية في الواقع المعاصر** | 322 |
| **المطلب الأول:** فاعلية فلسفة أخلاق أوغسطين في حياتنا الاجتماعية المعاصرة. | 322 |
| الفرع الأول-الحب والتعايش السلمي. | 322 |
| الفرع الثاني- الحث على فضيلة العمل. | 323 |
| الفرع الثالث- الاغتصاب والإكراه. | 324 |
| **المطلب الثاني:** فاعلية فلسفة أخلاق الغزالي في حياتنا الاجتماعية المعاصرة. | 326 |
| الفرع الأول- بث روح التعاون. | 326 |

| | |
|---|---|
| الفرع الثاني- الحث على فضيلة العمل وتحقيق الاكتفاء الذاتي. | 326 |
| الفرع الثالث- قضية الظلم. | 328 |
| الفرع الرابع-معالجة مسالة التكفير. | 328 |
| **خلاصة الفصل:** | 330 |
| **خاتمة:** | 331 |
| **الملخصات** | |
| ملخص باللغة العربية. | 336 |
| ملخص باللغة الفرنسية. | 337 |
| ملخص باللغة الإنجليزية. | 339 |
| **الفهارس** | |
| الآيات القرآنية. | 341 |
| فقرات الكتاب المقدس. | 343 |
| فهرس الجداول. | 345 |
| فهرس الأشكال. | 346 |
| قائمة المصادر والمراجع. | 347 |
| فهرس الموضوعات. | 364 |


جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

People 's Democratic Republice of Algeria

- Emir Abdelkader University of Islamic Sciences- Constantine

Ministry of Higher Education and Scientific Researchl

Serial Number:……..

Registration number…….

Faculty of Fudamentals of Religion

Comparative Religions

Department of Creed and

# Ethical questioning within the dialectic of Christianity and Islam - an approach between Augustine and Abu-Hamid Al ghazali- (A comparative analytical study)

**Thesis Introduction to get Doctorate L.M.D. Diploma**

**Specialty: Comparative Religions**


**Student Preparation:**

**Salima Brahmi**

**Supervised by Professor:**

**Mohamed Boudaban**


**Discussion Committee:**

| First and Family Name | Academic Degree | original university | Description |
|---|---|---|---|
| Prof. Assia Chekireb | Professor | - Emir Abdelkader University of Islamic Sciences- Constantine - | Chairman |
| Prof. Mohamed Boudaban | Professor | - Emir Abdelkader University of Islamic Sciences- Constantine - | Supervisor |
| Prof. Shahnez Ben Elmoafeq | Professor | - Emir Abdelkader University of Islamic Sciences- Constantine - | A discussion member |
| Prof. Naima Dris | Professor | -High School of Profissors- ENS- Constantine - | A discussion member |
| Dr. Bachir Boussaha | Doctor | -Hamma Lakhder Eloued University | A discussion member |

Academic Year: 2021-2022 AD / 1442-1443 H